

أوركسترا القدر



□ رواية



□ فاطمة الزهراء فتحي



ليلين للنشر
والتوزيع

فاطمة الزهراء فتحي

أوركسترا القدر

1854 / 2016 ط1

الترقيم الدولي / 1 - 08 - 3511 - 977 - 978

طباعة يناير 2017

حقوق الطبع محفوظة لدى الناشر

ليليت للنشر والتوزيع

الإشراف العام / إيمان سعيد

مدقق لغوي أ/ سميح فتحي

غلاف / خديجة يونس

المراسلات : 24 ش سيد درويش

كوم الدكة - إسكندرية

♦ ت : 01224272327

: 01022661632

Dar.lilitte@gmail.com

lilitepublishing@gmail.com

إهداء ورسالة و شكر!

أهدي روايتي الأولى ، والتي بمثابة ابنتي البكر
إلى أعظم الرجال في حياتي و الذين اكتشفت في وقت متأخر جداً أنهم أولى
الرجال بقلبي و أنهم أكثر الرجال حُباً لي و إن آموني!!

إلى أبي ..

وإلى شقيقي الراحل رحمة الله عليه ..

وإلى صديقٍ و أخٍ لم ينجبه أبي .. إلى << عبد الرحمن أحمد نصر >>

وإلى رجلٍ أتمني ألا يدرك مثلي في وقتٍ متأخرٍ جداً أنني أنا أولى النساء به و
قلبه ..

إلى ذلك الرجل .. إليه أقول .. إذا سألت الله يوم القيامة .. من يا ربي أكثر
أهل الأرض حُباً لي .. سأكون أنا الإجابة .. و ستعرف كم سألت الله عنك !
أنا روح ترتاح لك .. أنا روح تسكن إليك .. أنا روح تعشقك .. أنا روح
تشتهي أن تنصهر في روحك أنت ..

أنا روح تتمني من الله أن ينفخ في رحمها روح من روحك أنت ! كم أتمني
حدوث ذلك

ما أجمل ما حدث بيننا !.. كنا خارقين للعادة .. أليس كذلك؟! .. أيها الفلكي
.. ألا تعترف في قرارة نفسك أننا كنا ظاهرة فلكية لن تتكرر ! لقد سقط كل
منا في فلك عيني الآخر! صنعت لي مداراً استثنائياً يختلف جذرياً بل لا يقارن
بمدارات الكواكب الكثيرة التي تحوم حولك و تدور ! ألم تكن كذلك ؟ وها
أنت نجم مذنب عابر في أمسيات صيفية! سرعان ما اختفيت .. أنت نجم
هارب ! يوماً ما ستعثر علي اكتشاف ثري.. أنني القمر، القمر الذي يخفي
دائماً جزء منه ! و إن كان يفصلني عنك من العمر أحد عشر كوكباً ! فإنني
رأيهم لي ساجدين !

obeikandi.com

عندما يكونها الشوق ، وتحرق قلبها أوجاعه؛ لا تجد مُتَنَفِّسًا إلا أن تفيض
عينها بدموع تلهب خديها ألمًا وتدمي عينها كمدًا.. نعم .. هي تشتاقه ،
تحتاجه .. تكتب له وهي تبكي حتى تكاد لا ترى ما تكتب من الدموع التي
ملأت عينها حتى حجبت عنها الرؤية.. من دونه هي مشوشة.. ضاعت منها
روحها لتحتلها غربة موحشة..

وبينما هي علي هذا الحال.. تتخيل يومًا ما لو أن كتاباتها وقصتها معه رُويت
على شاشة السينما.. لبكى المشاهدون جميعًا.. حتى هو نفسه ، لو رأى
آلامها تتجسد أمامه على الشاشة و رأى كيف فعل بها بعده عنها، لقضى
لياليه يبكيها وما تبقى من عمره يتضرّع إلى الله أن يغفر له.
سيُدرِك حتمًا أنه بحماقته وغروره أضاع فتاةً لا تعوّض، فتاة دائمًا ما يقال
عنها إنها كتلة إحساس على الأرض.

ذات يوم قال لها في زهو: أنا نجم

فأجابت بيقين: وأنا القمر

وذات يوم آخر ذبحها بقوله إنها لا تليق به، فهو يريد نجمة!

قالت له في ثقة عجيبة وإيمان قوي: النجوم كثير، أما القمر واحد!

هي تعلم جيدًا أن بداخله ثورة ، منذ أن ضربت بشواطئ عينها خضم
رجولته وأسكرته.. تعلم جيدًا أنها حازت جزءًا لا يُستهان به من روحه وقلبه
ووجدانه..

لكن عقليته المتهرئة تصارع مشاعره ؛ هي سحرتة بعينها ، صوتها الشجي
يدغدغه ، كفاها الصغيرتان تذهلانه ، قصائدها تفاجئه ووقع كلماتها يزلزله
وعشيقها المجنون يأسره.. هي على ثقة أنه ما من امرأة ستظل شاخصة في
وجدانه مثلما فعلت.. هي ذلك النوع من النساء الذي يستوطن الرجل ، هي
ذلك النوع الذي لا يموت ولا يُنسى ، هي تلك الأنثى العنيد التي ترفض
الهيمنة وتعرف أنها في النهاية ستنتصر، هي تلك الأنثى التي إن أحبت تحب

حتى النخاع ، هي تعلم أنها امرأته ، إن لم يكن ذلك على الأرض ، فسيحدث في السماء..

هي تعشقه عشقًا سيرديها قتيلة يومًا.. هو بالنسبة لها شريان الحياة.. روحها.. توأم روحها الأبدي كما سمّته في قصائدها.. بطلها وملهمها.

هو زوجها الذي تزوجه كل ليلة آلاف المرات ولا تعتقه حتى الصباح ، هو من تحكي له كل حكاياتها وتفاصيل حياتها اليومية ؛ هو رجلها ، هو من تفعل وتتقاسم معه كل شيء وأي شيء ، لكن للأسف هذا كله يحدث فقط في مخيلتها ؛ تعلم أن هزيمته وخضوعه التام لها يكمنان في قُبَلَةٍ منها.. لكنها صبور.. تعلم أن معركتها العشقية معه يفوز فيها صاحب النفس الأطول.. وهي تتميز بالنفس الأطول.. هذه صفة فيها ، فأصول والدها من الصعيدي.. وهل هناك أطول من نفس رجل صعيدي أو امرأة صعيدية ؟ ؛ لهم قدرة غريبة على الصبر في الأخذ بالثأر.. وإن صبروا أعوامًا ولكنهم لا ينسون ثأرهم.. فقط ينتظرون اللحظة المناسبة.

لقد نَزَعَ قَتِيلَ أُنُوثَمَا.. أشعلها.. وتركها تحترق وتنفجر وحدها.. انفجرت مُدَوِيَّة ليعلم الجميع أنه مُجرم حُب.. قررت أن تُحاكمه باسم الحُب ؛ لذلك نصبت له مُحَاكمة عشقية أمام الجميع.. في سَبَقِ أدبي فريد من نوعه.. القاضي فيها هو التاريخ.. وهيئة الدفاع هي القدر.. المتهم هو هشام سليمان.. تنص الدعوى القضائية المقدمة من زهرة أبوالفتوح على أنه قطف زهرة من بُسْتَانِهَا واستنشق رحيقها مع سبق الإصرار والترصّد وشرع في قتلها بتركها تذبل دون أن يسقها من عسله.

تم الاستماع للشُّهُود ، ألا وهم حَوَاسُّهُ..عندما كان يُحدِّثُهَا كانت تسمع دقات قلبه تقرع كالتُبُول لتخرج أحباله الصوتية مهزوزة من شِدَّة القرع .. كما كانت تأتينا أنفاسه مُختلجة وكأنه يلهث بداخله.. فتشمل هي وترضخ .. أما عيناه اللتان كانتا تفضحانه وأفصحنا عمًا بداخله متى تطلن ، فقد أثبتنا لها

أَنَّ العُيون ليست وسيلة للنظر في الخارج وإنما وسيلة تفضح ما نشعر به في الداخل ؛ ليتبقى الشَّاهد الأخير.. أنفه الذي احمرَّ عندما شمَّ عبق رائحة عطرها وهي جالسة بجواره ذات حفل ما.. أتنى على عطرها.. نظرت إليه فوجدته يتطلَّع في عينها مباشرة وقد احمرَّ أنفه بطريقة لا تخطئها امرأة مثلها.. دوخته حتى النخاع في تلك اللحظات.. وفي تلك اللحظات أيضًا ظلا يتطلَّعان لبعضهما في صمت وبادخلهما حرائق تطل من شرفات الأعين.. بعد الاستماع للشُّهود وهيئة الدفاع والاطِّلاع على الأدلَّة (حدسها الأنثوي وقلها).. حكم التاريخ على الجاني هشام سليمان بالإعدام رميًا بالرصاص.. رصاص الكلمات.. لكنها قررت أن تمطره بوابل من نيران ذلك الحب الذي تفسَّى فيها علَّه يشعر يومًا ما كم أحرقها! وتبدأ الكلمات..

«هشام» هو قصيدتها.. كلمتها.. رعشتها.. مَنْ حملت أن تحمل منه طفلتها.. راحتها.. تمتعتها.. سكينتها وثورتها.. مَنْ تجرَّعت منه الخذلان والحرمان والعُدْر بالتَّقسيط المُميت.. لتعيش في غُرْبَة وألم لا يوصف.. تسري بعروقه صفائح دموية مُعبَّأة غدراً.. أما هي فتسري بعروقها صفائح دموية مُعبَّأة منه قَهراً.. باختصار: «هشام» هو خبيتها.

تلك الفتاة الصعيدية.. لم تنس منبتها.. لم تغادرها حرارة الصعيد.. ظلَّت تسكنها لتذكِّرها بجذورها.. سوهاج هي بطاقة هويتها.. إليها يُنسب والدها وأرض جدوده ومَنبتة.. منذ نعومة أظافرها علَّمتها جدتها أنها صعيدية وألا تنسى ذلك.. وأنها حُرَّة الدم والحميَّة.. أضافت إلى بطاقة تعريفها للحياة أنها زهرة.. زهرة نارِيَّة.. هكذا غرست فيها الكبرياء.. وَشَتَّت بها تضاريس أنوثتها مبكراً.. منذ صغرها أدركت جدتها أنها خلابة وصاخبة الأنوثة فغرست فيها أصالة الصعيد كي لا يجعلها جمالها وأنوثتها الطاغية فريسة أي صياد.

جمالها فرنسي.. قوامها يعود إلى أصول أمها الفرنسية.. لها عنفوان ساكن.. أشعله «هشام» بطريقةٍ ما.. هو حقًا صياد ماهر.. وصَدَقَتْ نبوءة جدتها ؛ افترسها الصياد.. أدخلها شبكته وطوّقها جيدًا.. أحكم حصاره وتركها تعانيه.. تمرض به.. في حين لم ينتبه أنه قد أصيب بالعدوى.. عدوى عشقها.. لكنه مكابر.

أهانها.. أهان عزة نفسها الصعيدية الأبية.. قال لها ذات ليلة بزهو: «أنا نجم.. أنتِ نجمة؟ النجم بياخذ نجمة».. أعماه غروره عن ضيِّها.. فلم يرَ أنها القمر.. في ضي عينها الواسعتين العميقتين جدًّا أبحر «هشام»، وجعلته هي القبطان.. غرق في عينها وأغرقها معه..

فَضَّلَ عليها غيرها وهي التي فضَّلته على كل الرجال.. ليكن، سيتزوج غيرها، أي أنثى غيرها، لكنها ستظل، رغمًا عن أنفه، امرأة كاملة في تاريخه.. والباقي مجرد إناث، حتى إن تزوّج نجمة ، على حد قوله، ستظل «زهرة» هي القمر.. في أي ساعة من الليل أو النهار ستحب من زوجته.. سيعطي غيرها اسمه وطفلته ولكن لن تعطيه نساء العالم ما أعطته وما كانت ستعطيه «زهرة».. لتحصّر يا «هشام».. خسرت قبلة فرنسية حارة كشمس الصعيد الحارقة.. من كانت غيرها ستعطيك؟

خسرت قبلةً كانت ستلتهم شفيتك وتجعلك تتجرّع الشَّهْد، تاركة فيهما عبق حقيقتها عالمًا ليقول لكل أنثى تراودها المحاولة من بعدها: هنا وطن زهرة أبوالفتوح.. فمن تكونين أنتِ؟!

خسرت امرأة كانت ستلتهم رجولتك وتثملها.. كانت ستحرقك في سريرك.. كانت ستجعل أحشاءك تنصهر في أحشائها حتى يلفظ رحمها طفلة منك.. خسرت امرأة من أجل أنثى يا «هشام» !.

خسرت زهرة نارية أشعلتك فأحرقتها.. خسرت امرأة عندما وقعت في حُبك تغيرت كل مفاهيمها وكل ما تعلمته في المدرسة والحياة ؛ فأصبح الوطن

شفتيك.. والسكن راحتيك.. والدفء صدرك.. والأمان حضنك.. وأصبحت
القوة عينيك.. والسكينة ابتسامتك لها.. والراحة الحديث معك.. كان كل
طموحها في الحياة هو أنت..

إن تزوجت غيرها لن يكون لك مع غيرها جولات خارج السرير، لك معها
جولات لغوية شاهقة ، كانت تحاورك باللغة يا «هشام»، بطريقة لا يتقنها
سواها، بطريقة أمتعتك حتى أفقدتك صوابك ، وكنت كتومًا لم تخبرها،
لكنها استباححت أعماقك واستطاعت أن تسمع صمتك ، تسمع لحنك الذي
لطالما كنت تعزفه لها وحدها، لحن الصمت، أتدري يا «هشام»، كم كان
يقتلها لحنك هذا.. كم كان عزفك نشازًا ؛ اهترأت أوتار قلبها ؛ ما عادت تدق
يا «هشام».. ما عادت..

تعمدت إهانتها أكثر من مرة.. لكنك لم تدرك أنها هي الفتاة الفرنسية
الصعيدية التي عند إهانتها يفور دمها الحُر.. تخلع رونقها الفرنسي.. لتتلبسها
نزعتها الصعيدية وتزار لتثار.. تزار زئيرًا مُدويا حتى يُخيّل لك أنها تصدح
كُبرياء.. «زهرة» هي الفتاة التي حاولت تحجيمها وتميئشها، ولكن فانك أنها
الفتاة التي عندما يحاول أحد تصغيرها فإنها تكبر وتتضخم بعنفوان لا
يُضاهي.. فلم فعلت ذلك؟

عجبًا لرجل يهين امرأة عززته ويُفضّل عليها غيرها وهي توحدت في عشقه..
عجبًا لرجل كبرته امرأة في قصائدها وعشقته بعنف وبعمق وكان في المقابل
يحاول تحجيمها (هو انتي نجمة؟).. صدقت يا «هشام»، هي ليست نجمة..
هي القمر.. وأنت نجم.

لكنك نجم هارب.. سحبقًا لغرورك وإنائك.. فليذهبن للجحيم بتذكرة ذهاب
بلا إياب.

بقدر ما أحبته خذلها.. وبقدر عمق حيا جرحها.. وبقدر ما حيرها أتعبت.. بلا
شك هي أتعبت كرجل.. هي أنثى صاحبة.. عنيفة.. لا تبدو معالم وجهها،

ولكن يطل من عينها بصيص أنوثة طاغٍ.. صوتها الناعم الدافئ ورائحة عطرها المميزة ويدها الصغيرتان.. كلها علامات تشير إلى تضاريس خفية لأنثى حارقة أذابت أعصابه. فكيف كان سيحتمل إن رأى تضاريسها كاملة؟ قالت له يومًا في ثقة نادرة: «انت لو شفتني قدامك في البيت مش هتعرف تقوم من مكانك». بُهت من جرأتها.. لم يرد عليها.. اكتفى بالصمت في حضرتها.. فالصمت في حرم الجمال جمال.. كما يقول نزار قباني. في عشقه عاشت صولات وجولات.. تارة يهزمها وأخرى تهزمه.. لا توجد هزيمة دائمة ولا نصر دائم.. هو سعادتها وسبب شقتها وبؤسها.. وحده يملك مفاتيح قلبها.. هو أسطورة حياتها.. وتاريخها.. هو رجل غريب الأطوار.. تارة يُشعرها أنها حبيبته وأخرى يُشعرها أنها كانت موهومة بحبه وأنها مجرد صديقة.

الاثنان يوقنان في أعماقهما أنها ليست صداقة.. وهو في أعماقه لا يريد صداقة.

كثيرًا أخبرتها عيناه أنه يشتمها.. وكثيرًا بتصرفاته حاول أن يقصمها.. هذا التناقض في ردود فعله معها وتصرفاته التي أحيانًا تقول إنه عاشق وأحيانًا تؤكد أنه من ذوات الدم البارد.. كثيرًا ما أنهكها وأعيائها هذا التناقض فيه، ما خلق بداخلها صراعًا كان يفتك بقلها يومًا بعد يوم.. حتى مرضت ولزمت الفراش وفقدت تمامًا رغبتها في الحياة بعد أن أخبرها، بقسوة لم تعهد لها فيه من قبل، أن في حياته فتاة غيرها يحبها.. وأنها في حياته صديقة ليست أكثر من ذلك..

انهارت أحلامها فجأة.. وفقدت الثقة في نفسها والعالم كله.. كم كان هذا قاسيًا.. كانت فائقة الجمال والسحر.. وبدأت رحلتها مع الألم والفقدان.. والموت.

أكثر ما كان يؤلمها أنه لم يمنحها الفرصة لرؤيتها من كل الزوايا.. لم يكن عادلاً معها.. ظلمها كثيراً.. حرماً منه مبكراً.. كان بداخلها الكثير لتقوله لكنه صَدَّها..

لم يكن يعلم أنها انتظرتة زمناً كي يخفف عنها آلام عائلتها.. هي تألمت كثيراً من عائلتها.. وكان هو لها العائلة التي تمنها.. كم ذاقتم مرارة الفقد.. وكم ذاقتم حرمان مَنْ أحببتهم..

قسوة الحياة أكسبتها أشياء كالاعتماد على النفس، كما أنها بقدر ما هي حساسة ودموعها قريبة جداً إلا أنها قوية.. أكسبتها طفولتها مع جدتها الكثير من القيم والمبادئ.. هي فتاة من طراز خاص جداً.. حنون طيبة، لكنها أيضاً شرسة وجريئة لأبعد الحدود، وشقية وجذابة العينين ورقيقة اليدين وعذبة الحديث وصافية الضحكة..

اسمها «زهرة».. وهي زهرة.. تفتحت على يديه.. وفاح عطرها، وعلى يديه أيضاً بدأت في الذبول.. جميلة هي لكنها جذابة أكثر.. تسحرك عندما تتعرف عليها وتعمق علاقتها بك.. في الثانية والعشرين من العمر.. والدها رجل مسلم صعيدي أصيل من سوهاج، لكنه وُلد في مدينة كفر الدوار بمحافظة البحيرة.. ووالدتها امرأة مسيحية من أصول فرنسية.

لامح وجهها طفولية.. شعرها بني طويل يصل لنهاية ظهرها.. لها عينان بنيتان داكنتان تجذبانك كمغناطيس.. عُود فرنسي.. أجمل ما فيها شفتاها.. وهما الله قدرًا كبيرًا من الجمال وخفة الروح.. كما وهما فن الكتابة وإلقاء الشعر منذ صغرها.. وفي المرحلة الجامعية كانت تكتب قصائد شعر بالإنجليزية وكثيرًا ما كان أساتذتها يتنبئون لها بمستقبل باهر في عالم الكتابة.

هي قمر وأحبت نجمًا.. تعرّفت عليه في حفل بسيط.. لفت نظرها إليه مروءته معها في هذا الموقف الذي لن تنساه له ؛ فهي لا تنسى المعروف.. لكنها أيضًا لا تنسى الإساءة.. ساعدها كي تقدم فقرة الشعر الخاصة بها بعد أن أُلغيت بسبب سوء تنظيم في الحفل.. وكانت في بداياتها غضة طرية فبكت عند علمها بالغاء فقرتها.. كان جالسًا في الصف الأمامي.. سمعها وهي تبكي..

رغم شهرته بين أصحابه بالبرود لِكَنَّهُ انتفض واقفًا على قدميه وسألها: «إيه؟ فيه إيه؟ بتعيطي ليه؟».. كانت تبكي بشدة.. لم ترد عليه.. لم تكن تعرفه وقتها.. كل ما تعرفه أن اسمه «هشام» وأنه عازف بيانو؛ إذ إنها قد رأته في حفل سابق.

سأل زميلها الذي كان يحاول تهديتها: «هي مالها؟».. وعرف منه سبب بكائها.. فسألها: «طيب انتي اسمك إيه؟».. قالت من بين بكائها: «مش عاوزه أقول اسمي».. ابتسم ابتسامته العذبة قائلاً: «يا أمي قوليلي بس، اسمك إيه؟».. كانت هذه كلمته الدائمة «يا أمي».. فيما بعد كانت تود تقبيله كلما قالها.. كان صيادًا ذا خبرة..

عرف اسمها وتركها لدقائق.. اختفت في آخر صفوف القاعة.. كان يتكلم مع مقدمي الحفل كي يقدمها.. عاد ليبحث عنها ولم تعرف كيف عثر عليها في هذا الزحام.. فيما بعد أصبحت هذه عادتتهما، تبعد وهو يعرف كيف يجدها بطريقته.. وقف بجوارها يبتسم في عذوبة قائلاً في شياكة: «يلا يا زهرة»، فابتسمت رغماً عنها..

وبعد انتهاء فقرتها وجدت نفسها تذهب إليه وتشكره.. ابتسم في خجل قائلاً:
- على فكرة انتي كويسة جدًّا.. شعرك جميل.

كانت تشعر نحوه بالامتنان.. وبعد انتهاء الحفل دار بينهما حوارينم عن نشأة علاقة..

- انتي في كلية إيه؟
- أنا لسه مخلصه امتحانات الليسانس.. آداب إنجليزي.. مستنية النتيجة.
- انتي كنتي هنا في الحفلة اللي فاتت قبل دي؟
- لا ما شاركتش فيها، بس حضرتها وشوفتك وانت بتعزف على البيانو..
- عزفك حلو أوي.. انت ليه ما شاركتش الحفلة دي؟
- أنا الحفلة اللي فاتت عملت مجهود جامد وما اتقدرتش.. شوفتي الفقرة بتاعتي وفريق الكورال؟ عشان كده ما شاركتش الحفلة دي.
- ربنا يوفقك، واشوفك على خير يا رب.
- انتي موجودة على الجروب بتاعنا على الفيس بوك؟
- آه.
- طيب أنا كمان موجود لو عوزتي أي حاجة.
- أوك، أول ما أروح البيت هبعثلك آد.. باي.
- باي.
- تلك كانت بداية التعارف بين «زهرة» و«هشام».
- عادت إلى بيتها سعيدة.. أرسلت له طلب صداقة على الفيس بوك.. وانطلقت البداية.. وكان كيوييد الحب قد أطلق السهم في قلبها.. بضعة أيام وهيل شهر رمضان المبارك.. أجمل رمضان عاشته في عمرها.. كانت تنتظره كل ليلة من ليالي شهر رمضان لتتحدث معه على الفيسبوك.. وهو الآخر ينتظرها.. تنتظره بشوق، وينتظرها بلهفة.. كل منهما ينتظر الآخر بحُب.. والفرق أنها تريد ذلك الحب.. بينما هو يدرك ذلك الحب! يدرك أنها أسكرته.. بل إنه في حالة سُكْرِ شديد معها.. كتب القدر قصتهما معاً، «زهرة» و«هشام».. شهدت ليالي شهر رمضان المبارك قصتهما معاً.. شهدت هذا الحب الفريد الغريب!
- كل منهما لا يفارق تفكير الآخر.. كان حبه يغزو قلبها ويحتله بسرعة فائقة.. أما هي فكانت تسكنه.. كان يدرك جيداً أن هذه الفتاة ليست عادية..

هو رجل له سحر خاص.. وهي فتاة لها كاريزما قوية.. تختلف عن أي أنثى عرفها أو سيعرفها.. هي أنثى ذات حضور فريد وطلّة أخّاذة.. أسكرته منذ البداية وأوقعها في نفس اللحظة التي أسكرته فيها.. لكن الفرق بينهما أنها تعترف بالحقيقة، وهو مكابر.. هو أيضًا صياد ماهر.. له عينان بقدر ما تقبلعناها من روحها، تفضحان صاحبهما.. استطاعت بحسبها العالي أن ترى فيهما موقعها في قلبه.. ورأت فيهما أنها امرأته.. تعيش معه في بيته.. وفي خيالها أنجبت منه ابنته.. أتعبها هذا الرجل وأهك قواها واستهلك احتمال أعصابها، فقط لأنه كان رجلًا بينما هي كانت مازالت فتاة، ليست امرأة بعد.. كانت معادلة غير عادلة.. داخلها شعور فطري أنها طفلته؛ لذا تخضع له دائمًا لا إراديًا.. دائمًا يراودها احتضانه.. تريد أن تشعر بدفئه.. تعرف أنه سيطوقها بذراعيه فتزداد قوة به.. تحتاج هذا بشدة.. ودائمًا تحتاج أن يسندها بقبلة.. كانت تتمنى أن تصبح على يديه امرأة..

كل منهما يستحوذ على تفكير الآخر.. هي زهرة حياته.. لا تفارق خياله.. كيف لهذه الفتاة التي لا يرى منها سوى عينين ويدين أن تفعل به هذا؟! هي منتقبة.. لكنها بالتأكيد مختلفة.. مميزة في كل شيء.. أنيقة المظهر.. لا ترتدي نقابًا أسودً وجليبًا أسودً.. نقابها بألوان جميلة.. عباءتها وفساتينها تدل على ذوق رفيع وأنها من عائلة ميسورة.. ونقابها يلفت انتباه كل من يراها وينال الإعجاب والاحترام.. وبقدر ما هي محتشمة الملبس والمظهر والجوهر، هي أنيقة وجذابة ومتحضرة.. تحجب وجهها عن الناس، لكنها لا تحجب ذوقها العالي.. ولا روحها النقية.. ولا عقليتها المتفتحة.. ولا شخصيتها الجميلة.. عذبة الحديث.. تلقائية وعفوية.. صافية كالجليب.. تظهر طبيعتها في عينيها.. جذابة رغم أنها تغطي وجهها.. تغطي وجهها ولكنها لا تغطي روحها.. لا تغطي موهبتها.. لا تغطي فنها..

وكم تلفت الأنظار إليها.. وكم تستطيع أن تنال الاحترام.. لم تكن معقدة أو متشدة أو رجعية.. على العكس تمامًا، هي شخصية في غاية التحضر.. في غاية الجمال.. تحب الفن بكل أنواعه.. تذهب للسينما وتحضر الحفلات والندوات.. هي خلطة عجيبة.. كل من يتعرف عليها أو يعرفها عن قرب يستطيع أن يدرك تمامًا أنها حالة.. طفرة.. كل من يعرفها يشهد بأنها غيرت فكره عن المنتقبات تمامًا.. إنها نموذج رائع..

تعيش حياتها كأبي فتاة عادية.. لأنها في غاية البساطة.. تتعامل مع كل أنواع وفئات المجتمع دون تمييز أو تفرقة.. لها أصدقاء وصديقات من مختلف الفئات.. ليس معنى أنها منتقبة ألا تكون علاقات مع غير محجبات، على النقيض تمامًا، متفتحة ومنفتحة.. تدخل القلوب.. وتخلب العقول.. هي منتقبة ليس لأنها ذات انتماء سياسي معين.. بل لأنها تحب النقاب واعتادت عليه.. فقد أصبح شيئًا أساسيًا في شخصيتها.. لكنه أبدًا لم يكن تدينًا أو تشددًا..

رغم أنها تغطي وجهها، لكن من مظهرها الأنيق تبدو معالم جمالها من جاذبية وسحر عينيها وصوتها العذب، أما بالنسبة لكفي يديها الصغيرتين الرقيقتين فهما دليل قاطع على جمال فرنسي يرجع لأصول والدتها.. رغم أنها تغطي وجهها فإنه يظهر جمالها الفرنسي في عينيها البندقيتين الداكنتين.. في عينيها ترى سحر باريس وحرارة الصعيد.. حر سوهاج.. حيث موطن والدها.. وترى في شواطئ عينيها أيضًا بحر الإسكندرية؛ حيث درست بالجامعة.. وحيث موطنه..

ورغم أنها تغطي وجهها فإنها تأخذ العقول، بل وتلمس أوتار القلوب في كتاباتها وأشعارها الرومانسية.. حينما تقف على المسرح لتلقي شعرًا.. حينما تعتلي المنصة لتخاطب الجمهور.. هي حالة.. متفردة.. إيجابية وشجاعة وجريئة إلى درجة تفاجئك وتذهلك وتجعلك ترفع لها القبعة.. تقف على

خشبة المسرح وتلقي شعراً رومانسياً بالعربية والإنجليزية مصحوباً بموسيقى! فتاة منتقبة في الثانية والعشرين من العمر.. بمجرد أن تتحدث، ينصت لها الجميع! صوت ناعم رقيق فيه شجن.. من وقفها على المسرح، يتضح مدى التمكن والثقة بالنفس.. تستطيع أن تصل إلى الجمهور الذي تخاطبه بإحساسها العالي.. هي كتلة إحساس على المسرح.. تتحدث من القلب؛ لذلك تصل إلى قلب من تحدثهم.. إحساس صادق يخترق القلوب.. تتميز بكاريزما فريدة.. من تلك المتفردة التي استطاعت أن تكسر عائق رؤية وجهها؟ تلك المتفردة التي تستطيع التواصل مع من حولها، بل والوصول إليهم واحتلال مكانة في نفوسهم.. اخترقت قلبه بلا أدنى شك.. من هذه الفتاة التي خلبت لبه؟ من هذه الزهرة؟ من أي أرض جاءت؟ من أي أرض يا «هشام»؟

كان ينتظرها كل ليلة من رمضان.. على جوع.. لا يرى وجهها، لكنه يتغذى من روحها النقية.. من صفاء حديثها.. يتعرف عليها يوماً بعد يوم.. ويكتشف فيها الجديد.. ويزداد إعجابها بها أكثر.. ويستمتع بالقرب منها وبحديثه معها.. يا الله! لهذه الدرجة وصلته واحتلته؟!

ولأن «الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف» كما قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فهو الآخر لا يفارق تفكيرها.. أصبح «هشام» في حياة «زهرة» إدماناً.. حكى عنه لبعض أفراد عائلتها.. ومنهم شقيقته الوحيدة والكبرى الدكتورة «إسراء».. وحكى عنه في البداية لصديقاتها المقربات أروه ونعمة ووسن..

أصبحت مبهورة به لدرجة أنها أبهرت به كل من حدثهم عنه وكيف أنه شهيم في موقفه معها في الحفل، وكم هو وسيم وشيك ومتفتح وفنان.. هي تشعر نحوه بامتنان واحترام وتقدير وإعجاب شديد.. أصبحت تهتم به بشكل

ملحوظ وكان هو الآخر يبادلها نفس المشاعر.. بل إنه فاجأها في ثاني حديث لهم قائلاً:

- ممكن أطلب منك طلب يا زهره؟

- اتفضل يا هشام

- ممكن ما تنسينيش في الدعاء؟

- حاضر

خفق قلبها بشدة حتى كاد يسقط بين قدميها ؛ تأثرت كثيرًا كثيرًا وكثيرًا بهذا الطلب ، يا الله! يطلب مني أن أدعو له! دمعت عينها إلا أنها كانت تشعر بسعادة كبيرة.. ومنذ أن طلب منها هذا الطلب، كان لا يمر عليها فرض من فروض الله الخمسة إلا وهي تدعو له كثيرًا في السجود.. تدعو له بكل ما هو جميل.. بكل ما هو خير.. بكل ما هو يسعد..

كانت تقف بين يدي الله وتدعو له باسمه.. بل والأكثر من ذلك أنها كانت تطلب من عائلتها أن يدعون له! اتصلت بشقيقتها «إسراء» وطلبت منها أن تدعو لهشام!

- «إسراء» ساعة الفطار ادعي لـ«هشام» كثير لو سمحتي

- «هشام» مين يا زهره؟

- «هشام» يا «إسراء» اللي حكيتلك عنه

- آه أمممم.. ايه حكايته الواد ده؟

- حكاية ايه يا «إسراء» مفيش حكاية هو إنسان ساعدني في أزمة وبطلب

مني ادعيله نتيجة البكالوريوس بتاعته قربت وهو قلقان

- زهره! انتي فاهماني.. خفي كلامك مع الواد ده.. متنسيش انتي مقري

فاتحتك يعني شبه مخطوبة

- أوف يا «إسراء» انتي مكبرة الموضوع.. مفيش بينا تعامل أصلا.. مجرد كلام

على الفيسبوك.. مجرد إنسان بحترمه وبقدره

- زهرة.. مش باين عليكي كده خالص.. انتي مش شايفة نفسك عاملة ازاي؟! - «إسراء».. أولاً بالنسبة لموضوع قراية الفاتحة ده اللي من 3 أسابيع يعني بعد الحفلة بيومين.. جواز الصالونات ده اللي حتى مكلفش نفسه وقالي كل سنة وانتي طيبة في رمضان مرفعش سماعة التليفون الأرضي هه؟ ولا حتى أخذ رقمي من بابا ولا أي حاجة خالص.. محسستي أنه جاي يقرأ فاتحة على كرسي السفارة اللي في البيت مش إنسانة المفروض يتعرف عليها على الأقل.. - ماشي يا زهرة أنا معاكي.. بس يمكن عشان بابا مسافر السعودية من أول رمضان وهو محرج أنه يتكلم وبابا مش موجود.. - نعم ياختي؟! محرج؟ أومال اخواتك الشباب دول لزمتهم ايه هنا.. دول قاعدين يتريقوا عليا.. ده أنا بقيت مسخرة البيت.. - معلش يا زهرة.. نستني لما بابا بييجي ونشوف هيعمل ايه - «إسراء» لما بابا بييجي هفركش الموضوع ده.. أصلاً موافقتش عليه بعد ما قعدنا سوا قتلته هفكر.. طلع قال لبابا اني موافقة.. ولقيت بابا بينادي عليا أسلم على أهله! ولقيتهم بيزرغطوا! وباباه يقول نقرا الفاتحة! - تعرفي يا زهرة برضو استغربت لما مامته زغرطت قلت ازاي انتي وافقتي من أول قعده كده بس قلت عادي طول عمرك مجنونة وبتعملي حاجات غريبة - «إسراء» بجد حاسة اني اتدبست وبعدين محصلش حاجة يدوب قعدت معاه مرة واحدة شافني فيها.. يبقي خلاص أول ما بابا يرجع من العمرة هكلمه نفركش الموضوع ده..اوك - اوك.. انتي حره.. بس خدي بالك من «هشام» ده.. انتي مهووسة بيه على فكرة.. - ولا مهووسة ولا حاجة.. ما «هشام» نفسه عارف اني فاتحتي مقرية.. عادي يعني

- ماشي يا زهرة.. بس انتي منتقبة يا قطة.. واخده بالك من النقطة دي؟ يعني هو مش شايف وشك أصلاً.. وكمان ما تنسيش المنتقبات في مجتمعنا في stereotype غلط عنهم.. خدي بالك كويس أوي من تصرفاتك وكلامك معاه يا زه.. ومنتسيش احنا بعد الثورة في حكم الإخوان.. ومش بعيد يفترك منهم..

- لا ما تقلقيش زمانه اتأكد اني مش كده من الفيسبوك.. وعمالة بنقد فيهم.. وأكديد شاف الpolitical views بتاعتي على الفيسبوك لقاني very Liberal

وبعدين انتي كمان منتقبة يا «إسراء» وكمان مدرس مساعد في كلية العلوم.. وهتناقشي الدكتوراه كمان كام شهر وانتي يدوب لسه عمرك 29 سنة.. هتبقى أصغر دكتورة أخذت الدكتوراه فيكي يا مصر.. وبعدين مانتي حسام جوزك ظابط في الجيش وانتي منتقبة.. ايه العلاقة يعني؟

- لا يا زهرة مفيش حد زي حسام.. أنا وحسام حالة.. حسام كان بيتابعني لما ينزل إجازة من الجيش وهو بيدرس دبلومة تحاليل عندنا في الكلية.. وشافني بتعامل ازاى مع الطلبة.. وشاف أسلوبى وطريقتى.. وكلمني في الكلية.. ياه.. كانت أجمل لحظة وهو بيقولي «أنا يشرفني تكوني أم اولادي».. وأخذ مني رقم بابا.. وكلمه و..

- عارفة يا ست الكل بقية الحكاية وربنا.. وجه البيت وكل ده ولسه ميعرفش شكلك.. وطلب ايدك من بابا.. وحتى لما دخلتيله بوشك مكانش يببص عليكي كتير.. وبابا يقوله بص كويس يا بني عشان متقولش ضحكنا عليك..

- شفتي بقي يا زهره؟ عاوزه تقولي إن في حد زي حسام؟ في حد يعمل اللي حسام عمله؟

- طيب يا «إسراء» يعني انتي ايه متجوزتيش جواز صالونات.. ليه بقي جات عليا يعني؟

- خلاص يا وزه.. أما بابا يرجع هنشوف الموضوع يرسي على ايه.. ما تقلقيش
- لا يا «إسراء» أنا قلقانه.. بابا صعيدي وصعب ودماغه ناشفة.. أنا خايفة
منه

- متخافيش يا قلبي.. يلا بقي روجي كفاية كده عليكي.. هقوم أحضر الفطار..
المغرب فاضل عليه ساعتين وكمان قبل ما عبدالله يصحي من النوم.. بيغلبني
مش بعرف أعمل منه حاجة الواد ده شقي جدًّا..

- ربنا يخليهولك هو وحسام يا حبيبيتي.. أنا هقفل بقي بس مستنياكي تيجي
قريب.. عبدالله وحشني أوي..

- حاضر يا وزه.. يلا سلام

- سلام

انطلق مدفع الافطار.. وها هو آذان المغرب تسمعه.. رددت الأذان وكانت متوضئة.. ظلت تدعو له كثيرًا قبل أن تشق ريقها بحبة تمر.. ظلت تدعو له بالنجاح والفلاح في الدنيا والآخرة وأن يرزقه الله ما يتمني وينعم عليه بالسكينة وراحة البال والاطمئنان والاستقرار.. وبعد أن أدت صلاة المغرب ودعت له في السجود، وقبل أن تتناول الطعام مع عائلتها، راسلته على الفيسبوك، وطمأنته أنها دعت له ولم تنساه.. وفي موعدهم الليلي انتظرتة وجدت منه رسالة يشكرها فيها.. قرأتها وابتسمت.. و بدأت هي الحديث:

hey -

hey -

- عاملة إيه؟

- الحمدلله يا «هشام» انت عامل إيه؟

- كله تمام

- «هشام» في حفل فطار جماعي هيتنظم قريب هتيجي؟

- هو هيتعمل امتي؟

- مش عارفة بس مكتوب في جروب التدريب أنه هيتعمل قريب

- اها إن شاء الله جاي هو اتعمل السنة اللي فاتت وحضرناه كلنا

- أنا مكنتش موجودة معاكم السنة اللي فاتت الحفلة اللي اتقابلنا فيها أنا

وانت ده كان أول تدريب ليا..

- كنتي جاية تبع مين؟ مين عرّفك على كورس التدريب؟

- أروة صاحبتني

- ده كان تالت دورة تدريب ليا

- اها صحيح مبروك الفريق بتاعك أخذ مركز أول ضمن المشاريع اللي

اتقدمت واتصعدتم لبور سعيد أنا حضرت يوم مناقشة المشاريع وشوفت

العرض بتاعكم كان جميل أوي وعلي فكرة كتبلكم قصيدة انجلس اهداء
لل فريق بتاعكم ونشروها في جروب التدريب..

- شكرا يا زهرة ربنا يخليكي بس ده كتير علينا وأنا قريتها على فكرة ويا ريت
تكتبها باسمنا كلنا مش اسي أنا بس لأن كلنا اشتغلنا وتعبنا ويمكن هم
تعبوا اكثر مني كمان

- مفيش حاجة كتير عليك يا «هشام» كفاية اللي عملته معايا يوم الحفلة
بجد ده كان أقل حاجة اني اكتبلك قصيدة..أنا فرحانة أوي اننا هنتجمع
تاني كلنا قريب في حفل الفطار الجماعي

- وأنا كمان مبسوط اني هشوفكم كلكم و.. هشوفك
شعرت زهرة بالخجل إلا أنها كانت تشعر بسعادة.. الحمقاء بدأت تدمنه دون
أن تشعر.. إلا أنه لم يكتف بما قال بل فاجأها بما هو أكثر من ذلك وما
قاله كان له وقع كبير في قلبها الصغير استرسل قائلاً:

- والله يا زهرة ربنا عارف أنا بعزك قد ايه رغم أن تعاملاتنا قليلة جداً بس
هو الدنيا كده في ناس بتقابلهم ممكن مرة واحدة أو مرتين وبتفضل فاكرهم
طول حياتك..

خفق قلبها في عنف وشعرت برعشة تسري في أوصالها رغم حرارة شهر
يولية.. وجدت نفسها تكتب له لا إرادياً:

-والله نفس الإحساس هنا يمكن أكثر يا «هشام» وربنا يعلم.. أنا بجد بقدرك
وبقدر كل حاجة منك ودايما بفتكرك وده مش بيحصل مع أي حد بتعامل
معاه..

-ربنا هو العالم يا زهرة وهو اللي بيولف القلوب..
أسقط في يدها.. تسمرت يديها ولم تكتب شيئاً.. لم تدر ماذا تقول.. بدأت
دقات قلبها تعلقو وتعلو.. لم تكن تعتقد أن أول جولة سيبدأها معها ستكون
بهذا العلوّ الشاهق!! بدأت الزهرة تفتح.. بدأ عطرها يفوح.. واقترب القمر

من الاكتمال.. أيام قليلة ويصير بدرا.. وها هو شهر رمضان المبارك أوشك على الانتصاف.. وها هي ليالي شهر يولية بدورها قد اقتربت من ثلثها الأخير.. وبزغ في سماءها نجم.. نجم اسمه «هشام».. طويل القامة يتراوح طوله من 185 إلى 190 سم.. عريض المنكبين.. أسمر اللون.. واسع العينين.. عازف البيانو بدأ يعزف على أوتار قلبها.. بدأ يعزف سيمفونية توأم روحه.. سيمفونية ستظل في تاريخ العاشقين مرجعا مقدسا يعلمهم كيف هو الحب.. كيف أن تقاسمك امرأة نبضات قلبك دون أن تراها.. كيف تسحرك امرأة بعينها.. وكيف تكتمل رجولتك حينما تسجنها بقية عمرها في روحك فقط لتمتص رحيقها.. رحيق الزهرة.. وأي زهرة.. يا أيها القدر سجل.. سجل هذا النجم وهذا القمر روحا واحدة منذ الآن.. يا أيها الشهر المبارك سجل فمنذ الآن هما روح واحدة.. ولتشهدي يا أيها السماء على هذا السبق الكوني الذي لن يأتي ولن يتكرر قبل مرور ملايين الأعوام.. يا ليلة القدر المباركة فلتشهدي أنت أيضا..

من هذا الرجل يا زهره؟ وكيف ينتقي كلماته بهذه الطريقة؟ إنه حتماً يعني كل كلمة قالها.. فمثله يعي جيداً ماذا يقول ولمن يقول.. يا الله! أغمضت عينها واستلقت بظهرها على سريرها وظلت تستعيد كل ما حدث بينهم.. بل إنها رجعت بذاكرتها للوراء منذ أن رآته في الحفل الذي حضرته قبل التحاقها بدورة التدريب.. وبدأت تسترجع ذلك المشهد وهو يعزف.. وكيف استمتعت به.. إن روعة عزفه تكمن في أنه يجعلك تشعر أنه يحدثك.. يهيا لك أنه لا يعزف بل يتكلم.. يقول شيئاً ما بداخله.. هذا الشيء غامض.. ولكنها تشعر به.. هي تشعر بهذا العُمُوض.. لا تدري ما كنه هذا الغموض ولكنها تشعر به وحسب.. بدأت تسترجع أيضاً عندما كانت تراه خلال العشرة أيام أثناء التدريب.. هو لم يكن معها في نفس الفصل ولكنها كانت تراه أحيانا.. تذكرت أنها عندما كانت تراه كان يطيل النظر إليها باستغراب.. نعم هو كان يفعل

ذلك.. كانت تعصر ذاكرتها.. حتى يوم الحفل كان ينظر إليها كثيرًا.. كان يجلس في الصف المواجه لها.. وكان منتبهًا لها.. وعندما بكت سمعها وانتفض من مكانه.. وكأنه كان ينتظر هذه اللحظة ليحدثها أو ليتعرف عليها.. زهرة عليك أن تكوني عادلة.. أنت أيضًا أعجبت به من يوم أن رأيته يعزف.. وظللت تثرثرين عنه يومها طوال الطريق لأروة.. وتقولين واو.. عزفه حلو أوي الواد ده.. زهرة أنت أيضًا يا قطة تحفظين اسمه منذ ذلك اليوم..

ظلت هكذا تفكر وتبتسم وهي مغمضة عينها وكأنها في حلم جميل لا تريد الاستيقاظ منه.. أميرة مستلقية.. ينسدل شعرها الطويل الذي يصل لنهاية ظهرها على الفراش وكأنه شال بني حرير يزين رأسها الجميل وتبتسم ابتسامة حاملة لم تبتسم مثل هذه الابتسامة منذ وفاة شقيقها عبدالله.. يا الله! كم هي سعيدة ولا تدري كيف حلت عليها هذه الفرحة.. يا الله..

لم تكن تعلم يوم أن رأته للمرة الأولى وهو يعزف على البيانو أنها ستنتقل من مقعد المشاهدة إلى مقعد العاشقة.. لم تكن تعلم يوم أن رأته يعزف أن القدر سيكتب لها معه سيمفونية حب لا تعلن عن نفسها تضاهي الضربات الأولى في السيمفونية الخامسة لموزار.. لم تكن تعلم أنها يوم أن انهرت به وهو يعزف.. أنها انخطفت.. لم تكن تعلم أنها في حبه ستؤسس مدرسة للعشق.. مدرسة للشَّعْر.. مذهباً في الغرام له مذاق اللذة المستعذبة.. لم تكن تعلم أن رحيقها ما وجد إلا لكي يمتصه هو.. هو فقط.. لم تكن تعلم المسكينة.. لم تكن تعلم أنه سيكون هو شقاءها وبؤسها إلى يوم القيامة..

أصبحت تنتظر حديثه يومياً بلهفة شديدة وهو الآخر ينتظرها بنفس الלהفة ولكن الفرق بينهما هي أنثى مفضوحة، بينما هو صياد محترف.. يمتاز بالصبر والهدوء والرصانة.. ولكن هذا لا يمنع أنها احتلته وأجبرت رجولته في كثير من الأحيان على الرضوخ.. بلا شك هي أنثى حرضت عليه رجولته.. نقاء قلبها هزمه.. اختلافها جذبه.. وبراءتها وطفوليتها داعبتا قلبه.. وجعلته لا إرادياً

حنونا معها.. كم هو واضح قلة خبرتها.. وكم هو واضح أنه الخبرة نفسها!!
أصبحت علاقتهما تتطور بسرعة.. ولا عجب في ذلك ؛ فهناك أشخاص
يتقابلون في الحياة وتتآلف قلوبهم منذ اللحظات الأولى.. التقاء الأرواح هو
شيءٌ قدرِيٌّ.. ليس لنا عليه من سلطان.. وقلوبنا ليست ملك أيدينا.. بل
القلوب بين يدي عرش الرحمن.. يقلبها كيف يشاء.. ولأن نجم وقرم
يحتضران إعجابًا في حضرة القدر.. وكما تقول أحلام مستغانمي الإعجاب
هو التوأم الوسيم للحب..

ها هو حديث آخر يدور بينهما في ليلة رمضانة مقدسة.. ها هو وقت
السَّحَرِ.. حيث يحلو السَّهْرُ.. وتأخذهما نشوة السَّمَرِ
-عاملة ايه يا زهره

-الحمدلله تمام وانت يا هشام؟

-كله تمام.. على فكرة محظوظة انتي.. أول دعوة على الفطار بتكون ليكي..
ربنا يحققك كل اللي في نفسك

-ربنا يخليك.. أنا كمان بدعيلك على طول مش بس وقت الفطار.. وأنا لو
محظوظة هيكون عشان عرفتك يا «هشام»

-على فكرة أنا برتاح نفسيا جدًّا لما بتكلم معاكي بحس انك إنسانة نقيه أوي
وبتتكلمي من غير تكليف.. بجد من أكثر الناس المحترمين اللي عرفتهم في
حياتي

-على فكرة يا «هشام» أنا شفتك في حفلة التدريب قبل اللي فات وانت
بتعزف.. كنت رائع جدًّا وعرفت اسمك من يومها كمان

-ده أنا محظوظ بقي على كدة

-بجد عزفك عجبني أوي حسيت انك بتقول كل حاجة جواك

-خلاص يا زهرة في أقرب حفلة إن شاء الله هعزفلك مخصوص بس يكون في
بيانو أو كيبورد..

-بجد؟

-أكيد وهقول كمان للناس على الاستيدج اني بعزف عشان زهره

-بجد؟! ده كتير عليا والله.. شكرا يا «هشام» أنا بجد مبسوطه أوي.. انت

بتفرحني كتير..

-لا مش كتير عليك يا زهره.. انتي عاوزه حاجة معينة أعزفها لك؟

-لا.. اختار انت

-تعرفي عمر خيرت؟

-اها أسمع عنه بيعمل حفلات في مكتبة إسكندرية

-لأ مش قصدي تعرفيه.. قصدي تعرفيله حاجات من اللي بيعزفها

-لا.. أنا بحب المزيكا.. بس مش بفهم فيها.. يعني بحسها ويتأثر بيها بس مش

بعرف أسامي مقطوعات موسيقية معينة

-طيب هستأذنك أقوم عشان أمني بتنادي عليا عاوزاني أنزل أجيبها حاجة

وأمني هي أعلي حاجة عندي في الدنيا يعني مينفعش أقولها بعدين أو كمان

شوية.. أولك؟

-أوك يا بختها

-مش عاوزه حاجة يا زهره؟

-ربنا يخليك يا «هشام» خلي بالك على نفسك

-وانتي كمان.. سلام

-سلام

تركها تدوخ من أثر كلماته.. يا الله سيعزف لي ! .. يا الله ! .. كم هي سعيدة..

كم هي مشرقة.. قامت هي الأخرى لتتناول سحورها.. وها هو أذان الفجر

يرتفع قاطعا سكون الليل.. الله أكبر.. الله أكبر.. رددت الأذان بايمان عميق..

ويقين بأن الله أكبر.. الله أكبر من كل شيء.. ومن أي شيء.. الله أعلي وأعظم..

«هشام» أنا هنا ويجد عاوزه أتكلم معاك.. مش عارفة أقولك ايه بجد..
الفيديو حلو أوي.. أنا دمعت منه.. مش عارفة أقول ايه ولا عارفة أعبر أنا
حاسة بايه..

Know this please, you are special one to me, Really you are"

في عصر اليوم التالي قرأ رسالتها فابتسم وانتشي.. وجاء رده في غاية القوة:
«ثانكس يا زهوره يا رب أكون عرفت أبسطك حتى ولو ثانية بس.. وربنا
العالم برضو انتي ايه بالنسبالي.. أينعم قاعدة أوفلاين ومش عاوزه تكلميني
بس ربنا عالم برضو أنا بعزك قد ايه وثانكس جداً على المسدج».
رفعت حاجبها في دهشة وفرحة شديدة كيف عرف ذلك؟! لا بد أنه قرأ
تعليقا لها على أي صفحة عامة فأدرك وجودها.. لكتها لم يخطر ببالها أنه
متواجد في هذا التوقيت.. ليس ميعاده المعتاد.. ابتسمت وكتبت «جياالك
أون لاين أهو».

كان هما الاثنان في أوج السعادة.. وبدأ الحديث العذب يدور ويدور و..

- سكت ليه يا هشام؟

- ما سكتش.. هو خطيبك أو اللي قاري فاتحتك عامل إيه؟

انطلق سؤاله كالرصاص.. وكأن الله قد أهداها فرصة كي تخبره بحقيقة
الوضع.. استجمعت قواها وأجابت بكل صدق:

- صدقني يا «هشام» معرفش حاجة عنه بجد.. أنا قعدت معاه مرة واحدة

بس.. وبعد كده بابا سافر السعودية يعمل عمرة.. والمفروض اني خلال

الشهر ده باخد قراري ولما بابا يرجع من السفر هقوله قراري

- احكي لي طيب

- هو أخته معيدة في الكلية مع أختي وكانت بتشوفني لما بروح لأختي الكلية..
هو خريج تجارة.. وعنده 29 سنة وجه اتقدم قبل كده من كام شهر وبابا
رفضه.. و..

- بابا رفضه ليه؟

- عشان مكانش عنده شقة

- هو بيشتغل إيه؟

- مُحاسب.. أنا شوفته مره واحده بس والله.. واستغربت لما باباه قال لبابا
نقرا فاتحة.. بس اخواتي طمنوني وقالولي متقلقيش و بجد مش حاسة
حاجة.. كنت هرفض من أولها بس بابا قالي هو كل واحد بييجي ترفضيه.. انتي
لسه قريب رفضتي دكتور قريبنا عنده صيدليتين وبنات العيلة تتمناه..

- زهرة انتي كل ده قولتيلي على اللي حواليك ومقولتيلش على قرارك انتي
وجدت نفسها تفتح له قلبها.. كانت تشعر براحة عجيبة وهي تتكلم معه
وكأنه يزيل حمل ثقيل و هم كبير جاثم على قلبها.. لذا قالت كل ما تستطيع
أن تقوله.. تحدثت بمنتهي الصدق..

- «هشام» أنا مش مبسوفة.. لسه قايلالهم في البيت النهاردة أنا مش عارفة
أفرح.. كل اللي حواليا مفكرني مبسوفة واتقرت فاتحتي.. كل قرابي مفكرني
مغرورة عشان أي حد منهم بيتقدم ليا برفضه.. محدش حاسس بيا.. أنا
تعبانة.. مش عارفة أفرح.. مش عارفة أفرح

انهمرت دموعها بشدة بينما هي تكتب له هذه الكلمات.. ولكنه بالتأكيد لم
يكن يراها.. هو يحدثها كتابةً.. وحتى وإن كان يحدثها وجها لوجه، فهو حتمًا
لن يرى وجهها الجميل الحزين.. إذ إنها منتقبة.. كانت تبكي بشدة.. ليتها
تستطيع أن تخبره كل شيء.. ليتها تستطيع تخبره أنه هو كل شيء.. ليتها
يراه.. ليتها يعلم كم هي تتألم.. إنها في النهاية أنثي.. والأنثي حين تحب.. مهما
سمعت من عبارات غزل ومجاملات ممن حولها، فالأمر يختلف تمامًا حين

تسمع كلمة جميلة ممن تحب.. كل أنثى هي كذلك.. وهذه الزهرة الأمر يختلف معها، من تميل إليه لا يرى وجهها، من بدأ يدق له القلب لا يراها.. بداخلها شيء يتمنى أن يراها.. مهما كان جمالها، ومهما سمعت من مدح من الآخرين.. إلا أن الأمر يختلف تمامًا حين يتعلق به.. أي كلمة منه تختلف عن كل لغات العالم.. تتمنى أن يراها.. تتمنى أن تسمعها منه هو فقط «أنتِ جميلة يا زهرة».. حينها فقط ستشعر أنها جميلة.. يا الله! كم تحب اسمها حين ينطقه.. وكيف تشعر براحة قلب حينما تنطق اسمه.. «هشام».. يا الله.. انتزعها من شرودها الحزين رده على ما قالت.. كلمات في غاية الرقي وإحساس بالحنان..

- زعلتيني والله.. قوليلي أفرحك ازاي.. ما ينفعش تفضلي كده يا زهرة.. عاوز أساعدك تلاقي حل للي انتي فيه ده..

كما هو بدأ الحوار بينهما بسؤال كالرصاص.. هي أيضًا أنهت الحوار بينهما بإجابة كالرصاص..

- وجودك في حياتي يا «هشام» لوحده يخليني فرحانة ومبسوطة..

إنها لا تريد شيئاً سوى أن تظل قريبة منه.. هي تريد أن تتكلم معه إلى ما لا نهاية.. لم تعد تكفيها منه الجرعة الليلية.. لقد أصابها الإدمان حتى تمكن منها، وهي الآن تحتاج زيادة الجرعة.. زيادة جرعة «هشام».. تصوم في رمضان ولا تشعر بعناء الصيام ولكنها أصبحت لا تطيق الصوم عن «هشام».. كانت لا تطيق.. يا الله! هل وصلت المسكينة لهذه المرحلة؟ هل جُنَّت؟ بدأت عصبيتها تظهر بشكل ملحوظ جداً بين صديقاتها وعائلتها.. بدأت تنعزل بنفسها كثيراً في حُجرتها.. هي في حالة حُب بلا شك ولكنها في وضع حرج بكل تأكيد.. هو يعلم أنه هناك شخص قرأ فاتحتها.. هو يعلم أنها مرتبطة ولكنه

لم يكن يعلم أنها مربوطة وليست مرتبطة.. المسكينة دخلت في حالة صراع نفسي.. أصبحت تصرخ في وجه أشقائها على أتفه الأسباب.. وتبكي بالأطفال على أهون الأشياء.. جافاها النوم.. وبدأ قلبها يحترق عذابا.. ولكنها تكتم في نفسها.. لا تدري لمن تحكي، وماذا ستحكي.. هل هناك أحد سيفهمها؟ إنها بكل تأكيد بعد أن تلامست روحهما واقتربت منه أصبحت تشعر أنه لا أحد في هذا العالم يمكن أن يفهمها غيره.. لن يكون هناك أحد في مثل تفهمه لها.. هكذا هي الحياة كما أخبرها.. نقابل شخص مرة في حياتنا ولن ندركه مرة أخرى.. يا الله! تلاقت الأرواح.. روحهما.. ولكن في ظروف لعينة.. اللعنة..

وضعها الحرج.. وكونها «شبه مخطوبة» وإحساسها بأنها ستحرم منه في أي لحظة، زادها حُبًا له، الإحساس بالخوف من الحرمان من شخص نحبه يزيد من حينا لهذا الشخص، يجعلنا نتألم أكثر ونتعذب أكثر ولكنه بكل تأكيد يجعلنا نتعلق به أكثر.. كم مرة قررت أن تخبره بحقيقة الوضع ولكنها سرعان ما كانت تتراجع خوفا من أن تفقده أو تفقد احترامها في نفسه، عانت المسكينة كثيرا.. وكلما اقتربت علاقتهما تبكي وتصرخ وتخبط برأسها في الدولاب أو في السرير أو في أي شيء يقابلها.. المهم أنها كانت تخبط برأسها..

كتمت في نفسها شرارة حبه.. فأحرقها هذه الشرارة وسرعان ما تحولت الشرارة إلى نيران وبمرور الأيام أصبحت النيران حمم بركانية.. أصبح حب «هشام» ما هو إلا حمم بركانية تحرق قلبها.. تعذبت كثيرا بل إنها تعذبت مبكرا.. بكل تأكيد هي في وضع حرج جدا.. فتاة منتقبة.. وتمت قراءة فاتحتها!! ليس بوسعها أن تفعل أي شيء في هذا الوقت قبل عودة والدها من السعودية.. وليس بإمكانها أبداً أن تقاوم هذا الحب.. كيف تقاوم وهي لم

تشعر بأنوثتها إلا عندما تعرفت عليه! تلامست روحه وروحها.. تعارفت وتلامست ثم تعانقت أرواحهما.. وجدت توأم روحها.. وهي أيضًا أدركت أنها خُلِقَتْ شاعرة لكي تكتب له.. له فقط.. لذلك لم يكن بوسعها إلا أن تكتب.. الكتابة هي المخرج الوحيد لها.. لا تستطيع الآن أن تبوح بحبه إلا للقلم والورق.. فقط.. كتبت له قصيدة بالإنجليزية في غاية الألم.. وتعبر عن حالتها.. وكأنها تناديه.. ونشرتها على حساب الفيسبوك الخاص بها.. لعله يقرأها.. لعله يفهم الرسالة.. لعله يفهم أنه المقصود بتوأم روحها، كتبت تقول:

soul mate

Don't you know that for you I eagerly wait?

I hope to feel me, nevermind there is still a chance it's not too late

I have a strong feeling that you are the only one who can conquer my gate

I know it deep in my heart that you will be my soul mate..

Let me tell you that I respect you and I really appreciate..

And I hope to be yours since I got to know you, you changed my fate

Try to feel me please, yes it is you .. I am sure about you not

hallucinate

Know this please, when I just talk to you, I become in my best state

You make me over the moon and so happy.. And I will never forget your help, really you are so great

You have my love, devotion, gratitude, concern and those words for you I dedicate

الحُب فضيحة.. يشي بصاحبه.. ويعلن عنه قبل أن يعلن صاحبه! هكذا هو الحُب.. وإن لم تكن مفضوحا، فاعلم أنك لا تحب.. فاعلم أن هذا يمكن أن يندرج تحت أي مسمي إلا مسمي الحُب.. وهكذا هي زهرتنا.. مفضوحة.. تظن أنها تكتتم حبا يحرق في قلبها ولا يعلم عنه شيء ممن حولها.. تظن أن «هشام» لا يشعر بها.. تظن أن رجلاً كهذا لا يمكنه أن يكشفها.. هيمات يا زهرة.. إنه لا يتابع حساب الفيسبوك الخاص بها بل إنه يراقبه.. ويقرأ كل ما تكتب.. إنه حتى يقرأ كل التعليقات المكتوبة من قبل أصدقائها على أي شيء تنشره على حائط الفيسبوك.. إنه رادار يا عزيزتي.. «هشام» هذا رادار.. وأنت لا تدرين.. إنه يقرؤك أنتِ قبل أن يقرأ ما تكتبين له وما تنشرين.. يقرؤك يا زهرة.. يقرأ أوراقك ويشم رحيقك.. رحيقك الذي فاح مبكرا و وشي بكِ عنده.. لقد خانك رحيقك يا زهرة.. ولذلك «هشام» سيقطفك قبل الأوان.. سيقطف عسلك.. يا زهرة.. فأنت لست عسل نحل بل أنتِ غذاء الملكة.. وهو يحتاج عسلك.. ففي عسلك شفاء له.. كما أدمنتيه هو أيضًا أدمنك بل إنه يتعاطاكي.. وكما هو تركك تجوعيه.. أنتِ تجوعين «هشام».. لكنك تركتيه ظمأنا.. وهو في أمس الحاجة لأن يشرب من عسلك..

وهو يعلم جيداً أن مثلك لن تبخل عليه.. لن تركيه ظمأنا بل ستروينه حد الثمالة! يا بنت الفرنسية..

ذات يوم كتبت على الفيسبوك تقول :

La plus belle prevue d'Amour c'est de faire des dou3as a ceux que l'ont aime

خير دليل على الحُب هو الدعاء لهؤلاء الذين نحهم...

كانت تحاوره باللغة.. وكم هي تتقن هذا الفن.. أليست كاتبة وشاعرة؟ لذلك كانت تحاوره بالكلام.. ليس فقط على الخاص.. ولكن ما لا تستطيع قوله مباشرة.. تقوله بطريقة أخرى على حائط الفيسبوك.. تقوله في قصيدة..

تقوله في نثر.. وحتى يمكن أن تقوله في جملة أو كلمة واحدة.. تقوله بأي لغة.. عربية كانت أو إنجليزية أو فرنسية.. وكان الفنان يستقبل.. يستقبل الكلام ويعزف له ألحانا.. لم يكن مجرد فنان.. بل هو مايسترو الفنانين في هذا الفن.. فن الفراسة وسرعة البديهة والخبرة والعزف على أوتار القلب.. قلب الزهرة.. يستقبل رسائلها الغير مباشرة له ويصوغها لها ألحانا.. ونوتات وسمفونيات.. لقد أصبح صولفيج حياتها.. لا عجب، فقصة حبهما بدأت بحركة موسيقية عندما شاهدته للمرة الأولى وهو يعزف في الحفل، كان قائد الأوركسترا فيها هو القدر، القدر الذي أخفي عنهما عصاه.. وقادهما نحو سلم موسيقي بلا درج.. وهما الاثنان لم يمتلكا من سمفونية عمرهما لا مفتاح صول ولا القفلة الموسيقية...

وها هو قد اقترب يوم الإفطار الجماعي، ها هي ستلتقيه، وها هو سيلتقيها ثانية.. تم ترتيب الحدث على الفيسبوك، وسيحضر الأغلبية العظمى من أصدقائهم وزملائهم في دورة التدريب هذا اليوم.. وزهرتنا أيضًا ستحضر.. وحبیب القلب بالتأكيد سيحضر.. وبكل تأكيد أن هذا اليوم سيكون يومًا عالميًا.. الثلاثين من شهر يولية.. إفطار جماعي لطيف في نادي بالإسكندرية يطل مباشرة على البحر..

سيلتقي «هشام» بزهرته.. زهرته التي أعبته.. وستلتقي زهرة «هشام».. «هشام» الذي حيرها.. وأنهك قواها.. ظلت في حيرة في أمرها.. هل تذهب إلى الإفطار الجماعي أم لا.. هي الآن تدرك جيدًا أنها وقعت.. ولا تريد أن يكشفها.. هي تخشي ذلك.. رغم إنها تتمنى لقائه.. إلا أن وضعها الحرج كفيل بردعها عن اتخاذ أي خطوة.. أنهكها الفكر والسهاد.. وأخيرًا وصلت لقرار أنها لن تذهب للإفطار الجماعي.. وقرار كهذا كان في غاية الصعوبة والقسوة عليها..

ولكن عليها أن تقسو على نفسها بدلاً من أن تفقد احترامه لها.. إنها تتحمل قسوتها على نفسها وكبت مشاعرها وحرقت قلبها.. ولكن بكل تأكيد لن تتحمل خسارته أو خسارة مكانتها في نفسه.. لن تتحمل بكل تأكيد.. ولن تتحمل مواجهته أيضاً بقرار عدم حضورها الإفطار الجماعي.. لن تمتلك القوة الكافية لكي تحدثه في ذلك.. لذا كتبت منشورا على حائط الفيسبوك الخاص بها بأنها لن تستطيع الحضور للإفطار الجماعي وبأنها تعتذر عن عدم الحضور.. وقالت في آخر المنشور:

«ربنا يعلم أنا بكتب الكلام ده وأنا عاملة ازاي.. اللقا نصيب...»
بكل تأكيد قرأ «هشام» هذا المنشور.. وأرسل لها رسالة على الخاص يقول فيها:

«مين اللي مش هتيجي الفطار الجماعي؟ انتي بتهزري صح؟؟!!!!!!»
قرأتها و بكت.. ظلت تبكي بحرقة.. لم تدر ماذا تقول.. لم ترد على رسالته.. التزمت الصمت.. والتزمت البكاء والألم وكبت المشاعر.. نامت هذه الليلة دون أن تحدثه.. نامت وهي تشعر بالاختناق.. ذلك الاختناق في صدورنا عندما نقسو على أنفسنا ونردع مشاعرنا.. تلك القسوة على روحنا عندما تلتقي توأمها.. ولكن في ظروف لعينة..

استيقظت صباح اليوم التالي.. وقضت يومها بالكامل في سريها.. وهي مقهورة.. كانت تقوم لأداء الصلاة وتعود ثانية إلى سريها ووسادتها لتحضن دموعها.. وتفتح الفيسبوك خلسة.. شاركت على حائط الفيسبوك أغنية تحبها وتعبر عن حالتها أيضاً لمارك أنطوني وتينا أرينا..

I want to spend my lifetime loving you
If that is all in life I ever do
I will want nothing else to see me through
If I can spend my lifetime loving you

هي تعلم أنه لن يكون متواجدا في هذا الوقت.. وأنه في عمله.. من العاشرة صباحا وحتى قبل الإفطار.. أخبرها أنه يعمل مبرمجا.. له باع في هذا المجال.. هو ينتظر نتيجة التخرج.. بكالوريوس التجارة قسم محاسبة وهو يعمل كي ينفق على مشروعه الذي فاز بالمركز الأول وتم تصعيده لبورسعيد.. وهو يريد أن يفوز مشروعه بالمركز الأول على مستوي جامعات الجمهورية.. هو شاب طموح بمعنى الكلمة.. يثبت نفسه في أي شيء يقتحمه.. هو دائما يفوز بالمركز الأول.. حتى في قلبها فاز بالمركز الأول.. ظلت تفكر فيه رغما عنها وتدخل على حساب الفيسبوك الخاص به وتتفقده بحُب.. تطالع صورته.. تطيل النظر فيها وتغمض عينها لتتنهد بعمق وألم.. كم تفتقده وكم تحتاجه.. وعند أذان المغرب.. ظلت تدعو له كثيرا.. تدعو له وتهمر دموعها شلالات.. دموع حارقة تلهب خديها..

بعد الإفطار مباشرة.. قبل صلاة العشاء ترك لها رسالة أخرى يقول فيها:
(يارب تكوني أسعد واحدة في الدنيا كلها وربنا يباركك ويقويكي ويحققك كل اللي ف نفسك يا رب.. ده مالوش دعوة طبعا بإن انتي جاية عشان مينفعش حد يرجع في كلامه على فكره هتيجي)).

قرأت رسالته هذه بعد أن أرسلها هو بنصف ساعة.. رغم ذلك الصراع النفسي الذي يفتك بها.. إلا أنها وجدت نفسها تبتسم.. هي تشعر بروحه.. إنه

يريدها.. شيء ما بينهما يجذبهما بشدة لبعضهما البعض.. رأته من الذوق أن ترد عليه.. هذه ثاني رسالة يرسلها وعلما أن ترد:

((علي فكرة أنت زي العسل.. وانت بالذات والله لما بشوف رسالتك بلاقي نفسي بيتسم كده وبحس إحساس حلو أوي.. حاضر.. والله هاجي عشانك بس.. بجد محتاجة أشوفك.. بس بشرط بقي مش هنتكلم ولا إيه؟ بقي لي يومين مش بتكلم معاك وبجد مفتقدك))

بعد منتصف الليل بقليل.. فتحت الفيسبوك شوقا له.. لم تجده قد قرأ رسالتها بعد.. شعرت بإحباط وضيق.. كتبت له رسالة..

((شكلي كده مش هشوفك أونلاين ثاني غير في أحلامي.. على أي حال يا رب تكون تمام ومبسوط.. ربنا يحميك))

بعد حوالي عشرين دقيقة جاءها رده رسالتين متتاليتين ولكنها لم تراهما إلا في وقت متأخر، كانت رسالته الأولى:

((ليه بس كده أنا موجود.. يا رب تكوني بخير.. أنا هقولك حاجة عمري ما قلتها لحد أنا عمري ما دعيت لحد زي ما دعيتك.. مش عارف بحب أدعيك وأنا ماشي أو وأنا بعمل أي حاجة.. ده حتى تخيلي وربنا هو العالم عملت باس ووزد لبرنامج بعمله (زهرة) يا رب تكوني بخير وإن شاء الله أشوفك بكرة.. في رعاية الله))

أما رسالته الثانية التي أرسلها بعد الرسالة الأولى بخمس دقائق فقط كانت.. ((ابعتيلي رسالة على موبايلي قوليلي جاية الساعة كام بكرة.. متنسيش مستني الرسالة دي عشان أنا الصبح هنزل بدري احتمال مفتحش فيسبوك.. وده رقي لو ما يدايقكيش

((01228337**))

عندما قرأت هذه الرسالة لم تشعر بالعالم من حولها.. هذه لم تكن رسالة بل كانت زلزلاً.. زلزلاً عصف بكيانها.. هذه كانت إشارة منه.. وكأنه يقول لها

أنا أيضًا يا زهرة وقعت.. أنا أيضًا يا زهرة متعب منك.. أنا أيضًا لا أتوقف عن التفكير بكِ حد أنّ اسمك أصبح كلمة المرور لبرنامجي الجديد!! من فرط دقات قلبها.. أصبحت تلهث.. تلهث وكأنها تعدو في سبق.. أتعبها كثيرًا.. لم تستطع الصمود أكثر من ذلك.. لم تستطع كبح جماح قلبها.. لم تستطع.. هي ستذهب إلى هذا الافطار الجماعي.. بالتأكيد ستذهب..

رغم ما تعيش من عذاب نفسي بحت، إلا أنها قررت أن تسعد هذا اليوم، قررت أن تتنحي عن مخاوفها وألمها وحيرتها وكل شيء في هذا اليوم، لا بأس بسرقة السعادة في هذا اليوم.. ارتدت عباءة جميلة رمادية اللون مُطعّمة بألوان هادئة كاللون الفيروزي والروز.. وارتدت نقاب لونه روز هاديء تألقت فيه.. بدت فيه كزهرة، لا عجب.. أليست هي زهرة؟

جاءتها صديقها أروة وكانت الأخرى متألقة بحجاب لونه بني (وشاح) أنيق.. وبلوزة بيضاء على بنطال جينز بني اللون.. كانتا هما الاثنتان فراشتين.. وكالعادة عندما وصلت أروة إلى بيت زهرة وجدتها لم تكن جاهزة بعد..

-ايه يا بنتي نفسي مرة أجيلك على خروجة الأليكي جاهزة
-معلش بقي يا أروتي.. دقائق وهكون جاهزة.. يدوب لسه واخدة شاور
-اووك يا وزه.. انجزني بسرعة احنا لسه مشوارنا طويل.. احنا مش من إسكندرية زهم.. واسترسلت أروة بلهجة مرحة.. احنا من كفر الدوار..

ردت زهرة بنفس المرح.. أحسن ناس يا صحبتي
سألتها أروة:

-ها عملي ايه للافطار الجماعي

-رز معمر وبانيه.. وانتي؟

-واو.. أستاذة انتي يا زهرة في الرز المعمر.. فاكرة أما عملتيه للكلاس بتاعك أيام ما كنا في التدريب يوم ما عملتوا (ديش بارتى).. اتشهرتي انتي بسبب الرز المعمر ده

-طبعاً يا بنتي.. ده تخصصي.. قوليلي جبتي ايه انتي؟

-أنا عملت محشي كوسة باللحمة المفرومة وجبت جولاش للحلو

-تمام يا أروة أنا بقي معملتش حلو، هشتري في الطريق أي عصاير أو حاجة حلوة ومية معدنية

-اوك.. أصلاً هتلاقي زمايلنا البنات بدّعوا في الأكلات.. وهتبقني وليمة بقي

-اديننا رايجين وهنشوف.. يلا خلاص اهو أنا جهزت كده تمام.. ايه رأيك فيا؟

-يا نقابك وألواناته.. يا عباياتك يا وزه.. قمر وشيك كالعادة

ذهبت زهرتنا وصديقتها أروة إلى هذا الحدث.. وبينما هما في الطريق، بعد أن وصلتا إلى الإسكندرية.. واستقلتا تاكسي من طريق الكورنيش.. مالت على أروة قائلة:

-أنا هتصل بهشام، هو بعثلي رقمه امبارح في الشات وقالي أبعثله مسدج أقوله هوصل هناك امتي.. هكلمه أقوله

-اوك.. كلميه احنا خلاص على وصول

كانت تشعر بنبضات قلبها تدق هاتفه بدلاً من أصابع يدها، كل ذرة في كيانها كانت تنتفض، كانت سعيدة كطفلة، هذه هي أول مرة تطلبه على الهاتف، ستسمع صوته للمرة الأولى في الهاتف، لم تسمع صوته بعد الحفل إلا يوم أن حضرت مناقشة مشروعه الذي فاز بالمركز الأول فيه.. لم تسمع صوته من يومها.. تكلمه كتابة فقط على الفيسبوك.. لذا كانت تنتفض عندما سمعت صوته على الهاتف:

-ألو

ابتلعت ريقها بالكاد

-ألو.. ازيك يا «هشام»

أجابه بصوت هادئ مبتسم

-ازيك يا زهرة

صمتت مذهولة، كيف عرف أنها هي!! كيف وهي لم تعطه رقمها.. وهذه هي أول مرة تهاتفه، كيف عرف أنها هي.. وكأنه كان ينتظرها.. كان ينتظر هذا الاتصال..

-الحمد لله أنا كويسة.. قلت أعرفك اني على وصول، أنا في التاكسي اهو أنا واروة صاحبتى.. عشر دقائق ونكون في النادي.. انت هتكون هناك امتي؟

-ساعة كده يا زهرة.. لسه في الشغل.. أول ما أوصل هكلمك اوك

-اوك

-مش عاوزه حاجة يا زهره؟

-شكرا يا «هشام».. هستناك.. سلام

-سلام

بمجرد وصولها النادي هي وأروة، استقبلهما كل زملائهما وزميلاتهما بفرح وترحاب وأخذ منها زميلها أحمد منصور هي وأروة ما أحضرتا من طعام.. شعرت هي بفرحة، فهي بلا شك تحبهم جميعهم، ارتبطت بهم منذ أيام دورة التدريب وبينها وبينهم عشرة وألفة.. الكل يحبها.. فهي خلال برنامج التدريب أثبتت للجميع أن المنتقبة ليست بتلك الصورة النمطية التي رسمها المجتمع لها.. ليست هي الإنسانة المعقدة أو الانطوائية.. كلهم أخبروها بهذا، هي لن تنسي ما كتبوه لها في لوحة للذكرى.. كلماتهم تسعدها كثيرًا.. لن تنسي كلمات زميل معها في الفصل.. كتب لها «كم غيرتي فكري عن المتدينين.. كنت متوقع أنهم رَجْعِيُونَ.. ولكن معكي تعلمت أن هناك أشخاص مثلك.. أدب.. احترام.. أخلاق.. علم.. تحضر.. أتمني لكي دوام النجاح».

وكلمات زميل آخر كتب لها:

«زهرة أنتِ أول من أثبتت لي أن المنتقبة ليست معقدة.. غيرتي وجهة نظري في المنتقبات».

وكلمات كثيرة قد كُتِبَتْ لها.. من كل زملائها وزميلاتها.. وكلمات أخرى كتبها لها دكتور شُكْرِي.. مدير مركز التدريب.. لا تزال تحفظ كلماته عن ظهر قلب..

(ربنا يخليكي يا زهرة وناكل من أيديكي الرز المعمر.. وأنتِ شاعرة عندك روح الاقدام والمشاركة.. دائمًا عندك علامات ومميزات القيادة.. هتكوني زوجة ناجحة جدًّا.. ربنا يوفقك في حياتك)

هي الآن في النادي، سعيدة جدًّا بين زملائها وزميلاتها، وجدتهم قد حجزوا مكانا بجوار حمام سباحة صغير.. واصطفت المناضد البلاستيكية البيضاء في دوائر جميلة وحولها المقاعد في تناغم جميل مع الغروب.. واقترب أذان

المغرب وجميع الزملاء كخليفة نحل الآن، فهناك المقيمين على تنظيم هذا الإفطار الجميل، قد شرعوا في تفريغ ورس المأكولات المختلفة في أطباق ووضعها على المناضد في نظام جميل، فهذا بعض ما تعلموه خلال دورة التدريب، فريق العمل الجماعي، تعلموا أن يفعلوا كل شيء بأنفسهم بالمشاركة بروح الفريق، والتعاون فيما بينهم، هم مجموعة من الشباب في كليات وجامعات مختلفة، هناك من يدرس في كلية الصيدلة وهناك من يدرس في كلية التجارة وهناك من يدرس في كلية التربية وكليات أخرى، إلا أن زهرة كانت الوحيدة بينهم التي درست آداب قسم اللغة الإنجليزية، هم شباب مختلف من كليات مختلفة إلا أن مركز التدريب جمعهم.. وجعلهم نسيجًا واحدًا.. تعلموا في مركز التدريب ما لم يتعلموه طوال حياتهم، تعلموا أيضًا فيه ما لم يتعلموه في كلياتهم.. ولهذا أصبح مركز التدريب هذا بمثابة كيان.. وكلهم فيما بينهم يشعرون بالانتماء له ولبعضهم البعض.. وبينما يعد هذا الشباب الجميل الإفطار والبعض الآخر يسلمون على بعضهم بحرارة وسعادة بالغة إذ إنهم يشعرون بافتقادهم لبعضهم البعض.. وهي تدور في بفرحة.. كانت كفراشة في المكان، تارة تذهب وتساعد في تحضير ورس الأطعمة والمشروبات، وتارة أخرى تذهب هنا أو هناك وتسلم على زملائها وزميلاتها بين الوقت والآخر كلما يهل منهم أحد على المكان. ولكن في أعماقها كانت تنتظره هو، وكان قلبها يدق بسرعة، وتنتظر في ترقب فيمن حولها، تبحث عنه بعينها بينهم، ولكنه لم يأت بعد، اقتربت الساعة من السادسة والنصف، ولم يظهر، وهو قد أخبرها أنه سيأتي بعد ساعة، عندما هاتفته كانت الخامسة.. وها هو قد تأخر.. وأذان المغرب سينطلق بعد دقائق.

أخيرا لمحتة على مسافة بضعة أمتار قليلة جالسًا على إحدى المناضد وسط بعض الزملاء يتناول معهم الإفطار؛ فاطمئنت إلا أنها شعرت بخجل ممزوج بسعادة شديدة في حضرته، قبل أن تتناول افطارها وتشق ريقها بأي طعام

أو شراب.. شَقَّت ريقها برؤيته، ملأت عينها به.. ها هو بوسامته الطاغية..
بأنافته البسيطة الجذابة.. كان مرتديا قميصًا لون السَّماء الصافية غارقا في
بنطال جينز لون زرق البحر.. وها هو يطل بدرجات الأزرق..ها هو بحرٌ
وسماءٌ.. ها هو عميق جدًا كالبحر وعلي عُلُوّ شاق كالسَّماء.. لا غرور أو
ليس نجما؟؟، كانت جالسة بجوار أروة وجلست بجوارهما بعض الزميلات
على نفس المنضدة، من بينهن مالت عليها واحدة، سألتها هذه الزميلة بصوت
خافت في أذنها:

-زهرة.. انتي مش لابسة الخاتم بتاعك ليه؟ حصل حاجة؟
-لا يا جميل محصلش حاجة بس أنا نسيتته.. وأنا بتوضًا خلعتته ونسيت
ألبسه تاني..

في الحقيقة هي لم تنساه، هي لم تكن ترتديه حتى في البيت، منذ أن بدأ يدق
قلما لهذا الهشام.. لم تكن ترتديه.. كانت تزدري هذا الخاتم..فهو يُذكرها
بورطتها.. يذكرها بأنه طوق على إصبعها.. وكأنه وَصْمَةٌ على يدها.. كانت تكره
هذا الخاتم.. وتريد أن تتخلص منه بأي شكل وفي أسرع وقت.. لم ترتد زهرة
خاتم قراءة فاتحتها.. خلعتته عمدا، لم تشأ أن يراه «هشام» في يدها.. يكفها
أنه رآه في يدها يوم مناقشة مشروعه في مركز التدريب وهي تهنئه على طريقة
عرضه الرائعة للمشروع، وكانت توزع شيكولاتة ومشروبات غازية عليهم
بمناسبة قراءة فاتحتها، وعندما اقتربت منه وناولته قطعة شيكولاتة، لم
يأخذها منها مباشرة كما فعل الجميع وإنما اعتذر، وعندما ألحّت عليه
برجاء تناولها منها وهو ينظر بعينيه مباشرة إلى يدها.. إلى الخاتم.. وشكرها..
بعدها بقليل ناداه أحد زملائهم لها وناولته بببسي.. قال لها..

-على فكرة ده كثير

كان يتطلّع مباشرة إلى عينيها.. تسلّل ضوء الشمس من نوافذ القاعة إلى
عينيها البُنيتين.. فتوهّجتا كالنيران.. رموشها الطويلة الناعمة قطعت سجاج

قلبه.. صمت وظل يُحدّق طويلاً في عينيها مخترقاً إياها وهي لا تزال ممسكة في يدها البيبي وتناولته إياه.. هو طويل القامة.. طوله شاهق.. وهي أقصر منه (متوسطة الطول).. كانت ترفع رأسها إليه كي تستطيع رؤية وجهه.. أطل التّحديق في عينيها بتمعنٍ وبعمق، ارتبكت، وانتفضت بجسدها للوراء خطوة.. أفاق هو من سُكّرِه في عينيها في تلك اللحظة.. وتناول من يدها البيبي.. وانصرف خارج القاعة في صمتٍ مُخلفاً هزّةً قلبيةً عنيفةً أطاحت بكيانها.

كانت هي تمر على الجميع وتوزع عليهم شيكولاتة وبجوارها زميل لها يساعدها في توزيع البيبي.. ووزعت أيضاً على لجنة التحكيم.. وهنئوها جميعاً ، ومن بينهم د. شكري ، الذي كان في غاية السعادة بها وتحدث عنها أمام باقي أعضاء لجنة التحكيم بفخر شديد لن تنساه هي.. وقال لهم "زهرة دي بقي حكاية لوحدها.. شاعرة موهوبة بتكتب شعر عربي وإنجليزي وفرنساوي وطريقتها روعة في الالقاء.. زي ما شوفتوها في حفل الختام.. وكمان طبخة شطورة.. بتعمل أحلي رز معمّر وبانيه ممكن تدوقه في حياتك.. إنسانة جميلة جدّاً ومن أكثر الناس المحبوبة في الكلاس بتاعها والباتش كله كمان".

شعرت باطراء وخجل شديد اثر هذا الكلام، وكان أعضاء لجنة التحكيم د.عبد العزيز ود.مها يستمعان بإعجاب شديد..

قالت هي:

-د. شكري.. شكرا لحضرتك كثير.. ده كتير عليا الكلام ده يا دكتور.. ميرسي

بعد اذنك

هربت بسرعة من هذا الموقف، كانت في غاية الخجل، فكل الأنظار كانت مُوجّهة إليها في هذا اليوم، رغم أنها كانت مجرد ضيفة، جاءت كي تحضر مناقشة المشاريع كي تستفيد وتتكون عندها فكرة حتى عندما يتسني لها

التقديم مرة أخرى في المركز، وتدرس منهج ريادة الأعمال، أن تفهم طبيعته وأنها بدورها ستقدم مشروعاً مع فريق عمل من زملائها..

كانت الأنظار موجهة إليها رغم أن هذه هي أول دورة تدريب تحضرها معهم، إلا أنها استطاعت أن تحقق شهرة ملحوظة بينهم، رغم أنها لم تكن المنتقبة الوحيدة، كان يوجد ثلاثة بنات منتقبات غيرها، إلا أنها كانت تختلف في كل شيء، هن لا يلبسن إلا الأسود، بينما هي كانت تلبس الألوان ولا تلبس الأسود أبداً، هي موهوبة وفنانة، وحساسة وذات حضور رائع، صوتها مميز جداً.. رقيق.. ناعم.. دافئ، بكل تأكيد هي حالة، مختلفة تماماً عن غيرها.. لذلك وجهت الأنظار إليها في هذا اليوم، خاصة بعد أن شاهدوها في حفل الختام وهي تلقي شعراً.. كما أنه أيضاً وجهت الأنظار إليها لأنهم علموا بقراءة فاتحتها ووزعت على الجميع من تعرفه ومن لا تعرفه شيكولاتة وبيبسي.. وتألفت هي في هذا اليوم في عباءة لونها فيروزية تزينها خطوط بنية وجيوب بارزة بشكل مُنمَّق.. ونقاب درجته داكنة بضع درجات عن لون العباءة.. عيناها البُنَيْتَان الواسعتان كانتا تلمعان.. بشرتها البيضاء تظهر بوضوح حول عينيها وفي يديها الصغيرتين الرقيقتين..

ولكن أهم ما هزَّها بل زلَّها من الداخل في هذا اليوم رغم كل هذا ورغم سُكْرِهِ في عينيها، هو ما حدث بينهما في غرفة الموظفين.. فبعد أن تركت د.شكري وهو يمدح فيها أمام زملائه من لجنة التحكيم ، وذهبت خارج القاعة ، وجدت زملاءها منتشرين في كل مكان ، على السلم أمام القاعة وحتى الدور الأرضي في الهو الرئيسي لمركز التدريب.. ذهبت هي لكي توزع على الموظفين الإداريين في المركز شيكولاتة وبيبسي.. فوجئت بـ«هشام» في غرفة الموظفين.. يبدو أنه كان يريد طباعة بعض الأوراق من أجل مشروعه.. أثناء انتظاره للموظف الذي سيقوم بطبع الأوراق له كان مسنداً يديه على أحد المكاتب.. وهي توزع بشكل طبيعي..

انتهت من التوزيع أخيراً.. كانت متعبة.. من دون تركيز سندات كف يدها اليمنى على أحد المكاتب لكي ترتاح قليلاً وتلتقط أنفاسها.. بدلاً من أن يتلقّف كفها خشب المكتب تلقّفه كف هشام! شعرت بباطن كف يدها يلامس ظاهر كف يده المخملي الناعم، طبع القدر كفّه على باطن كفّها.. أحسّت بملمسه.. شعرت بذلك الدفء يخترقها ثم يشطرها.. استدارت بحركة حادة إلى الورا، نزعت يدها قائلة في حرج شديد:

-آسفة.. والله ما أخذت بالي.. غصب عني

لم يتحرك هو قيد أنملة من مكانه ، حتى لا يجرّجها، أجاها بلهجة سريعة دافئة مهذبة للغاية:

-لا لا.. ولا يهملك..

بينما القيصر كاظم الساهر كان يشدو لها نيابة عن «هشام».. راجياً إياها قائلاً..

أحبّيني بلا عقدٍ

وضيبي في خطوط يدي

أحبّيني..

وجدت نفسها تلقائياً قد زال حرجها، لأول مرة تنظر إليه مباشرة في عينيه بإعجاب شديد، كان يرتدي بذلة أنيقة أضفت على وسامته سحراً.. وفي ليلتها كتبت له قصيدة إهداء بمناسبة فوزه بالمركز الأول ونشرتها على الفيسبوك.. كانت هذه أول قصيدة.. أول كلمات تكتبها له.. ولم تكن تعلم أنها لن تكون آخر كلمات تكتبها له.. لم تكن تعلم أنها ستكتب له قصائد بكل اللغات واللهجات التي تعرفها.. لم تكن تعرف أنها ستكتب له بالعربية العامية والفصحى والإنجليزية والفرنسية.. لم تكن تعلم أنه سيكون زلزلاً مدمراً في حياتها.. أول ما كتبت له من كلمات كانت:

We all proud
I say it loud
Through a happy and strong sound
I see your face
That will replace
Our position with success as a place
Hey Hesham win the race
And we all proud
I say it loud
Through a happy and strong sound

أفاقت من شرودها اللذيذ على ضجيج وضحكات زميلاتها.. إنها الآن لا يشغلها شيء سوى «هشام».. بحثت عنه بعينها وهي جالسة في مقعدها.. حتى رآته هناك واقفاً مع مجموعة من زملائهم الشباب.. وقد بدأ الافطار ينفذ.. قامت زهرة من مكانها وذهبت إليه مباشرة..

عندما رآها قادمة إليه، استأذن منهم، وذهب إليها بدوره.. وأخيرا التقى النجم والقمر.. بعد أحاديث عذبة لليالي طويلة.. بعد شوق.. التقى النجم والقمر.. وكل منهما على جوع للآخر.. التقت العيون.. تلامست الأرواح.. لم يصفحها.. هو يعلم أنها لا تصافح الرجال.. ولكنه احتضنها بعينيه.. أخذها بعينيه وحلّق بها بعيدا بعيدا جداً.. حلّق بها حيث لم تطأ قدماها.. وهي لم تستطع أن تقاوم.. لم تستطع أن تصمد أمام عينيه.. استسلمت له تمامًا.. في هذه الليلة.. كان حديثهما وجها لوجه.. وليس على الفيسبوك.. هذه الليلة

تختلف.. حتى إن القمر كان قد انتصف في السماء.. يشاركهما حرارة هذا اللقاء.. قال لها بعينه ما لا يقوله غير الكبار.. قال لها الكثير، وهو يعلم أنها تستطيع قراءة العيون.. هو يعلم أنها ملكة.. لذا قال لها أنه يريد أن تكون ملكته.. في هذه الليلة تجرأ عليها كثيرًا وفتح معها مواضيعاً حساسة.. وأول ما قال بابتسامه ماكرة وهو ينظر إلى يدها اليميني بحثًا عن الخاتم:

-خطيبك عامل إيه؟

تلقت نظرتَه واستوعبتها.. إلا أنها ارتبكت.. وأجابته متلعثمة:

-مش خطيبي.. يا دوب قراية فاتحة ومش بشوفه ولا بنتكلم ولما بابا يرجع

من السفر هقوله قراري

-بابا هيرجع امتي؟

-في آخر رمضان إن شاء الله

منحها ابتسامته الساحرة.. وهو يأكلها بعينه.. ظل ينظر في عينها بإعجاب شديد.. وهي في غاية الحرج.. إلا أنها لم تستطع أن تهرب من عينيه.. لم تستطع أن تقاوم النظر فهما.. في يؤذي عينيه الواسعتين اللامعتين العميقتين والجذابتين جدًّا.. سجنها أمامه.. سجنها في عينيه.. كانت مرتبكة وسعيدة وخائفة.. جرفتها العواطف في تلك اللحظات وهي لا تزال واقفة أمامه.. قطع هذا الصمت قائلاً بابتسامه عريضة،

-ربنا يحققك كل اللي في نَفْسِك.

قالها لها بِمَحَبَّةٍ وبصدق وبعمق اخترقها وشطرها نصفين.. وكأنه يعلم جيدًا أنه هو (كل اللي ف نَفْسَهَا!)

لم ترد عليه.. ألجمتها كلماته.. أو بمعنى أصح تلك الدعوة الجميلة التي انطلقت منه هو.. بهذه الطريقة وهذه اللمحة الخالصة.. كانت أقوى وأكثر بلاغة من كل كلمات العالم.. كان لها وقع كبير في قلبها.. كانت بمثابة طمأننة

لقلها الحائر.. لم يكن هناك رد يناسب عظمتها.. إلا الصمت.. صمت الكبار..
ولغة العيون.. استكمل الجولة قائلاً:

-تعرفي.. أنا على طول بدعيلك ربنا يحققك كل اللي ف نفسك.. وأنا ماشي
في النادي مثلاً ألاقيني بفتكرك وأقول ربنا يحققك كل اللي ف نفسك يا
زهرة.. وأنا بصلي ألاقيني بدعيلك! مع اني مش من عادتي اني أدعي حتى
لنفسى ف صلاتي.. على طول ف بالي وبدعيلك! أنا بصلي وأنا قاعد على فكرة
عشان رجلي تعبانى..

بُهتت من كلماته كاملة الدّسم! ظلّت مأخوذة لفرط تأثرها وفرحتها..صمتت..
بل غرقت في الصمت لا تعرف ماذا تقول.. لكن لمعة عينها في تلك اللحظات
قالت له الكثير!! رفر قلبها سعادة.. ولم يكن من الصعب على رجل مُحَنِّك
مثله أن يقرأ عينها التي جعلته ينتشي ثاقباً إياها بنظراته العميقة النفاذة
كالأشعة والتي تنضح ذكاءً وإعجاباً بها!

استدركها قائلاً وهو يشير بيده إلى إحدى المناضد الخالية..

-تعالى نقعد طيب عشان مش بقدر أقف كتير على رجلى

تبعته في صمت وهو يذهب بها إلى أحد المناضد بعيداً عن ضجة زملائهما..
وجذب لها مقعداً، ثم جلس هو الآخر.. واستكمل من جديد دفة الحديث:

-انتي مخنوقة من إيه؟

ابتلعت ريقها..

-مفيش حاجة.. أنا كويسة

-لا مش كويسة.. الفيسبوك بتاعك مش بيقول كده.. وكمان صورة

بروفائلك..

-مفيش حاجة.. أنا كويسة

-برضو؟ بس انتي مش بتكدي

-خلاص أنا فعلاً عندي مشاكل.. بس مش هقدر أتكلم فيها

-ليه؟

ظَلَّ يحاصرها بعينيه ويرشقها بنظراته العميقة النقاذة وأسئلته الثاقبة الأخاذة.. شَنَّ عليها غارة قلبية.. لم يترك لها مفر.. ضغط عليها كثيرًا.. ولكنها ظلت صامته.. صامدة.. كانت تحاول المسكينة.. تماسكت أمامه بصعوبة شديدة.. ضغطت على أعصابها كثيرًا.. تضافرت قوي احتمالها باستماتة أمام حضوره الطاغي!

-هتقدمي تاني معانا في مركز التدريب؟

-أكيد إن شاء الله.. وانت؟

اها.. هقدم في دورة تدريب المدربين

ثم نظر في عينها بعمق نقاذ وتمعن.. قال لها:

هتقدمي معانا؟ وكأنه يقول لها هتقدمي معايا..

استوعبت مقصده جيدًا وردت في سرعة:

-أها إن شاء الله

تبادلًا أطراف الحديث وتجاهلا كل شيء حولهما تمامًا..

بعد فترة.. جاء زميل لهما وهو أيضًا ضمن فريق «هشام» في المشروع استأذنه منها لبعض الوقت.. جمع «هشام» فريقه واستأذن زهرة.. جلسوا على منضدة يتناقشون في المشروع.. وقامت بدورها تاركة له المجال..

ذهبت تتفقد زملائها وتتحدث معهم.. ها هي وسن هناك.. والكاميرا في يدها وتلتقط صورًا تذكارية لهم في جو مرح جميل.. هي تحب وسن كثيرًا.. وترتاح لها.. وسن شخصية شعبية بينهم.. وتظهر كثيرًا على الفيسبوك.. ويحبها الجميع.. في الفرقة الثالثة بكلية التجارة.. هي فتاة تعشق التصوير.. مصورة

رائعة.. أشرفت على تصويرهم خلال أيام دورة التدريب.. وقامت بتغطية حفل الختام بشكل جيد.. لن تنسى زهرة موقفها النبيل معها ذلك اليوم .. فعندما كانت تبكي وساعدها «هشام» كي تقدّم فقرتها.. أمسكت وسن بيدها حتى أوصلتها إلى خشبة المسرح.. والتقطت لها صوراً جميلة وهي تقول شعراً.. لقطات رائعة تلك التي أخذتها وسن.. هي مصورة ماهرة.. مبدعة.. هي أيضاً فتاة ثورية.. عضوة في حزب الدستور.. دائماً تقول لزهرة في مرح.. هذه هي أول مرة في حياتي أقابل منتقبة لا تنتهي لجماعة الإخوان ولا للسلفيين.. بل ولا تدعم أفكارهم.. أنتِ طفرة يا زهرة.. لن أنسى أبداً أول مرة رأيتك فيها ونحن نعد للحفل.. في البروفات.. كنت جالسة أكتب على حاسوبي المحمول وفجأة سمعتك تلقين شعراً.. انتبه الكل لكي.. فأنتِ كنتي حالة فريدة.. وقصيدتك كانت صدمة للجميع.. إذ إنكي منتقبة وتلقين شعراً ينتقدهم.. لا زلت أتذكر قصيدتك.. طلبتها منك بعدها وسجلتها عندي.. لم أكن أصدق عيني ولا حتى أذني.. كنتِ محمومة تلقين الشعر بحماس وثقة وغضب وحنن على الشباب الذين راحوا ضحايا في إستاذ بورسعيد..

بمجرد أن ذهبت زهرة إلى وسن لتسلم عليها.. احتضنتها وسن.. وربتت على كتفها في حرارة.. قائلة:

-زهوره الجميلة.. ايه العسل والشياكة دي..

-حبيبتى.. انتي اللي عيونك جميلة..

قاطعهما بيبو لاعب ال(بيت بوكس) قائلاً:

-زهرة.. ازيك.. عاوزين نسمع شعر دلوقتي

تدخل زميلهم أحمد منصور.. وهو شاعر مبدع أيضاً..

-ايوه بقي يا زهرة احنا هنا من بدري وقلنا شعر وغنينا.. يلا عاوزين
نسمعك.. حاجة رومانسية كده..

-معلش يا شباب.. مش هقدر أقول

احتجوا جميعاً وحتى جاءت بعض الزميلات يشجعن..

-يلا يا زهرة.. عاوزين زهرة.. عاوزين حاجة انجلش كده

-اعذروني يا شباب.. مش بقول شعر لوحده كده لازم أشغل تراك ميوزيك
ويكون في ساوند وبعدين أقول..

قاطعتها وسن:

-خلاص بلاش تقولي شعر انجلش.. قولي القصيدة اللي سمعتك أول مرة
بتقولها.. جامدة اوي.. وبتقولها من غير ميوزيك.. يلا ملكيش حجة بقي..

قولي

رَدت زهرة بصوت باسم قائلة..

-اسمها «وجهة نظر غاضبة»

ضحكت وسن..

-ايوه هي دي.. قولها بقي

صَفَقوا لها جميعاً وحيوها.. فكان لا مفر منهم.. عليها أن تلقي شعرا.. وستلبي
رغبة وسن.. أَلقت قصيدتها.. بصوتها المميز.. الذي يجذب الآذان ويخترق
القلوب..

مسحت زهرة بيدها على شعر وسن الأسود المنسدل على كتفها مداعبة
اياها قائلة في حنان:

-كل ذكرياتنا الحلوة في التدريب.. انتي اللي مصوراها.. تسلم ايديكي يا وسن
أجابت وسن في تأثر بالغ موجهة حديثها إليهم جميعا:

-كل الصور اللي صورتها ليكم.. بحس بفرحة كبيرة وأنا بصوركم.. خصوصا
الصور الجماعية.. وانتم بتبصولي وفرحانين كده.. بحس إحساس حلو أوي..

أنا صحيح مش بطلع معاكم في الصور.. بس من جوايا بحس اني معاكم..
وكلكم في قلبي..

صفقوا لها كثيرًا تصفيقًا مصحوبًا بصفير (أووو.. أوي بقي يا وسن)..
بدأوا يتفرقون في مجموعات.. كل مجموعة تجلس على منضدة.. ومجموعات
تجلس بجوار حمام السباحة.. كل (شِلَّة) على حدة.. وبينما زهرة تمر بينهم..
يستوقفها بعض منهم..

ويتحدثون معها.. وهناك من بينهم من تكلمت معهم للمرة الأولى.. ولكنهم
جميعًا يعرفونها.. وأشادوا بفقرتها يوم الحفل.. وقالوا لها كم هو عالي
إحساسها.. وكم هي رائعة تلك القصيدة التي ألقتها.. وهناك من سألها على
الموسيقى المصحوبة بتلك القصيدة.. وطلبها منها وأرسلته له عبر بلوتوث
هاتفها..

كانت قمرًا في تلك الليلة.. وبين الحين والآخر كانت تنظر نحو «هشام».. تراه
مازال جالسًا مع مجموعته.. وينظر إليها هو الآخر.. بل إنها في كل مرّة تنظر
نحوه.. تراه هو الآخر ينظر إليها في نفس اللحظة.. فتخجل.. وتدير رأسها..
بينما يظل هو ناظرًا نحوها.. مِنْ أجمل لحظات الحُب عندما تنظر إلى من
تحب وتجده هو الآخر ينظر إليك في (نفس) الوقت بل لا شيء يضاهي ذلك
الإحساس حينما تنظر إلى حبيبك لتجده قد سبقك وينظر إليك منذ وقت!
في الحقيقة هو كان معها هي بكل جوارحه.. وهي الأخرى كانت معه بكل
جوارحها.. كان يأكلها بعينيه.. بمنتهي الجرأة.. وبعد أن انتهى من جلسته مع
مجموعته.. ذهب بعيدًا وحده.. رآته هي فذهبت نحوه لا إراديا.. جلسا سويا
مرة أخرى.. بدأت هي الحديث هذه المرة معاتبة:

-كل الوقت ده مع مجموعتك؟ ساعة تقريبا

أجابها وهو ينظر في عينيها بعمق مبتسما ابتسامة ساحرة خلبت لُها..

-ومين قالك اني مكنتش واخذ بالي منك؟ أنا كنت باحصص عليك طول الوقت.. مش انتي وقفتي مع اللي هناك ده.. وكنتي هناك قبلها مع وسن.. أنا متابعتك طول الوقت على فكره..

شعرت هي بفرحة.. ولمعت عيناها الجميلتان.. ولم ترد.. روته بلمعة عينها.. سألهما وهو ينظر إليهما تلك النظرة المتعمقة في عينها، مشيرًا بيده إلى نقابها..
-انتي ازاي عملتي ده؟

فوجئت هي من هذا السؤال المباغت.. إلا أنها أجابت في دهشة:

-ماله نقابي يا هشام؟

-ليه لبستيه؟ ليه مش حجاب عادي؟ احنا حتى في عز الصيف دلوقتي..
مش حاسة انك حرانة؟

-أنا لبسته من سنين.. ارتحت فيه.. وكملت.. واتعودت عليه.. بقي جزء أساسي فيا.. مقدرش أنزل الشارع من غيره..

-برضو مقولتيش ليه لبستيه؟ انتي جميلة أوي مثلاً مش عاوزه حد يشوفك؟ أما لو اتعودتي عليه ممكن تجربي تنزلي الشارع بحجاب عادي..
جربي كده.. أنا شايف الحجاب العادي كفاية أوي..

-أنا لبسته مش عشان أنا جميلة أوي.. أنا لبسته عشان حبيته..

قال لها في مراوغة واضحة:

-يعني انتي جميلة أوي..

صمتت هي.. لم تنطق.. كان يطوقها بأسئلته.. بنظراته الجريئة.. عصرها في تلك الجلسة.. كان ينظر إليها سابراً أغوارها.. يريد أن يعرف ما يخفيه عنه نقابها، كان يخترقها بعينه حتى إنه استكمل قائلاً:

-أنا بتكلم معاك عادي متزعليش من كلامي.. أنا متعود لما بتكلم مع أي حد بكون شايف وشه.. تعبيرات وشه بتفرق كثير.. بقدر أفهم حالته سواء

مبسوط أو زعلان أو في حاجة مدايقاه.. لما أكون بتكلم مع حد في الموبايل مثلا غير لما أكلمه وجها لوجه.. بتفرق كتير أكيد أجابته في هدوء وثقة..

-طب مانت بتفهمني وبتحس بيا وانت مش شايفني.. سألتني من شوية انتي مخنوقة من ايه.. تعبيرات الوجه مش دايمًا بتكون صادقة ولا مقياس انك تعرف اللي قدامك حالته ايه.. المقياس هو إحساسك باللي قدامك.. الروح.. وبعدين أنا مش غامضة.. انت شايف عيني.. والعين وسيلة اتصال قوية.. وشايف ايدي.. وسامع صوتي.. من نبيرة صوتي تقدر تحدد حالتي.. من ال(تون)بتاعة صوتي.. من ال(بودي لانجويج) بتاعتي تقدر تتواصل معايا كمان..

ابتسم وظل يتطلع إلى عينيها في صمت فاسترسلت هي..
أومال ازاي أنا بقف على خشبة المسرح وأقول شعر والناس تسقظني.. لأن إحساسي بيوصلهم.. الصوت عامل رئيسي.. هو مش في مقولة بتقول «الأذن تعشق قبل العين أحيانًا».. وأنا بقي كزهرة بقولك «الأذن تعشق قبل العين دائمًا».. والدليل على كلامي كمان، قبل اختراع التلفزيون، الناس كانت بتسمع الراديو وتعشق المسلسلات الإذاعية.. والمذيعين أنفسهم.. مع أنهم مش شايفين شكلهم.. مجرد صوت بيسمعه من الراديو.. ولكن ارتبطوا بيه جدًا.. وكل واحد يتخيل صاحب الصوت ده عامل ازاي.. شكله ايه.. الخيال بيكون جميل.. ببخيلينا نرسم صور جميلة جوانا.. وبتأثر فينا.. وده حقيقة.. الروح هي اللي بتوصلنا مش الشكل.. احنا لما بنحب حد بنشوفه أجمل إنسان في الكون.. لكن في الحقيقة احنا حبيننا روحه مش شكله وعشان كده بنشوفه أجمل حد.. هقولك كمان حاجة، بالنسبة للمكشوفين، تقدر تقولي ازاي بيقدروا يكملوا حياتهم وبينجحوا كمان.. وبيحبوا ويتجوزوا.. وأكبر مثال.. طه حسين.. وغيره وغيره.. الخلاصة عاوزه أقولك انك تشوف وش اللي قدامك ده

مش كل حاجة.. ومش مقياس.. وبرضو مش عائق في التواصل.. أو على الأقل عائق يمكن التغلب عليه.. هو مش سقراط قال «تكلم حتى أراك؟».. من كلام الشخص تقدر تفهم عقليته وتفكيره.. أنا مقتنعة جدًا إن العقل والروح بيخلوك تشوف اللي قدامك.. ممكن إنسان تكون شايف ملامحه لكن عقليته سطحية بالتالي مش هيشد انتباهك ولا هيعلق في ذاكرتك.. وممكن متشوفش ملامح إنسان.. عقليته ناضجة ومنقف وفكره راق وروحه جميلة وتلمسك ويفضل معلق معاك وفكره طول حياتك وتقدره وتحترمه..

كان يستمع إليها بانصات شديد وعندما توقفت عن الكلام قال..

-كلام جميل.. بس برضو مقولتيش ليه لبستيه؟ أنا عاوز أعرف انتي ليه كده.. أنا شايف طريقتك في التعامل وحتى لبسك وألوانك وكل حاجة فيكي بتقول إنك مُنفتحة جدًا.. أنا عندي في أسرتي، أختي الصغيرة في تالته ثانوي لابسة حجاب عادي وكذلك أُمي.. انتي ليه لبستي النقاب؟ انتي حتى لسه صغيرة على الخطوة دي..

-لبسته عشان حبيته.. أنا بحب النقاب مع اني مش متدينة أوي.. أنا إنسانة عادية جدًا.. موصلتني في التدين لمرحلة كبيرة.. لكن حبيته.. ليه مش قادر تستوعب ده؟! كمان أنا كده مرتاحة جدًا لأن كل اللي بتعامل معاهم بيشوفوني بقلبيهم.. وبيحبوني.. وروحي بتوصلهم.. بكون سعيدة جدا، بحس عندي القدرة اني أوصل للناس من غير ما يشوفوا وشي.. بحس اني مميزة في ده.. بحس اني مختلفة.. وده إحساس رائع..

صمت لوهلة.. وكأنه يفكر في أن يدخل لها من مدخل آخر.. فقال..

-طبعا بقي انتي انتخبتي د. مرسي صح؟

في هذه النقطة من الحوار.. انطلقت هي.. أمسكت بزمام الحديث.. اعتدلت في جلستها وأسندت ظهرها للوراء على مقعدها، وردت بمنتهي القوة إلا أن صوتها كان هادئا باسماء:

-انت فاكرنى من الإخوان أو السلفيين.. عشان منتقبة صح؟

تغيرت ملامح وجهه، وقال لها بحرج معذرا..

-مش قصدي كده.. أنا بس بسأ..

قاطعته مستكلمة كلامها ولم تتغير نبرة صوتها الهادئة المبتسمة..

-أنا مش بحبهم أصلا.. أنا مش من الإخوان ولا من السلفيين.. أنا مسلمة

وبس.. من وجهة نظري دي أحزاب سياسية بتتكلم باسم الدين.. والإسلام

أصلا مفهوش أحزاب ولا فرق.. وبالنسبة لسؤالك اني انتخبت مرسي ولا لأ..

فالإجابة هي اني قاطعت الانتخابات.. وعشان أوضحلك الصورة كاملة.. أنا

ماليش أي انتماء سياسي.. بس أنا ميولي ليبرالية.. وأكد انت شوفت ده على

الفيسبوك.. أنا حتى في المعلومات بتاعتي كاتبه ده.. بس أنا مش بتكلم في

السياسة كتير عشان أعصابي بتتعب ولما بتابع الأخبار بتخفق جداً.. عشان

كده الفترة دي مش بكتب على الفيسبوك أي حاجة متعلقة بالسياسة..

مريحة دماغي الفترة دي..

سألها وهو يسبر أغوارها بعينيه النفاذتين.. يشطرها نصفين..

-بتسمعي منير؟

-طبعا

-في أغنية لمنير اسمها (حاضر يا زهر) عارفها؟

-أها

كزز سؤاله وهو ينظر في عينها بثبات..

-عارفاها؟

ارتبكت.. كافحت كي تسدد له نظرة وهي تقول بصوت مبتسم خجول،

-أكيد

-أنا بحب الأغنية دي.. عموما بحب كل أغاني منير

كان يتكلم وهو يبتسم.. ناظرًا بثبات في عينيها.. حتى جاءت صديقتها أروة لتعلن عن انتهاء هذا الحوار..

-آسفة يا جماعة.. زهرة احنا هنمشي دلوقتي.. محمود أخويا واقف بره

مستنينا عشان يوصلنا

تدخل «هشام» قائلًا بابتسامة خبيثة..

-ايه اللي في ايديكي ده يا أروة؟

كان يشاور بيده على كيس شفاف بيدها.. يظهر منه فوانيس ورقية صغيرة..

ابتسمت أروة، وفتحت الكيس بتلقائية، وأخرجت منه فانوسين.. وناولت كلا منهما فانوسا..

نظر «هشام» إلى الفانوس الورقي الصغير.. وأخذ يقلبه في يديه، ثم رفع رأسه إلى أروة قائلًا..

-انتي اللي عاملهم؟

أجابته مبتسمة..

-آه.. ومن غير ما تشاور كنت هديك واحد وزهره واحد.. أنا بوزع فيهم من

بدري.. عملت الفوانيس مخصوص عشان زمايلنا ، عشان تبقى ذكري حلوة

لليوم الجميل ده ، تفتكرونى بيه ، سهرت عليهم من يومين عشان أعمل عدد لينا كلنا..

قال لها بابتسامة ماكرة:

-متأكدة انك انتي اللي عملاهم ، مش حد تاني اللي عملهم وانتي وخدامهم

منه..

قالت له بعفوية:

-آه والله

تدخلت زهرة موجبة حديثها لهشام:

-أرورة فنانة يا «هشام» ، كلية صيدلة ، مستنية نتيجة التخرج زينا، بتعمل أشكال كتيرة حلوة عن طريق طي الورق ، الأوريجامي هوايتها المفضلة ، كمان رسامة محترفة ؛ حتى عرضت لوحات جميلة في معرض التدريب يوم الحفلة وأشكال جميلة من الورق..

ابتسم وقال:

-ربنا يوفقك يا أرورة..

أجابته في سرعة وهي تنظر إلى هاتفها الذي أضاءت شاشته في يدها:
-أمين يا رب ميرسي معلش بعد اذنك أخويا بيتصل يستعجلنا ، احنا لازم نمشي دلوقتي ؛ لسه مشوارنا طويل ؛ احنا مش من إسكندرية..

نظر لزهرة بدهشة قائلاً:

-أومال انتو منين؟!

أجابته زهرة وقد قامت من مقعدها وتستعد للذهاب:

- من كفر الدوار

رفع حاجبيه بشدة وقال:

-ياه ! وكنتو بتيجو التدريب معانا من كفر الدوار كل يوم؟!

أجابته أرورة وهي تنظر مجدداً إلى شاشة هاتفها المضيئة:

-اها بقي شفت احنا جامدين ازاي ، زهرة أنا هسبقتك عشان محمود مش

هيبطل رن ، هخرج بره أصبره ، ومنتأخريش بقي ، سلام يا «هشام»

ابتسم لها وأوماً برأسه:

-سلام

ثم استدار لزهرة ونظر في عينيها قائلاً بلهجة خاصة:

-خلي بالك على نفسك يا زهرة ، وأول ما توصلني ابعطني مسدج على الموبايل

أو على الفيسبوك ، طمني عليكي ، أنا شوية كده وهمشي أنا كمان وأول ما

أوصل البيت هستناكي على الشات ، اوك ؟

-أوك يا «هشام».. وانت كمان خلي بالك على نفسك وانت مروح في الطريق
-لا متقلقيش ده أنا ساكن هنا قريب من النادي ، دقايق وأكون في البيت ،
أنا ساكن في استانلي ،
-أوك ، بعد اذنك لازم أمشي..
-اتفضلي ، في رعاية الله

عاد إلى بيته ، دخل غرفته مبتسما في نشوة ، نشوة اللقاء ، نشوة امتصاص
رحيقها.. وكعادته ينفرد مع نفسه كثيرا ، أحيانا يعزف على البيانو الخاص
به ، وأحيانا أخري يستمع إلى الموسيقى خاصة موسيقي عمر خيرت ،
وأحيانا يجلس كثيرا على حاسوبه ، يتصفح الإنترنت والفيديوهات ويتابع كل
جديد ، إلا أنه في هذه الأيام مشغول الذهن بزهرته ، ومرهق جدا من عمله
، فهو يستيقظ مبكرا كل يوم في الساعة لينهي بعض الأشياء الخاصة
بعمله في البرمجة مستخدما حاسوبه ؛ ليكون تماما في عمله في العاشرة
صباحا ويظل في مكتبه حتى قبل الإفطار بأقل من ساعة.. ورغم هذا الإرهاق
ورغم قلقه هذه الأيام بسبب انتظاره لنتيجة البكالوريوس ، إلا أنه يسهر
مع زهرته في موعده اليومي الليلي ، بعد عودته من النادي ، يذهب للنادي
بعد الإفطار ، نادي سموحة ، حيث يمارس رياضته المفضلة كرة اليد ، هو
لاعب كرة يد أيضا ، يمارس هذه الرياضة منذ أن كان في السادسة من عمره
، ويعزف على البيانو منذ أن كان في السادسة أيضا.. ستة عشر عاما من
ممارسة رياضة كرة اليد وعزف على البيانو ، هو الآن في الثانية والعشرين
من عمره ، أصبح عازف بيانو محترف ، ولاعب كرة يد لا يُشَق له غبار ، ظل
ينتقل من نادي لآخر أفضل إلى أن أصبح يلعب في منتخب مصر للشباب،
ولكنه توقف عن اللعب عندما تعرض لإصابة في قدمه خضع على أثرها

لعملية جراحية.. توقف بعدها عن اللعب لمدة عامين كاملين.. وأخير زهرة أنه تألم من هذا كثيراً.. وأنه يتمنى أن يعود للعب والجري من جديد.. ولكن للأسف هو الآن لم يعد يمارس رياضته كما كان.. يمارسها بشكل خفيف.. يذهب للتريز في أغلب الأحيان.. من أجل لياقته لا أكثر.. هذه الإصابة تؤلمه نفسياً.. فقد أثرت عليه كثيراً.. حتى إنه يؤدي صلاته وهو جالس.. لا يتحمل الوقوف لفترات طويلة.. حتى إنه عندما كان واقفاً مع زهرة وهو يحدثها في الإفطار الجماعي، دعاها للجلوس.. (تعالى نقعد طيب).. لأنه لا يستطيع الوقوف كثيراً وهي تعلم هذا الأمر.. فقد تحدث معها فيه.. لقد تحدث معها في هذا الأمر وهو لا يتحدث فيه مع أحد.. لا يخبر أحد عن ألمه.. ولكنه أخبرها.. وعندما يخبر رجل كتوم مثله امرأة عن شيء يوجعه فهذا دليل على أنها وصلت لمكانة بداخله لم تطأها سواها.. هذا دليل على أنها استطاعت أن تكسر كل الحواجز بينه وبينها.. إنه يرى فيها أشياء جميلة لم يرها في أنثى من قبل.. ولكن أكثر شيء أوقعه في أسرها.. هو أنها نقية.. هو لم يقابل أنثى بل لم يقابل أحد في حياته يمثل هذا النقاء.. وهذه العفوية والصراحة والطيبة والبراءة.. روحها لمستته وسكنته.. بل واحتلته.. ما أجمله احتلال يا «هشام..»

استلقي على سريريه، وسافر إلى عالمها، وهبط على أرضها ليتذكر وينتشي، تذكر يوم أن سمعها وهي تبكي في حفل الختام ، يا الله! إنه حتى الآن لا يدري سر هزيمته أمام صوتها الباكي ، لا يدري ما السبب الذي جعله يفعل ما فعله معها ، إنه لا يتدخل في أمور أحد ولا يعنيه أحد ، لا يدري هل هي هزته منذ البداية أم هزمته ، كانت جذابة جداً في هذا اليوم ، رغم أنها تغطي وجهها، كانت عروس ، لأول مرة في حياته يرى منتقبة ترتدي الأبيض.. كانت ترتدي عباءة بيضاء في غاية البساطة والأناقة ؛ مطرزة بالخرز الأبيض المطعم بحبات خرز لونها قرمزي ويظهر من أسفل العباءة بنطال جينز لونه

قرمزي ، ونقابها كان لونه قرمزي ، حتى حقيبتها الملونة بألوان كثيرة لم تخل من ذوق رفيع وحذائها الفاتح (باليرينه).. كانت فراشة.. تتحرك برشاقة على المسرح.. انفعالا بقصيدتها وموسيقاها الحزينة.. كم كان صوتها دافئ.. عذب.. حزين.. يفيض رقة وأنوثة.. حتى إن بعض الحاضرين دمعت عيونهم متأثرا بها.. كانت سيمفونية متحركة على المسرح.. أوركسترا كاملة بمفردها.. تعلم متى تتكلم ومتى تصمت ومتى تفصل بين الجمل.. لها طريقة فريدة في إلقاء الشعر.. إنها لا تصرخ بتلك الطريقة المسرحية التقليدية، بل هي شجورة تندح في رقة وإحساس.. مازال يتذكر تلك القصيدة التي كانت تلقها.. إنه يحفظ كلماتها عن ظهر قلب.. خاصة أنها فيما بعد عندما أرسلت له طلب صداقة على الفيسبوك، نشرت هذه القصيدة على صفحتها الشخصية وذكرته في هذا المنشور وشكرته ، إنه فوجئ بتصرفها هذا إلا أنه كان سعيدا بما فعلته.. ربما لأنه شعر لحظتها أنها تقدر كثيرا ما فعله معها ، وأن ما فعله معها يعني لها الكثير؛ حتى إنه هناك من صورها فيديو وهي تلقي قصيدتها تلك وقام أحد الزملاء برفع الفيديو على اليوتيوب ، وكانت سعيدة جداً بهذا ونشروه على الفيسبوك كما نشرته هي بسعادة على صفحتها الشخصية شاكرة لهم هذا..

اعتدل جالساً على فراشه في هذه اللحظة، وقام بفتح الحاسوب وراح يشاهد هذا الفيديو الخاص بها.. وراح يسرح ويتوغل فيها.. ويستمتع إلى صوتها العذب.. يحتاج منه جرعات كثيرة.. كانت كلمات القصيدة رائعة راح يرددها على شفثيه:

Cannot fall in love any more
How much suffered my poor heart and bore
I hardly could help myself to restore
Love to me is a lost war!
I wonder if I just think of your love to owe
Am I crazy in love's law?!
Cannot manage my life or even draw!
I am sick. Am tired of you, suffer insomnia can't bow
I am a prisoner in a narrow row
My soul tortured till it became fragile like a straw!
Strange feelings towards you just flow and flow
Anxious mood and I really don't want you to feel or know
You only may color my life like sky colors of rainbow
I am in a dire need to be with you and dance together slow
I hope to be loved by your heart which is pure like snow
I am in love with you... but I can't tell you about my love or show

ظَلَّ يردد قصيدتها... وصوتها يعزف على أوتار قلبه.. استلقي على فراشه..
يستحضرها من جديد، وابتسم عندما تذكرها وهي واقفة أمامه تشكره بعد
انتهاء فقرتها وتكريمها.. فقد كرمها د.شكري ود.كاسب على فقرتها المختلفة..
رأيا أنها تستحق التكريم ، أعطوها دبوس جميل مرسوم عليه شارة التدريب
المميّزة ، والحروف الأولى بشكل بارز عليه ، وصَفَّق لها الحضور بحرارة ، لم

تعد إلى مقعدها ، بل عادت إليه مباشرة ، جاءت لتقف بجواره ، ونظرت في عينيه بامتنان وقالت بخجل:
- شكرا..

راح يتسم ابتسامة حاملة ، وهو يذكر نظرته في عينها عن قرب يومها، وهي ترفع رأسها كي تستطيع رؤيته ، عندما التقت عيناه بعينها.. ما أجملهما.. سبحان الخالق.. ومن فتحات النقاب حول عينها يظهر بياض بشرتها.. إذا هي بيضاء.. شعر وكأنها مغناطيس قوي للغاية.. شعر أن عينها بحر كبير عميق اجتاحتها رغبة غريبة في أن يبحر.. ويكون هو القبطان..
كان يعلم من لحظتها أنه سيكون القبطان ، من يوم الحفل.. كان يوم الثلاثاء.. في العاشر من شهر يولية.. وإذ به ينصدم يوم السبت التالي الموافق الرابع عشر من يولية.. يوم مناقشة مشروعه.. إذ به ينصدم وهي توزع الشيكولاتة والبيسي بمناسبة قراءة فاتحتها.. كيف حدث هذا؟! أربعة أيام تغير فيها كل شيء.. يا لسخرية القدر.. وإذ بها تعطيه بيدها قطعة شيكولاتة ، وخاتم قراءة فاتحتها يلمع في يدها.. يا الله!

نظر في هاتفه المحمول، لم يجد منها أي رسالة تطمئنه بوصولها حتى الآن ، إنها الثانية عشر، منتصف الليل ، راح يبحث عنها على الفيسبوك ، تهللت أساربره عندما ظهرت علامة حمراء على أيقونة الرسائل ، فهذا يعني رسالة جديدة ، تمنى أن تكون من زهرة ، فتحها في شغف، فوجدها تبلغه بوصولها، وتشكره على قضاء حديث ممتع معه ، فاذا به يكتب لها الرد:

A great feeling with a great girl .. Zahra, just one hour and I will be available

قرأت هي رسالته و ضربات قلبها تدق وتدق ، وابتسمت عن آخرها، انتظرته ساعة كما أخبرها، ثم ظهر وبدأت هي الحديث:

- كان يوم جميل أوي ، وكان نفسي نتكلم أكثر خاصة اني روحت عشانك ، بس يلا بقي اللي حصل..

- أنا مبسوط أوي اني شفتك النهارده.. ويكون مبسوط جداً لما بتكلم معاي
- أنا كمان يكون مبسوطه جدا

- قوليلي بقي هتغيري صورة بروفايلك الحزينة دي امتي؟

- لما احس اني اتحسننت.. أنا ممكن أغيرها دلوقتي عشانك

- لا غيرها لما الحاجة اللي مدايقاكي ومحيراكي تستقري عليها، قوليلي يا زهرة ايه اللي ممكن أساعدك بيه عشان تتحسني، أوأمري

- صعب أقول، مقدرش أتكلم صدقني، بليز متزعلش

- لا طبعا مش زعلان منك ؛ وفاهم اللي بتقوليه ، على فكرة أنا مش محتاج أقولك ده ؛ لأن انتي المفروض عارفاه كويس جداً لوحدك.. لو احتاجتي تحكي حاجة أو تفضفضي أو عندك مشكلة مش هتلاقي حد عايز يسمعك قدي، واستطرد.

Zahra , please talk , I really wanna listen to you

خفق قلبها كثيراً عندما قرأت (مش هتلاقي حد عايز يسمعك قدي)..

وظلّت هذه الجملة تتردد بداخلها (مش هتلاقي حد عايز يسمعك قدي ،

وكانه يحفزها ويشجعها أن تتكلم معه وتخبره عمّا تكنه في صدرها الذي

أصبح ضيقا، مختنقا، مما هي تمر به ، هي الآن شبه مخطوبة لرجل لا تعلم

عنه شيئاً ولا يعلم عنها شيئاً، مُجرّد طوق قي رقبته، يمنعها عن «هشام»..

يعذبها، يشعرها وكأنها مذنبه وكأنها ارتكبت جرما، فقط لأنها أحبّت ،

تمالكت نفسها، ترقرت دموعها وهي تكتب له :

- شكرا ليك يا «هشام» بجد مش عارفة أقولك ايه ، طيب انت مش هتقوم
ترتاح عشان شغلك الصبح؟
- لا يا زهرة مش هقوم دلوقتي ، بجد عاوز أسمعك ، اتكلمي في أي موضوع
انتي عايزاه..
- أوك ، ايه هدفك في الحياة؟ أو نفسك في إيه؟
- Steve Jobs -
- مين ده؟
- متعرفيش مين ستيف جوبز؟ ده أنجح رجل أعمال على وجه الأرض..
- أوك ، هسألك سؤال صعب.. Ready؟
- Lets -
- What do you think about love? -
- أممممم.. أنا عن نفسي عندي مشكلة في الموضوع ده.. أساسا مش بحب
البنات.. ولا بحب أتعامل معاهم كتير، بس أكيد مش هحب ولد يعني، بس
الحُب أنا شايف أنه في كذا نوع ، اللي هو حُب الأم والأب والأخ ، لكن
العلاقات اللي بتحصل في المجتمع اللي احنا فيه ، ده مش حُب على فكرة ،
ده هبل.
- يلا بقي نفس السؤال ليكي.. جاوبي..
- ايه هو هدفك في الحياة أو نفسك في إيه؟ وايه رأيك في الحُب؟
- تدققت دموعها شلالات على وجنتيها.. وكان رُدّها..
- أول سؤال مش هقدر أجابك انت بالذات.. وتاني سؤال أنا شايفة أن
الحُب ده أجمل شيء في الحياة.. ومحظوظ أوي اللي يقدر يتجاوز الإنسان
اللي بيحبه..
- غريبة أوي إن أول سؤال مش هتجاوبيني أنا بالذات.. اشمعني أنا بالذات!!

لم تستطع أن ترد، كيف لها أن تخبره الآن أنه هو هدفها وكل ماتمني في الحياة.. لذا هربت منه وغيرت دفة الحديث قائلة :

- هقولك على سر مش بقوله لأي حد

- قولي

- مش انت عاوز تعرف ليه أنا لبست النقاب؟

- أكيد

- لما كنت في الثانوي سافرت السعودية مع باباعملت عُمره ، هناك لقيت كل الستات لابسين نقاب ، في البداية عجبني أوي شكلهم واحنا في الحرم.. طريقة النقاب.. الطرحة السودا على النقاب.. ولما رجعت مصر.. قولت أجرب ألبسه.. حسيت بإحساس جميل أوي لما لبسته.. كنت مرتاحة.. الموضوع بالنسبالي روحاني أكثر من أنه ديني.. وفي الوقت نفسه قلت حاجة أعملها لربنا ويا رب يتقبله مني.. بابا في البداية قالي فكري كويس ده قرار صعب.. لكن أنا اتحملت قراري.. قابلت مشاكل وصعوبات في حياتي خصوصًا في المدرسة كانوا معترضين.. لكن كنت قوية.. وكملت.. ولحد دلوقت مكلمة.. ويكون مبسوطه أوي لما اللي بيتعاملوا معايا بيحبوني من غير ما يشوفوني.. بحس إن روحي بتوصل.. وده في حد ذاته إحساس حلو أوي..

كان مبتسما للغاية وهو يقرأ كلامها، وكان رَدّه :

very good zahra

صمتت برهة.. وانتظرها هو حتى تكمل.. ولكن هي لها عادة غريبة ، عندما تود قول شيء ما يتعلق بالمشاعر أو عندما تود قول شيء ما وتخجل، فهي تقوله بالإنجليزية، تشعر وكأنها تتوارى خلف اللغة، حتى إن معظم قصائدها بالإنجليزية.. دائمًا ما تستتر خلف اللغة.. وتكون في أصدق حالاتها عندما تتحدث عن مشاعرها.. حتى إنه لاحظ عليها هذه العادة وكان يبتسم في صمت.. كتبت له..

I do love my Niqab because when I will marry my husband will feel
that am special

كتب لها مبتسما..

Really I'm happy because I listen it from you -

لितه كان رأها في تلك اللحظة، وكم تهللت أسارىها.. كتبت له..

And I'm happier than you because I told you about it -

كان كلا منهما سعيدا للغاية بهذا الحديث، فهو كان يشعر بمتعة غير عادية
عندما يتحدث معها، وهي كانت لا تشعر بالعالم من حولها عندما تتحدث
معه.. كانت الأرض تكفّ عن الدوران.. استكمل هو دفعة الحديث قائلاً:

- عاوز أعملك حاجة تفرحك.. قولي دلوقتي.. ومتقوليش شكرا والكلام ده

- أنا فرحانة وأنا معاك.. معندكش فكرة قد ايه

- بس مش أكثر مني على فكرة

- أنا أكثر.. أنا متأكدة

- أكيد أنا أكثر يا زهرة

- وليه أكيد؟

- إحساسي بيقولي كده.. هتعملي ايه بكره؟

- هنام و أكتب شعر وأنفج على التلفزيون.. ثم استكملت وقالت، وحاجة

مهمة كمان (هكلم هشام)..

ضحك من أعماق قلبه.. كتب لها..

- متشكر جداً يا زهرة بجد.. طيب آسف هستأذن أقفل دلوقتي عشان

هصحي بدري.. عشان أبقى مركز وفائق.. أوك.. مش عاوزة حاجة يا جميل؟

- أوك.. شكرا ربنا ما يحرمني منك يا «هشام».. أحلام سعيدة.. سلام

- وانتي كمان يا زهرة.. سلام.

في اليوم التالي أجابته على سؤاله سؤاله لها عن ما هو هدفها في الحياة وما رأيها في الحب ولكن لم تجبه مباشرة بل كتبت خواطر بالعربية والإنجليزية ردا على سؤاله ونشرت هذه الكلمات على الفيسبوك ، هذه كانت دائما عاداتها معه ، تحاوره باللغة ، بالكلمات ، هذا أقصي ما تستطيع أن تفعله بسبب وضعها الحرج ، تفرغ ما بها من عواطف بالكتابة ، إنها شاعرة رومانسية رقيقة ، وكل كتاباتها لاقت استحسانا كبيرا وتشجيعا من أصدقائها ومعارفها وأساتذتها وكل محبيها، كلما تكتب قصيدة جديدة أو خاطرة تقوم بنشرها على الفيسبوك ، وكم تلقي من إعجاب وتعليقات جميلة على كتاباتها، وفي هذه الخاطرة الجديدة كتبت تقول :

"شخايبط بنوته مخنوقه».

كم أعشق حديثك وعدوبتك..

وكيف أنساها مروءتك..

وما أجملها معاناتي في سبيل الوصول إليك..

وأدركت أن سعادتي عند التقاء عيناك بعينيك..

فإذا أنت قد دعوت الله أن يحقق لي كل ما تتمناه نفسي، فاعلم أنه كل ما تتمناه نفسي هو السكن في راحتك..

وإذا سألتني عن شيء يسعدني، فالسعاده في وجودك، فقد سكنت روعي إليك..

وإذا كنت قد سألتني عن طموحي في الحياة، فهو أن تتحسس أناملتي وجنتيك..

إنه أنت سيدي.. نعم أنت يا من عرفت الحب على يديك..

...زهرة

تلك الكلمات كانت اجابتها على سؤاله الأول الذي أخبرته أنها لن تستطيع
الإجابة عنه له هو بالتحديد عندما كتبت له (مش هقدر أجابك انت
بالذات).. أما عن سؤاله الثاني
وهو ما رأيها في الحُب، فكتبت تقول..

And if I was asked by you about love.. Know this

Love is the food of the soul..

Love is above all..

Love is my only goal..

Love is not about how to fall..

Because love is above all..

What about my heart that you stole?

Love is YOU..

So you are the food of my soul

And consequently you are above all

Since you have become my only goal

And I will show the whole world in your love how I fall..

And I forgive you about my heart that you stole..

Zahra.

كان من أبرز التعليقات التي أسعدتها، تعليق وسن، كتبت لها (واو.. أحلي
شخايبط يا زهوره).. قرأت التعليقات كلها وابتسمت.. أما هو فكان يقرأ كل
ما تكتب وكل ما تنشره على صفحتها الشخصية، إلا أنه لم يكن يعلق على

كتاباتهما، بل كان يعلق في الرسائل الخاصة بينهما فقط، كان يداعبها بخبث،
ذات مرة قال لها:

-أنا ملاحظ البروفایل بتاعك اليومين دول كله حاجات رومانسية.. انتي
بتحي في قصة حُب ولا إيه؟

كانت تجيبه بإجابات منطقية إلا أنها لم تكن تنطلي على خبير مثله، تقول
له..

-أنا شاعرة وبكتب رومانسي ، طبيعتي كده ، طبيعي أن تكون أشعاري أغلها
رومانسية..

فتحت الفيسبوك.. وابتسمت عن آخرها.. عندما رأَت علامة حمراء على
أيقونة الرسائل.. تعني أنها رسالة جديدة.. لا إراديا كانت تعلم أنها من
«هشام».. خاصة أنها لم تحدّثه منذ آخر حديث بعد عودتهما من الإفطار
الجماعي ، حيث إنها قد أصابها الإرهاق ولم تستطع السهر وانقطعت يومين
عن الفيسبوك ، كانت تنتظره في موعدهما الليلي ولكن كان النوم يغلبها،
قرأت الرسالة وكانت في غاية السعادة ، كانت رسالته (انتي فين.. مش باينة
ليه؟ أنا دخلت عشان أشوفك مش لقيتك.. يا رب تكوني كويسة وبخير.. يا
رب اهدي زهرة إلى الاختيار الصواب.. ورَّح بالها وقلها.. ربنا معاكي يا زهوره..
في رعاية الله)

كان ردّها على رسالته:

(أنا محظوظة جدًّا والله.. يعني بتدعيلي وكما بتدلعي زهوره.. امبارح مش
قدرت أسهر سامحني نمت غصب عني.. مانا معذورة بقالي كام يوم بسهر
بسبب واحد كدا بيتأخر ويفتح بالليل أوي.. وبقعد أستني.. هستناك النهارده
متتأخرش.. ربنا يحميك ويديك كل اللي تتمناه يا رب).

وانتظرتة بالفعل تلك الليلة ، ولم تكن تعلم أنها ستكون ليلة دسمة ، ليلة شهية ، تحمل لها مفاجآت ، كانت ليلة حارة من ليالي شهر أغسطس ، ليلة رمضانة سخية ، ورغم أنه تأخر عليها في تلك الليلة إلا أنها انتظرت ودار الحديث العذب..

hey -

hey -

- ايه التأخير ده كله يا هشام؟

- آسف اني سهرتك يا زهرة بس لسه داخل البيت.. ايه بقي فينك.. عملي

ايه امبارح وأول؟

- عادي.. الحمد لله

- زهرة.. ممكن سؤال؟

- قول

- انتي لسه حيرانة؟

- ليه بتقول كده؟

- حاسس بيكي شوية

- وحاسس إيه؟

- مش مبسوطه.. بتفكري كثير جداً.. قلبك مش مطمئن

بدأت تشعر بدقات قلبها تسابقها.. إلا أنها تشجعت أن تسأله سؤالاً كثيراً ما

يشغل تفكيرها.. وكعادتها عندما تخجل، تكتب بالإنجليزية..

Hesham, how do you think about marriage? I mean arranged

marriage or based upon love story?

- بُصي يا زهرة.. أولاً أنا ماليش في جواز الصالونات بمعنى أصح، وثانياً مش

بحب حد يساعدني في أي حاجة.. وثالثاً مش بدخل في أي حاجة إلا وأنا

قدها عشان مش بعرف أقع في النص.. وأعتقد إن الجواز بالنسبالي مش في أوليات أهدافي اللي عاوز أحققها..

يلا نفس السؤال ليكي عاوز أعرف رأيك؟ جواز صالونات ولا حُب؟
- طبعا لازم يكون جواز مبني على حُب.. ويمكن ده سبب اني (حيرانة) زي ما بتقول.. وبفكر كتير ومش مبسوطه.. وفي الأول وفي الآخر الزواج نصيب وقدر.. والحُب بيكون رزق من عند ربنا.. ومحظوظ جدًّا اللي يتجوز اللي بيعبه..

- طب ممكن سؤال يا زهره؟ انتي ليه سألتني كده؟
شعرت بارتباك شديد عندما باغتها.. وكأنه يشعر أن هذا السؤال ليس مجرد سؤال عابر أو حتى سؤال فضولي ، وكأنها تسبر أغواره ؛ لذلك كان هو الآخر يستبيح أعماقها..

أجابته في هروب قائلة :

- يعني عشان لما سألتك قبل كده ايه رأيك في الحُب وقلتلي إن الحُب ممكن يكون حُب الأم والأب والاحوات.. لكن الحُب والعلاقات دي مش حُب وهبَل.. سألت كده كنت عاوزة أعرف انت ليه مش بتؤمن بالحُب.. ولو ده تفكيرك يبقى فكرك عن الجواز ايه.. بس مش أكثر..

وبعدين ماننت كمان بتسألني وبتقولي ايه اللي محيرك وانتي لسه حيرانة..

- عشان أنا متأكد إن في حاجة محيراي

- وليه متأكد؟

- my feeling

- And what else ?

في تلك اللحظات تجلّت هيئتها أمامه ، استحضرها وهي تتحدّث معه يوم الإفطار الجماعي.. استحضر نظرات عينيها اللامعة الدامعة ، استحضر

عينها الجميلتين تحت ضوء القمر.. عينها اللتين يطل من شرفاتهما الخوف
والارتباك والحب.. غلبته مشاعره في حضرة امرأة حديثها شامخ وحضورها
جامح.. رغم أنه لا يرى منها سوى عينها.. ولكنهما أسكرتاه حد الاكتفاء بهما!
لذا لم يرد عليها بل ترك منير يقوم بهذه المهمة نيابة عنه، أرسل لها الرابط
وكتب لها.. (سلام دلوقتي.. هكلمك تاني)، وأنهى الحديث فجأة.. فتحت هي
الرابط.. أغنية "عينيكى تحت القمر".. راحت تستمع إليها وصوت محمد منير
يصدح قاطعا سكون الليل:

عينيكى تحت القمر كيف الكلام والخوف

فمهم كلام للقدر مِدَارَى مش مكشوف

بوْدَى أزرق شجرة

شجرة حنان وضِلّ

تِرِخَى عليكى يا سمرا

تلم شمل الكل

الكون أَصْرُهُ بحاله واجيبو ليكى يا غالية

ده انتى الجمال ودلاله

يا نخلة بكرة عالية

كاد قلبها يتوقف عن النَّبْض عندما صدح منير بهذا المقطع..

مفيش كسوف فى المحبة ولا للمحبة شروط

عمرك ماتشعر بغربة إلا فى حنين مكبوت

وأنتى يا سامعة وشايفة أحلامى فوق الوصف

من غير ما أقول إنتى عارفة

فاهمة اللي فيه بالحرف

وقد يحدث أن نعترف لأحدهم بالحب عن طريق أغنية بحجّة أنها جميلة..

وقد حدث أن اعترف أحدهم بالحب ذات ليلة من شهر الصيام المبارك..

وشهد عليه آذان الفجر.. وصدّقه شروق الشمس.. واستشعره القلب.. قلب الزهره..

لم تصدق ما يحدث.. خُيّل إليها أنها تحلم.. ولكن صوت مُنير العذب وهو يشق سكون الليل كان يؤكد لها أنها ليست في حلم.. استلقت على سريرها حاملة وأغمضت عينها وهي تستمع مطروبة.. يا الله.. سيطرت عليها مشاعر مُختلفة، هي كانت سعيدة بما يحدث، وكانت خائفة في الوقت ذاته.. شخصية «هشام» بالنسبة لها كانت شيئاً جديداً ومختلفاً يطرأ على حياتها، تفتحها وتفهمه لها واقترابه منها كانت أشياء جذبتها إليه بسرعة واختصرت المسافة بينهما والوقت وكل شيء.. كونه يرسل لها أغنية (عينيكى تحت القمر)، فهذه رسالة كبيرة وفحواها أكبر.. ولكن كونه يفعل ذلك وهو يعلم أنها في وضع المخطوبة ، فهذا إن دل، فهو يدل على أنه على يقين بأنه في قلبها وأنها تريده هو، وأنها بمجرد وصول والدها من السعودية ستقوم بفسخ قراءة الفاتحة ، كان «هشام» متفهم جيداً ذلك دون أن تخبره زهرة ، كان يعلم أنها صادقة، وأنها بالفعل لا علاقة لها بقاريء فاتحتها، ولا تكلمه إطلاقاً، وأنها بكل جوارحها معه هو، هو فقط ، وهي الآن أدركت أنه متفهم ذلك بعد (عينيكى تحت القمر) تدفقت هذه الأفكار في رأسها وهي تستمع مرارا وتكرارا إلى الأغنية في وجد.. كانت مأخوذة .. في حالة هيام .. وما أفاقت إلا على صوت باب غرفتها وأحد أشقائها يصيح:

- زهرة.. مش هتتسحري ولا ايه يا بنتي

- جاية اهو

لم تتناول السحور كالعادة، بل كانت شاردة مبتسمة ، لم تكن تشعر بالعالم من حولها، تناولت سحورها على عجل، وقامت تشرب المياه وهي واقفة في نافذة غرفتها، تطل منها ناظرة إلى السماء مبتسمة سعيدة مرتبكة خائفة ،

كانت تنظر إلى السماء وكأنها تفضي بما في قلبها لله - عز وجل - ثم أغمضت
عينها وتنهت قائلة بإيمان عميق «يا رب».. وانطلق آذان الفجر..
بعد صلاة الفجر، لم تخلد إلى النوم كعادتها، بل ظلت تتقلب في الفراش،
ثم جلست وتناولت هاتفها المحمول وفتحت الفيسبوك، غالباً ما كانت
تتواصل على الفيسبوك عبر الهاتف.. وإذ بها تبتسم ابتسامة واسعة في
دهشة!!!؛ إذ إنها وجدت «هشام» في هذا الوقت، ومن المفترض أن يكون
نائماً.. كتبت له هذا المقطع من الأغنية وأرسلته ..

مفيش كسوف في المحبة ولا للمحبة شروط

عمرك ماتشعر بغربة إلا في حنين مكبوت

وأنتي يا سامعة وشايفة أحلامى فوق الوصف

من غير ما أقول إنتى عارفة

فاهمة اللي فيه بالحرف

ثم استكملت قائلة مداعبة إياه..

- بس أنا مش سمرا زي منير ما بيقول في الأغنية

جاءها رده في خبث..

- أومال انتي إيه؟

صمتت ولم ترد.. فأدركها..

- مجاوبتيش

- قلت مش سمرا هكون إيه.. العكس بقي

داعها قائلاً..

- مانا بسألك

- وأنا جاوبت

- قمحاوية؟ طب إيه؟

- بعدين هتعرف.. خليها مفاجأة

- بعدين هعرف!!

هربت منه قائلة..

- انت ليه صاحي لحد دلوقت؟ هتروح الشغل ازاي كده؟

- مش جابلي نوم.. انتي منمتيش ليه بقي؟

- كدا بقي

- أنا حاسك عايزة تتكلمي وخايفة

- وانت ساكت ليه طيب؟

- لا لا فين الإجابة خايفة ليه؟

شعرت وكأن أطرافها تجمدت، وكتبت له ويدها ترتعش..

- مش خايفة بس مش مستوعبة اللي بيحصل.. هو أنا في حلم؟

- قوليلي يا زهرة هو انتي قولتي لعيلتك ايه عن هشام؟

- حكيتلهم عنك وعن اللي عملته معايا يوم الحفلة.. وانك طلبت مني

أدعيلك.. وبخلمهم يدعولك.. مش حكيت لكل عيلتي.. حكيت لأختي الكبيرة..

- ماشي 😊.. اتكلمي في أي موضوع انتي عايزاه

هزمتها الحُب، وخانتها مشاعرها، وضعفت خاصة بعد أغنية عينيكي تحت

القمر، فسألته بكل وضوح، وكعادتها أيضًا عندما تخجل وتريد أن تتواري

بخجلها فإنها تتحدث بالإنجليزية :

Hesham, are you sure about your feelings? -

feelings about what? -

The song -

which song? -

- عينيكي تحت القمر

- عجبتيك؟ -

- رد عليا يا «هشام»

- انتي شايفة ايه طيب؟

- أنا بسألك انت دلوقت

- وأنا عاوز أشوف ايه اللي وصلك؟

- انت ليه مُتْعِبُ كده؟

- that's me

- عارفة.. بس بليز اتكلم

- أتكلم أقول ايه يا زهرة

- أوك.. ولا حاجة.. زي ما تحب

- قولي واسألني عاوزه تعرفني إيه؟

- ليه الأغنية دي يا هشام؟

- عشان أنا بحب منير

- وليه قفلت الشات فجأة؟

- عشان كنت بعمل حاجة لأمي

- ده كل حاجة؟ بس كده؟

- هههههه عارفة بضحك ليه؟ عشان انتي عاوزه توصلني لحاجة أو لإجابة

سؤال عندك ومش عايزة تسألني بشكل مباشر.. عايزة حاجة تانية توصلك

للإجابة دي من غير ما تسألني السؤال نفسه.. وبالتالي محيرة نفسك ومنهكة

نفسك في تحليل الموقف وده آخذ تفكير كثير.. اللي أنا بقوله ده صح ولا

غلط؟

شعرت هي بإحراج بالغ ، تصبب وجهها عرقا وهي تقرأ كلامه ، شعرت أنها في

موقف لا تحسد عليه ، وأن قلبها أوقعها في مأزق ، كان واضحاً أن «هشام»

يراوغها، ويفهم جيداً ما تريد أن تصل إليه، ولكنه كما قالت له وأكد قولها

(مُتْعِب) أدركت أنه لن يخبرها.. وسيتهرب منها.. بالتأكيد.. فقالت في اعتذار

كي تنهي الكلام..

- أوك.. أسفة.. ممكن بس عشان السهر وكده
- لا انتي كده فهمتي كلامي غلط، مش بقولك كده عشان تعتذري يا زهره،
- أنا بقول كده عشان متحطيش تكليف بيننا.. وأي حاجة عايزة تسألني فيها..
- اسألني من غير كسوف.. ماشي؟
- ايه مسهرك لحد دلوقت؟
- بسمع منير
- مانت بتسمع أغاني رومانسية أهو.. أومال ليه مش بتؤمن بالحُب وبتقول
- عليه هبل؟
- طبعي أسمع كل الأغاني وكل الأذواق بحكم اني بلعب مزيكا
- وليه مش بتؤمن بالحُب؟
- عشان أنا مش بحب البنات أساسا
- ليه؟ حبيت قبل كده ومكملتش؟
- هههه أنا على طول أحب كل حاجة حواليا بس مش بنت..
- أومال هترتبط ازاي؟!!
- هترتبط ببنت بس مش بشكلها.. هترتبط بروحها.. يعني كل الولاد اللي بيبقوا
- ماشيين في الشارع ويشوفوا بنت جميلة.. ياه لو البنات دي أرتبط بيها.. أنا
- مش شايف ده، روح الإنسانة دي هي اللي هتفضل معايا.. عشان كده
- البنات مش بيّفهموا ده.. وبالتالي أنا مش بحبهم..
- كويس أوي.. طيب مش هتسأل ولا هتفضل أنا اللي أسأل
- ايه مسهرك لدلوقت يا زهره؟
- أنا سهرة لآني تعبانة أساسا.. عمالة بحرق في قلبي مش أكثر..
- تعبانة وبتحرقني في قلبك؟! ليه يا زهره؟
- بجد مقدرش أجاب

- استني كده.. تعبانة وبحرق في قلبي؟! دول كلمتين جامدين و
وجعوني يا زهرة.. في ايه مالك؟

شعرت باختناق شديد.. وأرادت أن تنهي الكلام..

- مفيش.. هقفل دلوقت بعد اذنك

- طيب هقوم دلوقت أنا كمان عشان ألحق أنا ساعتين عشان الشغل
وكمان فصلت.. نكمل كلامنا بعدين.. سلام يا زهرة

- سلام

كانت تبكي بشدة.. قد أصابها حديثه بإحباط تام.. عن رأيه في البنات..
والحُب.. وكتمانه عن سبب أغنية منير.. ومراوغته لها في الحديث.. أنهكها هذا
الرجل.. إلا أنها قررت أن تواصل الصمود، ربما هو لن يتكلم قبل أن تفسخ
قراءة فاتحتهما، فلماذا أرسل لها الأغنية؟ لماذا يرهقها بأسئلته الصعبة؟ لماذا
يتقرب منها؟ لماذا يعصرها بهذه الطريقة؟ لماذا كل هذا إن كانت تلك أفكاره
ومعتقداته عن الحُب والزواج، وأنه كما قال (أنا على طول أحب كل حاجة
حواليا بس مش بنت)، ما الذي يريده منها؟ لماذا يواصل الضغط عليها
ويحاصرهما؟ لماذا افترسها بعينيه يوم الإفطار الجماعي؟ تدفقت الأفكار في
رأسها.. حتى أصيبت بصداع مؤلم.. وهربت إلى النوم..

شعرت أنها أخطأت كثيراً بل وكانت قاب قوسين أو أدنى من تقع في خطأ
كبير.. أخذت تلوم نفسها وتؤنبها كثيراً.. ما كان ينبغي يا زهرة أن تفعلي ذلك..
ما كان ينبغي أن تتجرأي وتسأليه عمّا يقصده من الأغنية، أنتي رسميا في
ذمة رجل آخر.. صحيح أن هذا الرجل لم يكلف خاطره وأن يتقرب منك.. لم
يكلف خاطره حتى أن يقول لك (رمضان كريم)..

وصحيح أنه فعليا غير موجود في حياتك.. لا شعري به من الأساس.. مجرد ورطة وُضعتَ فيها.. مجرد رجل ربطك به بدلا من أن يجعلك ترتبطين به.. مجرد رجل اقتحم حياتك وتركك عالقة بين السماء والأرض.. أي رجل هذا.. هل مازال في هذا العصر رجال يتزوجون هكذا؟! يا الله.. بل إن حتى الذين يتزوجون بشكل تقليدي، في فترة الخطوبة أو قراءة الفاتحة يتقربون من خطيباتهم.. يتعارفون عليهن.. ولكن هذا الرجل لم يحاول أن يتقرب منك.. لم يشعر حتى بأي اهتمام.. لم يشعر بأنك تمثلين شيئا في حياته.. قتل مشاعرك تجاهه منذ البداية.. ولكن عليك أن تتماسكي أمام «هشام».. لا تفقدي احترامك لذاتك ولا تجعلي صورتك تهتز في عينيه..

كانت تتألم كثيرا، ذرفت دموع القهر رغما عنها، ويا ليتك تدري يا «هشام»، يا ليتك كنت تعلم كم تتألم من أجلك الزهره.. يا ليتك كنت تعلم كيف أنت أصبحت في قلبها.. ويا ليتك تعلم ماذا يعني أن تذرف زهرة من أجلك الدموع..

رغما عنها يجرفها التيار مع «هشام» وهي عاجزة مسلوبة الإرادة.. يطوحها الحُب.. تعرج معه إلى السماء السابعة.. يسحب منها روحها من دون مجهود! تنتشي.. ثم تتذكر (قارئ الفاتحة) لتهبط اضطراريا من السماء السابعة إلى سابع الأرض!!

ضاق صدرها المسكينة.. لم تعد تحتمل أن تكتم في نفسها حبا برى جسدها وأنها قلبها تعبها وألما وكمدا.. كان لا بد لها من أن تجد صدرا يحتويها ويفهمها.. فكرت أن تحكي لصديقاتها المقربات وأنها لن تحكي لشقيقتها الدكتور «إسراء».. الوضع حساس جداً ولن تتفهمه شقيقتها الكبرى.. خافت كثيرا أن تحكي لأي من أفراد عائلتها حتى وإن كانت شقيقتها «إسراء» التي كانت بمثابة أمها وليست فقط شقيقتها الكبرى.. حيث إنها حُرمت من أمها مبكرا جداً.. منذ ثالث شهر لها وهي مازالت رضية.. انفصلت والدتها عن

والدها، وربتها جدتها لوالدها.. ظلت تعيش معها حتى توفاهها الله وهي في الصف الخامس الابتدائي.. وكانت شقيقتها إسراء هي بمثابة أختها الكبرى وأمها وكل شيء.. رغم استمرار علاقتها بوالدتها وأنها تتذكر والدتها كانت تزورها في المدرسة وهي صغيرة، وعادت مجدداً إلى والدها، إلا أن زهرة لم تكن مرتبطة بوالدتها، كانت تحبها بلا شك، ولكنها تعودت على عدم وجودها، أو بمعنى أدق فقدت تجاهها الإحساس بالأمان والاستقرار؛ حيث إن والدتها لم تكن تمكث في البيت كثيراً قبل أن ينشب خلافاً بينها وبين والدها على أثره تترك البيت من جديد.. حتى انفصلت تماماً عن والدها وزهرة في الصف الثاني الثانوي. كان هذا قاسياً على زهرة وكل أخوتها بلا شك.. جميعهم «إسراء» وعبد الرحيم وعبدالله رحمه الله وصالح وأسر..

رغم أن أروة هي فعلياً أقرب صديقة إليها، إلا أنها لم تخبرها في البداية، أول من صارحت من صديقاتها عن حقيقة شعورها تجاه «هشام» كانت نعمة.. والأخري كانت في وضع حرج بدورها، طالبة في كلية الطب بالفرقة الخامسة وتقع تحت ضغط مذاكرة.. ولكنها لم تتأخر عن صديقتها.. فهي تشعر بما تمر به زهرة.. تقدر تماماً الأزمة التي تعانها.. وتدرك جيداً حجم الألم النفسي الذي تتلوي منه صديقتها.. سمعتها نعمة.. أهم ما يميز نعمة أنها تنصت جيداً.. وتنصت وتنصت وتبصت.. ثم تتحدث وتبدع في الحديث، تستطيع أن تصيغ أشياء وتوقعات وردود أفعال وغالباً ما تصدق رؤيتها للأمور.. نعمة فتاة رائعة.. اسمها نعمة وهي نعمة بحق الله.. هي تدرس الطب وهي طبيبة رائعة بحق الله.. تُطَبِّب وتداوي صديقتها بقدر المستطاع.. جميلة جداً هي.. سمرتها جذابة.. ملامحها رقيقة وناعمة.. محجبة.. أنيقة.. من أسرة ميسورة الحال.

نعمة وزهره صديقتان منذ أن كانتا في المرحلة الثانوية.. عندما التحقتا بالمرحلة الجامعية.. انتقلت أسرة نعمة من كفر الدوار للعيش في الإسكندرية ، تحديداً في محرم بك..

ورغم اختلاف دراستهما الجامعية وانتقال نعمة إلى مدينة أخرى إلا أن صداقتهما لم تتأثر.. ظلتا صديقتين حميمتين، ومن حين لآخر كانت نعمة تأتي مع أسرتهما إلى بيتهم في كفر الدور.. يقضون فيه بضعة أيام ، وخلال تلك الأيام تزور زهرة وتبادلان الأخبار والحكايات والذكريات..

هافتها زهره ، وأخبرتها عن الموضوع مباشرة وفوجئت من رد فعل نعمة في بادئ الأمر؛ حيث قالت نعمة بعد أن استمعت لها حتى انتهت من كل شيء منذ البداية في الحفل مروراً بيوم الإفطار الجماعي وحتى عينيكَ تحت القمر..

- والله كنت حاسة من الأول يا زهرة

- ازاي؟!؟

- يا بنتي من يوم ما نزلتي الفيديو بتاعك في الحفلة على اليوتيوب وقبلها نزلتي القصيدة على الفيسبوك وعملتيله Tag.. أنا طبعاً حسيت إن فيه حاجة.. يا زهرة انتي مكنتيش حاسة بنفسك ولا ايه.. ده انتي عملتيله فرح على الفيسبوك يومها وشكرتية بزيادة على اللي عمله معاكي في الحفلة.. محستش الموضوع طبيعي بس سكت وكذبت نفسي.. عشان قراية فاتحتك..

- قراية فاتحة ايه بس.. دي وكسة سودة اتحطيت فيها يا نعمة

- يا بنتي متلقيش لما باباكي يرجع من العُمرَة.. قوليله انك مش عاوزه تكلمي وفركشي.. الموضوع بسيط.. بس خدي بالك لحد ما تفركشي يا زهرة.. وضعك حساس جداً.. انتي منتقبة ومقري فاتحتك.. خدي بالك كويس جداً من كلامك.. ممكن يفهمك غلط..

- يا نعمة أنا عدت المرحلة دي.. مسألة اني واخدة بالي.. بحاول على قد
ماقدر.. لكن أنه يفهمني غلط معتقدش.. ده إنسان متفتح.. وأكد استوعب
شخصيتي واني مش بالصورة النمطية اللي متاخدة عن المنتقبات.. أنا
متأكدة إنه عارف اني مختلفة..

- حلو أوي

- طولت عليكي وصدعتك وانتي وراكي مذاكرة.. هسيبك دلوقت

- ولا يهملك يا زهرة.. انتي دلوقتي بقيتي أحسن.. ابقي طمني أول بأول..
وخدي بالك على نفسك.. واتكلمي معاه عادي.. ولا كأن حاجة حصلت.. مع
أنه يبعثلك أغنية عينيكي تحت القمر دي مش عادية ولا كل اللي حكيتيه
عادي.. بس أما نشوف.. اتعاملي عادي اليومين دول.. كلها أيام وباباكي هيرجع
من السعودية والموضوع يتحل..

- يا رب.. أتمني.. ربنا يوفقك يا نعمة.. هكلمك تاني لما يحصل جديد.. سلام

- سلام يا زهرة..

انقطع «هشام» يومين عن الفيسبوك.. كانت زهرة تنتظره في كل ليلة.. بل إنه
حتى لم يظهر له أي نشاط أو منشور على صفحته الشخصية.. أصابها
الحيرة عمًا إذا كان قد انقطع عمدا خاصة بعد حادثة (عينيكي تحت
القمر).. أم أنه هناك سبب آخر لهذا الانقطاع.. كانت قلقة.. من فرط
تفكيرها به وقلقها عليه عمًا إذا كان قد أصابه مكروه قررت أن تهاتفه، إلا
أنها عندما أمسكت بالهاتف في يدها لم تستطع أن تفعلها.. انتهى الأمر بها أن
تكتب له رسالة تخبره بأنها تشعر بالقلق عليه وتمني أن يكون بخير..
ووجدت نفسها تلقائيا تكتب له قصيدة صغيرة بالإنجليزية..

Bless him , protect him my God,, save his soul and his heart

Special he is, precious he is, from my memory he shall never depart
I've never been overwhelmed except by his soul and his art
Talented he is, Sweet he is... And above all his being smart

في اليوم الثالث قرأت له منشور حزين تعليقاً على شهداء مجزرة رفح ، الجنود الذين تم اغتيالهم أثناء الإفطار، تلك الفاجعة التي أدمت قلوب المصريين ، كانت خسارة فادحة أضيفت إلى الخسائر التي تكبدتها مصر.. أي جُرم ذلك الذي حتى لا يحترم حُرمة شهر رمضان ؟! أي غدر ذلك الذي يذهق أرواحاً باسلة؟! وأي قُبْح ذلك الذي ينتهز وقت الإفطار؟! ولا يهاب الله ، كانت جنازة خير أجناد الأرض مهيبه وحارقة.. عاد الإرهاب يطل بوجهه القبيح في الشهر الكريم.. لن ينسي التاريخ هؤلاء الجنود الذين لقوا الله وهم صائمون..

حزنت زهرة من صمته وأنه لم يرد على رسالتها، وقررت أن تكسر هي حاجز الصمت، انتظرتة ككل ليلة وكانت تعلم أنه سيظهر تلك الليلة خاصة بعد ظهور هذا المنشور على صفحته الشخصية.. وبالفعل وجدته..

- مش عاوز تكلمني ولا ايه.. زعلان مني؟

- ليه بس.. وايه اللي هيزعلني منك يا زهرة.. ليه بتقولي كده؟

- عشان مش بتكلمني ولا رديت على رسالتي

- وهو أنا لو مشغول جدًّا وعندي ضغط في الشغل والنادي ومبدخلش

الفيسبوك.. أبقى زعلان منك؟

قالت له في عتاب..

- أوك ربنا يقويك.. وأسفة اني أزعجتك بما انك مشغول.. بعد اذنك

- لا طبعا مش قصدي مشغول دلوقت.. بتكلم على قبل كده يا زيكو.. ومثلاً

انتي لقيتي حاجة زي كده.. مش في حاجة اسمها موبايل؟

- أنا فكرت اني أكلمك موبايل.. بس اتحرجت الصراحة

No Comment -

- معلش أنا بجد مقدرتش أعمل ده.. وبعثلك مسدج وانت مش رديت
- لا مفيش حاجة أنا بس عليا ضغط جامد الأسبوع ده في الشغل ومش
عارف أنام ولا عارف أفضي.. يلا أسبوع وهيعدي.. انتي عاملة إيه؟
وجدت قلبها يرد رغمًا عنها..

I really missed you -

تلقي إحساسها.. لأنه كان يشاركها نفس الإحساس بل أكثر.. جاء رده قوي
ومفاجيء..

- عايزين نتقابل على فكرة..

صمتت هي لبرهة، فهي لم تكن لتقابلة و إن كانت تشتاقه بعنفوان لا مثيل
له، إلا أنها لم تكن لتقابلة.. ليست زهرة من تفعل ذلك.. لن تملك الجرأة
لتقدم على مثل تلك الخطوة.. ليست لأنها منتقبة.. وليست لأنها شبه
مخطوبة.. بل لأنها زهرة.. إنها لم تستطع أن تهاتفه، كيف لها أن تقابله؟!
رغم جرأتها في الكتابة.. وقصائدها الجريئة.. إلا أنها لم تكن تمتلك الجرأة
أمام «هشام».. لم تعرف ماذا تقول له.. فقالت له في تَرَوّ:

- في التدريب؟

Any way -

قالت له مُكْرَزَة وكأنها تخبره بذوق أنها لا يمكن أن تفعل ذلك..

I didn't understand -

كان ذكيا.. استوعب قصدها، فأدرك نفسه قائلاً..

- لسه عايز أعرف ميعاد الإفطار الجماعي الجديد.. لسه متحددش..
قالت له مداعبة..

ضحكت من قلمها.. وكتبت له..

Really I enjoy talking to you -

Thanks Zahra, me too by the way -

lucky me -

كتب لها في محاولة منه ليضغط عليها..

- قوليلي سر محدش يعرفه غيري يلا

ضحكت وكتبت له..

- بحس انك بتقعديني على كرسي الاعتراف.. ما تقول إنت

No, I wanna know a secret about you zahra -

قالت له في عناد وقد فهمت ما يرمي إليه..

- مش هقول..

انتظرت ماذا سيقول، إلا أنه لم يرد ، حدث عطل ما ، وانقطع اتصال الإنترنت فجأة ، انتظرته لدقائق وعندما لم يتصل بالإنترنت مرة ثانية ولم يظهر، تفهمت ما حدث متذكرة قوله (انا اللي عامل الراوتر بايدي) ابتسمت وكتبت له :

Thank you for being in my life and thank you for being you, I mean the way you are.hope you are in best state ever, happy dreams

أرسلت له الرسالة.. وخلدت بدورها إلى النوم ، سعيدة مبتسمة حاملة ، رغم كل شيء ورغم كل مخاوفها وما عانت به بسببه اليومين الماضيين وما تركه في نفسها من إحباط بحديثه بعد أغنية عينيكي تحت القمر.. إلا أنها افتقدته كثيراً جداً.. وكان يكفها أنها اطمأنت عليه وأنه بخير.. تعاطت بالفعل جرعتها الليلية.. ربما لا تعلم أنها أصبحت مدمنة.. تتعاطاه..

في اليوم التالي عندما قرأ رسالتها ابتسم ابتسامته الجميلة المُشرقة التي لا يعلم كم تعشقها، يبتسم كما لو يهدي الكون بأسره حياة ، تلك العذوبة في ابتسامته هي بعض ما أوقعها في شراكه ، عندما يبتسم وتلمع عينيه في عمق تشعر هي بهذا العمق ، وكَم أخبرها بابتسامته يوم أن رآها في الإفطار الجماعي عن عمق مكانتها في أعماقه..

لم يرد على رسالتها، بل قرر أن يفاجئها بشيء أجمل.. شيء يخبرها أنها امرأة استوطنته ، بعد عودته من عمله ، وعندما انطلق آذان المغرب أرسل لها رسالة نصية على هاتفها المحمول ، وانتظر .. إلا أنه لم يتلق أي رسالة ، ظل في حالة ترقب ، حتى إنه لم يجلس مع عائلته لتناول الإفطار، حتى نادته شقيقته الصغرى إيمي، وتناول افطاره وهو شارد، وتعكّر مزاجه كثيرًا ، حاول الاتصال بها و وجد هاتفها مغلق ، زاد قلقه.. غادر بيته وهو مختنق، ذهب إلى النادي.. نادي سموحة الرياضي.. حدثت مشادة بينه وبين الكابتن ، عاد على أثرها إلى البيت وقد انتابته حالة غضب وضيق و قلق، فتح الفيسبوك بحثًا عنها، لم يجدها إلا أنه ظل ينتظرها كطفل ينتظر أمه حتى ظهرت ، لم ينتظرها حتى تبدأ؛ اقتحمها قائلاً:

- يعني أبعت مسدج ومترديش.. عيب أوي أوي على فكرة

- امتي؟! والله ما شفت أي مسدج

تمالك نفسه.. وكتب لها..

- انتي قافلة موبايلك؟

تفهمت على الفور.. كتبت تقول في تأثر بالغ..

- سوري.. كنت قافلاه طول اليوم قبل الفطار.. كنت نايمة وتعبانة.. فتحتة

دلوقتي بس ما استلمتتش أي مسدج والله..

بدأ يستعيد هدوءه وأعصابه.. كان رده..

- دي مسدج بعتهالك.. عموما هي هتوصلك بالوقت اللي اتبعنت فيه..
مكنتش بحسبك بتقضي موبايلك..

كانت متأثرة للغاية عندما علمت أنه أرسل لها رسالة نصية، في أعماقها
لامت نفسها وتمنت لو لم تقم بغلق هاتفها.. أضاعت على نفسها مفاجأة
جميلة وسعادة كبيرة.. إلا أنها كانت مبتسمة رغماً عنها وكتبت له..
- أنا مستنياها توصل.. كفاية إنها منك..

ثم واصلت :

انت عامل إيه؟

- الحمد لله..

شعرت هي بأنه متغير، وكأن به شيء يعكر صفوه ، أرادت أن تهبه سعادة
كما أراد هو أن يهبها سعادة عندما أرسل لها رسالة نصية، كتبت له :
- عارف.. النهارده كنت بتفرج على الأولمبياد في التليفزيون، وشفت ماتش
كرة يد.. بس في المية.. افتكرتك.

- ولو مكنتيش شوفتيه مكنتيش هتفتكريني؟

- لا طبعا على طول فاكرالك من غير حاجة.. أنا بتابع مسلسل عادل امام..
اسمه (فرقة ناجي عطاالله).. الموسيقى بتاعة التتر عجبتني أوي.. بشوف كده
مين اللي عملها.. لقيته عمر خيرت.. فرحت أوي وافتكرتك عشان انت بتحب
عمرخيرت.. أنا قصدي اني كل ما أشوف حاجة مرتبطة بيك أو انت بتحبها
زي كرة اليد أو مثلا موسيقي عمر خيرت.. بحس كأنها من ريجتلك انت..
- عارف يا زهرة.. شكل نتيجة البكالوريوس هتطلع كمان يومين بالله عليك
ادعيلي.

- من غير ما تقول والله بدعيلك.. يا رب يكتبك النجاح.

- آمين.. على فكرة دي أحلي دعوة سمعتها عشان من أحلي بنوتة.

أثارت جملته هذه في قلبها فتيل عواطفها، وأشعلتها كثيرًا، كتبت له بخجل
أنثوي :

million thanks lucky me -

سألته بحدسها الذي لم يخنها معه ولم يخطيء أبداً، كم كان حدسها
يصيب، سألته عن النادي دون أن تدري ما حدث بينه وبين الكابتن ، رغم
أنها لم تكن تسأله عن النادي ولم تكن تتطرق إليه في أحاديثهما، إلا أن ثمة
شيء ما في أعماقها أخبرها أن هناك أمر ما.. وهذا الأمر يتعلق بالنادي.. حتى
إنه عندما سألته (ايه أخبار النادي).. ارتفع حاجباه عن آخرهما.. إحساسها
به يفوق الوصف.. ولذا ينجذب إليها كمغناطيس دون أن يشعر.. حديثه
معها يغمره براحة وسكينة وسلام داخلي.. لم يفهم كنه ارتباطه بها وهو لا
يعرف كيف تبدو.. وكيف هي ملامح وجهها.. إلا أنه شعر بأنها جميلة
ومختلفة.. لا يفهم كنه رضىخ رجولته أمام أنوثتها.. عندما سألته عن
النادي.. كان في قمة احتياجه أن يحكي لها ما حدث ويناقشها .. دائما ما
يهرب من ضغوطه كعادته كل ليلة إليها لهدأ ويستكين ومن ثم ينام ليبدأ
من جديد يوماً جديداً وهو يملك القدرة على مواصلة تحديات الحياة
وضغوطها.. زهرة بمثابة هدية أهدتها له الحياة.. ولكن في توقيت مخالف أو
ربما في ظروف غبية.

زهرة هي توازنه النفسي.. يحتاجها.. وكلما لبّت هي احتياجه هذا.. زاد تعطشه
أكثر.. وتفاقم احتياجه.. يدمنها هو الآخر.. سرعان ما فضفض لها بما حدث
في النادي وقال :

- تعرفي.. وأنا راجع كان بيروادني تفكيرين إما أبطلّ لعب وملعبش تاني عشان
حاجة حصلت النهارده أو أكملّ اللي بدأتها..

- طب ايه الحاجة اللي حصلت النهارده؟

- موضوع كبير مع الكوتش عشان عاوزني أنزل دلوقتي أو ينهي التعاقد وأنا لسه ما خلصتس علاج رجلي.. روح قتلته اعمل اللي أنت عاوزه أنا مش هنزل وأنا لسه ما كملتس علاج.. طبعاً هو عاوزني عشان الدوري قرب.. كان موضوع كبير شوية..

- وهو ليه مش بيراعي ظروفك؟

- هو مطالب بنتائج في أول كام ماتش عشان يبدأ الدوري.. وهو معتمد عليا.. وعاوز يبدأ بيا.

- «هشام».. لازم تاخذ بالك من نفسك أوي عشان تقدر تكمل وأهم حاجة صحتك

- انتي شايفة كده؟

- أهم حاجة تكمل علاجك.. وبعد كده إن شاء الله البطولات كتيرة والماتشات مفيش أكثر منها.. الكوتش المفروض يفهم ده.. ويبص لقدام.. هو كده يبص تحت رجليه.. فاهمني؟

- ما هو لو ما بصش تحت رجليه ممكن بعد ماتشين ولا ثلاثة لو خسره إدارة النادي هتمشييه.. محدش بيسي على حد دلوقت..

- بس هو كده أناني أوي.. بلاش يا «هشام».. خايفة عليك.. أهم حاجة صحتك.. انت لسه قايل محدش بيسي على حد دلوقت.. مش هينفعك الكوتش لو لا قدر الله حصلك حاجة.

- لا إن شاء الله.. قوليلي انتي ايه اللي كان تعبك قبل الفطار وخلاكي تقفلي الموبايل؟

- سيبك مني دلوقتي.. ربنا يهديك الكوتش ويتم علاجك قريب على خير يا رب.. خايفة عليك

- لا لا عادي متخافيش. طول ما أنا عارف أنا عاوز ايه محدش هيوقني..

- إن شاء الله.. ربنا يحميك

- لسه برضو صورة بروفايلك زي ما هي مش غيرتها.
- أدركت أنه يستدرجها ويضغط عليها مجددا.. وكالعادة هربت منه قائلة..
- قولي فين السراية؟
- سراية إيه؟
- واحدة زميلتي من الكلية أنا معزومة على فرحتها في كنيسة السراية .. ومش عارفة المكان بالظبط.. ومش عارفة المنطقة نفسها.. يقولوا في شارع الإقبال.. تعرف توصفلي المكان؟
- أنا عارف المنطقة دي لكن مش عارف الكنيسة خالص.
- طب فين طيب؟
- عارفة سان ستيفانو؟
- أكيد
- بعدها بمحطتين
- يعني سهل الوصول؟
- أها جداً.. الفرح امتي؟
- قريب.. بعد أيام
- أوك.. هقوم دلوقتي عشان عندي بكره شغل بدري
- ربنا معاك يا رب.. لما المسدج اللي بعتهالي على الموبايل توصل هقولك.
- إن شاء الله.. مش عاوزه حاجة؟
- ربنا يخليك.. خد بالك من نفسك يا «هشام»
- ربنا يسهل.. ويا رب يحققك كل اللي في نفسك يا زهرة على قد نيتك يا رب..
- يا رب.. وانت كمان..
- آمين.
- تصبح على خير

- واني من أهل الخير.. وأحلام سعيدة

يوم الجُمعة.. يوم روحاني لما له من طقوس دينية خاصة إن كانت جمعة في شهر رمضان المبارك ؛ يكون لها مذاق خاص، استيقظت زهرة من نومها، توضأت وصلّت وقرأت سورة الكهف وجلست تدعو له كثيرًا بأن يكتب له النجاح وأن يطمئن قلبه ، كانت تعلم كم هو قلق ويتربح ظهور نتيجة البكالوريوس، هي الآخري كانت قلقة وتربح ظهور نتيجة الليسانس، ولكن قلقها عليه كان يضاهي قلقها على نفسها.. كانت مشغولة به أكثر من نفسها.. راحت تسرح فيه كالعادة وتتذكر أحاديثها وكلماته التي أصبحت عالقة بذهنها.. شعرت باختناق.. وتمنت من الله أن يعود أبوها سريعًا من السعودية كي يفسخ قراءة الفاتحة.. كي يخلصها من ذلك الطوق الذي يكبلها ويقيدها ويعذبها.. دمعت عيناها.. تهتت في ألم.. شعرت برغبة في الحديث مع «هشام».. شعرت برغبة في الكلام معه.. برغبة الكتابة له.. فتحت الفيسبوك.. وكتبت له رسالة :

(انت قلتلي قبل كده «قوليلي سرّ محدش يعرفه غيري» وقلتلي «حاسس بيكي شوية».. وأنا حسيت كلامك ده.. معرفش ليه بقولك الكلام ده.. بس أقدر أقولك اني بحس معاك بالأمان.. أنا عمري ما حسيت بالأمان مع أي حد حتى عيلتي عشان ظروف انفصال بابا وماما.. أنا دلوقتي 22 سنة وأول مرة أحس بالأمان معاك انت بس.. ده أول سرّ بقوله ليك.. وأتمني يكون عندي الشجاعة الكافية اني أقولك على أسرار تانية بعد كده.. جمعة مباركة).

قرأ رسالتها ليلًا والتزم الصمت.. لم يناقشها في هذا السرّ.. أحيانًا تلمسنا كلمات وتترك فينا أثرًا بالغًا ولا يكون هناك ردا لها.. فيكون الصمت هو الحل.. احترامًا لهيبة الكلمات وما تركه قائلها في نفسنا من أثر.. نصمت حتى

لا نفقد روعة هذا الأثر بينما.. كان «هشام» يتقن هذا الفن.. فن الصمت..
للصمت أنواع ومعان كثيرة.. تقول الكبيرة أحلام مستغانمي هناك صمت
الكبار وهناك الصمت الكبير.. وهكذا كان صمت «هشام».. صمت الكبار..
كان يصمت وعندما يقطع صمته فإنه يقول ما لا يقوله إلا الكبار..

انقطاع الكهرباء أصبح ظاهرة تعانها كل البيوت المصرية في ذلك الوقت.. كاد
الشعب المصري يختنق من حرارة شهر أغسطس ، كما أن انقطاع الكهرباء في
الصَّيام أصاب حياتهم اليومية في مقتل ، كانت الكهرباء تقطع في أوقات
عصيبة ، إما قبل الإفطار أو أثناء الإفطار، معظم الأسر المصرية كانت
تتناول الإفطار على ضوء الشموع ، وأحياناً كانت تنقطع الكهرباء بعد
الإفطار لساعات طويلة مما أثار غضب المصريين نظراً للموجة الحارة ،
فصل الكهرباء في ذلك الجو الحار كان يعني فصل المراوح والمكيفات.. تَصَبَّب
الناس عرقاً وضجراً وسخطاً.. كما أن انقطاع التيار الكهربائي في معظم
البيوت السكنية خاصة الأبراج شاهقة الارتفاع مثل ذلك البرج الذي تسكن
فيه زهرة كان يعني أيضاً انقطاع المياه.. كانت معاناة كبيرة لمن يسكنون
الأدوار العليا.. فالمياه حتماً تحتاج إلى ضغط موتور قوي كي يضخ المياه في
المواسير لأعلي.. ولكن بانقطاع الكهرباء لا يعمل الموتور وبالتالي تصبح المياه
ضعيفة وتنقطع هي الأخرى بدورها.. إنها معاناة بكل ما تحتويه الكلمة من
معان خاصة لسكان الأبراج الشاهقة التي تحتوي على مصعد كهربائي.. كم
من أرواح زهقت عند فصل الكهرباء فجأة عن المصعد.. وكم من أرواح
اختنقت لساعات داخل المصعد حتى يتسنى فتح المصعد وإخراجهم منه..
وكم يصبح الوضع مميتاً عندما يكون المصعد عالقا بين الأدوار ويستحيل
إخراج من بداخله.. في هذه الحالة عليهم الانتظار حتى تعود الكهرباء.. تخيل
نفسك محبوباً بمفردك في المصعد لساعات.. ويتناقص الأكسجين وتختنق..

ويا حبذا لو كنت ممن يعانون فوبيا الأماكن المغلقة أو الأماكن المرتفعة.. كم تكون المعاناة ، تعرضت زهرتنا لمثل هذه الأشياء ، إذ إن بيتها في أحد الأبراج الشاهقة بمدينة كفر الدوار.

بما إنها شاعرة وكاتبة ، كان من الطبيعي أن تعبر عن استيائها وغضبها بالكتابة ، كانت مستاءة من كل شيء كتبت مقالا قصيرا ساخرا غاضبا. لا شك أن «هشام» قرأ هذا المقال ليلا في وقت متأخر، هو يتابع كل ما تنشره على صفحتها الشخصية ، من دون أن يعلق مباشرة ، بل يتحدث معها علي الخاص فقط ، لاحظ كم هي غاضبة ، كتب لها..

- مالك؟

- أنا كويسة مفيش حاجة.. عامل إيه؟

كزز نفس الكلمة ثانية..

- مالك؟

- مفيش حاجة.. ليه بتقول كده؟

- ملكيش دعوة بقول كده ليه.. انتي متدايقة

هربت منه قائلة..

- تأخرت كده ليه؟

للمرة الثالثة أعاد عليها نفس الكلمة..

- مالك؟

- الحمد لله كويسة

للمرة الرابعة سألها..

- مالك؟ زهرة انتي فيكي حاجة

- ليه بس يا «هشام» بتقول كده..

- مالك؟

- ممكن نغير الموضوع ونتكلم في حاجة ثانية؟

Ok -

- فلقطني عليك النهارده

Please talk -

- فكرت نتيجتك ظهرت وفضلت قلقانة عليك جدًّا طول اليوم.. لدرجة

كنت هكلمك موبايل بس اتكسفت.. مصدقتش نفسي لما شوفتك أونلاين

واطمنت.. الحمد لله ربنا حاسس بيا بقي..

غمرته السعادة وهو يقرأ كلامها.. سعيد باهتمامها به وقلقها عليه.. سعيد بها

في حياته.. كتب لها بحرارة رقيقة..

- عشان ربنا بيحبك على فكرة..

ابتسمت عن آخرها.. وكتبت..

- ربنا يحميك.. يلا الوقت اتأخر.. لازم ترتاح عشان شغلك..

Ok -

كتبت بقلبيها له..

Tonight.. I am gonna miss you -

وهكذا تمر أيام شهر رمضان المبارك ولياليه الروحانية الجميلة، و«هشام»

وزهرتنا تتألف روحهما ليلة بعد ليلة، وهو يحاول أن يضغط عليها لكي

تخبره ما يريد أن يسمعه ، وهي تصمد وتصمد في انتظار عودة والدها بعد

انتهاء شهر رمضان كي تخبره أنها لا تريد الاستمرار مع (قارئ الفاتحة هذا)،

تدهورت حالتها النفسية كثيرًا، هزمتها الشوق، أرادت أن تهاتفه إلا أن قلبها

لم يتحمل هذه الخطوة، فأرسلت له رسالة نصية على هاتفه قالت فيها:

I hope everything is okay with you , I really do miss you

لم يرد على رسالتها مما زاد من قلقها، إلا أنها وجدته ليلتها ، وكان ينتظرها كي يعصرها في تلك الليلة، فهو قد اتخذ قرارا حاسما، أن يضغط عليها حتى تتكلم ، بمجرد أن رآته لم تمالك نفسها :

- «هشام» ازيك

- بخير يا زهرة.. انتي عاملة إيه؟

- انت أونلاين من بدري؟

- yup

- أنا لسه داخله دلوقت.. كنت نايمة

- كل ده؟

- اها.. مكنتش نمت من امبارح أساسا

- ليه كده؟

- فضلت مطبّقة.. ونمت من ساعتين بس

- وكنتي بتعملي ايه كل ده؟

لم تكن لتخبره بأنها كانت تفكر به.. وأنه أتعها.. وسرق منها النوم..

- مكنتش بعمل حاجة

ثم استرسلت في عتاب :

- بعثلك رسالة على موبايلك على فكرة

- حصل وقريتها..

- واياه الصمت الرهيب ده؟

حانت له اللحظة أن يبدأ بالضغط عليها..

- ممكن سؤال؟

- قول

- what's in your mind,zahra ?

ثم استرسل :

ممکن تتكلمي وتقولي كل اللي جواكي واللي عايزة توصّليه من غير قيود أو من غير ما تحسي وانتي بتتكلمي إن أنا حد غريب عشان أنا فعلا مش كده؟ علي الفور تفهمت قصده، وأنه يواصل الضغط عليها من جديد ، فتظاهرت بالغباء :

- يعني إيه؟

- يعني حاسس إن جواكي حاجات كتير أوي ومش عايزة تتكلمي

- ليه أنا حتى قلتك على سرّ قبل كده لما طلبت

- مالك يا زهره؟ ايه اللي محيرك؟

- nothing

- بتكديني؟!

- مش بكذب..

- لازم أتكلم معاكي على فكرة

- على إيه؟

- عايز أعرف ايه اللي عامل فيكي كل ده.. دي مش زهرة اللي كلمتني أول

مرة.. انتي حالتك مش عجبانني يا زهرة.. حاسك فيكي حاجة كبيرة.. ولازم

نلاقي حل.. قوليلي مالك؟

كانت تبكي وهي تقرأ كلامه ولكن من رحمة الله بها أنه لم يكن يراها، كتبت

له..

- في حاجات مش بنقدر نقولها حتى لأقرب الناس لينا.

- مش بنقولها لأقرب الناس دي حتى لو كانت خاصة بهم؟

شعرت أنه قد طوّقها، ونجح في استباحة أعماقها وسلّب بعض الكلام منها..

كتبت..

Enough please, I can't bear -

Ok.. Sorry -

شعرت أنها قد أخرجته، قالت في ذوق..

It's me who should be sorry for you -

- لا طبعاً يا زهرة.. انتي كده حسستيني اني بضغط عليكى جامد وده مش صح.. أنا عايز أريحك.. وأفكر معاكى.

- في ايه يا هشام؟ المسدج اللي بعتهالك على موبايلك دايقتك؟
- بغض النظر عن المسدج.. بصي أنا بحب أحلل حاجات معينة حواليا..
وأكون فاهم ايه اللي بيحصل.. وانتي مش عايزة تتكلمي أو تقوليلى أقدر أساعدك ازاي.. أو أعملك ايه عشان متبقيش كده.. وانتي كده بتعملي فرق بينا.. بتحايل عليكى عشان تقوليلى مالك.. عشان أنا عارف أن احنا صحاب بجد..

ازداد بكاؤها وهي تقرأ هذه الكلمات.. حتى إن أطرافها بدأت ترتعش.. كتبت،
- والله مش بعمل فرق بينا.. ربنا يعلم انت ايه عندي
كانت تحدّثه من صميم قلبها بصدق وشفافية حتى إن كلماتها اخترقت قلبه
، قال :

- طيب ربنا يعلم.. ممكن طيب أنا أعرف؟
- ليه؟

- مش من حقي؟
كانت تتألم.. تلفحها نار قلبه.. كتبت في حسرة..
- هتفرق معاك في إيه؟
- لو مش عايزة تقولي.. قوليلي مش عايزة أقول وأنا مش هسأل ده تاني على فكرة..

- ليه مش رديت على سؤالي وعاوزني أجابك وبس؟
- عشان الأسئلة كلها مترتبة على بعضها

.This is unfair -

- يعني انتي اللي بتجاوبي على حاجة؟

في محاولة للهروب..

- مش هتنام عشان شغلك؟

أدرك هروبوها.. ردّ..

- مش دلوقت.. عايزاني أقوم؟

كتبت بحرج..

- لا مش قصدي.. بس أنا متأكدة اني لو اتكلمت مش هتفرق كثير.. حاسة

هتوجع أكثر.. مش دايمًا لما بنتكلم بترتاح.

- هنتوجعي أكثر؟ طيب تيجي أقولك على وعد؟

- قول

- أوعدك مش هسألك في ده تاني خالص إلا لما انتي تيجي بنفسك تقولي..

ومش هضغط عليك تاني.. تمام كده؟

- تمام.. بص أنا قلتلك قبل كده سرّ عني لما طلبت مني.. دلوقتي بقي بطلب

منك تقولي انت كمان سرّ

ضحك.. وكتب في خُبث..

- ماشي بس مش هتسألني في اللي أنا هقوله زي مانا ما سألتش لما قولتي

ok, deal -

كتب بثقة وهو بيتسم..

- أنا عارف ايه اللي محيرك.

شعرت بدقات قلبها تعلو.. ورعشة باردة تسري في أوصالها.. كتبت ويدها

ترتجف :

- ليه متأكد كده؟ ولما انت عارف ليه بتسألني وبتضغط عليا؟

- احنا مش قلنا مش هنسأل؟

كتبت ترجوه :

- ممكن تتساهل معايا شوية؟

sorry it's deal -

Ok -

أكملت موضحة :

- على فكرة

-؟

- أنا مش محتارة.. am sure about my feelings

واصلت :

But the problem is that I don't know what to do

سألها بخبث :

- وليه مش عارفة تعملي إيه؟

أجابت بذكاء :

- لأنني مش المفروض أنا اللي أعمل

استوعبها ؛ سأل بحذر :

- أها.. أومال المفروض مين اللي يعمل كده؟

ردت بضيق وإحباط :

Enough -

أدرك ضيقها من مراوغته.. وأنها بالفعل اكتفت.. قال :

Ok -

صمت.. ظل صامتا لدقائق..

- ساكت ليه؟

- عادي.. مش بتتكلمي

- طب اتكلم انت

- هو انتي مش خلصتي سنة رابعة؟

- اها

- ناوية تستغلي ولا لأ؟

أجابت بسخرية :

- ناوية بس هو فين الشغل؟

ضحك..

قالت وقد بدأت تشعر بالاعياء :

- أنا برتعش.. وحاسة إن الجو برد.. صح؟

كان الوقت صيفا.. شهر أغسطس.. ذروة الحر.. لذا أجاب بدهشة..

- لا خالص على فكرة!

شعرت باصطكاك أسنانها وشفطها ترتعشان.. بدأت ترتجف بشدة.. كتبت :

- أنا برتعش جامد.. مش قادرة

كتب بقلق :

- مالك يا زهرة فيكي إيه؟

- مفيش.. أزدفتُ :

- الحمد لله

أدرك أنها في حالة إعياء.. ظنَّ أنها إنفلونزا.. كتب:

- حاولي تلبسي حاجات ثقيلة لحد ما تحسي انك متدفية وتعرقى.. وبعد كده

مش هيكون في حاجة خالص إن شاء الله..

امتثلت على الفور لكلامه.. قامت من سريرها وأطفأت المروحة.. تدثرت.. إلا

أنها ظلت ترتجف بشدة.. كتبت له :

- أنا فصلت المروحة واتغطيت بكوفرتا.. بس لسة برتعش جدًّا..

- مليون سلامة عليكى.. طيب خدي Congestal أو Comatrix.. أي حاجة

للبرد

- الله يسلمك.. بس مش حاسة إن ده برد (إنفلونزا)

- أو مال حاسة إن ده إيه؟

كتبت والدموع تفيض من عينيها ألما :

- مش عارفة والله اللي فيا ايه

كان يشعر بها.. باضطراباتها.. صراعاتها.. كتب في اشفاق..

- لا لازم تشوفي حل..

كتبت تطمئنه :

I will inchAllah -

كتب بتصميم :

لا Now -

واصل :

ارتاحي دلوقت يا زهرة.. نتكلم بعدين انتي تعبانة

كتبت مكابرة :

- لا بقيت كويسة..

لا شك أن رجلاً مثله كان يعي تمامًا حالتها.. وكان يدرك أنها مُنهكة.. كما فهم

أن عِزّة نفسها تجعلها تكابر وتحمل نفسها ما لا طاقة لها به ؛ لذا أنهى هو

المحادثة في لطف..

- أنا هقوم دلوقت عشان ألحق أنام ساعات ولا حاجة عشان الشغل..

قشطات؟

أنهت معه المحادثة.. سكنت رعشاتها إلا أن خفقاتها لم تسكن.. راحت في

النوم كالأطفال ما إن وضعت رأسها المثقلة ب«هشام» على وسادتها..

ظهرت نتيجة «هشام».. المحاسب «هشام».. تخرّج أخيراً من كلية التجارة ،

زال قلقه، واطمأن كثيرًا، كتب على صفحته الشخصية (الحمدلله..

بتقول واك واك ووااااك..)

أدرکت أنها لن تحظي بسماع صوته ، فکتبت له رسالة نصیة :
(مليون مبروك يا سیادة الباش محاسب).

مش قادر أبعد عنك تاني حبيبي

آه يا حبيبي لو حتى ثواني

عائش فيك وانت بعيد عني حقيقي

ايوا حقيقي وعينيك وحشاني

كانت تستمع إلى ساموزين وهو يشدو في رقعة وعدوبة لا مثيل لهما، حتى إنها ذرفت الدموع ، وهي تشعر بكل كلمة من كلمات الأغنية تخترق جدار قلبها ، كانت تعبر عن حالتها، تصف مشاعرها تجاه «هشام» وكأن ساموزين يغنيها من أجلهما، قامت بنشر رابط هذه الأغنية على صفحتها الشخصية ، شاهد «هشام» الفيديو، استمع إليها وابتسم في خبث وعندما جنّ الليل راسلها :

- ايه السونج الجامدة دي

- بس بقي.. بتكسف

ضحك وهو يكتب لها..

- لا بس جامدة أنا أصلا بحب ساموزين وبحب السونج دي طبعاً.. بس
اشمعي السونج دي بالذات يا زهره؟

Because I feel it , it touches my heart -

سألها في مكر :

- بتحبي في قصة حُب ولا إيه؟

استوعبت مكره فقالت في ذكاء :

- مش انت مش بتعترف بالحُب؟

- لا بتعترف بالحُب بس مش بتعترف بالبنات

- يبقي ما تسألنيش بقي

- يا سلام!

- هيمك في ايه طيب أنا بحب ولا لأ طالما انت مش بتعترف بالحُب أو بالبنات

- لا بس مفيهاش مانع لو عرفت ولا فيها؟

- مش هتحس باللي أنا فيه

- قصدك يعني إن أنا مش بحس

- لا مش قصدي.. بس هيفرق معاك في إيه؟

- هو لازم كل حاجة بنسأل عليها تكون هتفرق معنا؟

- لا.. بس على الأقل لو احنا بنؤمن بيها يبقى هنعس ونقدّر.. لو العكس

يبقى مالوش لزوم.. أنا صح على فكرة

- بدل اللي بتقوليه ده.. قولي مش عاوزه أجابك.. لأن اللي بتقوليه ده مش

مُقنع خالص بصراحة.

كتبت بثبات وثقة..

I know that I am right -

رد عليها في استسلام..

Ok -

شعرت بفرحة لأنه استسلم لرأيها، كما أن استسلامه هذا شجعها أن تسأله

:

- ليه مش بتعترف بالبنات؟ ليه كده؟

- مش بحبهم

- ليه؟!

كتب لها وهو يقصد استفزازها :

- عشان هما ما يتحبوش

تأملت من كلامه ، إلا أنها لم تشعره بذلك ، لم تسأله لماذا ولم تقل له بأن

منطقه غير مقنع كما قال لها، لم تناقشه.. فقط اكتفت بكلمتين كي تنهي

معه المناقشة..

Thank You -

أدرك أنه لم ينجح في استفزازها، فاسترسل مكملًا استفزازها :

- مش ده الواقع؟ هما يتحبوا؟

ردت في برود..

- Ok , as you like

Good -

انفجرت باكية منه ، رغمًا عنها وجدت نفسها تكتب :

No, not good

ابتسم في ظفر، نجح في استفزازها أخيرا، كتب مرتديا قناع البراءة :

- ليه بس

- والله حرام عليك طريقة التفكير دي.. بس براحتك انت حُر

- طيب انتي شايفة حاجة تانية؟

- ماليش دعوة باللي أنا اشوفه.. أنا بتكلم عنك

- مش احنا أصحاب وأنا باخد رأيك في حاجة؟

- طب معلىش ممكن نغير الموضوع أنا مخنوقة بجد.. ثم أكملت..

- I haven't the ability to make you change your belief

وأضافت :

- لازم يكون نابع من جواك يا هشام

كتب ساخرا :

- ايه ده بجد؟!

- أه بجد وبلاش تريقة.. لازم يكون عندك استعداد نفسي.. يلا نغير الموضوع

- انتي تؤمري

بينما هي تتحدث معه، دخلت على صفحته الشخصية قرأت منشور

(كنت فاكر اني أعرف 3 ملايكة بس الظاهر إن الملايكة موجودة في السما

بس).

خفق قلبها في عنف.. أدركت أنه حزين.. وأنه يعاني مشكلة ما، ولهذا قال بأنه لا يجب البنات ولا يعترف بهن.. كتبت له موسية..

- مالك يا هشام؟ ايه status دي؟

- ناس صحابي كنت أعرفهم من زمان

- اه.. حساك مخنوق أوي.. احكي لي مالك

- لا صعب بجد

- Ok am sorry

- لا ولا يهكم.. بس عشان لما حد يسألني عليكي.. أنا فعلا مقدرش أتكلم على حد وهو ميعرفش اني بتكلم عليه.

- أنا بس عاوزة أطمئن عليك

- أنا تمام الحمد لله.. متقلقيش عليا

- احتمال أنزل بكرأ إسكندرية.. عشان أحضر فرح زميلتي اللي قلتك عليها من كام يوم.. ثم استكملت في دعابة..

- تيجي معايا؟

- أرسل لها ابتسامه.. كتبت له..

- أيوه كده اضحك بلاش تدايق نفسك

- أنا مش مدايق نفسي

- لا انت زعلان.. your status

- لا بعرف أفصل.. ده موقف وأخدته وخلص

- ربنا يفرح قلبك يا رب

- وقلبك انتي كمان ويحققك كل اللي في نفسك يا رب.

- آمين.. عارف، من ضمن اللي في نفسي انك تغير مفهومك عن البنات

كتب لها في مكر :

- ايه عندك عروسة ليا ولا إيه؟

- شعرت بأنه يحاول تطويقها من جديد فكتبت :
- لا.. ثم أضافت لتدير دفة الحديث :
- بقولك ايه.. كتبتلك قصيدة بمناسبة نجاحك..
- ابعتهمالي
- قالت في دلال أنثوي..
- لأ..
- انجزي ابعتي
- ثم أضاف ليثير جموحها عن آخره :
- بلا وريني بس انتي اللي كاتبها ولا أخذتها من حد
- كتبت وقد تضايقت :
- حرام عليك بجد.. كتاباتي بوثقها في الشهر العقاري.. وبشارك في مسابقات
- تبع مكتبة إسكندرية..
- قال ملطفا :
- أنا عارف ده طبعا.. بهزر معاكي يا بنوته
- Ok -
- ثم أضافت في عناد أنثوي :
- برضو مش هتشوفها.. بلا بقي
- ها.. مستني
- لأ

ضحك عن آخره.. فهو يستمتع بإثارتها حتى تغيره بأنوثتها ثم يرؤضها على طريقته لهدأ من جديد.. يجد في ذلك متعة خاصة.. رغم أنه لا يرى ملامح وجهها ولا يعلم معالمها.. إلا أنه يجد في حديثها أنوثة متفجرة.. يجد في إحساسها أنوثة صارخة.. ويجد في كتابتها أنوثة متمردة.. هي أنثى ذات حضور أنثوي طاغي يحرض عليه رجولته.. هو يستفزها ويثيرها ولكن في الحقيقة هي التي استفزت رجولته وحرّضتها عليه كي تستفز أنوثتها دون قصد منها.. وهذا سر استمتاعه بها.. استمتاعه معها.. سهره معها كل ليلة حتى وقت السحر وإن كان مرهقا.. وإن كان سينام ساعات قليلة إلا أنه بلا شك سيحظي بنوم هاديء بعد حوار ممتع مع فتاة مثلها.. فتاة لا تتكرر.. تأتي مرة واحدة في العمر.

ها هو استفزها وأثار أنوثتها وها هي دون أن تعي تغيره..

- هحتفظ بيها لنفسى زي حاجات تانية ومش هقولك.

فرح وقد وصل إلى ما أراد.. كتب في زهو..

- حاجات تانية؟ لا الكلام ده شكله كبير أوي أوي أوي

- كبير ولا صغير مش هقولك برضو.. انسى

أكمل مستخدما معها أحد أحب أسلحته إليه.. ترويضها.. ها هو سيرؤضها

بعد أن أثارها وأمتعت رجولته باغرائها له :

- ده أعتبره كلام نهائي؟

- آه

- خليكي فاكرة انتي اللي بدأتي.. بعد كده هتقوليلي بالله عليك أقولك وأنا

أقولك لأ.. خليكي فاكرة بس

كتبت والدموع بدأت تنساب من عينيها :

- ليه كده؟ ده تهديد يعني؟

ضحك في ظفر :

- أنا أهددك برضو؟

قالت في عتاب :

- شكرا على طريقتك

- شكرا حاف كده؟

قالت غاضبة :

no, with my tears -

قال منتشيا برجولته :

- لا في أكثر

like what ? -

- أومال شاعرة شاعرة..

Ok -

- فين طيب؟

ابتسمت من بين دموعها.. ثم أرسلت له القصيدة :

Congrats for your graduation for your success

Special congrats as I am wishing for you an eternal happiness

And I am waiting to see your heart one day is seized by love no more
or less

How lucky she will be, sure she will be a princess

Hey, start your way with no stress

Trust that I want for you all the goodness

God gives you great life

God grants you great wife

And a peaceful state of mind without any strife

قرأ القصيدة وظل مشدوها، لا يعرف ماذا يقول لها، ألجمته، كتب :

- مش عارف أقولك ايه

- متقولش حاجة

- ده كتير عليا يا زهرة.. بجد مش عارف أقول ايه

- say nothing , I feel you

سادت بينهما سمفونية صامته رائعة.. تعزفها دقائق قلميها.. سمفونية صمت العاشقين.. كل منهما لا يكتب شيئاً بينما يبتسم للشاشة في حُب.. قطعت هي سمفونية الصمت..

- على فكرة.. أنا كمان بحب ساموزين

- ده من زمان ولا من دلوقت

- من زمان ومن دلوقت

- بتحبيله ايه تاني

- كل أغانيه.. بس أغنيتي المفضلة (مش قادر أبعد عنك).. عارف هو نفسه

كان بيبيكي وهو يسجلها في البروفات.. كل ما يبجي يغنيها بيبيكي..

قال محاولاً استفزازها من جديد..

- كنتي معاه ولا ايه

ضحكت، ثم أكملت..

- لا ممكنش معاه.. دي معلومة سمعتها في برنامج.. مش هتنام ولا ايه.. الوقت

اتأخر وعندك شغل الصبح بدري

- حاضر.. تصبجي على خير

ودت لو كتبت له، وانت من أهلي، إلا أنها كتبت في حُب،

- وانت من أهل الخير يا «هشام»

ظهرت نتيجة كلية الآداب قسم اللغة الإنجليزية ، نجحت زهرة ؛ وحصلت على الليسانس ؛ كانت سعيدة ؛ كتبت على صفحتها الشخصية :
هناها الجميع ، إلا أنها كانت تنتظر تهنئته.. ظلّت طوال اليوم في حالة ترقب..
تنتظر منه أي شيء.. بالفعل بعد الإفطار في تمام التاسعة مساء دق قلبها ودق معه هاتفها معلناً تسلم رسالة من حبيب القلب ، حين قرأتها شعرت أنها قد نجحت وتخرّجت بالفعل.. اجتاحتها فرحة عارمة كطفلة قد باركها أبوها.. ابتهجت كفراشة.. إلا أن الزهرة عندما تبلغ أوج تفتحها تذبل.. أوج فرحتها تحزن.. سعادتها معطوبة.. في ذروة فرحتها بنجاحها شعرت بقبضة تعصر قلبها في ألم.. قبضة هي تعرفها.. عندما تأتيا يحدث بعدها فاجعة.. هي لن تنسى تلك القبضة التي انتابتها قبل أن تعرف «هشام» بثلاث سنوات.. في يوليو 2009 جاءت نفس القبضة ذات ليلة فاستعازت بالله ، ونامت ، إلا أنها كانت تتقلب على فراشها طوال الليل حتى هدّأ السهر واستسلمت للنوم لتستيقظ في السابعة صباحا على فاجعة ؛ فاجعة أنبأتها بوفاة شقيقها عبدالله غرقاً.

وها هو يوليو 2012 قد تعرفت فيه على «هشام».. وكأن القدر يواسيها في مصابها، أرسل لها «هشام» في يوليو، نفس الشهر الذي رحل فيه شقيقها الغالي وترك قلبها ينزف ، مرّ شهر يوليو بسلام دون قبضة ولكن عادت لها نفس القبضة في أغسطس ، تلك القبضة كانت لهشام ، وضعت يدها اليمنى على قلبها وظلت تقرأ بعض آيات القرآن ، وتستعيد بالله في رجاء وتوسل وبكاء لكي لا يحدث شيء مفاجئ.. قلبها ما عاد يتحمل.. ظلت تدعو له.. كانت تشعر بقلق عارم يفتك بها.. كان الوقت متأخرا لم تستطع مهاتفته ، ولم تجده تلك الليلة ، أرسلت له رسالة نصية على هاتفه المحمول راجية إياه أن يطمئنها عمّا إذا كان بخير أو قد حلّ به شيء ، لم يأتيها منه رد ، ظلت ساهرة حتى الصباح ، لم تجفل جفونها ، انتظرت بفاغ الصبر حتى

العاشرة صباحا ثم هاتفته ، لم يرد ، هاتفته مرات كثيرة ولم يأتيها رد ، أرسلت له رسالة نصية أخري ونامت باكية مكلومة ، هي تعلم أن هناك شيء سيحدث ، حاولت أن تطرد تلك الفكرة من رأسها قدر المستطاع ، إلا أنها لم تنجح من طردها خارج قلبها ، ظلَّ القلب يئن ولم يسمع أئينه سواها كما تنن الحيتان ولا يسمع أئينها سوى المحيط .

انتظرتة تلك الليلة ، أخيرا ظهرت الإشارة الخضراء بجوار اسمه .. كم تحب هي تلك الإشارة الخضراء.. كتبت له على الفور في لهفة :

- انت كويس؟

- أها الحمد لله.. انتي قلقتي مرة واحدة كده ليه؟

- وانت ليه قلقتني أكثر؟ ليه مش كنت بترد عليا

- مينفعش في الشغل أتكلم..

واصل كتابته :

- ألف ألف مبروك على نجاحك يا زهره

- «هشام» انت بجد كويس؟

- والله الحمد لله

- محصلش حاجة طيب؟

- ايه اللي اذاكي ايجاء بكده؟

صمتت.. لم تدر ماذا تقول له.. لم تشأ أن تقلقه بشأن أخيها الراحل..

اكتفت بقول..

I don't know -

ثم استرسلت حتى لا تبدو غريبة الأطوار..

- فجأة كده لقيت نفسي مخنوقة أوي واتخضيت عليك.. وقلقت أوي.. طول

اليوم مش عارفة أعمل حاجة.. دماغي عمالة تروح وتيجي.. معرفش ليه

حسيت كده.. معرفش والله.. كنت هكلمك موبايل دلوقت لو مكنتش لقيتك
اونلاين مع اني مش بتكلم في الوقت ده موبايل..
كان يقرأ كلامها مندهشاً..

- لا لا لا أنا الحمد لله مفيش حاجة والله.. بس انتي فجأة كده حصلك
القلق ده؟

- معرفش قلبي وجعني عليك.. حسيت انك مخنوق أو حصلك حاجة بعد
الشر عليك.. معرفش ليه ده حصل.. الحمد لله الحمد لله يا رب اني
اتطمنت عليك

- الحمد لله.. بس بلاش تقلقي كده.. مش عايزك تخافي خالص
تدفت دموعها رغماً عنها وهي تكتب :

- عاوزة أطلب منك حاجة
- اتفضلي

شعرت بأنها لن تتحمل مرارة وألم فقده.. كانت تريد أن تطلب منه أن يظل
معها إلى ما لا نهاية.. إلا أن يدها لم تطوعها لتكتب ذلك.. فكتبت :

- ممكن تخليك معايا شوية؟
ثم أضافت :

I'm in a dire need to talk to you -

كان يشعر بها.. فهي تحمل له عاطفة فياضة.. عاطفة ثقبت قلبه.. وكان لها
وقعا مدويا.. إلا أنه كتوم.. لن يخبرها أن براكين حبا لها لفحته.. وأحرقته..
بل زلزلته حتى النخاع.. اكتفى بكلمة واحدة ردا عليها..

sure -
عاتبته :

- ليه مش طمنتني بمسدح؟ ليه سيبتني قلقانة كده؟

- أنا مسبتكيش.. بس أنا روحت من الشغل بعد الفطار أساسا وفطرت
ونمت على طول عشان مكنتش نمت من امبارح..

- الحمد لله انك بخير

- زهرة.. 3 أسئلة عايز أسألهم

- أول سؤال؟

- عملتي ايه في الفرح اللي كان عندك؟

- مروحتش

- ليه

- مكنتش في المود خالص

- ليه؟

لم تخبره أن قلقها عليه قد عصف بكيانها لدرجة أنها لم تستطع حضور
فرح زميلتها في كنيسة السراية ؛ كانت منهكة ، مستنزفة ؛ بفعل تلك القبضة
اللعيينة التي عاودتها من جديد ، وزاد من لوعتها عدم رده ، فكيف لها أن
تذهب لتحضر فرحا، وتبتهج وتسعد وهي في تلك الحالة التي أعادت إلها
ذكرى وفاة أخيها أيضا..

انتزعها من شرودها ودموعها :

- كان في حاجة مدايكاكي يعني؟

- يعني.. ثاني سؤال؟

- عملتي ايه في التقدير العام وتقدير سنة رابعة؟

- مقبول

- زعلتيني على فكرة

- أومال لو عرفت اني دخلت آداب إنجليزي ب95% وكنت علمي علوم..

هتعمل إيه؟

ظل مذهولا ولم يرد فاسترسلت في ألم..

- أنا في تانية ثانوي جبت 96%.. وكان نفسي أدخل صيدلة أو ألسن.. وفي التالثة ثانوي كنت متحمسة جداً من مجموعي بس حصلتلي ظروف.. جبت درجة أقل والمجموع العام بقي 95%.. ملحقتهش صيدلة.. التنسيق أيامي كان مرتفع أقل صيدلة كانت واخدة من 97.8%.. قلت هدخل ألسن عين شمس.. بابا رفض اني أعترب لأنه صعيدي وشديد.. مفيش ألسن في جامعة إسكندرية.. اضطريت أدخل آداب.. ومن لحظتها ومفيش حاجة فارقة معايا..
عشان كده ماهتمتش بالتقدير.. كله محصل بعضه.. الحمد لله

كانت تبكي بشدة، لم تكن لتخبره بأن تلك الظروف التي جعلت درجاتها تنخفض في الصف الثالث الثانوي وأثرت على مجموعها العام هو انفصال والديها أثناء أداؤها الامتحانات ، كانت فترة عصبية ، قاسية ، ألم يكن بوسع والدها ووالدتها أن ينتظرا حتى تنتهي ابنتهما من أداء امتحاناتها؟ ألم يكن بوسعهما التضحية لبعض الوقت؟ ألم يكن بوسع والدها أن يتفهم رغبتها في الالتحاق بكلية الألسن كما تفهمت هي وأخوتها رغبتة في الانفصال عن والدتها والزواج من جديد؟

كان يشعر بأن هناك حزن قد انتابها، وأنه فتح عليها ذكري سيئة، ولكنه بالتأكيد لم يكن يعلم أنه فتح عليها وابلا من نيران ذكريات لم ولن تنطفئ في قلبها المكبوم ، بل ستظل تحرق فيه حتى الموت ، طال صمتها فكتب لها
مواسيا :

- طبعا الحمد لله على كل شيء.

- السؤال الثالث؟

- ايه اللي خلاكي تقلقي عليا؟ ايه اللي خَلِّي قلبك يتقبض فجأة كده؟

ردّت بتلقائية :

I don't know why or even how could this happen -

But I feel your soul is mine

Your soul is the food of mine

Your soul is a friend of mine, protect mine

There are no words can suffice because it's something spiritual

ثم أضافت بعد برهة من الصمت :

Maybe I'm wrong, but this is how I feel

تفجرت ينابيع كلماتها العذبة داخل صحراء قلبه العطش في انسيابية روت
ظمأه بعد صيام.. خارت قواه، لم يشعر بيده ولا بقلبه وهو يكتب في نشوة..

- وحاسة بايه كمان؟

لفتحها كلماته أو بالأحرى لفتحها جِمم رجولته إلا أنها قاومتها باستماتة..
جاهدت حالة السُّكر التي بدأت تجتاحها.. كافحت الدوار العشقي الذي بدأ
يسيطر عليها.. أفاقت صارخة بكلامها..

- كفاية بليز

- كفاية؟

- أنا هقفل

Ok as you like -

أفاق من عنفوان أنوثتها ومن نشوة خمرتها.. كَبِحَ جِماحه هو الآخر وأنها
المحادثة وهو يشعر بلذة رجل يحتضن أنثاه بعد ليلة حُب، أو بلذة رجل
تمتّع عليه أنثاه وهو يعلم أنها راغبة به حتى النخاع..

لم تنم تلك الليلة ، جلدها سوط الضمير حتى الصباح ، كانت في أمس
الحاجة إلى صدر يحتويها ويفهمها.. ودّت أن تهاتف صديقها نعمة إلا أن
الوقت كان مبكرا ولا شك أن نعمة في سبات عميق.. لم تشأ أن توقظها..

فتحت الفيسبوك وجدت وسن، كانت وسن تسهر حتى العاشرة صباحا
كعادتها، كتبت لها:

- وسن ينفع أكلّمك فون دلوقت؟

- طبعا حبيبتى

اتصلت بها.. وردت وسن فوراً قائلة في لهجة تحمل الفضول والقلق :

- خير يا زهرة فيكي ايه

جاء صوت زهرة على الهاتف مختنقا يحمل العبّرة :

- وسن عاوزة أحكيك موضوع يخصني حساس أوي.. ممكن تسمعي

للآخر.. أنا بجد محتاجة أفضفض.. مش قادرة أكمل أكثر من كده..

- اتكلي.. سمعائي..

قصّت زهرة على مسامع وسن كل شيء منذ البداية ، ظلت تحكي قرابة

الساعتين ، ووسن تنصت إليها دون مقاطعة ، حتى إنتهت زهرة وهي تزفر في

ألم:

- خلصت كلامي.. قوليلي حاجة بقي

قالت وسن بلهجة محدّرة :

- بلاش «هشام» يا زهره

انتفض قلب زهرة ، وتحشرجت الكلمات في حلقها، ليخرج صوتها جافا

مبحوحا:

- ليه يا وسن بتقولي كده؟

- زهرة طبعا انتي عارفة أنا بحبك قد ايه.. وعارفة إنني موجودة في مركز

التدريب من قبلك بكثير.. أنا بحضر من البداية وكذلك «هشام».. انتي طبعا

عارفة اننا من الناس القدام في التدريب.. «هشام» عليه كلام كتير بس ما

بين زمايلنا القدام بس.. انتي عشان لسه ده أول باتش كان ليكي معانا

فمتعرفيش الكلام ده..

- كلام ايه يا وسن؟

تهدت وسن ثم قالت:

- زهرة الكلام ده مش هيفيدك دلوقت.. تأكدي لو هيفيدك هقولهولك.. بس

ممکن تعملي اللي هقولك عليه؟

قالت زهرة في صوت بالك:

- مخيبة عني ايه يا وسن؟

- اهدي يا زهرة.. بلاش عياط حبييتي.. «هشام» مش جد يا زهرة.. بس عشان

مظلمهوش برضو نفذي كلامي ده.. اقطعني معاه الأيام دي خالص..

متدخليش فيسبوك نهائي.. الخطوة الجاية لازم تيجي منه.. كفاية عليه أوي

لحد كده.. أنا متأكدة أنه حاسس انك بتحبيه.. وبالنسبة لموضوع قراية

فاتحتك.. رمضان فاضل فيه يومين.. يعني باباكي على وصول.. زهرة الفترة

دي لازم تركزي كويس.. ابعدني عن «هشام» على الأقل لحد ما باباكي يرجع

وتناقشيه انك عاوزة تفركشي قراية الفاتحة وتفوتني كده من العبء النفسي

ده.. صدقيني هترتاحي كتير ونفسيا هتهدي.. ساعتها بقي نشوف «هشام»

هيعمل ايه.. وكل حاجة هتبان.

جاء صوت زهرة أقرب ما يكون إلى الانهيار..

ok -

قالت وسن في لهجة حانية..

- زهرة أنا متفهمة تمامًا كل اللي بتعانيه والصراع النفسي اللي عايشاه..

وعارفة انك بتحبي «هشام» من قلبك.. وهيكون صعب عليكي تبعدني عنه

الأيام دي.. بس صدقيني ده أفضل ليكي بكتير.. وهنشوف ايه رد فعله..

كمان حبييتي انتي محتاجة تكوني مع نفسك وتستعدي لمواجهة باباكي..

عارفة انك خايفة وحاسة بيكي.. أنا معاكي مش هسيبك.. أي وقت كلميني أنا

موجودة..

ثم أضافت في لهجة مرحة..

- ولما «هشام» يوحشك وتحسي انك عاوزة تكلميه وهتضعفي.. اتصلي بيا
وكلميني بداله.. وانا هتكلم معاكي..

- ربنا يخليكي ليا يا وسن.. يلا سلام

- سلام

كانت زهرة تستمع إليها والدموع تنفجر من مقلتها.. كانت أنفاسها تتحشرج في صدرها لتخرج متهددة متألمة حارة ، هي تعرف أن المرحلة المقبلة ستكون صعبة وقاسية.. ينتظرها مصير لا يعلمه إلا الله.. تدرك جيداً أنه عليها الاستعداد لمواجهة أبيها.. لن تكون مواجهة سهلة.. هي تعي بأنها ستكون حرباً ضروساً خاصة إن كان والدها هو الحاج أبو الفتوح ، ذلك الرجل الصعيدي الصارم الذي له حضور مهيب في قلبها.

عاد والد زهرة من السعودية قبيل انتهاء شهر رمضان بيوم واحد ، عاد ليلة وقفة عيد الفطر المبارك ، استقبلته الأسرة في ترحاب حار كما جرت العادة في كل مرة يسافر فيها إلى السعودية ، هو يسافر كثيراً نظراً لأنه يعمل في هذا المجال ، والد زهرة لديه شركة سياحة..

عاد الحاج أبو الفتوح ليجد فلذات كبده في انتظاره ، بكريته الدكتورة «إسراء» وزوجها المقدم حسام وصغيرهما عبدالله ، وابنه الدكتور عبد الرحيم وزوجته وفاء وصغيرهما الذي مازالت حبلي به ، وزهره وشقيقها صالح وآخر العنقود أسر.

ركضت زهرة نحو أبيها عند دخوله البيت ؛ عانقته وقبّلت يده في حرارة قائلة :

- حمد لله على سلامتكم يا بابا

بابتسامة كبيرة ربت على ظهرها قائلاً:

- زهرة أبيها..

سحبته من يده وأجلسته على أقرب أريكة ، فاسحة الطريق لصالح وعبد
الرحيم وأسر كي يدخلوا بدورهم وفي أيديهم حقائب أبيهم التي حملوها منه
في المطار عند استقباله ، سلمت «إسراء» على أبيها هي الأخرى قائلة :

- حمدلله على سلامتک يا بابا ، حسام وعبدالله نايمين جوه هصحيحم حالا،
معلش هما متعودين يناموا بدري..

- لا لا سيبيهم يا بنتي ؛ هريح شوية واستحي وانام ؛ تعباناان ؛ أبقى اسلم
عليهم الصبح إن شاء الله

- ايه يا بابا الشنط دي كلها ؛ مش قلنا بلاش تتعب نفسك

- جبت حاجات عشان شوار أختك ، ثم نظر غامزا لزهرة وأردف..

- يا رب يعجبوها بس

صمتمت زهرة ، فنظر أبيها إليها متعجبا :

- ايه يا عروسة ، ساكتة ليه مش زي عوايدك يعني

تلعثمت قائلة :

- أبداً يا بابا ، مالوش لزمة تتعب نفسك من دلوقت ، دي يدوب قراية

فاتحة يعني..

نظر إليها أبيها طويلا ، تجهم وجهها الشمعي ، نقلت شقيقتهما «إسراء» بصرها
بينهما ثم قالت:

- انت تعبان من السفر يا بابا ؛ لما ترتاح وتروق كده نبقي نتكلم في الموضوع

ده :

عقد حاجبيه كعادته عندما يشك في أمر ما أو يأخذه الفكر ونظر إليهما
بعينين حادتين..

- ماشي

استدركت «إسراء» في سرعة..

- حضرتلك الحمام يا بابا

نظر إليها بتعمق وبنفس الحدة :

- ماشي يا بنتي..

- وانا وزهره هنقوم نحضرلك الأكل زمانك جعان يا بابا..

لم يعقب ، بل قام وذهب للحمام مباشرة..

أثناء استحمام أبيها ، كانت زهرة واقفة بجوار شقيقتها «إسراء» في المطبخ

لتحضير الطعام لأبيهم، لكزتها «إسراء» قائلة :

- اجمدي شوية مش كده

- أعمل ايه يعني

- ولا حاجة ، بس موضوع انك تفركشي قراية الفاتحة مش هيبجي قفش مرة

واحدة مع أبوكي..

- ربنا يستر يا «إسراء»

- على فكرة أكيد هيتصل بأبوكي في العيد هيكون عرف أنه رجع..

- طب وأنا مالي ؛ مش عاوزة أشوف وشه تاني ، هو ياخذ حاجته وبالسلامة

، ده كابوس.. أوووف ، يخربيته دخل حياتي ربطتي ربطة سودا

- زهرة ، انتي هتفركشي عشان مش عاوزاه ولا عشان حد تاني؟

- حد تاني زي مين؟

غمزت لها «إسراء»..

- زي «هشام» كده

صممت زهرة ، ثم قالت في ضيق :

- خيلنا الأول في زفت ده لما أخلص منه..أصلا معتبرة نفسي خالصانة منه..

بذمتك ده واحد ينفع معايا؟ مقالش حتى كل سنة وانتي طيبة.. بيفكرني

بفيلم خرج ولم يعد أهو ده بقي فاتحة ولم يعد.. مش موجود في حياتي

ولا معاه رقم تليفوني ولا عندي على الفيسبوك ولا حد يصدق اني اتقرت
فاتحتي من شهر ونص ومعرفش حاجة عنه.

قالت «إسراء» في دهشة :

- حاجة عجيبة فعلا أول مرة أشوف كده ، أتمني بابا يتفهم ده

خرج الحاج من الحمام على ذكره ، جاء صوته وهو يقترب من المطبخ :

- متعملوش أكل؛ أنا هدخل أريح ، وصحوني الفجر بلاش تصحوني
عالسحور حتي.. هلكان وعاوز أرتاح.

ردت «إسراء»..

- حاضر يا بابا.. تصبح على خير

لم يعقب وانصرف في هدوء إلى غرفته وسرعان ما راح في سبات عميق ،
تركنا المطبخ وجلسنا نتحدثان بصوت أقرب إلى الهمس حتى لا يسمعهما
أحد من اخوتهما ، كل منهم في غرفته ، قالت زهرة :

- ما تبيجي في أوضتي عشان نتكلم براحتنا

- لا خليني هنا عشان لو عبدالله صحي أحس بيه

- طيب.. هدخل أوضتي بقي.. متخيطوش عليا في السحور

غمزت لها «إسراء» :

- ايه أخبار الفيسبوك

- بيسلم عليكي

- وحياة أمك!

انفجرت زهرة ضاحكة ، وضعت يديها على فمها كاتمة صوت الضحكة
وظلت تهتز كما لو هي هاتف على الوضع الهزاز ثم قالت :

- والله مفيش حاجة ، ومش بكلمه اليومين دول..

- مش قصدي على اليومين دول

ثم أردفت وهي تشد أذنيها :

قصدي على الأيام اللي فاتت..

- مفيش ، أعصابي بايظة ومضغوطة من غير حاجة ، عايضة أفوق من الكابوس ده وبعد كده نتكلم في موضوع «هشام» يلا تصبجي على خير بجد مصدعة جامد.

هربت زهرة إلى غرفتها قبل أن تنخرط «إسراء» في استجوابها، بمجرد أن دخلت غرفتها وارتمت على سريرها ، بكت ، شعرت بوحشة من دون «هشام» تفتقده كثيرًا ، لا يبرح تفكيرها ، وكذلك كلام وسن يرن في أذنيها (بلاش «هشام» يا زهره) استسلمت لدموعها التي انسابت على وسادتها داعية الله في أعماقها أن تكون المواجهة مع أبيها هينة وأن ينتهي هذا الكابوس.

اليوم التالي ، انهمكت هي واسراء في تهيئة البيت للعيد ، بينما كانت زهرة تضع ملابس والدها في الغسالة الأوتوماتيك ، احتفظت لنفسها بفانلة وظلت تشمها في حُب ، تفتقد رائحة أبيها ، تحب رائحة أبيها منذ أن كانت طفلة تنام في حضنه أحيانًا وتظل تشم رائحته ، أفاقت على صوت «إسراء»:

- بتعملي ايه يا هبله انتي

- بشم ريحة بابا.. بحبها خالص

- الفانلة كلها عرق.. وهدومه كلها عرق مطرح السفر والحر وانتي قاعدة

تشمي فيها؟!!!

- ملكيش دعوة.. بحب ريحة أبويا..

- عليكى حاجات غريبة..

- أبوكي فين صحيح

- في البيت الثاني عند مراته..

قالت زهرة بضيق :

- أمممم.. مش هيفطر معنا طبعاً ولا هيبات معنا وبكره العيد

- اه.. بس هيجي بعد الفطار شوية يقعد معنا

تنهدت زهرة ثم قالت :

- طيب

قالت «إسراء» مبتسمة :

- زهرة متدايقيش نفسك ، ده قدر، بابا وماما انفصلو من سنين ، وهو

اتجوز بعدها، بتحصل كتير على فكرة ، بكره لما بيقى ليكي بيتك وتتجوزي

صدقيني مش هيفرق معاكي الموضوع ده في حاجة هتتشغلي ببيتك وجوزك ،

بل بالعكس هتشفو في بابا وماما قدام عينيك وهتعرفي ازاي تحافظي على

بيتك ، بس لازم الأول تختاري صح عشان تعرفي تحافظي على بيتك..

- حلو أوي ، وصلنا لمربط الفرس ، لازم من الأول أختار صح ، عشان كده

بقي عاوزه افركش

- حقك يا زهرة ، لما بابا ييجي بعد الفطار هفتح معاه الموضوع ونشوف

هيقول إيه..

زفرت زهرة :

- يا ريبيبيت.. طبعاً هتقضي معنا العيد كله انتي وحسام بقي متسيبينش في

وش أبوكي لوحدي..

- لأ همشي تالت يوم طبعاً عشان نسلم على أهل حسام.. احنا قاعدين هنا

بس عشان رجوع بابا وموضوعك.. لازم نعيّد على بابا حسام ومامته طبعاً..

وبعدين هرجع بيتي عشان شغل حسام ومش بيبقي على راحته هنا انتي

عارفة بيتحرج.

- المهم متسيبينش أواجه بابا لوحدي

- حاضر يا وزه متخافيش..

استقبل والدها رغبتها بفسخ قراءة الفاتحة بدهشة ، لم يتقبل الفكرة نفسها، من وجهة نظره أنه لم يكن هناك سببا كي يتخذ هذه الخطوة ، انفجر كالرشاش في وجهها قائلا :

- ايه مش عاجبك فيه : الولد محترم وابن ناس ، وأنا خلاص اديت كلمة للناس ، مش هرجع فيها مدام مشوفناش منهم حاجة وحشة..

انكمشت بجوار «إسراء» وكأنها تحتمي بها من نظرات أبيها النارية..

- يا بابا أنا مقولتني اني شوفت حاجة وحشة ، أنا أصلا مشوفتني أي حاجة منه ، بس أنا مش مرتاحة للموضوع ، مش عاوزه أكمل..

- انتي قعدتي معاه مرة واحدة ، ملحقتيني تحكمني عليه لسه

- يا بابا أهله حتى متصلوش بينا يقولو كل سنة وانتو طيبين في رمضان.. ولا كأنه قرا فاتحة

- عشان أنا مسافر فهو مينفعش يتصل ولا يتكلم وأنا مش موجود..

- أيوا يا بابا بس أنا صليت استخارة وقلبي مقبوض..

- على فكرة أنا اتصلت بهم وعرفتهم اني رجعت.. وقتله تعالي في أي وقت في العيد.. قالي جاي بكره

قالت معترضة :

- ليه يا بابا مقولتليش، مش عاوزه اقبله ، عاوزه أفرکش..

نظر إليها أبيها بصرامة شديدة حتى إنها تسمرت كمن ينتظر نتيجة الامتحان.. وقال باقتضاب شديد :

- هتقابليه والجذمة فوق رقبتك.. وبعد ما تقعدني معاه نبقي نشوف الموضوع ده.

قامت بسرعة كمن لدغتها أفعي وركضت نحو غرفتها ، انهارت على سريرها، ظلّت تبكي ليلة العيد وكأنه لم يكن عيداً؛ لم تشعر بفرحة العيد ، كانت ليلة قاسية ، ظلّت تبكي حتى تَوَرمت جفونها، أفاقت على شاشة هاتفها

تضيء بجوارها، كان المتصل «هشام» لا شك أنه افتقدها لمدة ليلتين.. وتلك كانت الليلة الثالثة ، اتصل عليها ثلاث مرات ، كانت تنظر إلى شاشة هاتفها وهي تبكي بقهر، لم ترد..

أربكه اختفاؤها المفاجيء ، أما هي فكانت تشتاقه بعنفوان ، ولكنها اتخذت قرارا ألا تكلمه ثانية حتى تنتهي من ورطتها.. حتى تتخلص من قيودها.. حتى تفيق من ذلك الضغط النفسي الكابس على صدرها حد الاختناق.. هدها السهر والبكاء فنامت بعد صلاة الفجر.. كانت تصل إلى مسامعها تكبيرات العيد..

الله أكبر الله أكبر الله أكبر.. لا اله إلا الله

الله أكبر الله أكبر.. والله الحمد

الله أكبر كبيرًا والحمد لله كثيرًا وسبحان الله بكرة وأصيلا

لا إله إلا الله وحده.. صدق وعده.. ونصر عبده.. وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده

لا إله إلا الله.. ولا نعبد إلا إياه.. مخلصين له الدين ولو كره الكافرون

اللهم صلى على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وعلى أصحاب سيدنا محمد وعلى أنصار سيدنا محمد وعلى أزواج سيدنا محمد وعلى ذرية سيدنا محمد وسلم تسليمًا كبيرًا

استيقظ كل من البيت، أختها صالح وآسر وإسراء وزوجها حسام وصغيرهما عبدالله ، تعالت أصواتهم في البيت، طرقت «إسراء» باب غرفتها ودلقت قائلة :

- كل سنة وانتي طيبة يا وزه يلا عشان تيجي تصلي معانا العيد
قالت بصوت ناعس..

- أنا يدوب لسه حاطه راسي عالمخدة بعد ما صليت الفجر، مش هقدر أجي

- يا بنتي ما تنكديش على نفسك النهارده عيد وتعالى معنا يلا فرفشى شوية
وابقى نامي بعد ما نرجع من الصلاة

- عيد؟! هو فين العيد ده والغراب اللي هيشرف النهارده وجاي ده

- أستغفر الله العظيم ، غراب ايه بس ، يا بنتي قابليه وريحي أبوكي ، وبعد
كده قوليله مش عاوزة أكمل ، ما ينفعش تعانديه انتي عارفه أبوكي دماغه
ناشفة

- روجي يا «إسراء» الله يكرمك وسيبيني عاوزة أنام..

- على كيفك مانتو عيلة كلها دماغها ناشفة..

تركها شقيقتها تغط في سبات عميق، نامت وكأنها في غيبوبة ، لم تفق منها
إلا على صوت «إسراء».. كانت تهزها قائلة :

- زهرة.. زهرة.. زهرة اصحي

فتحت جفنها المتورمين بصعوبة والذين قد ازدادا انتفاخا بفعل النوم،
وجدت شقيقتها «إسراء» ووفاء زوجة شقيقتها عبد الرحيم ، قالت بصعوبة :

- ايه في ايه.. هي الساعة كام؟

أجابت وفاء :

- الساعة 3

قالت «إسراء» في مرح كي تخفف من توتر الموقف :

- قومي ؛ سبع البرمبة وصل

انتفضت كمن أصابها صاعقة ثم جلست على السرير وهي تفرك عينها
محاولة استيعاب الموقف ، ثم قالت بصوت قد بدأ البكاء يتسلل إليه :

- مش هقابله..

- بطلي هيل ؛ أبوكي واخواتك وحسام قاعدين معاه في الأنتريه ، يلا قومي

اغسلي وشك وفوق كده البسي حاجة عدلة

نفضت رأسها وكأنها في كابوس :

- مش هقابلة يعني مش هقابلة

قالت وفاء متوسلة :

- أبوس إيدك يا زهرة قومي اجهزي ؛ خايفة عليكي من أبوكي ؛ اتقي غضبه
في هذه اللحظة كان أبوها قد بدأ يشعر بتأخرها ؛ فأمال على أذن شقيقها
الأكبر الدكتور عبد الرحيم وهمس له في لهجة قاسية :

(قوم شوف أختك اللي هتكسفنا مع الناس، قوم بدل ما أقوملها بنفسي)

استوعب عبد الرحيم لهجة أبيه فقام حتى لا يحدث ما لا يحمد عقباه .

دلف عبد الرحيم غرفتها ، فوجدها مازالت في سريرها وإسراء ووفاء
تتضرعان إليها، بمجرد ما رأته «إسراء» شهقت قائلة :

- شوفتي أهو أبوكي حس وبعث عبده ، قومي ربنا يسترك خلي اليوم يعدي

جلس عبد الرحيم بجوار زهرة ومسح على شعرها قائلا :

- ايه يا وزه.. خليكي عاقلة عشان الليلة تعدّي ، أنا عارف ان مش على
هواكي ، بس اقعدي معاه المرة دي عشان أبوكي ما يبقاش ليه حجة لما أتكلم
معاه ، أنا ساكت لحد دلوقت وسيبتك انتي واسراء تكلموه عشان ميحسش
اننا زُباطية ويعند ، استهدي بالله وقومي..

قالت وقد اغرورقت عينها بالدموع :

- أمري لله ، وكلت أمي إليك يا رب ، ليقضي الله أمرا كان مفعولا

قال عبد الرحيم موجه حديثه لاسراء ووفاء:

- لبسوها ، هقوم أروح لأبويا عشان منلاقهوش فوق دماغنا دلوقت وتبقي
مصيبة

قالت وفاء :

- أوك، دقايق وهتكون جاهزه

عندما عادت زهرة من الحَمّام بعد ما غسلت وجهها وأسنانها بالفرشاة ،
وجدت «إسراء» قد أخرجت لها من الدولاب فستانا رقيقا فيروزي اللون ،
وقالت لها:

- هيبقي جميل عليكى..

- ايه اللي بتعمليه ده.. والله مانا لابساه

قالت وفاء في دهشة :

- أومال هتلبسي ايه يا وزه

لم ترد زهرة ، فتحت دولابها وأخرجت منه عباءة سوداء وطرحة سوداء ثم
لوّحت بهم لوفاء واسراء..

أرادت وفاء أن تثنيها عن اختيارها إلا أن إسراء أشارت لها غامزة ثم قالت..

- أوك يا وزه البسي اللي تحبيه بس شهّلي بقي عشان أبوكي

قالت زهرة بامتعاض :

- أديني بتنيل بلبس أهو..

تدخلت وفاء قائلة :

- طب سيبيني أمكيحك طيب ، هعملك مكياج simple

قالت زهرة وهي تلف طرحتها بعدم اكتراث :

- مش هحط حاجة

- يا بنتي معقولة هتطلعي كده ، عينيكى منقّخة يا وزه

قالت بضجر :

- منقّخة منقّخة يا رب يحس على دمه ويغور

ثم أردفت بغیظ شديد :

- ده مش بيفهم رسعي ، هو في حد يروح يزور الناس أول يوم العيد وكمان

الساعة 3 بعد الظهر في الحر ده ؛ مش طايقااه

قالت «إسراء» بلطف وهي تضع هاتفها على أذنها :

- طب اهدي ، برن لعبده أهو عشان يبجي يخرّجك
جاء عبد الرحيم على الفور وبمجرد أن وقعت عيناه على زهرة اتسعتا عن
آخرهما :

- انتي مسوداها كده ليه !؟

- مسوداها على دماغه ، يلا خدني خلينا نخلص
ابتسم عبد الرحيم ثم مدّ لها ذراعه اليميني في إشارة منه كي تتأبطه ، لم
يذهب بها إلى حيث يجلس الجميع ، نظرا لأنها عارية الوجه وكان حسام زوج
«إسراء» جالسا معهم ، لذا ذهب بها إلى الصالون وأجلسها على الأريكة ، ثم
راح وأخبر والده أنها جاهزة فأشار والدها بيده لقاريء الفاتحة قائلا :

- طب اتفضل مع عبد الرحيم

انتفخت أوداجه عن آخرهما وقام من مجلسه وهو يعدل من بذلته وذهب
مع عبد الرحيم حيث زهرة.. بمجرد أن رآها حياها دون أن يكثرث للملبسها
قائلا :

- ازيك يا زهرة عاملة ايه ؟

أجابته باقتضاب وهي جالسة في مكانها دون أن تنظر إليه :

- الحمد لله

استأذن عبد الرحيم وتركهما وعاد إلى أبيه الذي تجهم وجهه وقال :

- سيبتهم لوحدهم ليه ؟

- يعني يا بابا حسيته محرّج مني..

نظر إليه بحدة ثم أمر صالح قائلا :

- قوم يا صالح روح اقعد معاهم..

قام صالح على الفور.. ولم يعقب..

استأذن عبد الرحيم والده قائلا :

- طيب يا حجيج أنا هستأذن أنا ومراتي بقي عشان لسه هنعيّد على أهلها ،
تأمرني بحاجة؟

- ماشي روح ، بس ابقني عدّي عليا في المكتب ؛ عاوزك
انحني عبد الرحيم على يد أبيه يقبلها كعادته :

- حاضر يا حجيج

ثم نادي على وفاء التي سلمت على حماها قائلة :

- كل سنة وانت طيب يا عمو..

- وانتي طيبة يا بنتي ، سلميلي على الوالد والوالده واخواتك وقوليلهم كل
سنه وانتو طيبين

- يوصل يا عمو..

انسحب عبد الرحيم في خفة من بين شرك أبيه الذي كان الشرر يظهر جليا
في عينيه ، هو قلق لا يعلم ما يحدث الآن بين ابنته وقاريء الفاتحة ، ولا
يعلم ما الذي ستؤول إليه علاقتهما.

كانت «إسراء» قلقة للغاية على شقيقتها ، جلست في غرفتها بعيدًا عن أبيها
الذي لم يتبق في المجلس غيره هو وصغيرها عبدالله وشقيقتها أسر آخر
العنقود بعد أن نادى زوجها حسام الذي كان مندهشا من توترها الملحوظ ،
حتى إنه علّق قائلا :

- في ايه يا «إسراء»؟

- قلقانة خالص يا حسام ، تخيل لبست عباية سودة وطرحه سودا
ومحطنتش حاجة على وشها

انفجر حسام ضاحكا عن آخره :

- طب والله زهرة دي دماغ لوحدها

قالت «إسراء» بصوت مختنق:

- عيني عليها ، فرحها مكسور

- ما تكبيريش الموضوع يا سو ، الموضوع هيتفركش وخلص ، صحيح عمي
دماغه ناشفة بس مش معقولة هيجوزها غصب عنها يعني..

- يا رب يا حسام ، يسمع منك ربنا..

في الحقيقة كان ما يقلق إسرائ على زهرة ليس موضوع فسخ قراءة الفاتحة
فحسب ، صحيح أنها تعرف أن والدها صعب الطباع ولكن ما كان يقلقها
أكثر هو تعلق زهرة بهشام ، كانت «إسرائ» تدرك جيداً أن زهرة وقعت به ،
لذا كانت قلقة جداً ؛ فهي تخشي عليها منه ، هي لا تعلم عنه شيئاً ، لا
تدرك هل هو يبادل شقيقتها نفس المشاعر أم لا ، كانت تخشي على زهرة من
أن تُصدم فيه.

كانت زهرة في موقف لا تُحسد عليه عندما تركها عبد الرحيم جالسة مع قاريء فاتحتها في الصالون وحدهما ظلت صامته بينما هو ظلّ يتأملها من قمة رأسها حتى أخمص قدمها وهي جالسة في ضجر شديد، لا تنظر إليه مُطلقا، رغم أنها لم تضع على وجهها أي زينة إلا أن اللون الأسود انعكس على بشرتها الشمعية فأضفي عليها جاذبية خاصة ، وكما تقول أحلام مستغانمي: إن الأسود يختار سادته.. كانت عينا قاريء فاتحتها تأكلها بنهم حتى جاء صالح وحياهما وجلس منزويا في ركن الصالون في ملل واضح ، فهو ما كانت له رغبة في الجلوس معهما لولا أنها أوامر الحاج ، كما أن صالح كان لا يطيقه، ربما هو حدسه الأخوي وربما هي غيرة الأخ الأصغر عندما يأتي رجل ليتزوج أخته فهو يشعر وكأنه سيخطفها منه.

بعد ما عاين البضاعة واطمئن قال قاريء الفاتحة مفتتحا الحديث بابتسامة واسعة أظهرت أسنانه عن آخرها :

- كل سنة وانتي طيبة يا زهرة

لم تقل له (وانت طيب) كالمتوقع على أقل تقدير، بل قالت وهي تنظر له بازدراء..

- شكرا

تلقي الصفحة ؛ اعتدل في جلسته بعدما كان يجلس وكأنه في بيت أبيه وقال لها..

- أنا التزمت من فترة ، وقربت جامد من ربنا، وبطلت أسمع أغاني ، وبفكر أربي لحيتي إن شاء الله..

- وده يخصني في إيه؟ انت فاكرني عشان منتقبة يبقي حاجة زي كده هتفرحني؟ على فكرة لو ده السبب اللي خلاك تفكر ترتبط بيا تبقي غلطان.. تلعثم في كلامه وكأنه طفل صغير..

- لا مقصدش.. أنا بس قص..

قاطعته في لهجة قوية هادئة وعنيفة :

- قولي هو على فرض لو احنا كملنا مع بعض ، ودخلت عليا البيت لقيتني بتفرج على التلفزيون وبسمع مسلسل مثلا هيكون رد فعلك إيه؟ على فكرة بقي أنا بسمع أغاني وبروح السينما كمان..

هنا تدخل شقيقها صالح وقال موجها حديثه لقاريء الفاتحة :

- على فكرة زهرة بتكتب شعر وتعمل حفلات وتحضر ندوات يعني زهرة مش بالصورة النمطية اللي انت رسمتها في دماغك عنها..

ابتسم وهو يوارى خيبته واصل :

- دي حاجة جميلة على فكرة

قالت هي :

- على فكرة بكتب شعر رومانسي وبقوله على الموسيقي كمان ومش هبطل أحضر ندوات ولا حفلات لحد ما أموت لأنني مقتنعة تمامًا باللي بعمله..

سألها :

- هو انتي اخرجتي صح

- آه

- وناوية تستغلي؟

- أكيد

- طب ازاي هتستغلي وانتي منتقبة؟

- زي الناس ، اوعي تكون فاهم ان النقاب عائق ليا في أي حاجة في حياتي أو نقطة ضعف أسمح بيها لأي حد إنه يستغلي أو يقلل من كياني.

أطرق برأسه يفكر قليلا وكأنه يعيد حساباته فقد أدرك أن الجلوسة أمامه ليست هي (القطعة المغمضة) أو (قطعة الأثاث) التي سيضعها في بيته ويسيرها كيفما يشاء

في هذه اللحظة كانت تنظر إليه ولوهلة تخيلته «هشام» تمنّت أن يكون «هشام» جالسًا على هذا الكرسي بدلا منه ، استحضرت صورة «هشام» في خيالها فوجدت نفسها تبتسم في ألم ، شتان بينه وبين الجالس أمامها ، زفرت في حسرة ثم بادرتة بالسؤال قائلة :

- ايه رأيك في الفيسبوك؟

تغيّرت ملامح وجهه كلياً ، لم يبد لها رأيه في الفيسبوك ، بل جاءت إجابته لتكشف عن رداءة فكره ومدى تخلفه :

- لأ ، أنا مسمحش إن زُوجتي يكون عندها فيسبوك

جاء صوتها مندهشا :

- ليه؟ هو مين دلوقت معندهوش فيسبوك وإنترنت في بيته ، انت عندك فيسبوك؟

قال بنفس التعنت الذي لم يفارق لهجته :

- أه عندي فيسبوك وياهو وبعمل شات مع صحابي ومع girls ، بس بمجرد ما أتجوز هبطل الكلام ده كله ؛ لأنني مقبلش أن زُوجتي هي كمان تعمل شات وأنا مش موجود في البيت ولو حتى مع صحباتها البنات..

كادت تبصق في وجهه أو أن تصرخ فيه وتقول بملء حنجرتها (يا متخلف) إلا أنها تحكمت في أعصابها وقالت بلهجة هادئة :

- بعد اذنك..

قامت من مكانها في خطوات سريعة تاركة إياه منتشيا بأفكاره الغبية ، حتى إن صالح شقيقها كان قد غلبه النوم وهو جالس ، ارتفع شخيره ليعلن انتهاء المقابلة ، عادت إلى حيث مجلس أبيها.. بمجرد أن رآها سألهما بقلق..

- ها ايه الأخبار؟

جاهدت كي ترسم ابتسامة مزيفة على وجهها :

- الحمد لله ، بس واضح أنه عاوز يمشي يا بابا ، ممكن حضرتك تدخل ليه وتوصله.

تركت أبها وسط دهشته ، وذهبت إلى غرفتها ولم تعقب.

دلف الحاج إلى الصالون فوجد صالح يعزف سيمفونية عالية بشخيره فهزه بقوة ، انتفض صالح واعتدل جالسًا في حرج ، قام قاريء الفاتحة من مكانه محييا الحاج ، أشار له الحاج أن يجلس ، وجلس بدوره يسأله :

- ها ايه الأخبار؟

- كله تمام يا عمي ، ممكن زهرة وحضرتك والشباب تبقو تيجو تشوفو الشقة في أي وقت عشان هي تختار الديكور والألوان بنفسها..

قال الحاج مندهشا :

- بسرعة كده؟!

- أيوه يا عمي أنا مرتاح جدًّا ، وان شاء الله زهرة تكون كده

- طيب يابني.. هنبقي نشوف معاد يناسب ونكلمك

- ان شاء الله يا عمي ، طب أستاذن أنا بقي..

- خليك شوية يابني

- لا معلش مرة تانية إن شاء الله

- قوم يا صالح وصله

قام صالح وأوصله كما أمر الحاج ، دقائق ونزل الحاج إلى مكتبه دون أن يتحدث مع زهرة ؛ فهو يظن أن كل شيء على ما يرام وأن ابنته ستقبل بهذه الزيجة ، وأن تمنعها ما كان إلا دلع بنات في رأيه ، ساد الهدوء في تلك الليلة ولكنه كان الهدوء الذي يسبق العاصفة..

ظلت صامتة طوال أيام العيد ، لم تناقش أبها في أي شيء ، كل ما قالته لاسراء قبل أن تغادر البيت هي وزوجها حسام (اللي ربنا عاوزه هيكون) سلّمت عليهما وقبّلت صغيرهما عبدالله..

خامس أيام العيد أو بالأحرى بعد انقضاء عيد الفطر بيومين في الصباح الباكر لعلها كانت الثامنة صباحا كان الشوق ل«هشام» قد بلغ منها ما لا يُحتمل : هاتفته ، ردّ عليها محمد فوزي..

(ماما زمانها جاية..)

جاية بعد شوية..

جاية لعب وحاجات

جاية معاها شنطة

فيها وزه وبطة

بتقول واك واك ويااa

ظلت تكرر الاتصال وهي تبتسم ، أما هو فكان نائما في سبات عميق ، ظل هاتفه يرن في إلحاح ، تقلب في سريره عسي الهاتف أن يصمت ولكن لا مفر ، التقط الهاتف بعينين مغمضتين ؛ رد بصوت نائم تماما دون أن ينظر لشاشة الهاتف :

- ألو

بابتسامه ورح وحب واضحين جدًّا في صوتها قالت :

- ازيك يا «هشام».. عامل ايه ؟

كان غائبا عن الوعي.. لم يفق بعد لذا قال :

- مين معايا؟

قالت بدهشة..

- زهره

صمت ، بدأ يستعيد وعيه ، لم يسألها عن حالها أو كيف هي ، رغم أنه كان يفتقدها طوال تلك الأيام وحاول الاتصال بها كثيرًا حتى ثالث أيام العيد ، قال لها بصوت معاتب يحمل كسلا دافئا من أثر النوم ، ما جعل صوته يفتتها عن آخرها وينسبها كل همومها بل ينسبها اسمها :

- أنا زعلان منك على فكرة

ظلت صامتة حتى تفيق هي الأخرى من صوته الصباحي الساحر، سألته
بسعادة بادية في صوتها :

- ليه بس؟

بنفس اللهجة الدافئة المتكاسلة المعاتبة التي لم يعرف كيف أذابتها وكم
دوّختها ردّ :

- عشان اتصلت بيكي كثير ومكنتيش بتري عليا

- عندي ظروف صعبة ومكنت...

قاطعها :

- بصي بصي بصي ، أنا مش مركز دلوقت أول ما هفوق كدة هكلمك ،
أوك؟

ودّت لو ظلّت تسمع صوته النائم هذا إلى ما لا نهاية.. ما كانت ستمل أبدا..
صوته هذا كان يحملها إلى عالم خاص.. عالم هو وحده قادر على صنعه..
ودّت لو بقيت طوال حياتها معه في هذا العالم الخاص.. معه فقط.. تمنّت
لو هاتفته كل صباح وهو نائم.. فقط لترتوي من عذوبة تلك اللهجة في
صوته!

- أوك.. هستناك

أنهت معه تلك المكالمة القصيرة التي كانت بمثابة مخدّر واسع المجال!
استسلمت لهذا الخدر اللذيذ الذي سري في أنحائها.. استلقت على سريرها
وهي تبتمس في وجد.. ظل صوته النائم المتكاسل يتردد في أذنها.. ما كان يخطر
على بالها أن صوته وهو نائم بهذا السحر! يا الله.. حفرت تلك المكالمة في
ذاكرتها، بل إنها كلما كانت تشتاقه أو تشعر بوحشة فيما بعد كانت تغمض
عينها وتستحضر تلك المكالمة أو بالأحرى تستحضر صوته.. تلك اللهجة
القاتلة.. ذلك السحر.. ذلك الكل شيء فتشعر بارتواء لا يُضاهى!

كيف لرجل أن يكون صوته بهذا السحر الطاغي وهو نائم.. رجولة طاغية لا تحتملها هي! فما بالها إن حظيت بالنوم بجواره! دعت رَّبَّها بأن يكون هذا الـ«هشام» الذي هَسَّم قوتها بأن يكون هو زوجها.. دعت رَّبَّها بأن تحظي بالنوم بجواره بقية عمرها وبأن تحظي به في الجنة أيضا..

قبيل الظهيرة دق هاتفها ، وكان المتصل هو «هشام» كان قد استيقظ من نومه وفي كامل وعيه بعد أن غيَّبها هي تمامًا عن الوعي! أتاه صوته على الهاتف مُستاقا معاتبا دافئا :

- ايه يا زهرة مختفيه ليه ، مبتديش على تليفوناتي ، ولا حتى بتدخلني فيسبوك ، في إيه؟

لا إراديا فاضت دموعها بمجرد أن سمعت صوته ، حاولت أن تتماسك ، خذلها صوتها الذي خرج مهزوزا وهي تقول :

- لا مفيش

- متأكدة؟ حتى كلمتك أقولك كل سنة وانتي طيبة في العيد وانتي مفيش أي حاجة..

- معلش ظروف

- انتي عاملة ايه و.. خطيبك ؟

ثم استدرك مبررا :

- طيبعي اني أظمن عليك انتي وأسرتك ، صحيح باباكي رجع؟

صمتت ولم ترد ؛ فسألها :

- سكتي ليه، انتي في حاجة، مالك؟

قالت بضيق :

- مش خطيب

- خلاص سوري اللي قاري فاتحتك

- أنا هفركش

صمت قليلا.. ثم قال :

- ليه

- كده مش مرتاحة أصلا ، أنا كنت مستنية لما بابا بيعي وقلته خلاص

- طب ده يخليكي متريش عليا؟ طب ماشي مش عاوزه تردى أولك.. طب ليه

مش بتدخلي فيسبوك؟ انتي فيكي حاجة على فكرة

لم تستطع أن تخبره أن فسخ قراءة فاتحتها ليس بهذه السهولة كما يتصور

فهي أرغمت على مقابلته.. وهي على مشارف حرب ضروس بينها وبين أبيها

حتى تستطيع الخلاص.. إلا أنها قالت في لهجة لم تخف حزنها..

- ادعيلي يا «هشام»

قال في لهجة حانية :

- ربنا معاكي يا أمي..

طريقة نُطقه لها.. (يا أمي) أخذتها لعالم آخر.. عالمه الخاص.. كم كانت

تعشق هذه الكلمة منه.. هل لأن هذه الكلمة هي أول لقب ناداها به يوم

الحفل؟ بداية تعرفهما عندما كانت تبكي وسألها عن اسمها ورفضت أن

تخبره.. ربما! هل لأنه ينطقها بلهجة عفوية مفعمة بالمشاعر؟ فعندما ينطقها

يضخ حنانا.. أم لأنه عندما كان ينطقها ويلقبها بها فيما بعد في مواقف معينة

وكانه يخبرها بها عن عمق قربتها له.. فلا أحد أقرب له من أمه.. حتى إن

نغمة هاتفه تتحدث عن الأم! هو نفسه قالها لها من قبل ذات ليلة في

بداياتهما (أنا أمي أغلي حاجة عندي).. إننا لا نتحدث عن أقرب وأحب الناس

إلينا إلا لأقرب وأحب الناس إلينا! أو من يُمثّلون في قلوبنا منزلة خاصة

عميقة الجذور.. هكذا هي تُؤمن.. لذا كانت تود تقبيله كلما ناداها بها (يا

أمي)!

أعادها مرة أخرى إلى هذا العالم في رقّة وعذوبة..

- ابقى طمنييني عليكي..

- هبقي أدخل فيسبوك

- هستناكي.. مش عاوزة حاجة يا زهره؟

- خلي بالك من نفسك

- حاضر..

بتلقائية طفلة قالت..

- لا إله إلا الله

- محمد رسول الله..

أنهت الاتصال ولأول مرة قبلت هاتفها ودموعها تنهمر كالسيل.. مكالمة «هشام» دعمتها معنويا.. أشعرتها بالقوة.. أعطتها جرعة صمود وشجاعة كي تواجه أبيها.. كانت في أشد احتياجها لهذه المكالمة.. ظل صوته يرن في أذنيها.. ويبعث في قلبها الطمأنينة.. كم من مشاعر أثارتها مكالمته.. صوته القلق المعاتب المشتاق الذي حمل إليها الكثير من المعاني الجميلة.. اجتاحتها تلك الرغبة العارمة في الكتابة.. كتبت خاطرة جديدة له استوحتها منه من تلك المكالمة.. من صوته الدافئ الحنون.. تعبر فيها عن مكنونها.. كتبت..

انت حنين أوي أوي يا بختي بيك

كنت فين.. ده أنا بحلم بيك

أبقي حبيبتك و أفضل ليك

تاخديني ف حضنك وايدي ف ايديك

و لما هشوفك هجري عليك

و هيتقابلوا عيوني ف عينيك

هحكي حكاية

بيني و بينك

جوا ف بيتنا

و مقفولة علينا بيبان شبابيك

في اليوم التالي كانت ذاهبة إلى الكلية كي تستخرج إفادة رسمية بدرجاتها وتقديراتها وتتابع الإجراءات الروتينية بمكتب شئون الخريجين بالجامعة حتى يتسنى لها استخراج شهادة الليسانس.. وقبل أن تذهب للكلية عرجت على والدها في مكتبه ، بمجرد أن رآها ابتسم وقال :

- رايحة فين يا عروسة ؟

- الكلية عشان أخلص وريقي وإجراءات استخراج الشهادة وكده

- طيب ربنا معاكي..

ظلت واقفة في مكانها فظنها تحتاج مالا ، أخرج رزمة من الأموال من جيبه وأنفق عليها بسخاء إلا أنها قالت :

- معايا فلوس ، بس كنت عاوزه أديك حاجة :

أخرجت من حقيبة يدها علبة صغيرة وناولتها لأبيها ، أخذ يقلب العلبة في يده متسائلا :

- ايه ده؟

- خاتم قراية الفاتحة

قال مندهشا :

- ليه؟!

قالت بتوسل وبصوت أقرب للبكاء :

- بابا أرجوك افهمني.. أنا مش هينفع خالص أكمل مع الشخص ده.. والله يا بابا ما هينفع..

- مش هتبطلي دلح البنات ده.. الواد محترم وجد.. ده حتى طلب نروح نشوف شقتك وتختاري الديكور بنفسك..

- ده كله لا يعني يا بابا.. أنا سمعت كلامك وقابلته وصليت استخارة كتير

بعدها ومش مرتاحة خالص..

- يعني ده آخر كلام عندك؟

- آه

قال بغضب:

- طب يلا اطلعي البيت ومش هتروحي الكلية.. وسحب نقوده وقال..

- ومفيش فلوس

قالت بعناد :

- وماله..

ثم خرجت وعادت أدراجها للبيت كما أمرها الحاج ، إلا أنها شعرت بالانتصار داخلها ؛ فأول الغيث قطرة ، وتلك الخطوة كانت البداية.

دخلت غرفتها وخلعت عن وجهها النقاب ، وقفت تتأمل نفسها في المرآة وكأنها تتعرف على نفسها وشردت قليلا ، أفافت على صوت هاتفها يدق ، نظرت إلى شاشة الهاتف كانت «إسراء» هي المتصلة.. ردّت بصوت هادي :
- ازيك يا «إسراء» ؟

جاءها صوت إسراء منفعلا للغاية :

- ايه اللي عملتية مع أبوكي يا ست هانم ؟
قالت بدهشة :

- معملتش حاجة ، اديته الخاتم وقتله مش هكمل
- بس؟

- آه والله.. حصل ايه بقي

- لسه قافلة معاه دلوقت.. كلمني وكان بيزعق على آخره.. وقالي أنه هيووريكي أيام سودا.. مفيش خروج تاني وهيقعدك في البيت.. قالي كنت عاطفها حريتها في كل حاجة تخرج ماشي.. تاخذ كورسات ماشي.. لو ده هيخليها تتعوج وتعصاني خلمها تدوق عيشة البيت بقي.. وقالي مش هصغر نفسي مع الناس وأرجع في قرابة الفاتحة مدام مشوفتش منهم حاجة وحشة..

كانت زهرة تستمع إليها بتركيز وهدوء شديدين وعندما سكنت أختها قالت..

- خلّصتي كلامك؟ ده كل اللي حصل؟

- ايه الهدوء ده ، انتي مش خايضة؟ ده أبوكي ناويلك على نية هباب
قالت زهرة وقد بدأ الغضب يكسو صوتها :

- كل ده عشان مستكبر يرجع في كلامه مع الناس شايفها عيبة؟ مش هامه بنته لكن اللي يهمه منظره قدام الناس!! ايه المنطق الغريب ده.. طب فرضا لو العريس ده هو اللي مش عاوزني وقرر ما يكملش ولو حتى قبل الفرح بيوم

حد هيقدر يمنعه؟ أهله هيفكروا في منظرهم؟ هو احنا هنفضل مجتمع
عنصري ومتخلف بييجي على البنات ويظلمها لامتي؟ مش عاوزاه يعني مش
عاوزاه خلصنا والشرع والقانون والإنسانية بيدوني الحق ده.. ومهمنيش
أبوكي هيعمل فيا ايه ولا هيعاقبني على ذنب ماعملتوش أصلا مدام هخلص
من الحيوان المتخلف ده

- حيوان متخلف؟

ارتفع صوت زهرة وقد وصل غضبها وقهرها للذروة على ذكر قاريء الفاتحة :
- أه حيوان ومتخلف.. قال ايه يقولي مقبلش زُوجتي يكون عندها فيسبوك
وتعمل شات حتى لو مع صحباتها البنات.. ولما سألته طلع عنده فيسبوك
وبيكلم.. وقال ايه يقولي هبطل لما أتجوز.. أساسا ده واحد معندوش مبدأ..
ده غير اللي قاله في الأول بقي.. هربّي لحياتي ومبسمعش أغاني.. على فكرة
انتي حسابك معايا بعدين يا «إسراء» على العريس الزفت ده.. هو مش أخو
سهي صاحبتك؟ وقعدتي تقوليلي قبل ما ييجي البيت خالص ده شاب جميل
ومنفتح وهيسيبك براحتك تكلمي وتدرسي.. لو كنتي قولتيلي على الحقيقة
من البداية كان زماني ارتحت من الجحيم اللي عايشة فيه ده..

قالت «إسراء» مدافعة عن نفسها..

- طب والله العظيم أنا اتصدمت زيك ويمكن أكثر.. سهي قالتلي فيه شعر..
وأنا صدقتها لأن انتي عارفة سهي عاملة ازاي.. سهي طيبة خالص.. ومن يوم
ما شافتك بتجيلي الكلية وهي معجبة بيكي وطلبتك مني لأخوها..
ارتفع نحيب زهرة حتى إن شهادتها العالية كادت تمزق صدرها وهي تصرخ في
انهيار تام :

- ببقى زي ما دبستي في الكارثة دي تخرجيني منها.. بدل ما أفضل أدعي
عليكي العمر كله.. انتي السبب في القرف اللي أنا فيه ده.. دخلتي أخو
صاحبتك البيت بعد ما رسمتيلي عنه صورة كدابة.. جه ربطني ربطة سودة

زي ما الجاموسة بتتربط في الساقية وتفضل تلف.. شهر ونص و أنا عمالة
ألف وقدام الناس فاتحتى مقرية.. والحقيقة اني مشوفتوش غير مرة واحدة..
حد يصدق كده؟ وبعدين أجبرتوني أني اقبله تاني واكتشفت قد ايه متخلف
وبرضو بتضغطو عليا عشان أكمل.. هو انتي وابوكي إيه؟ مفيش في قلوبكم
رحمة؟ حرام عليكم.. منك لله يا «إسراء» انتي السبب
قالت «إسراء» بصوت عاتب تخنقه الدموع..

- كده برضو يا زهره؟ على العموم مش هزعل منك عشان مقدرة اللي انتي
فيه ، بس انتي أكيد من جواكي عارفة قد ايه نفسي أفرح بيكي واطمن
عليكي ، استحالة هأذيكي يا زهرة ، انتي مش اختي الصغيرة وبس، انتي بنتي..
كانت زهرة تنتحب عن آخرها، حتى إن أصوات نشيجها وتهديداتها كانت
عالية حارة ، ارتفع صوت بكائها وهي تصرخ :
- مش عاوزه أسمع صوتك تاني ولا تكلميني تاني غير لو هتقوليلي خبر واحد
بس انتي عارفاه..

ثم أنهت المكالمة دون أن تسمع ردا من شقيقها ، أغلقت هاتفها وانهارت
باكية.. ظلت تنتحب دون توقف حتى أعيها البكاء ونامت كقتيلة.

هاتفت «إسراء» شقيقها عبد الرحيم ، وأخبرته بما حدث ،طمأنها أنه
سيذهب في الليل إلى أبيه في المكتب ، أملا أن يكون غضبه قد هدأ
وسيتحدث معه في هذا الموضوع ، وأنه سيبدل أقصي جهده حتى يقنعه.
في تلك الأيام الصعبة كانت تفتح الفيسبوك قليلا.. تبث كآبتها وحزنها من
خلال كتابات قصيرة على صفحتها الشخصية.. لم تكن تصادف «هشام»..
هاتفته ذات مرة فلم يرد عليها.. تركت له رسالة نصية.. جملة من ثلاث
كلمات..

I need you...

هاتفها في المساء.. في تمام العاشرة.. دقّ هاتفها وكانت تنتظره.. ردّت على الفور..

- ازيك يا هشام ؟

- تمام الحمد لله.. انتي عاملة ايه يا زهره

قالت بلهجة تحمل العتاب :

- مانت عارف أنا عاملة ازاى.. سيبلك رسالة وقيلها اتصلت مش رديت

قال بلهجة معذرة :

- معلش يا زهره.. الأيام دي مضغوط جامد في الشغل والمدير معتمد عليا في

كل حاجة.. مش عارف أتكلم في التليفون خالص بجد.. مرهق ذهنيًا

وجسديًا.. أنا حتى دلوقت مش هعرف أتكلم معاكي ورايا مشوار.. تختاري

نتكلم فيسبوك بالليل ولا نتكلم فون بكره؟ بكره التلات.. أجازتي

كانت تستمع إليه بتركيز.. قالت..

- لا نتكلم فيسبوك بالليل.. مش هستني لبكرة

كان يسمعها بصعوبة شديدة.. كان يسمع حولها أصوات أبواق سيارات

وضوضاء شديدة فقال..

- ايه يا زهره مش سامع؟ انتي بره؟

- إيه؟

- بقولك انتي بره؟

- إيه؟

- انتي بره البيت؟

كانت تسمعه ولكن لم تستطع تفسير كلمة (بره).. فهو ألدغ في حرف الراء..

ولكن لدغته جميلة.. لها لكنة مميزة ليست كتلك اللدغة الشائعة في حرف

الراء.. بعد عدة ثوان تفهمت الكلمة واستوعبتها فقالت بصوت مبتسم رغمًا عنها..

- لأ مش بره البيت.. في أوضتي

- أومال ايه صوت كلاكسات العربيات ده

- أصلي واقفة في الشباك..

أغلقت النافذة.. فانخفضت الضوضاء إلى حد ما وكذلك أصوات السيارات.. أصبح صوتها واضحاً فسألته :

- عارف تسمعي كده

- أها تمام كده

ابتسم ثم قال :

- طيب على معادنا بالليل بقي.. على واحدة كده هكون أونلاين

- أوك يا «هشام» هستناك

- مش عاوزه حاجة طيب

- ربنا يخليك.. خلي بالك على نفسك

- وانتي كمان.. سلام

- سلام

انتظرته كما اتفقنا.. ولكن عندما وجدته اعتذر لها بأنه لن يستطيع الكلام وكتب لها..

- معلش يا زهرة.. بجد مش شايف قدامي.. لما أصحي من النوم بكره هكون

فايق وإجازة.. هنتكلم.. أوك

- أوك

أغلقت الفيسبوك وخلدت إلى النوم بدورها ، أفاقت من نومها في اليوم

التالي على زمجرة أبيها، اعتدلت على سريرها بحركة حادة ، كان ينظر إليها

نظرات نارية ، نهرها بصوته الذي أصبح كنفير غارات الحرب :

- كل ده نوم؟ بطلي دلع.. يلا قومي حضري الغدا لاختواتك..

كانت تعلم أنه يعاملها بتلك الطريقة التي أصبحت غير محتملة حتى لا تفسخ قراءة الفاتحة.. فأصبحت تتحمله على مضض.. تدخل المطبخ لتجهز طعام الغداء.. فتجد أبيها يقتحم المطبخ متذمرا ومويخا إياها بسلسلة من التهديد والوعيد..

- كل ده معملتيش الأكل.. قابليني لو بقيتي ست بيت.. والله هوريكي أيام أسود من قرن الخروب.. اعملك همة

أصبح الحاج غير محتمل.. كان يضغط عليها بطريقته.. يتغير عليها حتى تخاف وتخضع لرغبته.. ولكنها عنيدة.. صلبة.. لم ترضخ.. إلا أن الضغط النفسي الذي يقع على عاتقها تفاقم بداخلها.. خنقها.. لم يكن هناك من باب رحمة غير صديقاتها اللاتي كنّ يخفذن عنها بقدر المستطاع.

في ذلك اليوم بعد أن أنهى الحاج نفي غاراته اليومية.. وجنّ عليها الليل.. جلست تبكي بشدة في غرفتها.. لم يتصل بها «هشام» كما اتفق معها.. مما زاد من حزنها.. كانت محبطة للغاية.. مضغوطة.. مقهورة.. مغلوبة على أمرها.. وعاشقة.. رغم هذا الجو الملبد بالتوتر والضغط والترقب والقلق.. كانت تشتاقه وتحتاجه.. شعرت بأنه خذلها في وقت احتياجها له و وقت أزمته وربما شعرت بالإهانة أو أنه يتهرب منها.. غضبت منه.. أرسلت له رسالة نصية مختصرة شديدة اللهجة.. كانت الرسالة..

You don't respect your word

أحيانا عندما يكون الإنسان مضغوطة فإن ذلك الضغط يجعله يتصرف تصرفات عشوائية فوضوية.. أحيانا ينفجر غضبا في وجه الآخرين على أذنه الأسباب.. أحيانا يفسر الأشياء بصورة خاطئة.. وعندما يتأخر عنه من يحبهم فإنه يشعر بأنهم خذلوه.. يتعامل بحساسية مفرطة تجاههم.. يشعر أنه محتاج لرعايتهم وعنايتهم به.. يريد منهم أن يولونه اهتماما خاصا.. وكان

هذا ما تشعر به زهرة تجاه «هشام».. إذ إنها تعودت منه على اهتمام غير عادي.. والآن لا تجد هذا الاهتمام.. وهي في أشد احتياجها له.. كانت تمر بضغط نفسي قاتل جعلها تتصرف كالمجنونة.. حيث إنها لم تكتف بتلك الرسالة النصية بل نشرت أغنية سعاد حسني (بانو بانو) على صفحتها الشخصية فيسبوك..

لا شك أن رسالتها كانت قاسية.. قرأها «هشام».. ثم رد عليها برسالة نصية أكثر اختصارا.. أحيانا يكون الاختصار لغة.. لغة مشتركة بيننا وبين من نحب.. لغة ندرك من خلالها مزاجهم النفسي.. وشعورهم تجاهنا.. وكذلك كان الحال بين «هشام» وزهره.. عندما تكون اللغة مختصرة بينهما فهذا يعني أنه هناك الكثير والكثير من الكلمات المحشورة.. كتب لها في رسالته النصية كلمة واحدة..

thanks

بدأت بينهما أول قطيعة.. شعرت بأنها تسرعت وأخطأت أو ربما لم تلتمس له عذرا.. لم يكن لها من ملجأ غير وسن ونعمة.. عندما هاتفت نعمة وحكت لها.. كان ردها :

- انتي اتسرعتي.. حتى لو هو غلطان وحاسة أنه يبعد أو بيتهرب مكانش مفروض تقولي كده.. أنا طبعا فاهمة كويس أوي أن stress اللي انتي فيه خلاكي عملي كده.. بس هو ايه عرفه باللي بيدور عندك في البيت قالت باكية :

- مانا فهمته اني محتاجاه وفي أزمة.. ولما كلمني في العيد قتلته اني هفركش.. يعني أكيد فاهم.. ليه بيتهرب مني..

- ما يمكن فعلا مضغوط جامد في الشغل.. أو مش حابب يظهر في الوقت ده.. مش عايز يكون ليه تأثير عليكي في الخطوة دي.. الله أعلم في ايه عنده..
- طب أعمل ايه

- ولا حاجة.. استني شوفي هيكلمك تاني ولا لأ..

قالت بقهر :

- أوك

أصبحت تحارب في أكثر من اتجاه.. الآن عليها الصمود أمام أبيها الذي أصبح لا يطاق.. وعليها الصمود أمام قطيعة «هشام».. توالى عليها الضغوط.. كانت تحتاج إلى منفذ تتسرب منه نسمات الرحمة.. تسربت لها تلك النسمات عبر هاتف صديقتها وسن.. استيقظت ذات صباح على الهاتف يدق بإصرار.. ردت بصوت ناعس يائس بئس..

- وسن.. صباح الخير

جاءها صوت وسن مفعما بالحماس والحيوية :

- يا صباح النور.. فوّقي كده.. عندي ليكي مفاجأة

بصوت يملأه الفضول قالت..

- خير

- يوم 4 سبتمبر حفلة الختام بتاعة كلاس الانجلش في مركز التدريب.. طبعا دي أول مرة تتعمل منحة الانجلش في جامعة إسكندرية..

- تمام.. وبعدين؟

- كلنا هنحضر الحفلة طبعا.. هروح عشان هصور الحفلة.. تعالي عشان

عايزينك تقولي شعر انجلش.. قالولي أبلغك

- آجي ازاي بس.. أومال لو مكنتيش عارفة بابا بيتعامل معايا ازاي اليومين

دول

قالت وسن بلهجة ذات مغزي..

- حتى لو قلتلك اني سمعت إن «هشام» جاي؟

جلست على السرير واعتدلت.. جاء صوتها يحمل الأمل متسائلا..

- بجد هبيجي؟

- آه والله ده اللي سمعتو من زمايلنا اللي في الانجلس.. عشان عدددهم صغير.. فمحتاجين اننا نشارك معاهم في الحفلة.. وكلمو «هشام» عشان يعملهم كورال وهيغنو انجلس.. هما مطلوب منهم الحفلة كلها تكون انجلس.. هيعملوا الفقرات كلها انجلس حتى المسرحية..

- فرحتيني يا وسن والله

- يا رب دايمًا تفرحي.. جهزي نفسك كده.. الحفلة فاضل عليها 3 أيام.. عاوزاكي تلعلي في اليوم ده.. اتصرفي مع أبوكي بأي طريقة عشان لازم تيجي اليوم ده.. واهو هتشوفي «هشام» وتبقي فرصة تتكلمو وتتصالحو.. حضري قصيدة جامدة بقي

- أوك

أنهت المكالمة مع وسن وبدخلها سؤال واحد.. ألا هو كيف ستقنع أبيها بالخروج في هذا اليوم؟ راحت تبحث عن حجج مختلفة.. من الطبيعي أنها إذا صارحته برغبتها في الذهاب إلى حفل لتلقي فيه شعرًا في ظل هذه الأجواء الملبدة بالغيوم بينها وبين أبيها ستمطر حتمًا ما لا يحمد عقباه.. لذا راحت تتفنن في اختراع شيء مهم لا يرفضه.

كانت تحتاج إلى معجزة إلهية تهبط عليها من السماء كي تستطيع الخروج في ذلك اليوم.. ظلت صامته حتى جاء يوم الحفل.. استيقظت مبكرًا.. في هذا اليوم كان الحاج نائمًا في بيته الثاني.. اتصلت به من هاتف البيت في تمام الثامنة والنصف صباحًا.. رد عليها بصوت ناعس..

- ألو مين

استجمعت قواها عندما سمعت صوته وقالت :

- زهرة يا بابا

- في إيه؟

- عندي مشكلة في الكلية ؛ عشان مشروع التخرج والدكتورة المسؤلة عن المشروع كتبت على جروب الكلية أسامي مجموعة طلبة وأنا من ضمنهم وقالت لازم نكون عندها في مكتبها النهارده الصبح..

- انتي مش نجحتي واتخرجتي خلاص؟! مشروع ايه ده؟ وجاية تقولي لي دلوقت؟

تلعثمت :

- مشروع ترجمة.. مشروع التخرج ده حاجة تانية مالوش علاقة ببقية المواد أو النتيجة.. هروح أشوف ايه المشكلة دي بدل ما يشيلوني المادة وتبقي مشكلة.. لسه عارفة بالليل من واحدة زميلتي قالتلي.. ومرضتش أكلمك بالليل.. الوقت كان متأخر

قال بضجر:

- طيب روجي ومنتأخريش

- حاضر.. بس الدكتورة هتقعد مع كل واحد فينا تناقش معاه مشروعه..

معرفش دوري هيكون امتي وهتخلص امتي

- طيب يا ست هانم.. أما نشوف آخرتها معاي

وأغلق سماعة الهاتف في وجهها دون سلام.. أما هي فركضت إلى غرفتها

وشرعت في تحضير وتجهيز نفسها قبل أن يفيق الحاج من نومه ويغير رأيه..

ارتدت ملابسها في خفة وسرعة.. وخرجت من البيت في هدوء.. وصلت

الشارع غير مصدقة أنها تتنفس الهواء الطلق..

بمجرد أن رأتها وسن وهي تدخل من باب القاعة الكبرى بمركز المؤتمرات

شبهقت ورفعت لها إصبع الإبهام إلى الأعلى ثم قالت..

- واو.. مكنتش أعرف إن المنتقبات شيك أوي كده؟

كانت متألقة في فستان ناعم ألوانه تمزج بين النبتي والأزرق والأبيض في

تناسق جميل ، أما النقاب فكان لونه نبتي داكن تبرز منه عيناها الجميلتان

وحقيبة يدها البيضاء كانت تشع بهجة مع صندل أبيض يظهر بوضوح في قدمها عندما تخطو برقة..

احتضنتها زهرة في شدة فربتت وسن على كتفها في حرارة وهي تهمس لها في أذنيها:

- اجمدي أومال

ثم أخذت بيدها وأجلستها على خشبة المسرح وجلست بجوارها، تطلعت زهرة إلى القاعة الكبيرة الفارغة ، لم يكن هناك جمهور، فقط بعض الزملاء منهمكين بعمل الإعدادات الأخيرة.

تلك القاعة هي نفسها التي جمعتها به في الحفل السابق ، وهي نفسها التي وقعت عينها عليه فيما لأول مرة وهو يعزف..

راحت تجرفها الذكريات ، حتى أفاقت على صوت وسن وهي تقول لها..

- روحتي فين

- أومال مش شايفة أي كورال يعني في البروفات

داعبت وسن خصلات شعرها بحركة تلقائية وهي تقول :

- ما هو فعلا «هشام» جه من كام يوم وقعد معاهم ، بس العدد صغير،

دول كلاس واحد بس، وكمان الوقت قليل ، فقال مش هينفع يعمل كورال

- يعني مش جاي؟

- ليه مش جاي.. عادي.. ما في ناس مش هتشارك في الحفلة وهيحضرو

عادي

بدأ الإحباط يتسرب إليها.. شعرت بأنه لن يأتي.. اكتفت بهز رأسها.. فأدركتها

وسن..

- يلا بقي.. اجهزي عشان البروفة

اعتلت الخشبة.. وأمسكت الميكروفون بيدها.. وراح صوتها الشجي يملأ القاعة الفارغة.. وعندما انتهت جاءها تصفيق زملاء وصفيهم الحار.. قالت وسن..

- ايه الحلاوة دي

راحت تساعد زملاءها في تنظيم الحفل.. وهناك أحد مقدمي الحفل طلب منها مساعدته في كتابة ومراجعة بعض فقرات التقديم بالإنجليزية نظرا لتمكّنها من اللغة.. كانوا يعملون كخلفية نحل..

انقضي الوقت سريعاً حتى دقت الواحدة ظهرا.. بدأت القاعة تمتلئ بالجمهور.. والأساتذة الذين سيقومون بتقييم الحفل حتى ينسني لهم في نهاية اليوم إعطاء الدرجة لدارسي المنحة..

بدأ الحفل.. الفقرة تلو الأخرى.. وهي جالسة تترقب وصوله في أي لحظة.. عينها معلقة على باب القاعة.. قرب منتصف الحفل دلفت صديقتها أروة من باب القاعة.. لوّحت لها زهرة فابتسمت أروة وجاءت لتجلس بجوارها.. جلستا في صمت تتابعان مع الجمهور فقرة المسرحية.. كانت مسرحية كوميدية يقدمها زملاؤهم بالإنجليزية.. تعالت أصوات الجمهور بالضحك.. وقفت وسن في زاوية قريبة والكاميرا مثبتة بين يديها تلتقط صوراً للحفل بتركيز شديد.

انتهت المسرحية وجاءت إحدى الزميلات تذكرها بأن فقرتها هي التالية وعليها أن تستعد.

قامت من مكانها واقتربت من الخشبة وما زالت عينها بين لحظة وأخرى تنظر إلى باب القاعة في يأس.. قدّمها زميلها بالإنجليزية بكلمات جميلة تليق بها.. صفّق الحضور، أمسكت الميكروفون.. كانت في غاية الإحباط أنه لن يسمع قصيدتها التي كتبها من أجله وجاءت كي تلقها أمامه.. خرج صوتها

حزينا شاردا مما أضفي حالة من الشجن الراقى بصحبة آلة الكمان الخلفية
الموسيقية للقصيدة.. ركزت وسن الكاميرا عليها وثبتتها على وضع تسجيل
فيديو.. راحت تبحث عنه بعينها بين الجمهور.. كانت أروة تبتسم لها.. لمحت
بيبو لاعب الBeatbox وهو يحييها بإشارة من يده.. لمحت أحمد منصور ذلك
الشاعر (المبدع) كما تقول له هي دوما وهو يبتسم لها مشجعا إياها.. خرجت
الموسيقى.. كانت مقطوعة حزينة.. واهتزت أحبالها الصوتية ليخرج صوتها
كقيثارة.. راحت تلقي قصيدتها في حزن رقيق وتقول..

Tell me please,, until when I shall wait?

Until when you won't be able to appreciate?

You know how love is burning my heart and how is worse my state

So please why don't you simply evaluate?

Even you feel me , why can't you relate?

I know that you need to see my face or even my portrait

Be sure that once you see me; you will be captured..You will
associate

For you will see a charming and different female..Trust me my eternal
soulmate

But why you aren't direct? why do you hesitate?

Why you do that? why you aren't straight?!

Really how your way hurts me...It makes me so agitate

I am suffering insomnia,, I am gonna hallucinate

I do love you...My heart and my soul and my whole life for you I
dedicate

I am asking Allah to make you my husband and my fate

You have opened my heart and I have opened for you my gate

Up till now I am eagerly waiting to know about your feelings,, so be
gentle man ..Be great

There is no time and I can't bear any more,, so come before it
becomes too late ...

صَفَّقَ لها الجمهور بحرارة.. ارتفع صفير الشباب.. حياها الأساتذة وكان من
بينهم د. شكري الذي أوماً لها برأسه محيياً إياها.. اكتفت بكلمتين في
الميكروفون بعد هذه التحية الحارة :

Thank you ...

عادت إلى مكانها بجوار أروة.. همست لها أروة..

- كنتي جامدة طحن..

رَبَّتت على كف أروة وظلت صامتة ؛ فسألته أروة..

- مالك؟ شكلك مش مبسوطة..

- بعد الحفلة واحنا مروحين مع بعض هحكليك.. الطريق طويل

- أوك

ظلت متماسكة حتى نهاية الحفل.. لم تشعر بأي مذاق لكلمات الثناء والمديح
من بعض الحضور وبعض الزملاء كأحمد وبيبو الذي علا صفيره وهو
يصفق لها بحرارة شديدة.. سلمت على وسن التي لم تتبادل معها كلمة..

كانت الكبسة في عيني زهرة كفيلة بأن تجعل وسن تصمت.. خرجت بصحبة
أروة من باب القاعة والدموع تملأ عينيها.. ظلت صامتة وأروة تمشي بجوارها
حتى خرجتا من باب مركز التدريب.. حينها نطقت وقالت :

- أنا مخنوقة

- مالك؟

- انهارت باكية..

- «هشام» ما جاش

- وده اللي مزعلك كده؟

- انتي متعرفيش حاجة.. أنا محكيتلكيش

- ومين قالك اني مش حاسة من يوم الفطار الجماعي.. بس سكت.. قلت

أسيبك لما تيجي تحكي بنفسك

- حسيتي ازاي؟

قالت أروة بسخرية وهي تشير بيدها إلى صدرها:

- قلب الأم..

لكزتها زهرة في كتفها.. سألتها :

- هو كان باين عليا أوي كده؟

- باين عليكو انتو الاتنين يا حبيبتى.. كنتو قاعدين في الركن البعيد الهادي

لوحدكو يوم الفطار.. وكان باين في عينيه اللي منزلتس من عليكي..

- أنا تعبانة أوي يا أروة

- موضوع قراية الفاتحة هتعملي فيه إيه؟

- أديني بفرکش أهو.. بس أبويا مش موافق ومنكد عليا عيشتي.. والتاني لازق

لزقة سواد

- معلش هتتحل باذن الله

- أنا و«هشام» مش بنتكلم من كام يوم.. زعلانين من بعض

- حصل ايه

حكمت بصوت يفيض بالمشاعر:

- بقي له فترة بعيد عني.. من بعد العيد.. لما قتلته اني هفرکش.. حسيته بيبعد أو واخذ جنب.. بيقولي أنه مضغوط في الشغل.. بس برضو حاساه متغير معايا.. كل ما نتفق على معاد نتكلم فيه.. مبيحصلش.. مش عارفة أطولاه.. لحد ما اتزفدنت وبعته رسالة صعبة ومن ساعتها واحنا مش بنتكلم.. أنا مخنوقة أوي يا أروة.. مش قادرة بجد.. كان نفسي أشوفه النهارده أوي.. وحشني وحشني وحشني..

- معلش أكيد هيكلمك.. مش معقولة هتفضلو كده.. سببها على ربنا..

- نفسي أغمض عيني وأفتحها ألاقي نفسي خلصت من الحيوان الثاني..
وبقيت حرة

- حيوان؟ هو عمك ايه طيب؟

- تخيلي عاملي فيها عم الشيخ.. فاكرني من اياهم.. بيقولي هربي لحياتي ومبسمعش أغاني ولا تلفزيون.. لأ وايه المصيبة لما بقولوا ايه رأيك في الفيسبوك.. يقولي مقبلش أن زُوجتي.. نطقها بتهمك بضم حرف ال(زُ) وسكون على حرف ال(جُ) كما نطقها، يكون عندها فيسبوك وتعمل شات حتى مع بنات.. تخيلي بقي؟

ضحكت أروة.. ثم قلّدتها وهي تنطق كلمة (زُوجتي).. قائلة..

- بجد والله قالك كده؟ زُوجتي..

نطقها مرة ثانية بتهمك شديد.. فضحكت زهرة وقالت..

- أه والله..

- لا فكك منه.. قال زُوجتي قال.. هو احنا ناقصين بلاوي

- على رأيك

- وأبوكي عاجبه ايه فيه

- معرفش اهو جاي على هواه.. وعاجبه.. شايفه جاهز وكده
- طب واخواتك ملهمش أي دور في الليلة دي؟
- أهو عبد الرحيم بيكافح معاه..
- إن شاء الله يقنعه ويلين معاكي.. متخافيش
- ياااa

عادت إلى البيت حزينة مكتئبة.. استقبلها عبدالله ابن شقيقته إسراء بمجرد دخولها من باب المنزل..

- خالتو جات.. خالتو جات

حملته.. واحتضنته بحنان شديد.. غمرتها راحة عجيبة وهي تحتضن هذا الطفل الصغير.. تعلمت من هذا الحزن.. أننا من نكون في أمس الحاجة لأن نحضن الصغار وليسوا هم.. هؤلاء الصغار هم من يعطوننا الدفء والسكينة والأمان عندما نحضنهم.. في حين نلظن أنهم بحاجة لأن نحضنهم.. ولكن العكس هو الصحيح.. عندما تكون حزيننا أو خائفنا قم باحتضان طفل.. سوف تشعر بالطمأنينة تغمرك..

ظهرت «إسراء» وهي تبتسم وقالت :

- حمدلله على السلامة

قالت زهرة في لهجة جافة :

- الله يسلمك

أنزلت الصغير على الأرض برفق.. وذهبت مباشرة إلى غرفتها.. خلعت نقابها.. وملابسها.. ارتدت جلابية فضفاضة من الفوسكوز.. خرجت من غرفتها ويدها فوطة استعدادا للاستحمام.. قابلتها «إسراء» في الصالة..

- اتأخرت لي؟ أبوكي سأل عليكي كذا مرة على فكرة..

أكملت طريقها للحمام في لا مبالاة ولم تعقب.. تركتها «إسراء» حتى أنهت حمامها.. بعد عشرين دقيقة كانت زهرة جالسة على الأريكة تصفف شعرها الطويل.. جلست «إسراء» على الكرسي المقابل لها.. وسألتها :

- مش هتقوليلي كنتي فين؟

أجابتها دون أن تنظر إليها..

- حفلة

- والله قلبي كان حاسس.. وابوكي كان متنفذ كل شوية يسألني هي رجعت ولا لسة.. ويقول كل ده في الكلية.. وأنا قعدت أهديه على قد ما أقدر قالت زهرة بسخرية..

- كتر خيرك

لم تعلق «إسراء» على سخريتها المقصودة.. سألتها مباشرة..

- عملي ايه في الحفلة؟

- زي الناس

قالت «إسراء» :

- ما تكلميني عدل زي ما بكلمك

برود شديد أردفت زهرة :

- المطلوب مني ايه دلوقت؟ حضرتك شرفتي النهارده ليه؟ جاية تزني على وداني وتقنعيني أكمل مع عريس الغفلة أخو صاحبتك.. وتطلبي مني أديله فرصة وتقوليلي مع الوقت هتتفاهمو.. جاية عشان صحبتك ولا عشان أبوكي اللي زقك عليا؟ جاية عشان تكسبي صحبتك ولا عشان تخسريني؟

انفجرت «إسراء» في وجهها..

- ربنا يعلم أنا جاية ليه.. انتي مش عايزة تكلمي وتفسخي انتي حرة محدش هيجبرك على كده.. بس بقولك أبوكي هيقرب عليكي.. عشان كده اديلو

رغم القطيعة.. إلا أن شيئاً ما في أعماقها أكد لها أنه لن يخذلها.. فتحت
الفيسبوك.. كتبت له رسالة.. تجردت من تحفظها ومن خجلها.. تركت قلبها
يكتب الرسالة.. كانت تكتب وهي في حالة انهيار تام والدموع تملأ عينها..
(انت قلتني قبل كده لما أحس اني عاوزه أتكلم مش هلاقي حد قدك عاوز
يسمعني..وقلتلي المفروض تبقي عارفة ده لوحدهك.. وأنا عمري ما كنت
محتاجة أتكلم وأسمعك قد دلوقت.. عمرك ما تتخيل حالتي عاملة ازاي وقد
ايه محبطة ومكتئبة.. بقولك اني محتاجك.. أنا بقولها.. محتاجك.. أتكلم
معاك.. أنا حالتي زفت وبمر بأصعب فترة في حياتي كلها..
وأنا بعذر ليك اني زعلتك بس انت كمان زعلتني أوي.. كان نفسي أشوفك
في الحفلة النهاردة عشان كنت هتشوف بنفسك قد ايه أنا تعبانة.. كان
نفسي تسمع الشعر بتاعي.. كنت بقوله ليك.. أنا دلوقتي حاسة اني عندي
الشجاعة الكافية اني أقولك أي حاجة.. بحاول ألاقي نفسي.. حاسة اني
وحيدة يا «هشام».. تعالي نتكلم بقي.. كفاية الوقت اللي راح ده.. ربنا يعلم
الوقت بيعدني عليا ازاي.. انت لسة بتدعيلي؟ أنا لسه بدعيلك وهفضل..
انت لسه بتعزني؟ أنا لسه وأكثر وكل يوم أكثر من اللي قبله.. انت لسه
زعلان مني؟ أنا مش زعلانة منك.. أنا مش شايفة اللي بكتبه من كتر دموعي..
والله أنا مش وحشة.. عمرك ما تتخيل انت ايه بالنسبة ليا.. انت عايش هنا..
بس انت وجعتني جامد.. معقولة مش لاقى وقت نتكلم فيه؟ لو مش عاوز
تعرفني تاني قولي وأنا أوعدك اني هبعد خالص والله.. بس احنا لازم نتكلم
على الأقل مرة وأسمعك.. وليا طلب أخير.. بلاش تخذلني أرجوك..)
قرأ رسالتها ليلا بعد عودته من عمله.. ابتسم.. لم يرد عليها على الفور.. خلد
إلى النوم مرهقا من ضغوط العمل وأعبائه التي تزايد عليه يوماً بعد يوم..
استيقظ في الصباح.. كتب لها رسالة قبل أن يذهب لعمله.. وبعد تفكير و
ترقٍ ..

ازيك يا زهرة.. عاملة ايه.. يا رب تكوني مش زي ما بتقولي يعني تكوني كويسة..
أنا شفت رسالتك اللي بعثتها آخر مرة قبل ما نقطع.. وشوفت الأغنية اللي
نزلتها برضو.. والكلام والأغنية كانو جامدين جداً.. وأغنية سعاد حسني
فظيعة الصراحة.. تاني حاجة أنا طبعاً مش عاجبني اللي انتي بتقولي اللي
انتي فيه ده عشان طبعاً ده مينفعش.. وأكد لينا كلام أو قعدة طويلة مع
بعض عشان نفهم أكثر.. شكراً زهرة.. ويا رب تكوني أحسن.. سلام

استيقظت في الصباح على صوت طرقات حادة مستمرة على باب غرفتها
وأصوات مختلطة.. أفاقته من سباتها العميق على أبيها يزمجر وشقيقتها
«إسراء» تحاول تهدأته.. قامت بصعوبة شديدة.. لم تكن قد نامت إلا
ساعات قليلة بعد ليلة من السهاد والبكاء.. فتحت باب غرفتها.. وجدت أبيها
في مواجهتها وإسراء بجواره.. تطلعت إليهما بعينين متورمتين.. بادرها الحاج..

- صح النوم يا ست هانم

- في ايه يا بابا ؟

- كنتي فين امبارح طول اليوم

- كنت في الكلية.. مانا قلتك

- لحد المغرب؟

- مغرب ايه.. وصلت البيت الساعة خمسة

- حلو.. من تسعة الصبح لحد خمسة بتعملي ايه في الكلية

- مانا قلتك يا بابا..

تدخلت «إسراء» :

- خلاص يا بابا.. عدّي وفات

زفر الحاج بغیظ.. واصلت «إسراء» :

- اغسلي وشك وتعالى في الصلاة عشان نتكلم في موضوعك

- حاضر

أفلتت من بين برائن أبيها الذي كان يحدجها بنظرات نارية.. غسلت وجهها.. وعادت حيث قالت «إسراء».. كان الحاج جالسًا والشرر يطل من عينيه :

- خير يا بابا ؟

قال الحاج بنفاد صبر :

- انتي بقي هتبطلي دلع امتي؟ انتي مش صغيرة.. خلصتي كلية واتخرجتي.. وجالك ابن الحلال.. وأنا شايفه كويس.. مصممة تصغرينا مع الناس ليه؟ قالت بكل شجاعة وهدوء :

- وليه شايف اني هصغرك يا بابا؟ ولنفرض هو اللي مش عاوزني.. اهله هيتخرجو أنهم يقولولنا كل شيء قسمة ونصيب؟ طبعاً لأ.. يا بابا بتحصل في أحسن العائلات.. القبول من عند ربنا.. وأنا صليت استخارة ومفيش قبول. قال مهدهدا :

- زهرة.. لحد دلوقت ماسك نفسي.. متخلينيش أتصرف معاكي تصرفات تندمي عليها.. والله هكرك في نفسك

قالت بشجاعة تُحسد عليها.. حتى إن «إسراء» شهقت عن آخرها :

- وحضرتك يا بابا.. انت وماما لما انفصلتو واحنا كبار.. واتجوزت من بعدها وخلفت عيال صغيرة قد أحفادك.. مفكرتش في منظرنا قدام الناس وانك صغرتنا؟ ولما اعترضنا على انك تتجوز.. قلت حياتي و حُر فيها.. واحنا سكتنا.. ليه بقي حضرتك عاوز تفرض عليا حاجة ربنا عز و جل اداني الحرية فيها؟ ليه؟

بُهِت الحاج.. ثم صرخ في غضب هادر وهو يصفعها بقوة :

- يا قليلة الأدب.. يا مجرمة.. ازاي تكلي أبوكي بالطريقة دي

تلقت الصّفة.. تحسّست بباطن كفّها صفحة وجهها كانت ستهم بقول شيء لولا أن تدخلت «إسراء» :

- معلش يا بابا هي مش قصدها والله.. هي بس خانها التعبير.. بصراحة يا بابا انك تقرا فاتحة من أول مرة.. وبعدين تسافر أكثر من شهر.. ده عمل خلل في الموضوع.. مفيش اتنين بيرتبطوا ويفضلوا شهر ونص ميعرفوش حاجة عن بعض.. الموضوع اتقفل جواها.. مفيش أي اتصال بينهم.. قاطعها الحاج :

- مينفعش يتصل وأنا مسافر أنا فهمته كده
- أيوا يا بابا بس قبل ما تسافر بأسبوعين.. هو كان قاري فاتحة.. محاولش يتكلم ليه خلال الأسبوعين دول.. وحضرتك كنت لسه مسافرتش.. محسسهاش بأي ارتباط ناحيته.. حتى أول يوم في رمضان كان ممكن يتصل على تليفون البيت أو أهله حتى ويقولها كل سنة وانتي طيبة.. يا بابا افهمني هو قفلها خلاص منه.. احنا مهما حاولنا اننا نقرّهم أو حتى يكلمها في الموبايل.. خلاص الخطوة دي اتأخرت.. وهي مش هتحس أنه بيعمل كده من نفسه.. لأنه محاولش يوصلها من البداية.. صدقني يا بابا الموضوع فشل خلاص.. حتى لو ضغطت عليها أكثر من كده.. برضو مش هيكملو.. ننهي الموضوع دلوقت أفضل.. ملهمش نصيب في بعض..

قام الحاج من مكانه ولم يعقب.. خرج من البيت صامتا شاردا.. بمجرد خروجه.. انتابت زهرة هستيريا.. راحت تصرخ :

- مش هتجوزو.. مش هتجوزو
راحت تصرخ وتحطم كل ما يقابلها في البيت.. وراحت تخبط برأسها في الحائط.. قامت «إسراء» وجذبتها في قوة :
- خلاص.. اهدي.. اهدي

عبثا حاولت «إسراء» تهدئتها.. وأخذتها إلى الحمام.. وضعت رأسها في الحوض تحت مياه الصنبور.. استسلمت زهرة وبدأت تسكن.. ارتمت على شقيقتها التي أسندتها حتى أوصلتها إلى سريرها.. وهمست لها..

- ارتاحي دلوقت.. وأوعدك الموضوع هينتهي

قالت لها من بين دموعها بصوت ضعيف..

- انتو كدايين.. بتضحكو عليا.. من امتي وانتو بتقولولي كده انتي وعبد الرحيم

- بسسس.. حاولي تنامي..

استسلمت زهرة لنوم عميق.. تركتها شقيقتها.. وأغلقت عليها باب الغرفة.. ثم راحت تتصل بعبد الرحيم.. رد عليها على الفور:

- عبد الرحيم اسمعني.. لازم الموضوع ده يخلص بأي شكل.. أبوك معاند جامد.. وزهره لو فضلت في الضغط ده هتجنن قريب..

- ربنا يعلم أنا بحاول قد ايه.. مش عارف هو ماسك في العريس ده بايديه وسنانه ليه كده.. محسسي أنه سوبر مان

صمت قليلاً ثم قال بحزم..

- الموضوع ده هيخلص النهارده

- ازاي؟

- بعدين هقولك.. هروح لابوكي المكتب بالليل.. وأخلص معاه الحوار ده..

ثم أردف في حسم :

- نهائي..

لا شك أن عبد الرحيم ناضل نضالاً مستميتاً كي يقنع الحاج بفسخ قراءة الفاتحة.. هذا النضال يُحسب له في تاريخه.. لأبيه أنفة رجل صعيدي غير

عادية وكبرياء أكثر من اللازم.. أنفته وكبرائه كانا سببين رئيسيين في خسارة زوجته الأولي وأم أولاده.. وكانا قاب قوسين أو أدنى من أن يجعلاه يخسر ابنته ويحكم عليها بالسجن مع رجل لا يشبهها في شيء.

بصعوبة شديدة أقنعه عبد الرحيم أن كبرياءه وماء وجهه سيظلان محفوظين.. وأنه هو بنفسه من سيكلم قاريء الفاتحة ليخبره أن أخته لا تريده وأن كل شيء قسمة ونصيب.. في البداية رفض والده هذا الاقتراح متحججا بأن تلك (المفعوصة زهرة مش هتمشي كلمتها عليا وتعصاني).. ولكن عبد الرحيم استطاع بذكائه أن يجد مدخلا لأبيه.. بعد محاولات مضنية ومناقشات مرهقة.. قبّل عبد الرحيم يد أبيه وانصرف من مكتبه وهو يشكر الله في أعماقه غير مصدق أن أخته أخيرا ستخلص من هذا الكابوس. قاد سيارته وهو يزفر في ارتياح.. دق هاتفه.. نظر إلى شاشته فوجدها زهرة.. ابتسم وهو يرفع الهاتف بيده على أذنه بينما يقود سيارته بيده الأخرى.. جاء صوتها غائبا هزيلا مكتئبا وهي تسأله..

- ايه يا عبده.. مفيش فايدة برضو؟

قال بلهجة مرحة..

- فُرجت يا وزه أخيرا

قالت غير مصدقة..

- يعني ايه

- خلاص والله اطمني.. خدت رقمه من أبوكي وهكلمه عشان اقابله واديله الخاتم..

دبّت الحيوية في صوتها فجأة وتسلمت الدموع إلى عينها وهي تقول لأخيها..

- بجد؟ أخيرا.. ياه

- الحمد لله يا وزه.. بلاش كآبة بقي.. يلا اهي تجربة وأكيد اتعلمتي منها..

تهندت طويلا ثم قالت..

- أكيد

- وزه هقفل معاكي بقي.. معايا ويتنج.. أكيد بيستعجلوني عشان اتأخرت على

العيادة

- أو ك يا عبده.. أنا السبب في التأخير أكيد بقالك كثير بتقنع بابا

- ولا يهملك يا وزه

قالت بلهجة عميقة مفعمة بالامتنان والحُب :

- شكرا يا عبده.. بجد مش عارفة من غيرك كنت عملت ايه..

ثم جاء صوتها مختنقا بالدموع وهي تقول :

- ربنا يخليك ليا ياخويا

- ويخليكي يا وزتي.. هبقي أعدي عليكى قريب.. يلا سلام

- سلام

أخيرا تخلّصت من ذلك القيد الذي خنقها وجثم على صدرها لشهرين كاملين.. أخيرا نالت حريتها.. شعرت بأنها حرة.. لأسبوعين كاملين وأخيرا يُجري مفاوضات القمة العربية مع أبيها.. أربعة عشر يومًا مروا وكأنهم أربعة عشر قرنا.. عاشت خلالها ضغوطا وآلاما فوق طاقتها.. كلما كانت تتخيل أنها يمكن أن تكون زوجة لهذا المتخلف تشعر بالاشمئزاز وتنتابها رغبة في أن تتقيأ.. كيف لجسده المهترىء أن يحاور أنوثتها الصاخبة.. كيف لعقليته الرثّة الضحلة أن تتفهم عقليتها الحاملة المتطلعة.. كيف لدقات قلبه النشاذ أن تتناغم مع عزف أوتار قلبها.. كيف لأرواحهما التي لم تتقابلا لحظة أن تتعايشا معا.. كيف بجسدها أن تعري أمامه يومًا وهي لم تجرؤ أن تعري قصيدتها أمامه.. كيف؟! كيف كانت ستعيش مع رجل لا يقدر المرأة ويراهها مجرد قطعة أثاث في البيت ليس لها مشاعر ومتطلبات.. كيف يحاورها وهو

منذ البداية أبكم.. منذ البداية ما كان يسمعها.. منذ البداية كان أصم..
ربطها به وتركها عالقة.. منذ البداية أغلق نوافذ قلبها.. وجاء حوارها ليجعلها
تشعر تجاهه بالنفور والكرهية.

انتهى هذا الزمن الذي لا يرى فيه الرجل امرأته إلا يوم الخطوبة والفرح.
ولكن لم ينته عصر الملتحين الذين يتخذون من لحيته المستقبلية زنانتها..
ويحرموا وكأنهم أنبياء.. هي منتقبة ولكنها رأت في لحيته المستقبلية زنانتها..
المشكلة بالنسبة لها ليست في اللحية بل المشكلة في الفكر.. فهناك ملتحون
معتدلون يدللون زوجاتهم ويعطونهم جميع حقوقهم وحررياتهم ولا يفرضون
عليهم شيئاً.

الأمر بسيط جداً.. المشكلة ليست في اللحية أو في النقاب.. المشكلة في الفكر..
فالرجعية والتخلف لا يمتان بصلة لمظهر الإنسان الخارجي أو ملبسه.. بل
هما قابعان في عقليته..

المشكلة ليست في أن تضع المرأة حجاباً يغطي شعرها أو نقاباً يغطي وجهها..
بل المشكلة تكمن في أن تغطي عقلها.. في أن تضع حجاباً على عقلها.. وأن
تسمح لغيرها أن يلغي فكرها وشخصيتها ويسوقها كالنعاج ويتحكم فيها
وكأنها لم تولد حرة.. لقد خلق الله المرأة حرة وعليها ألا تنسي ذلك أبداً.
ومهما حدث عليها أن تناضل من أجل حريتها.

استرخت على سريرها.. وضعت الوسادة خلف رأسها وأسندت عليها جزمها
العلوي.. فتحت الفيسبوك.. قرأت رسالة «هشام».. وكان القدر يريد
مصالحتها بعد ما تكبدت طوال تلك الأيام من ضغوط نفسية وعصبية.. قبل
أن تكتب له الرد.. ظهر أمامها على قائمة الدردشة.. بعد أن كادت تياس من

أن تراه مجددا .. لم تصدّق عينهما.. بل لم يمهلها.. وكأنه كان ينتظرها شوقا..
كتب لها على الفور :

hey -

كم كانت تشتاق هذه الكلمة المكونة من ثلاثة أحرف (hey).. كانت كلمة
مشتركة تجمعهما.. لغتهما.. كلمة واحدة فجرت فيها براكين المشاعر.. تجمدت
أصابعها عن الكتابة.. ظلت واجمة حتى واصل هو كلامه وسألها..

- فينك؟

تدفقت حمم براكين الشوق والعتاب بداخلها وكتبت له :

- أنا برضو؟

تدفّق الحنان في كلماته :

- ليه أصعب وقت في حياتك دلوقت؟ مالك؟

انفجرت دموعها رغماً عنها إثر تلك الجرعة من الحنان وكتبت في عتاب
عميق :

- ليه بتعمل فيا كده.. انت مبسوط كده يعني؟ أنا اتكلمت كثير.. انت امتي
هتتكلم؟

- مستنياني يعني أتكلم؟

- أها

- وعمايزاني أتكلم أقول إيه؟

- اللي عندك.. ليه لما بتصل عليك مش بتبرد؟ وكنسلت عليا؟ بتحس بايه
يعني وانت بتعمل كده؟ كذا مرّة تديني معاد عشان نتكلم فيه ولما أتصل
تكنسل عليا..

- تتوقعي انتي بكنسل ليه؟

قالت بنفاد صبر:

- مش بتوقع.. عاوزه أعرف

- لا لا.. قوليلي بس انتي فاكرة انا بكنسل ليه؟

انفجرت فيه غضبا..

- بطل بقي أسلوبك ده.. اتخنقت بجد.. بطل بقي تجاوب سؤال بسؤال..

بطل بقي تسأل وبس.. في ايبيه بالظبط؟؟ ايبيبييه اللي بيحصل؟؟؟

أدرك أن أعصابها لم تعد تحتل.. كتب لها..

- أسلوبك ده؟ ماشي.. أنا دلوقت شايل إدارة الشغل كامل لوحدي والمفروض

أن كل حاجة بتحصل في الشغل على مسؤوليتي.. مشاكل بقي أو أي حاجة

بتحصل أنا اللي بتسأل فيها.. يعني وقتي مبيقاش ملكي خالص.. والمفروض

ده تفهميه لوحديك

- يعني مش فاضي تكلمني مرة؟

- بقولك مبيشوفونيش في البيت.. على طول بتعامل مع suppliers.. أو

مستني حاجة توصل الجمرك.. أو الكلام ده كله.. أنا مش بقيت باخد يوم

إجازة على فكرة..

- آخر مرة لما قلت انك هتكلمني.. قبل ما نقطع.. وقبلها كل شوية بتأجل

كلامنا.. لحد امتي يا هشام؟

- ايه اللي بأجله.. متكلمنيش على حاجة فاتت.. أنا دماغي معصورة لوحدها..

انتني مش شايفة ولا عارفة أنا بتعب قد ايه.. ذهني وجسدي.. أنا مطبق من

امبارح بزه.. قوليلي direct كده.. انا فعلا مش فاكرك..

لم ترد أن توصل الكلام معه كتابة أكثر من ذلك..

- ممكن نتكلم فون دلوقت؟

- أوك

هاتفها.. أحياناً تكون الكتابة أفضل طريقة للتواصل.. هناك أناس يكونون

أكثر جرأة في الكتابة.. يستطيعون التعبير عن مشاعرهم بحرية في الكتابة..

ولكن في بعض الأحيان عندما يتفاقم الشوق والحُب والاحتياج.. عندما تختنق الحروف.. تكون المكاملة الصوتية علاجاً فعالاً.. وكان صوته علاجاً مهدئاً بل كان مخدراً لها في تلك الليلة.. جاء صوته على الهاتف مُتَعَبٌ.. مرهقٌ.. ولكنه كان حنوناً.. رغم هدوئه إلا أنه كان يخفي انفعالات.. استطاع قلبها أن يسمع أصوات أنفاسه.. كان مفعماً بالانفعالات.. عرّته تلك المكاملة من رداء البرود الذي كان يرتديه طوال أيام القطيعة وما قبلها.. ذلك البرود الذي تسبب في قطيعتهما لأيام.. وتسبب في زيادة ضغوطها وآلامها ومعاناتها طوال تلك الفترة.. خلب صوته لُجُماً..

- مش عايزك تزعلي اني كنت بكنسل ومش برد.. غصب عني.. ضغطت شغل.. مسيرك في يوم هتبقني في الـ position ده وهكلمك ومش هتعر في تردني عليا.. وساعتها مش هزعل منك.. هقدّر ظروفك.. هقول أكيد في سبب كبير خلاها متقدرش ترد..

ثم واصل بلهجة خاصة تحمل الكثير من التقدير :

- مش معقولة هشوف اسم زهرة على شاشة موبايلي ومردش عليها واكنسل إلا لو كان لسبب خارج عن ارادتي فعلاً..

صمتت استمتاعاً به.. بصوته.. بلهجته.. بنهجته.. بلدغته في حرف الراء ذات اللكنة الخاصة.. كم تعشق طريقة نطقه لحرف الراء!! صمتت لتسمع انفعالاته التي تشابكت مع انفعالاتها في معركة شوق ضارية.. ظلاً يستمعان سوياً لصخب صمتهما.. كان صمته له مذاق خاص.. أضفي شاعرية خجولة عليهما.. جاء صوتها خجولاً إلا أن ذبذبات السعادة في صوتها جعلت رجولته تنتشي بتأثيره عليها لهذه الدرجة.. أرادت أن تزف له خبر فسسخها قراءة الفاتحة وأنها قد أصبحت حرة.. لكنها لم تجد مدخلاً.. سماع صوته كان يلجمها.. رجولته كانت تدغدغها.. كانت في حضرته تحتضر.. أضناها الشوق والحُب.. كانت مُستزفة.. مُنْهَكة.. اكتفت بسؤاله..

- هتفضل لحد امتي تجاوب على السؤال بسؤال؟

- زي ايه مثلا؟

- أهو بتسأل برضو.. شفت

ضحك.. قال..

- خلاص اسألني اللي عايزاه

قالت بصوت مبتسم..

- قبل كده قلتلي انك عارف ايه اللي محيرني.. ولما سألتك رفضت تقول.. يلا

بقي قولي ايه اللي محيرني؟

جاء صوته مبتسما وهو يرد باستحياء ماكر:

- حاسس إن في حد ف بالك.. وانتي حاجة من اتنين.. يا أما مش متأكدة هو

كمان كده ولا لأ.. يا أما مش متأكدة من نفسك.. وكمان مش عايزة تكلمي

مع الشخص اللي قاري فاتحتك.

ثم واصل بعد صمت مشحون دام لحظات بينهما..

- الكلام ده صح ولأ؟

أجابته مبتسمة..

- صح

سنحت لها الفرصة على طبق من ذهب كي تزف له خبر حريتها.. جاء صوتها

مفعماً بالسعادة والخجل.. حتى إنها كانت تتلعثم وهي تزف له الخبر.. قالت :

- على فكرة.. عاوزه أقولك حاجة.. أنا.. أنا..

ظلت تتهته هكذا.. وهو صامت تماماً يعطيها مساحتها.. هو يعلم جيداً تأثيره

عليها.. يعي أنها في حضرته تحتضر.. قالت في خجل شديد :

- خلاص خلاص مفيش حاجة

قال بصوت مبتسم عميق يحمل زهوا بتأثير رجولته الطاغية عليها :

- لو مش عارفة تجمعي الكلام دلوقت.. ممكن نتكلم بعدين لما الوحي ينزل عليك

احمرت وجنتاها.. استجمعت نفسها.. تماسكت قائلة :

- لا خلاص هقول أهو

صمتت لوهلة ثم رمت الكلمة في ملعبه قائلة :

- أنا فركشت

اقتحمها بهدوء صاخب.. حاصرها برجولة لا تقاوم.. دوّخها..

- طب ومالك بتقولها وانتي مكسوفة كدة؟

احمرت وجنتاها عن آخرهما.. ولسوء حظه لم يكن يراها.. فضحها صوتها

بخجل مضاعف وكلمات مبعثرة غير منسقة.. قالت بلهجة متقطعة :

- مش مكسوفة.. بس عادي

ضحك منتشيا بتأثيره عليها.. بمفعوله السحري.. مرددا كلماتها :

- مش مكسوفة بس عادي..

صمت قليلا.. جاء صوته هذه المرة جريئا.. ناعما.. حنونا.. عميقا :

- حاسة انك مرتاحة لما عملي ده؟

ردت بنبرة مفعمة بالمشاعر :

- آه مرتاحة

تلقي تلك النبرة واستوعبها جيدا.. باغتها قائلا :

- على فكرة أنا عازمك على يخت.. آخر الشهر ده..

قالت متفاجئة :

- يخت؟!

بصوت مبتهج :

- آه يخت

بصوت مُرتبك غير مُصدّق :

- يخت اللي هو بيبقي في المية ده

ضحك.. قال :

- هو في يخت مش بيبقي في المية؟

قالت بخجل :

- مانا عارفة إن اليخت بيبقي في المية.. أومال هيمشي في الصحرا يعني.. بس...

- بس إيه؟

لم تكن لتفعل ذلك.. رغم أن الشوق قد فتّتها عن آخرها.. ورغم أن حرائقه

قد صهرتها.. بحثت عن طريقة مهذبة ترفض بها عزومته.. قالت بإحراج ،

- مش هينفع

- ليه؟

ترددت.. تلعثمت..

- مش هيكون عندي وقت.. عندي ظروف

- نبقى نشوف الكلام ده بعدين..

- أوك

كانت سعادتها لا تُضاهي .. كانت تحدّثه وهي جالسة على سريرها.. محتضنة

دميتها.. مُتكنة.. مرتخية الأعصاب.. حاملة.. لا تريد أن تخرج من ذلك الدوار

العشقي الذي أدخلها به.. ظلّت صامتة ضائعة وهي لا تزال معه على

الهاتف.. ذلك الصمت الجميل.. وذلك الضياع اللذيذ.. بصوت باسم سألها..

- روحتي graduation ال English.. صح؟

- مانا عارف اني روحا.. وأكيد شوفت صوري موجودة في ألبوم صور

الحقبة لما وسن شيرتها على الجروب

سألها وابتهامته تتسع في صوته :

- كان حلو؟

قالت بصوت عابس :

- لأ

سألها بخبث :

- عشان أنا مروحتش صح؟

لم ترد.. ساد الصمت المشحون ثانية.. كلا منهما يبتسم عن آخره.. قال لها

بثقة خبيثة :

- عشان أنا مروحتش..

قالت بلهجة عميقة :

- كان نفسي تيجي..

سألها بلهجة تفيض حنانا :

- لسه زعلانة؟

قالت كطفلة سعيدة :

- لأ خلاص

- بجد؟

- بجد بجد

سألها :

- هتعملي ايه دلوقت؟

- ولا حاجة.. وانت؟

- هنااام.. أنا منمتمش من امبارح.. مرهق جداً من الشغل

في حب وحنان بالغ قالت..

- طب أولك.. ارتاح دلوقت

بعذوبة ورقة بالغة :

- طب مش عاوزه حاجة يا زهره؟

- ربنا يخليك.. يلا تصبح على خير

- وانتي من أهله يا زهوره

اندمل كل شيء فيها.. نامت تلك الليلة بعمق وهي تشعر بالراحة والطمأنينة.. نامت تلك الليلة بلا قيود.. نامت تلك الليلة حرة.. صدحت بحريتها وبأنوثتها.. لم يعد يعنمها شيء في هذا العالم سوى (هشامها).. نفضت عنها كل مخاوفها وضغوطها.. حتى أبيها لم تكترث له ولا لما سيفعله بها.. رغم أنها كانت على يقين أنه لن يدعها في حالها بعد فسخ قراءة الفاتحة.. لن يدع ذلك يمر مرور الكرام.. وأنه حتمًا سينغص عليها حياتها.. كانت تعلم أنه سيعاقبها بعض الوقت حتى ينسي أنها فرضت عليه إرادتها.. ولكنها لم تأبه لما سيحل عليها منه.. ما دامت نالت حريتها.. ما دام هناك «هشام»، فالحياة ستكون جنة.. هكذا هي زهرة.. كل أحلامها وطموحاتها في الحياة هو «هشام».. «هشام» فقط.

استيقظت صباح اليوم التالي مبتهجة كفراشة.. تضح أنوثة وحياء.. تورّد وجهها.. تفتحت أوراقها.. تبتسم وهي تتذكر مكالمتها الليلة الماضية مع «هشام».. ظلت في سريرها مسترخية بكسل لذيذ.. تستعيده.. تستحضره.. اجتاحتها رغبة عارمة في الكتابة.. أمسكت هاتفها وراحت تكتب.. راحت تبث تردد سعادتها على صفحتها الشخصية فيسبوك.. ضببت مؤشر سعادتها على أثير «هشام».. وكان هو يستقبل ذبذبات تردداتها العالية.. ويرسل عبر أثيره موجات كهرومغناطيسية عشقية ذات ترددات خاصة لها شفرات.. كانت هي صاحبة.. يسمع الجميع صخبها.. يرى الجميع حبه في قصائدها.. لها عنفوان مميز في الكتابة يذهل الجميع ويذهله حتى النخاع.. بينما هو كان عنيف ولكن في صمت هي وحدها من تسمعه.. يستمتع بجراتها في الكتابة.. يتمحور كتاباتها عنه.. يغريه صخب أنوثتها وعنفوانها.. يثيره تدفق حمم عشقها.. تلفحه فيشتعل..

كتبت له أنها تحبه وأنها كالقمر.. هناك جزء منها مخفي.. تقصد بذلك وجهها الذي لا يراه.. ولكن لظروف معينة كان الحُب مُحَرَّم عليها أما الآن بعد أن

نالت حريتها.. فإنها تريد أن تكون له إلى الأبد.. وأن يكونا معا في الجنة.. وأنه إذا حقق لها حلمها.. فإنها تتعهد بأن تحافظ على ما سيمنحه إياها وتحميه..

She was with you like the moon,, part of her was always hidden

She was loving you,, but love for her for some conditions was forbidden

Yet now she is free,, she just wanna be for you forever and to be together in heaven

And if you make her dream comes true,,she pledges to you to keep and protect what she has been given

في المساء وجدته .. ابتسمت عن آخرها.. بدأت هي الحديث..

-عامل ايه

ابتسم هو الآخر.. كتب لها ،

-الحمد لله.. تمام يا زهرة.. وانتي؟

-الحمد لله..

ثم واصلت الكتابة..

-قولي.. ليه صورة البروفایل بتاعك كئيبة كده؟

-لا دي مش كئيبة.. دي لهما معني.. إن دايمًا حوالينا بيكون في حتة مضيئة..

بس الفرق بين واحد والتاني.. إن واحد بيدور عليها ويلاقها ويبص عليها..

وواحد تاني مش بيدور فعشان كده عمره ما هيلاقها.

-وانت لقيتها؟

-فيروز

-مين؟

-فيروز.. برتاح جدًا لما بسمعها.. ولما بحس أن عليا ضغوط كثير.. لازم فيروز
سألته عن قصد..

«هشام».. بتدور على إيه؟

-لا لا مش على حاجة معينة.. دايمًا في حاجة مضيئة حوالينا.. ايه هي؟ في
أي مجال؟ في أي جزء يخلصنا؟ متعرفش.. فعشان كده لازم على طول ندور..

- I need to ask you about something

-اسألني يا زهرة

-انت كنت عارف ايه محيرني.. صح؟

-يعتبر آه

-طب هو ايه

-مش قلتلك امبارح؟

-قول تاني

-داعمها..

-كثير كده على فكرة

-قول

-في حد في حياتك انتي بتحبيه.. ومش عارفة هو يبحبك ولا لأ.. أو مش

متأكدة من مشاعرك لسه..

وصلت به إلى لب الموضوع :

-طب هو مين؟

-يعني اللي بقوله صح؟

-مضبوط

راوغها.. سألها:

-طيب انتي عارفة الإنسان ده بيحبك ولا لأ؟

تنهدت.. ردّت:

-لا مش عارفة

بمكر سأليها:

-وانتي بتحبيه؟

بمنتهي الصدق والشفافية كتبت:

- No words on earth can express how I feel about him.. Nothing can suffice or express my love

تقمّص دور (أبو جهل) :

- وهو عارف ده؟

كتبت في حيرة :

- معرفش

طوّقها بأسئلته :

- وانتي شايفة إيه؟

- am asking you -

- طيب انتي متأكدة إن هو مبيحبّش حد تاني عشان متكونيش بتعملي ده

على الفاضي؟

فجّر سؤاله هذا قلقا عارما بداخلها.. تسارعت نبضات قلبها.. دارت بها

الدنيا.. كتبت له..

- I don't know -

- طيب مانتي كده في حاجات كتيرة جدًّا مفقودة بالنسبالك..

كتبت بقلب مبعثر..

- I don't know what to do ... -

ثم واصلت :

- فكرته حاسس

- طيب هتعملي إيه؟

كزرت في ضجر :

am asking you -

بحروف كاذبة :

really don't know -

بإحباط وخيبة أمل كتبت :

I guessed that he feels me -

جرجرها حيث يريد.. اقترح :

- طيب ما أحسن حاجة المواجهة.. انتي ليه مش عارفة هو بيحبك ولا لأ..

بينما هي تحدثه.. وجدته قد قام بنشر status :

(طبيعي لما أشوف أي واحدة حلوة.. أكتب غزل فيكي)

سألته مباشرة :

- انت بتحب ولا إيه؟ ايه ال status دي؟

- لا أنا مبحبش

- يا راجل.. أومال المكتوب ده

- عادي just واحد صاحبي في band ولسه كاتبها.. عجبتني قولتله عايزها..

- أمم.. أعمل إيه طيب.. قولي

- فكري انتي.. مش مشكلتك دي؟

- مش عارفة بجد

زرع بها الشك.. وهو سلاح فتاك.. يفتك بأي أنثى خاصة إن كانت طرية

كزهره لا خبرة لها في هذا المضمار.. تواجه رجلاً بلغ من الخبرة عتياً.. طوحها

بأسئلته :

- طيب افرضي كده هو مش زي مانتي بتحبيه.. هيكون ايه العمل؟

كان يأخذها بافتراضاته مدا وجذرا في بحر أمواجه متلاطمة..

- يا لهووووي.. عشان كده خايفة أقوله

- أممم.. مشكلة دي

- والحل؟

وصل بها نحو المصبّ :

- هو شافك قبل كده من غير نقاب؟

أجابت بحروف مختنقة..

.He doesn't know how I look like.. He didn't see my face. -

ثم أكملت :

- ميعرفش اني زي القمر

- أوبأااا.. المشكلة أن كل البنات بتشوف نفسها كده.. بس المشكلة بيبقي على

حسب كلامك أن هو مشفكيش.. طيب عايزاه يعرف أو يحبك ازاي؟

بثقة كتبت..

- لا لا لا.. عندك.. أنا مش شايقة نفسي كده.. أنا معروف عني كده يا بابا..

أنا مامتي أصولها French.. نحن نختلف عن الآخرين..

قال بمكر:

- طيب وهو المفروض يعرف ده منين؟

- وأنا أعمل ايه بس.. قولي

- وهو احنا عشان صحاب هغششك أنا كل حاجة؟

please -

don't know -

في غيظ كتبت :

- يا بارد انت

في برود مستفز.. رد :

- لا لا لا.. كده عيب

- أقوله طيب ولا بلاش؟

اقترح الداهية :

- طيب أقولك على فكرة؟ ابعتيلو صورتك.. أهو مش عيب ولا حرام.. وأهو يعرف إن في حاجة من نحيتك وتبقي برضو مقولتيش على طول.. وضربتي عصفورين بحجر..

ارتفع حاجباها عن آخرهما وهي تحدّق في الشاشة.. تسارعت نبضات قلبها..
احمّرت وجنتاها.. كتبت :

I can't do that -

- ده كان رأيي.. شو في رأيك واعمليه.. انتي اللي سألتيني عن رأيي..

- يا سلام.. لما هو يشوف صورتي هيحبيني يعني.. يا سلام!م!

- لا طبعا.. بس هو ممكن حد يحب حد لمجرد إن هو بيتكلم معاه only؟

ثم أردف :

هو مش في حديث بيقول..

عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «تُنْكِحُ الْمَرْأَةَ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَلِجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا: فَاطْفَرُ بَدَاتِ الدِّينِ تَرَبَّتْ يَدَاكَ»
يعني الجمال الرسول قايله.. ده صح ولا بيتهياي؟

شرد ذهنها بضع لحظات.. استوقفها سؤاله العابر.. ((هو ممكن حد يحب حد لمجرد إن هو بيتكلم معاه only؟)) ودّت لو تخبره أنه ممكن الحدوث جدًّا.. وهذا ما كتبه د. مدحت العدل في مسلسل (قصة حُب).. الذي جسّد بطولته جمال سليمان وبِسمة.. جسّدت بِسمة دور البطلة.. كانت منتقبة.. وأحبّها البطل من دون أن يرى وجهها بل وتقدّم للزواج منها! وقد عاشا قصة حُب جميلة من خلال التواصل بالكتابة عبر شبكة الإنترنت.. كما تفعل هي مع «هشام» الآن..

تُري هل في ذلك إشارة من القدر لها؟

في حيرة شديدة كتبت :

- تمام بس أنا بتكسف.. مقدرش أعمل كده

- انتي حرة.. بقولك that's my opinion

في مجارة منها له كي تصل معه لأي طرف خيط.. كتبت :

- طيب ولما أبعت photo الـه يحصل إيه؟

بمكر رجولة طاعنة في ذنبها وتحيرها :

- مش عارف.. ممكن تبعتي الصورة ويطلع هو برضو بيحب حد تاني..

وممكن تبعتها وساعتها الـreaction يكون great بالنسبالك وحاجة انتي

مستنياها.. متعرفيش أصل الـproblem انك لازم تكوني دارسة شخصية اللي

قدامك.

كانت تتصبب عرقا وخوفا.. أخذها بكلماته كشلال هادر وتركها تسقط

وحدها..

- يعني لو انت حصل كده معاك.. هتعمل إيه؟

في خبث شديد.. كتب :

- لا لا بلاش معايا دي

- I need to know, help me

- لا لا لا أنا ساعدتك كتير.. أكثر من كده هبقي أنا صاحب الموقف.. لازم

انتي تتصرفي فجزة وتفكرني بنفسك لأن لو حصل في الأمور أمور.. متمرش

كل الغلط أو الصح على اللي وجّهك.. لازم تشاركي عشان تاخدي جزء من ده

أو من ده.

- but I need to help me please

- مش أفدر أكثر من كده

- طب حُط نفسك مكانه كده.. ممكن تعمل ايه.. و حياة أغلي حاجة فحياتك قولي.. و بجد ده آخر سؤال
- لازم تاخدي قرار بنفسك
- أكيد هاخذ قرار.. بس محتاجك تقول.. انطق بقي
- مش هينفع.. أنا هقوم دلوقت.. مش عايزة حاجة؟
- لا مش هتقوم.. لازم تقولي لو ده حصل معاك هتعمل ايه
- سلاموز يا زهوره
- كتبت في حنق والدموع تخنقها..
- على فكرة انت بارد وتيت

هرب منها.. أنني المحادثة على الفور.. لم يمهلها أي فرصة أخرى.. كانت تدري بأنه يتصنع الجهل.. لكن ما أربكها حقًا هو تلميحه المقلق باحتمال وجود فتاة غيرها في حياة من تحب.. حدسها يخبرها بأنه يشعر بها وبأنه يعلم أنه هو من تحب.. يعلم بأنه المقصود.. ولكن لماذا بدأ يلاعها على ذلك النحو المخيف.. لم يقلقها طلبه لرؤية وجهها.. إنما ما أثار في نفسها الخوف الحقيقي هو احتمالية أن يكون لا يبادلها نفس المشاعر.. مجرد تخيل وجود غيرها في قلبه يصيبها برعب حقيقي..

هاتفتم نعمته.. أخبرتها عمًا حدث بينهما.. أنصتت نعمة جيدا.. وجاء تعليقها..
- هو عارف انك بتحببيه.. ليه بيحيرك كده.. ممكن يكون بيعمل كده عشان يستفزك وتقوليله بشكل مباشر..

قاطعتها زهرة :

- وهيستفاد ايه لما يعمل فيا كده؟ ليه؟

قالت نعمة بصوت عميق :

- هو عاوز يشوف وشك يا زهرة.. بس مش عاوز يقولهيا بشكل مباشر..
عشان كده عمل نفسه من بنها.. وحبك الدور أوي.. وقالك ممكن اللي
بتحبيه يكون في حياته واحده.. ممثل كويس

نفضت زهرة رأسها وكأنها ترفض تصديق هذا الاحتمال وقالت :

- لا لا يا نعمة معتقدش في حد في حياته..

- أيوه يا بنتي فاهمة.. هيكون يعني في حد في حياته وكان بيسهر معاكي
عالمات طول الليل في رمضان وهو مرهق من الشغل ومش شايف قدامه
وعينيكي تحت القمر وكل الاهتمام ده وكانت فاتحتك مقربة.. لا لا.. بصي
من الآخر كده هو عاوز يشوفك.. دي فرصتك ابعتيلو صورتك

- لا لا لا مقدرش أعمل كده..

ثم قالت بصوت مختنق :

- مع اني نفسي يشوفني.. نفسي أووووي.. بس مش عاوزها تيجي بالطريقة
دي

- هو بقي عاوزها بالطريقة دي.. والا أفضل عذبي في نفسك ومش هتوصلي
معاه لأكثر من كده.. هو قالك على اللي عنده وهرب.. قفل الشات.. صح؟

- صح

قالت نعمة بلهجة جادة :

- بصي يا زهرة.. هو برضو معذور.. مش شايفك.. عارفة يعني ايه.. واحد
بيكلم واحدة مش عارف شكلها.. هو حاسس انك جميلة من عينيكي وصوتك
وإحساسك وطريقتك.. استايلك.. فكرك.. لكن كل ده مش كفاية.. هو محتاج
يشوف مين زهرة دي.. الولاد بيحبوا بعنهم يا زهرة.. لازم يشوف اللي قدامه..
لكن البنات بتحب بودانها.. بتحب تسمع أكثر.. الولد عكسها بيحب يشوف..
مفهاش حاجة لو بعته صورة ليكي.. يعني هو ولا اللي كان قاري فاتحتك
وشافك لايف وشاف وشك بدمتك؟

تنهدت زهرة.. قالت :

- نعمة الثاني كان داخل من البيت.. وده طبيعي أنه يشوف وشي

- طيب يا زهرة وهو «هشام» ده مش انتي بتحبيه؟

- طبعاً

- طيب ايه المشكلة أما تبعتيه صورة ليكي.. أنا شايفها عادي.. أصلاً مش

عارفة ايه خلاكي تلبسي النقاب.. ما كنتي زينا يا بنتي بحجاب عادي.. ايه

طلعها في دماغك.. بقولك ايه يا زهرة ما تقعليه؟

بدهشة قالت زهرة..

- نعمة ايه اللي بتقوليه ده

قالت نعمة :

- والله بتكلم جد.. ماله الحجاب العادي.. أديكي دلوقت بتحبي واحد وهو

مش عارف شكلك.. وبتألعي

- طب ما حسام جوز أختي جه اتقدملها ومكاش يعرف شكلها يا نعمة

- حسام كان قد هشام؟

- لأ

- حسام ظروفه كانت زي ظروف هشام؟

- لأ

- تفكيرهم واحد؟

- لأ

- طيب يا زهرة.. حسام ظروفه كلها كانت مأهلاه أنه بيعي البيت على طول..

إنما «هشام» برضو لسه قدامه وقت على الخطوة دي.. قدنا يا زهرة.. لسه

متخرج يدوب.. مش عارفين يقدر يعمل الخطوة دي امتي.. ابعتيلو الصورة..

ده رأيي عشان نخلص من الحوار ده.. ونعرف نيته ايه..

تنهدت زهرة طويلاً.. ثم انهمرت دموعها شلالات.. قالت نعمة بلهجة حميمية..

- والله حاسة بيكي.. هو ده الحُب يا زهرة.. في الحب مفيش صح وغلط..
وبعدين يعني انتي هتبعيلو صورة.. عارفة أن في صراع جواكي.. وانك
أعصابك مش مستحيلة بعد اللي حصل الأيام اللي فاتت واللي شوفتية من
ضغوط في البيت ومن باباكي عشان تفركشي.. بس ده آخر صراع هتتحطي
فيه.. ابعيلو صورتك.. ونشوف رد فعله..
- على الأقل محتاجة أفكر..
- أوك.. خدي وقتك.. محدش بيجري وراكي..
- أوك يا نعمة.. تصبجي على خير
- وانتي من أهله

استسلمت للنوم.. استيقظت في الصباح.. توضأت ووصلت.. ثم عادت للنوم مجددا.. استيقظت بعد العصر.. على قرع رأسها.. صداع رهيب يكاد يفجّر جُمجمتها.. قامت كي تعدّ الغداء لشقيقها صالح وأسر.. من حسن حظها أن أباه تناول غداءه عند زوجته وإلا كان أيقظها منذ الظهيرة على صوت موشحات من التوبيخ.. منذ أن تزوجت شقيقها «إسراء» وأصبحت هي سيدة المنزل الأولي.. مسئولة عنه.. لم يتبق الآن سوى صالح وأسر.. شقيقها الأكبر عبد الرحيم قد تزوج منذ عام.. وحتى قبل زواجه بعامين سافر إلى السعودية بعد تخرجه بتفوق من كلية الطب منذ سنوات قليلة ليعمل كأستاذ محاضر في جامعة ما بالدمام.. أما شقيقها الأقرب لقلبها عبد الله فقد توفي غريبا منذ أن كانت في عامها الثاني من الجامعة.. توفي عبد الله وهو في الحادية والعشرين من عمره.. كان يدرس في كلية الحقوق.. غرق عبد الله وغرق معه قلبها.. لم تنتشله إلا من أجل «هشام».. كان هذا البيت منذ أعوام يعج بالضجيج.. ضجيج إخوتها.. رغم انفصال أبيهم وأمهم.. ورغم التوتر الأسري الذي عاشوه منذ نعومة أظافرهم إلا أنهم كأخوة كانوا متماسكين.. كانوا عائلة لبعضهم البعض.. كانت الأم هي «إسراء» والأب هو عبد الرحيم.. والعم والخال والأخ والصديق هو عبد الله رحمه الله.. أما الأخت فكانت زهرة.. والأبناء كانا صالح وأسر.. كانوا يمثلون عائلة لأنفسهم من دون أبيهم وأمهم.. أما الآن تزوجت «إسراء» وعبد الرحيم وتوفي عبد الله.. أصبح البيت فارغا كئيبا.. فقدوا عائلتهم.. بالإضافة إلى سفر أبيهم طوال العام على فترات متقطعة بحُكم عمله.. لم يتعودوا على وجوده.. أصبحت العائلة هي زهرة وصالح وأسر.. كان البيت يمتليء بالضجيج فقط عندما تحل «إسراء» لزيارتهم.. صغبرها عبد الله يبت الروح والحياة مجددا في البيت.. وعندما ترحل «إسراء» عائدة لبيتها تعود الكآبة ويعود الفراغ والصمت ضيوف ثقيلة من جديد في أركان البيت.. وها هو عبد الرحيم سيصبح أبا

خلال أيام قليلة.. سيستقبل مولودا.. لعل الفرحة تدخل بيتهم.. وبيث هذا الوليد الحياة في بيتهم..

ظلت شاردة في المطبخ.. تتذكر ضحيج هذا البيت الساكن.. وتتهند في حسرة.. تؤلمها رأسها بشدة.. تذكرت أنها عندما كانت تمرض أو تعاني آلام الطمث كل شهر.. وعبدالله على قيد الحياة.. كيف كان يعاملها كملكة.. يجلسها على سريرها ويحضر لها الطعام والدواء.. ذرفت دموع القهر والفقد والوحشة رغماً عنها.. كم تحتاجه.. كم هو قاس فراقه.. إلى الآن لا تصدق أنها فقدته..

لا تصدق أنه مات.. تقول الأسطورة إذا لم تستوعب أنك فقدت عزيزا وأنه قد رحل عن الدنيا فاذهب إلى قبره.. حينها ستصدق.. وهي قد ذهبت كثيرا وكثيرا جداً.. وما زالت لا تصدق.. مازالت ترفض تصديق تلك الفاجعة.. مازالت تذهب إلى قبره كي تذوق قهره.. فتهزم وتخونها قدمها لتفتش الأرض بجوار قبره وتبكي في صمت.. تقرأ له الفاتحة.. تدعو له قائلة (اللهم إني لا أزكيه ولكني أحسبه يا ربي).. وتبكي وتبكي حتى تتورم عيناها وينقضي النهار وتعود وهي تجر أذيال الخيبة والحزن والهزيمة.. هزيمة الموت..

تفتقد جدتها لأبيها كثيراً.. تلك المرأة العظيمة التي ربّتها وغرست فيها القيم والمبادئ.. ذلك الدفاء الذي لن يغادرها حتى الموت.. هو دفاء جدتها.. تدعو لجدتها أيضاً بالرحمة وأن يتغمدها الله فسيح جناته ويسكنها الفردوس دون سابقة حساب أو عذاب هي وعبدالله.. نعم هي وعبدالله يا ربي..

تفتقد أمها.. منذ شهور لم تزرها.. اكتفت بمهافتها في العيد.. آخر مرة رأت فيها أمها يوم قراءة فاتحتها.. حضرت أمها وكانت مبتسمة صامتة لا تتكلم.. عندما تهزمها الدنيا وتشعر بالإحباط يسكنها.. على الفور تذهب لأمها أو تهاتفها وتطلب منها الدعاء.. فتجيبها أمها.. وهل أنساكي في الدعاء كي تذكّرني.. حتماً سترتب زيارة قريبة لأمها.. فهي في أشد الحاجة إلى رؤية وجهها

البريء.. الذي يشع طيبة ونورا.. كم هي جميلة أمها.. كم هي جميلة تلك المرأة..

اقتلعها جرس البيت من حالة الشرود التي انتابتها.. مسحت دموعها.. هرولت حتى وصلت الباب.. فتحته.. كان أسر شقيقها آخر العنقود.. دخل البيت يزفها كعادته..

- يا حلو يا أبيض انت

- مش هتبطل كلام الأونطة بتاعك ده

اقترب منها أسر وهو يشير بيده إلى قلبه وقد رمي كتبه..

- أونطة ايه يا مز انت.. ده انتي الغالية

قالت في سخرية وبهجة تتناقض مع حالة الحزن التي تسكنها وحالة الشرود التي تعيشها منذ أن استيقظت..

- طبعا لازم أكون الغالية.. مش كنت بغيرلك كوافيلك وانت صغير.. ياما عملتها عليا يا معفن..

قهقه أسر عن آخره.. افترش الأرض.. وقال،

- وكنتي بتذاكريلي «قطتي صغيرة واسمها نميرة».. وأنا في أولى ابتدائي قالت في دعابة :

- ده على أساس اني مش بذاكرلك لحد دلوقت يا تحفة انت ثم واصلت :

- صحيح.. كل ده في الدرس.. كنت بتلف فين يا واد؟

- شوية كده مع صحابي

- بطل بقي لفس.. اركز شوية انت ثانوية عامة السنة دي.. اتلم شوية

- لسه بدري يا وزه.. احنا لسه في الأول

- وفيها ايه لما تلم نفسك من الأول.. خصوصا مجموعك الزبالة اللي جبتة
السنة اللي فاتت.. لازم تلم نفسك السنة دي عشان تدخل جامعة ولا ناوي
على معهد

- لا معهد ايه.. أنا هدخل حقوق زي عبدالله.. الله يرحمه
انقبض قلبها عن آخره.. نظرت إلى أسر.. كان يؤلمها أسر دون قصد.. فقد
كان الأقرب لعبدالله في الملامح.. قالت بعنف :

- لأ.. بلاش حقوق

- ليه

- مش وقته.. انت اتجدعن بس السنة دي وشد حيلك شوية.. وبعدين وقتها
نشوف اللي ربنا كاتمهولك

- ماشي يا كبيرة انتي تأمري.. انت عملالنا ايه عالغدا من أيديكي الحلوين
دول.. أنا جعاان

- مش هتستني صالح؟ زمانه جاي من النادي

- لاا.. صالح بينسي نفسه في النادي.. ودلوقتي لما بقي كابتن كمان بيسرح مع
نفسه.. أنا جعاان بقولك

- طيب خلاص اتسد شوية.. لسه الأكل بيستوي

- في أكل ايه ها؟ ها؟ أنا شامم الريحة تجنن

قالت له غامرة :

- أكلتك المفضلة.. فراخ مشوية بالببطاطس.. ورز معمّر

- وااو

ثم قام وقبّلها.. ربتت على كتفه.. ثم قالت :

- ادخل يلا خد دوش وانضف كده..

ثم قرصته من شحمة أذنه قائلة..

- وتصلّي العصر.. سمعت؟

- من عويناتي

تركها وذهب إلى الحمام.. عادت هي إلى المطبخ.. وإلى أحزانها الصامتة..

جنّ عليها الليل وهي لا تزال في حالة التوهان.. يلاحقها طيف عبدالله.. شقيقها الراحل.. ذكرياتهما سويا منذ الطفولة وحتى سنوات الجامعة.. تذكرت عندما كان يصطحبها للجامعة.. تجمعهما أسوار الجامعة فهو كان يدرس في كلية الحقوق وهي تدرس في كلية الآداب قسم اللغة الإنجليزية.. كانا يذهبان سويا.. تتذكر عندما يأخذ بيدها في حنان ويعبر بها الطريق.. وعندما كان ينتظرها حتى تنتهي محاضراتها وتخرج لتجده مبتسما وفي يده كيسا مملوءا بالساندوتشات والبيبسي والشوكولا التي تحبها.. كانت لا تفوته أي تفاصيل.. تتذكر ذات مرة كانت تهاتفه ونفذ رصيدها أثناء المكالمة.. بعدها بدقائق استلمت رسالة نصية تعلمها بأنه قد تم شحن الرصيد.. كم كان مهتما بها.. بكل أمورها.. حتى عندما كان يتغيب عن الجامعة وتزيد عليه أعباء العمل مع أبيه.. كان يهاتفها وهي في الكلية ليطمئن عليها بين الوقت والآخر.. تتذكر زميلاته في الجامعة كُنَّ يغبطنها ويحسدنها عليه.. تتذكر كُنَّ يقلن لها، (يا بختك بعبدالله يا زهرة..).

عندما توفّي كرهت الجامعة.. لم تكن تطيق أي ركن فيها.. الآن هي في سبتمبر 2012.. تتذكر أول يوم لها في الجامعة بعد وفاة عبدالله.. كان في سبتمبر 2009.. دلفت إلى الجامعة وهي تشعر بوهن وضعف العالم كله.. كلما ترى أيا من زملائه أو زميلاته كانت تنتحب.. ينتابها البكاء.. تنزّز ألما.. ظلت هكذا لفترة طويلة.. حتى إن زملاءه وزميلاته عندما كانوا يرونها أو يلمحونها من بعيد.. كانوا يتوارون منها.. فهم يعلمون أنها لا تحتمل رؤيتهم

وشقيقها ليس موجودا بينهم كما اعتادت أن تراه.. ذات مرة قابلت بعض زميلاته وسلّمن عليها في حرارة شديدة.. تماسكت أمامهن بعض الشيء.. قالت لها إحداهن في حرج..

- والله يا زهرة على طول بنشوفك وبنبقي عاوزين نسلم عليك بس مش بنرضي عشان عارفين اللي بيحصلك وبتعطي وبتتعي قد ايه لم ترد.. بل اكتفت بالتهنيدة..

لم يكن أختا عاديا، بل كان صديقا.. عندما توفي.. كان عبد الرحيم يبكيه بشدة.. سمعته يقول في قهر، (الله يرحمك يا صاحبي!).. كان نعم الصديق لإخوته.. كان يشعر بها حتى وإن كانت تبعده عنها المسافات.. وحده امتلك هذه الخاصية..

ذات يوم أصيبت بإغماء إثر تبرعها بالدم لإحدى حملات التبرع بالدم أمام الجامعة ، كانت تجلس في محاضرة لمادة الترجمة ، كل ما تذكره هو أن حالة من التشويش سيطرت عليها شيئا فشيئا حتى بدأت تشعر وكأن العالم يبتعد ، طنين في أذنيها يرتفع بالتدرج ، وصوت الدكتوراة التي تحاضرهم بدأ يأتي من العالم الآخر ، حتى غابت عن الوعي.. حملتها بعض الزميلات ، وتكرمت الدكتوراة بإخراج زملائها الأولاد ، وأغلقت باب القاعة ، حتى يتسنى لزميلاتها رفع النقاب عن وجهها ؛ أفاقت من الإغماء لتجد نفسها محاطة بزميلاتها ، بعضهن يداعين بأصابعهن خصلات شعرها الناعمة وبعضهن يرشونها بزخات من عطورهن لإفاقتها..

والدكتوراة تبتسم لها في رقة قائلة :

- What a beautiful young lady!

ابتسمت لهن زهرة في ضعف شديد ، طلبت لها الدكتوراة الإسعاف ، وحالما علمت بأنها ستُحمل إلى سيارة الإسعاف رغم حالة الاعياء التي سيطرت عليها

إلا أنها أصرت أن ترتدي حجابها ونقابها ، رفضت أن تخرج من قاعة المحاضرات بوجه مكشوف.. قالت لها الدكتورة :

but you are sick , dear -

أشارت لها زهرة بيدها الصغيرة رافضة.. لم تكن تستطيع الكلام.. كانت في نصف وعيها.. إلا أن الدكتورة احترمت رغبتها.. كانت الدكتورة غير محجبة ولكنها احترمت رغبة طالبتها.. لم تسمح لرجال الإسعاف بدخول القاعة حتى غطت لها زميلاتها شعرها ووجها.. حينها دخل رجلان بعد أن أجلستها زميلاتها على أحد كراسي القاعة.. وحمل كلا منهما الكرسي من ناحية حتى وصلا بها سيارة الإسعاف ونظرات الدكتورة وزميلاتها تشييعها في احترام وحب وقلق..

رافقتها احدي الزميلات في سيارة الإسعاف.. وصلت إلى المستشفى.. تم عمل اللازم.. حقنها الأطباء وأمدوها ببعض المحاليل الطبية.. بدأت تستعيد وعيها بشكل كامل.. بدأ ذهنها يصفى.. قالت لها زميلتها :

- فين موبايك يا زهرة عشان نتصل بأهلك في البيت ييجوا ياخدوكي
أشارت لها قائلة :

- فين شنطتي

- معايا يا حبيبتى متقلقيش

- الموبايل في الشنطة.. طلعيه عشان أكلهمم في البيت

حينما أخرجت هاتفها وجدت مكالمات فائتة من عبدالله.. اتصلت به.. جاءها صوته شديد القلق :

- زهرة.. انتي بخير؟

- أه يا عبده الحمدلله..

تهند في ارتياح..

- الحمد لله.. أنا كنت قاعد في الشغل مع أبوكي.. فجأة كده قلبي اتقبض عليكي.. قلت أتصل.. لما مرتديش.. قلقت جدا
بُهتت زهرة.. كيف يشعر بها لهذه الدرجة.. هو الوحيد من دون إخوتها وأصدقائها.. من دون العالم كله من يمتلك تلك الحاسة تجاهها.. دائماً يصدق إحساسه وحده.. قالت له بصوت مبتسم واهن..
- أنا فعلاً أغمي عليا في الكلية.. ودلوقت في المستشفى.. بس بقيت كويسة والله يا عبده..

أتاها صوته هادرا يفيض بالقلق :

- مستشفى إيه؟

- مش عارفة.. ثواني

ناولت الهاتف لزميلتها.. كلمته زميلتها وأخبرته اسم المستشفى.. في أقل من ساعة كان عبدالله يقف أمامها في المستشفى.. حملها بين ساعديه القويين كالريشة.. استأجر لها تاكسي أوصلهما من الإسكندرية وحتى أسفل بيتها في كفر الدوار.. أنزلها من التاكسي برفق شديد.. قالت له..
- عبده بقيت كويسة والله هقدر أمشي..

حملها مرة ثانية بين ساعديه.. حتى وضعها على سريرها في غرفتها.. وحينها.. حينها فقط انفجر فيها بارتياح غاضب..

- متبرعيش بالدم تاني..

- حاضر

رغم أن عبدالله يكبرها بعامين فقط.. إلا أنها كانت تشعر وكأنه يكبرها بعمر كامل.. منذ طفولتهما كان يتحمل مسؤوليتهما من تلقاء نفسه.. كان سندها.. كان سند أبيه.. ذراع أبيه اليميني.. كان سند اخوته وأمه وأصدقائه.. لم يخذل أحدا بحياته قط.. يشهد له كل من عرفه بالشهامة والمروءة والحمية.. منذ صغره كانت تصرفاته تنبأ برجولة مبكرة مما جعل والده يعتمد عليه في

الكثير من شئون عمله رغم أنه ليس ابنه الأكبر.. كان الابن الثاني بعد عبد الرحيم.. ولكنه كان الابن الأكبر فعليا..

مات عبدالله وترك فراغا شاسعا لا يُملأ.. ولا يُعوّض.. ترك أحزاننا لا تنتهي.. ترك جرحا غائرا لا يطيّب ولا يندمل في قلوب كل من عرفوه وأحبوه.. مات غريقا وهو في ريعان شبابه..

ظلت مستلقية على وسادتها التي أغرقتها بدموعها.. وهي تبكي أحب وأقرب إخوتها لقلبها.. شعرت برأسها ثقيلة.. كادت جمجمتها تنفجر من الصداع.. قرع مؤلم في رأسها.. قامت من سريرها.. اتجهت إلى غرفة عبدالله رحمه الله.. كانت هي الغرفة المجاورة لغرفتها.. فتحت دولابه.. وراحت تتحسس رائحته في قميصه.. وتدفن رأسها فيه حتى بللته بدموع الحسرة.. تفقدت غرفة أخيها.. فتحت شرفته ونظرت بألم إلى النبات الذي مات كمدا على صاحبه.. كان عبدالله يزرع الريحان في شرفته.. بعد وفاته ذبل الزرع.. رغم أن زهرة كانت ترويه كل يوم وتحافظ عليه إلا أنه يقال إن النبات يشعر بصاحبه.. بالفعل مات الريحان وفاء لعبدالله..

انتزعها أذان العشاء من هذا الجو الجنائزي.. راحت تردد الأذان وتدعو لكل أمواتها.. لعبدالله وجدتها.. وكل أموات المؤمنين.. توضأت وصلّت العشاء.. جلست من جديد على سريرها.. انتابها رغبة الكتابة.. راحت تكتب في رحاب الحنين..

الحنين هو أن تبيك رائحة عطر
هو دوامة لها تأثير في النفس كالسحر
ويتبقي مذاقه في قلبك بين الحلو والمر
يستنفذك كاستنفاذ الأحرف للورق والحبر
هو ذكري تحت الرماد تبيك في الأسر
وإن لم تخمدها أنت يخمدها الزمن بالقهر

هو اشتياقي لأخ مات غريقاً في النهر
والموت قتيلة لرؤيته وضحكة من أرق ثغر
وأتنسم رائحته في قميصه بعد نفاذ صبر
وأبكي فالحنين أن تبكيك رائحة عطر
فتغمض عينيك والدموع بوجهك تغمره غمر
وتعيش ذكريات مرت وما زالت بخيالك تمر
هو حرقة في القلب لشقيق رحل في مقتبل العمر
هو شوق لطبع قبلة على أناملها وجبينها الحُر
أعظم امرأة بحياتي جدتي أقولها بكل فخر
يا مثالا للحنان والعطاء والشرف والطُّهر
هو احتياج قاتل لوجه أمي الجميل كالبدن
أشتاق لأم تركتني رضية منذ ثالث شهر
أتمني من الله أن يجمعني بأحبائي على خير
الحنين يأتي فجأة على غفلة ويرميك في بئر
فالحنين يستهلك العواطف ويتركك بغدر
ويظهر عليك لا تستطيع إخفاءه كأي سر
ومن منا لا يعانیه؟

عن نفسي أعترف وأقر
الحنين معاناة يعانها أناس كثر
فهو يأتيك دون تذكر شيء بعينه أو ذكر
هو شجن غريب لذكري مضت في الدهر
هو لهفة عجيبة قوية كخيل جامح أو مهر
وزهد لما أنت فيه ولو كنت في قصر
وتحن لأيام مضت وذكريات ولو ملؤها الفقر

عندما يشقك السهاد وتزكك الصبابة ويهزمك الفكر
هو أن تحب البكاء تضرعا لربك في الفجر
طالباً منه ما تريد وما تتمني من أي أمر
هو انتظار سكينه وعبير روحاني في ليلة القدر
هو انتظار المغرب بعد صيام لإفطار بحبة تمر
هو الخشوع بين يدي الله في ركعتي قيام وركعة وتر
الحنين تفشل في وصفه أي كلمات أو شعر...

طرقات هادئة على باب غرفتها.. اعتدلت وهي تخبأ أوراقها ودموعها وحنينها
دفعه واحدة.. قالت..

- ادخل

فتح صالح باب الغرفة وهو يبتسم.. ثم قال..

- مش هتتعشي معايا

جاهدت كي تبتم وهي تقول..

- لا لا بالهنا والشفاء.. أنا اتغديت متأخر.. استنيتك لحد ما يأست.. شوف
أسر كده يتعشي معاك

وضع رأسه على يده وهو يقول في دعابة :

- أسر نايم بيتعشي مع الملائكة رز بلبن..

- ماشي يا كابتن

دلف صالح وجلس بجوارها.. نظر في عينها بعمق :

- زعلانة ليه.. مش خلاص فركشتي قراية الفاتحة وغار في داهية.. بصراحة
عندك حق أنا عن نفسي مكنتش بطيقه..

- ومين قالك اني زعلانة.. بالعكس هم وانزاح

- وعقبال ما تتخرّج من كلية التجارة وتبقي businessman.. ولأعب جمباز

قد الدنيا

ابتسم،

- مرة واحدة كده.. يا رب يختي

ثم غمز لها :

- ومش هتقوليلي برضو مالك؟

- مفيش والله.. مش حاجة معينة.. شوية لغبطة وهتروح لحالها

- معلش أنا عارف إن أبوكي مذهقك.. بس استحمليه.. فترة وهينسي لوحده

- يا مسهل

- طيب.. هسيبك أنا بقي وأروح أتعشي.. تسمعي معايا فيلم طيب عاللاب؟

- لالا.. شوية وهنام

- خلاص تصبحي على خير

- وانت من أهله

غادر صالح غرفتها في هدوء وأغلق الباب خلفه.. عادت هي إلى طقوسها..

لملمت أوراقها.. طوتها بعيدا.. فتحت الفيسبوك.. كتبت status غريبة بعض

الشيء.. تحدّثت نفسها ولكن بصوت مرتفع..

بعد منتصف الليل وجدت «هشام» في انتظارها..

- عاملة إيه؟

- الحمدلله وانت؟

- الحمدلله.. Alright.. عملي إيه today؟

- كنت نايمة

- طول اليوم؟

- آه نمت كتير جدًّا

- وليه نمتي كتير؟

- عادي.. ساعات مش بنام أساسا.. وساعات مش بقوم من النوم..
أضافت..

it depends -

كتب مداعبا إياها..

- فاضيين احنا بقي

كان قد قرأ الstatus.. أدرك أنها في مزاج سيء.. كتب لها..

- ايه اللي انتي منزلاه.. ينفع كده؟

- هو إيه؟

- مين زهرة يعني؟ اللي كاتبها في الstatus

- أنا أكيد

- طيب يعني أنا أكتب بقي كل شوية علي الفيس إن أنا نجم يعني؟ لا لا لا
من تواضع لله رفعه

- لا لا مش كده.. أنا مجرد بشجّع نفسي عشان حاجة جوايا.. بفكر نفسي..
بفوق..

- فوق ولا تحت؟

تجاهلت مزاحه وكتبت في جدية :

- ساعات الإنسان بتيجي عليه ضغوط كتير.. فلازم يعرف نفسه هو ايه
عشان يتصرف مضبوط عشان صورته قدام نفسه..

كانت تلمح من وراء كلامها.. ترمي له برسالة معينة بخصوص ما قاله لها أن
ترسل صورتها الشخصية لمن تحب.. تريد أن تخبره أنها في صراع نفسي.. في
الحقيقة هي لم تكن في حاجة لإخباره ذلك.. هو يعرفها عن ظهر قلب.. يعلم
أيضًا أنه السبب الرئيسي في مزاجها السيء وكآبتها لهذا الحد.. حد أن تتمني
الموت لرؤية أمواتها.. عندما يشتاق الإنسان لرؤية أمواته.. ويتمني الذهاب
إلهم.. فهذا يعني أنه متعب من الأحياء.. هذا يعني أنه لم يعد يتحمل فوق

طاقته.. مُنهك حد النخاع.. كم هو مؤلم أن تشكو الأحياء للأموات.. كم هو

مؤلم!

اكتفى بكتابة..

- أيوا بقى يا راسي يا عاقل يا واعى..

- ماشي..

استرسلت بكبرياء وشموخ وعزة نفس..

But I know well who I am -

تأخّر عليها في الرد.. فكتبت :

- انت بتروح مني فين؟ مشغول؟

- لا عادي.. بس أنا دلوقت بكلم 6 أشخاص على الشات.. فعادي بتأخر

شوية

شعرت بالغيرة.. كتبت :

- أوك.. همشي دلوقت.. نتكلم وقت ثاني

استبقاها ضاحكا..

- ههه انتي شايفة كده؟

- أها عشان ميبقاش load.. وبعدين لازم أكون حساسة يعني..

ضحك عن آخره.. فهو يعلم أنها تغار.. وأنها لا تريده أن ينشغل مع غيرها

وهو معها..

- ههههه زيكو زيكو انتي يعني على فكرة

سألها :

- هو مش حفلة التخرج بتاعة كلية آداب بكره؟

don't know.. Why? -

- سمعت إن في graduation بكره

- لا ماليش في كده.. بس ممكن صحابنا في قسم إنجليزي يعملوا حاجة لينا
احنا.. مع نفسنا هنروح مكان وكده..
واصلت :

we will arrange for that later -

- انتي شايفة كده؟

ردت بعصبية واضحة :

- أنا بكره الكلمة دي.. (انتى شايفة كده؟)..
ثم أردفت :

- ما تشوف انت

استفزاها :

- جامدة جداً.. ما أنا عينيا بتوجعني

استشاطت غضبا.. كتبت :

- أنا مش شايفة.. شوف انت

واصل استفزازها :

- مش شايفة ليه؟. من النقاب؟

ضحكت.. كتبت له :

Am home -

ثم أضافت :

- يعني مفيش نقاب.. Sure يعني..

استدرجها حيث يريد.. كتب عن قصد :

- ايه ده.. Really مفيش نقاب؟ طيب ايه اللي تحته عشان ده أنا معرفوش..

أهو ممكن نتخيل من الوصف.. بس متقوليش لزهرة إن انتى قولتيلي.. ها؟

ارتبكت.. لم تدر ماذا تكتب.. استجمعت نفسها.. حاولت تغيير الموضوع..

كتبت..

- قولي ليه قفلت كده امبارح quickly.. في وشي بسرعة.. مش كده عيب؟

- لا متهربيش

- مين اللي بهرب؟ أنا بهرب now فعلا.. بس انت هربت امبارح.. واحدة
بواحدة..

- لا أنا مهربتش.. أنا نمت.. يعني تخيلي أنا بتكلم دلوقت الساعة اتنين إلا
تلت صباحا.. وهصحي الساعة سته الصبح.. امبارح مهربتش.. أنا قلتلك لازم
انتي تتخذي قرار.. ولو سألتني بعد كده حقولك نفس الكلام.
كتبت بعناد :

ok , as you like -

- يلا اوصفيلي زهوره

تجاهلته للمرة الثانية.. كتبت :

- أوصف ايه بس.. تعال هنا الأول.. مفيش يخت.. عشان تبقي عارف بس من
دلوقت

- ليه

- كده ماليش في ده.. مش نظامي

- أيوا اوصفمالي برضو

هربت منه للمرة الثالثة :

- مجيتش ليه حفلة ال English؟

- مكنتش فاضي أكيد عشان الشغل.. بس اوصفيلي برضو..

استنفذت كل محاولات الهروب الفاشلة.. أدركت أنه لن يكف عن المحاولة..
كتبت على استحياء..

- مينفعش.. وحتى لو وصفت you can't imagine

- أوبااا.. الكلام كبير أوي كده

ثم أردف :

- انتي مناخيرك صغنتتة على فكرة

ضحكت.. سألته :

- ليه بتقول كده؟

- دي الحاجة الوحيدة اللي باينة أو بارزة في النقاب..

ضحكت طويلا :

بينما كان يحدثها.. كان يتأمل صورها في الحفل التي قامت وسن بنشرها.. وبالأخص أعجبتة صورة وهي جالسة على خشبة المسرح واضعة احدي ساقيها فوق الأخرى أثناء البروفة.. ممسكة الميكروفون في يدها.. كانت زهرة مندمجة لم تلحظ وسن وهي تلتقط لها الصورة.. أعجبه فستانها وتناسق ألوانها.. تمني لو كان باستطاعته حضور الحفل ورؤيتها ..

سألته :

- ساكت ليه؟

- بسمع song

- اسمها إيه؟

- برّه عنك

-؟؟؟

- وهو أي حد يسمعها كده؟

سألته عن قصد :

- وهو أنا أي حد عندك؟

أدرک مقصدها.. كتب :

- مش مهم عندي لأن ده مهمّش غيري.. المهم عند الناس.. أنا بيني وبين نفسي في حاجات كتير محدش يعرفها.. ومش بقول لحد عليها.. انتي بقي عند

الناس أي حد ولا؟

أدرکت هروبه.. كتبت :

- أنا بسألك انت

- أكيد مش هجاوب

- ليه؟

- عشان الموضوع يفرق معاكي.. عشان كده مش هقول

تسارعت دقات قلبها.. كتبت وقلبيها يخفق بين ضلوعها..

- يفرق في إيه؟

كتب في خبث :

- عيبك إن انتي مش straight

- ده عيبى أنا برضو؟ ده عيب مين فينا؟

ثم أضافت والدموع تخنقها :

- مين فينا اللي mysterious.. وأنا ني؟

ردّ في ذكاء :

- لا.. Mysterious حاجة.. وstraight حاجة..

كتبت ونبضات قلبها تسابقها :

- straight أكثر من كده؟ أعمل ايه تاني؟ قولي أعمل ايه عشان حضرتك

تشوفني straight يا مفترى انت.

- أنا برضو هه.. هقوم بقي أنام قشطات؟

كتبت بعناد :

ok , you escape as usual -

وواصلت ببرود ظاهري.. رغم أنها في حالة غليان داخلي..

- براحة راحتك.. تصبح على خير

لفحه غليانها الطافح في رداء البرود واللامبالاة ؛ فكتبت منيها المحادثة..

- وانتي من أهل الخير.. فكّري هتعرفي كل حاجة عايزه تعرفيها.. Just تفكير..

بس سيبيك الصندل الأبيض بتاعك جامد.. سلاموز

ابتسمت رغماً عنها.. أسعدتها جملته الأخيرة.. شعرت بالإطراء.. فتحت صورتها التي شاركتها معها وسن على صفحتها الشخصية.. تطأعت إليها مجددا وكأنها تطلعها للمرة الأولى.. نظرت إلى ساقها.. بالتحديد نحو قدمها المحفورتين في الصندل الأبيض وهي تضع إحدى ساقها فوق الأخرى بعفوية.. ابتسمت عن آخرها كطفلة دلها والدها.. أغلقت الفيسبوك.. هاتفها نعمة في ذلك الوقت المتأخر من الليل.. حكّت لها المحادثة بالتفصيل.. أنصتت نعمة حتى انتهت زهرة.. علقت قائلة :

- مستنية ايه يا زهرة؟ اهو قالك أنه عاوز يشوفك.. المرة دي لمّح صريح..

صمتت زهرة طويلا.. لمعت عيناها.. قالت..

- نعمة.. هبعتلو صورتى..

سألته نعمة بحذر..

- قررته خلاص؟

امتألت عيناها بالدموع.. خرج صوتها مهتزا..

- آه

- زهرة.. لو خايفة أو متوترة بلاش.. عاوزاكي تعملي ده من غير ما تضغطي

على نفسك.. هو نفسه ما طلبهاش بشكل مباشر عشان ميضغطش عليكي..

أكد حاسس بيكي.. وأكد فاهم إن الخطوة دي مش سهلة عليكي

قالت زهرة بانفعال :

- وعشان كده هعمله ده..

تهدّت قائلة بلهجة عشقية عميقة :

- بحبه يا نعمة.. بحبيبيبيبيبيبيبي.. من جوايا نفسي يشوفني.. نفسي يقولي

انتي جميلة يا زهرة.. نفسي يشوف مين زهرة اللي بتكتبله شعر.. اللي شقلب

كيانها..

قالت نعمة في مرح :

- اللله.. سيدي يا سيدي.. يا بختك يا «هشام»..

ثم أضافت بلهجة صادقة حميمية :

- طب والله العظيم يا بخته ابن المحظوظة.. بس يا رب يكون بي فهم ويقدرك صح يا زهرة..

قالت زهرة في سعادة طفولية :

- طب عاوزاكي تختاري معايا أبعتلو أنهو صورة.. محتارة

- خلاص ابعتملي inbox دلوقت وهختار معاكي

- أوك..

استقرت على صورة بعينها.. صورة ترتدي فيها فستانا فيروزى اللون..
وشعرها الطويل منسدل في انسيابية.. وهي مبتسمة في رقة وعذوبة لا تضاهي
بوجه بريء.. ملامحها طفولية..

- هبعته دي يا نعمة

قالت نعمة مترددة :

- أوك بس..

- بس إيه؟

- الصورة بشعرك.. معندكيش صورة بحجاب؟

زفرت زهرة :

- أديكي شوفتي كل صوري في البيت بشعري.. مش معقولة هتصور في البيت
بحجاب.. ودي أكثر صورة مش باين فيها غير وشي وشعري بس.. الفستان
مقفول تمامًا.. بقيت صوري لابسة فيها قصير أو عريان.. وفي صور حاطة
فيها make up.. دي الصورة الوحيدة اللي مفهاش make up كمان.. ودي
والله كل الصور اللي عندي

قالت نعمة :

- أمممم فهمت.. أوك.. عموما هي مش أوفر.. الفكرة بس أنه هيتفاجيء شوية.. مش هيفهم الكلام ده انك معنديكش ولا صورة بحجاب.. بس يلا مش مهم..

سكتت زهرة.. سألتها نعمة :

- مالك؟

- خايفة.. بس خوف لذيذ..

طمأنتها نعمة :

- سيبها على ربنا.. أنا متفائلة

قالت وهي تحاول السيطرة على انفعالاتها ودقات قلبها التي لا تتوقف عن القرع..

- هبعتلو الصورة دلوقت في مسدج على الفون.. هو زمانه نايم.. لما يصحى الصبح هيفتح المسدج ويشوفها.

ok ,go on -

- هقفل دلوقت معاكي وأبعثها لو..

- ok.. يلا سلام ومستنياكي تطميني

- حاضر.. سلام

أرسلت له صورتها.. لم يصلها تقرير التسلم.. التهمها القلق.. طمأنت نفسها أنه ربما يكون هناك عطل في الشبكة وأن الرسالة ستصله في وقت متأخر.. أو ربما يغلق هاتفه أثناء النوم.. وعندما يفتحه ستصله حتما.. عصفت بها الاحتمالات.. حاولت تهدئة نفسها.. عبثا خلدت إلى النوم مضطربة متوترة.. نامت ساعات قليلة.. استيقظت مبكرا.. انتفضت.. جلست على سريرها..

تفحصت الهاتف.. لم يستلم رسالتها بعد.. طوال اليوم لم تتلقَ تقرير التسلم..

هاتفت وسن كي تتخلص من توترها.. احتفت بها وسن..

- زهوووره.. ماسمعتش صوتك من أيام.. وحشتيني

قالت في حُب :

- وانتي كمان يا وسن وحشتيني كتييييير.. عاملة إيه؟

- زي الفل..

استطردت بلهجة خاصة :

- انتي اللي عاملة إيه؟ والحُب أخباره ايبيه؟

ضحكت زهرة :

- الحمد لله.. الحُب عاوز يشوفني

عقدت وسن حاجبها :

- مش فاهمة

- لمّح أنه عاوز يشوف وشي.. لمّح اني أبعثله صورتي

قالت وسن محدّرة :

- لا يا زهرة.. اوعي عملي كده

انتفض قلب زهرة :

- ليه يا وسن

تهددت وسن :

- زهرة ما ينفعش عملي كده.. يمكن تستغري رد فعلي ده خصوصا اني مش

محجبة.. بس أنا رأيي مينفعش عملي كده.. مش زهرة اللي تتشاف بالطريقة

دي.. ومش «هشام» اللي عملي عشانه كده..

صمتت زهرة.. كيف تخبرها أنها بالفعل أقدمت على تلك الخطوة.. ورغم

تحذير وسن ولهجتها الشديدة إلا أنها لم تشعر بالندم على ما فعلت.. كانت

أنهت المكالمة مع وسن.. ضرب الحُب عرض الحائط بتحذيراتها.. لم تكن في حاجة لأن تعكّر صفوها.. لم يكن يعنينا ماضيه.. لم يكن أي شيء ليثنيها عن حبه.. لم تكن لأي قوة في العالم أن تغيّر مثقال ذرة حُب في قلبها له.. بداخلها يقين يخبرها بأن كل شيء مختلف معها.. إيمان قوي بنفسها وبه.. بأنه لن يخذلها.. لن يخدعها.. بأنه يعي جيدًا أنها ليست كالأخريات.. قررت خوض الحُب معه.. من دون قيود.. قررت الذهاب إليه.. قررت تنفيذ رغبته.. المواجهة..

ظلت تترقب الفيسبوك طوال اليوم.. في السابعة والنصف مساءً.. ظهرت تلك الإشارة الخضراء التي تشرح صدرها.. بادرتة دون سلام..

- مقولتيش

- إيه؟

- أنا فكرت وموصلتس لحاجة.. قولي انت بنفسك

- طيب وأنا مالي

- يعني إيه؟

- انتي موصلتيس.. أنا مالي؟

- ايه الأسلوب ده؟

- لا انتي مش فاهمة قصدي.. يعني بقولك لازم توصلي يا زيكو

حسنت أمرها.. كتبت :

- «هشام».. بعثلك مسدج امبارح

- موبايل ولا فيسبوك؟

- موبايل

أضافت :

- multimedia

- مفيش حاجة وصلت

داعبته قائلة :

- بأمانة؟

- يعني هكذب يعني؟

كانت تعلم أن الرسالة لم تصله.. استجمعت نفسها.. خلعت النقاب عن كلماتها.. كتبت..

- ليه عاوز تعرف شكلي يا هشام؟

أعجب بشجاعتها.. أخيرا واجهته.. تهدّجت عواطفه.. كتب وهو يبتسم :

- على فكرة انتي لو مش عايزة انتي حرة.. بس مش فضول ولا حاجة.. أنا في

حاجة جوايا بتقول إني عايز أشوفك.. وبرضو لو مش عايزة as you like

دق قلبها.. ارتخت أعصابها.. كتبت بعاطفة متأججة :

- وأنا كمان في حاجة جوايا عاوزاك تشوفني..

أكملت :

- من زمان

شعر بانتشاء لا حدود له.. سألها :

- والمسدج بتاعة امبارح كان فيها إيه؟

my photo -

ابتسم في ظفر عن آخره.. كتب :

- طيب مانتي لو عايزة تبعتها ما كنتي تبعتها هنا

سألته :

- انت موبايلك مش بيستقبل مسدج multimedia؟

- أكيد بيستقبل طبعا

- طب انت بتدخل بيه نت؟

- لأ

- عشان كده.. لازم تكون مشترك نت عشان تستقبل مسدج multimedia

So ? -

You choose -

As you like -

Inbox هبعتهالك today إن شاء الله..

Ok -

كتبت :

- ممكن نتكلم بصراحة؟

- أنا مبتكلمش إلا بصراحة

Do you feel me ? -

كتب بحذر :

About what ? -

شعرت بإحباط :

ok , nothing -

استطردت :

- طب ممكن تجاوب سؤال امبارح؟

- اللي هو إيه؟

- أنا عندك إيه؟

- مش عايز أقولك انتي شايقة ايه عشان متقوليش بتجاوب سؤال بسؤال

والجو ده.. عشان انتي على طول بتفهميني غلط.. بس really دي حاجة

جوايا say حلوة ولا وحشة.. مش هينفع أقولها..

ثم سألها :

- طيب أنا عندك إيه؟

- مش هينفع تقول ليه؟ أنا مش هقول غير لما انت تقول

- خلاص بلاش تقولي

بأصابع مرتجفة.. وقلب أنهكه الحُب كتبت..

- طب هفضل كده لامتي؟ أنا تعبت

- طب ينفع اسألك سؤال؟

- جاوبني الأول

واصل :

- (هفضل كده لحد امتي).. (كده) اللي هو إيه؟ انتي عايزة تعرفي أنا بحبك

ولا لأ؟

بلهفة :

آه -

- بس أنا مش هينفع أقولك حاجة زي دي سواء آه أو لأ.. مش هينفع

أقولك.. وبليز متسألينيش ليه

- انت مرتبط يعني؟

- هو ده اللي وصلتيه؟! يعني منين بقولك مش بحب البنات أساسا ودلوقتي

تقولي مرتبط.. وعلي فكرة لو كده أنا مكنتش هتردد اني أقولك لأ..

انهمرت دموعها.. كتبت في انهيار :

- طيب ليه بتحب تشوفي وأنا بتألم كده؟ ليه شايفني تعبانة ومش عايز

ترّحني سواء آه ولا لأ

كتب في دهاء :

- وهو أنا شفتك تعبانة؟ أنا آخر مرة شوفتك فيها كنتي عادي

كتبت ودموعها المشتعلة تلهب خديها :

- بس أنا مش عادي

- مشفتش ده

- يعني انت شايف إيه؟ وآخر مرة شوفتني قصدك امتي؟

بدهائه أجاب :

- مش شايف حاجة.. هو انتي بعتي الصورة؟ مش قلتي هتبعتي today؟ وآخر مرة قصدي يوم الفطار الجماعي..

كتبت بصدمة :

- يعني ده اللي وصلك؟

واصل بروده ودهاءه :

- موصليش حاجة.. ما الصورة موصلتس

غضبت.. كتبت :

- اصبر..

استطردت :

- طول الفترة اللي فاتت دي كان إيه؟

قهقه.. كتب في لؤم :

- مستنية توصلي معايا لإجابة الأول يعني؟

أجابت بعناد :

- آه

- أومال ازاي امبارح كنتي هتبعتي الصورة وانتي موصلتيش؟ بس ماشي..

Really الملخص I don't think انك هتعرفي مني حاجة.. أنا عمري ما بصرح

بمشاعري لحد ولا بقول على أي حاجة جوايا غير لما بعوز أقول.. ف-please

بلاش تضغطي عليا لأن مش هينفع..

استسلمت أمامه.. أرسلت له صورتها.. ظل يحدّق في الصورة لدقائق

مشدوها.. أخيرا رأى وجهها.. وجه القمر.. رأى المرأة التي أحبته منذ البداية

حتى النخاع.. أحبته بكل جوارحها.. رأى المرأة التي عرّت أمامه قصائدها قبل

أن تعري أمامه وجهها.. رأى المرأة التي سكن إليها منذ البداية.. المرأة التي

يشعر معها براحة لا توصف.. المرأة التي في حضرتها يثمل.. المرأة التي احتلته

دون أن يرى ملامحها.. دون أن يعلم كيف هي تضاريس أنوثتها.. هي ليست

فتاة.. هي امرأة كاملة.. عيناها تضخ براءة وأنوثة وبراكين عاطفة جياشة تحملها له.. شفتاها تغريانه بتقبيلهما حتى يتوقف الزمن.. شعرها البني الحريري الطويل يكويه.. هي المرأة التي اجتازت سقف توقعاته.. حتى الصورة التي رسمها لها في خياله اجتازتها بكثير.. يا الله.. سبحان الخالق!! آية من الجمال.. ملامح تنضح براءة وطفولة تخفي أنوثة ساحرة عنيفة حارة صاخبة فريدة!

أفاق من سُكره على صوت الفيسبوك.. وجدها تسأله..

- إيه؟

لم يدر ماذا يقول.. هو ليس رجل الكلمات أمام هذا الجمال الهاديء الصارخ.. فعل كما يقول نزار قباني (الصمت في حرم الجمال جمال).. كتب لها وحالة الوجوم مازالت تسيطر عليه..

- على فكرة شكلك متغير خالص عن النقاب..

سألها وعقله غائب حاضر..

- هو انتي قولتيلي مامتك أصولها فرنساوية؟

قالت بخوف..

- طب إيه؟

في الحقيقة لو كانت تراه أمامها في تلك اللحظة.. ما كانت ستحتاج أن تسأله.. ملامح وجهه كانت ستقوم بتلك المهمة نيابة عنه.. لغة جسده ستكون أكثر بلاغة من لسانه.

بدأ يستعيد وعيه.. كتب..

- عايزة تعرفي رأيي يعني؟

كاد قلبها يخرج من صدرها.. كتبت..

- آه بصراحة

- مكنتش بحسبك بشعرك.. كنت بحسبك بحجاب.. شوفتها.. هو مش انتي

قلتي زي القمر؟

قالت وقد بدأت تهدأ..

- أنا عاوزه أعرف منك انت

- حق ربنا؟

- أه

- جميلة.. بس أنا عايز أقولك حاجة.. فعلا أنا مش هشوف الصورة تاني

عشان your hair.. المهم.. You are cute

أسعدتها كلماته إلا أنها شعرت بخجل شديد من تعليقه على عدم تغطيتها شعرها.. كتبت..

- على فكرة مش عندي ولا صورة بالحجاب لأن كل صوري في البيت بتبقي كده..

أكملت :

Am sorry -

- لا أنا اللي آسف طبعا

- ليه؟

- مكنتش أعرف أن اللي عندك بشعرك فطلبت أشوفها وأنا فاكرها بحجاب فبقول آسف على كده

- أوك

خرج بها من منطقة الخجل.. أدار دفة الحديث..

- عملي ايه today؟

استسلمت لقلبي ومشاعرها التي تجرفها نحوه بشدة.. ردّت :

- As every day since I got to know you , thinking about you

- يعني؟

بمنتهي الشفافية والوضوح.. صرّحت له :

loving you -

وكأنه كان في الانتظار.. أجلسها على كرسي الاعتراف :

- من امتي؟

- من رمضان

- يوم الفطار؟

تركت قلبها يكبّ أسراره :

- قبلها.. وكنت مش هروح بسببك.. كنت بحاول أهرب منك

أردفت بحرارة :

but I failed as usual -

كتب بدهشة :

- مش هروح بسببك!؟

وضّحت مقصدها :

I was resisting you -

كانت تشعر براحة عجيبة تغمرها.. بسعادة كبيرة تحتضنها وهي تعترف له بحبها.. وهي تجيبه على أسئلته.. كانت تفرغ ما بصدرها من مشاعر عذبة صادقة.. ودّت لو أن الزمن يتوقف بهما ويظلان هكذا إلى الأبد.. اجتاحتها أحاسيس راقية.. تفجّرت ينابيع العشق بداخلها.. ثارت أنوثتها.. أما هو فكان يعيش حالة نشوة لم ولن يعشها مع سواها.. ما أجمل أن تداعب امرأة مثلها رجولته بهذا العلو الشاهق.. تغريه.. تشعله.. تقتحمه.. تفتح نافذة قلبه.. تتربّع في دلال طفولي.. ودّ لو ظلت تداعبه هكذا أبد الدهر.. ما كان سيشعر بالملل قط.. امرأة قلبت القاعدة.. قالتها هي أولاً.. انهارت هي أولاً.. ما أجمل أن تضعف امرأة مثلها أمامه.. لحظات الاعتراف بحبها له هي لحظات تاريخية في حياتهما.. ذلك الإحساس الذي وهبته إياه وهي تعترف له بحبها تلبّسه.. وذلك

الإحساس الذي منحها إياه وهي تعترف له تشرّيته.. ذلك السكون الممتع الذي
اكتنفتهما معا.. ذلك الصمت الذي تقرعه دقات قلبهما معا على نفس الوتيرة..
على نفس الشاكلة والطريقة.

- طب ممكن أسألك سؤال؟

- قول

What will happen if yes or no ? -

I believe in destiny -

- وانتي متوقعة ايه أو حاسة إن أنا إيه؟

- معرفش بجد

- لا أكيد متوقعة

I hope but I can't predict -

Ok -

- ساكتة ليه؟

- انت كنت حاسس؟

- أنا عارف

- وليه كنت بتعمل فيا كده؟ ليه المعاملة التيت دي؟

- عشان سببين أنا فعلا مضغوط في الشغل جدًّا.. وثانيا عشان مبحش اللي

مبيجيش معايا direct وعايز يعرف مني حاجة من غير ما يقول أنا عايز

أعرف ده.

- طيب أنا جيت direct أهو وعايزة أعرف

- يا زهرة قلتلك هتلاقيني جاي أقولك لوحدي

غضبت.. كتبت..

I can't bear this way -

- طيب انتي شايفة إن لازم أقول now؟

- آه

- طيب افرض اني لسه مكونتش رأيي
شعرت بإهانة شديدة..

- بعد كل ده مكونتش رأيك؟!!!! انت مش متفاجيء.. لسه قايلي انت عارف
من قبل كده.. قول وخلصني.. لو لأ كفاية لحد كده
- أممممم

I think I got your reply -

ثم أكملت بكلمات مختنقة،

- بعد اذنك.. سلام

كتب لها في محاولة لاستيقائها..

- نعم؟!

لم ترد..أنهت المحادثة وهي مُختنقة إلى أبعد حد.. شعرت بمهانة.. إلا أنها رغم
ذلك لم تندم على ما فعلت.. لم تندم على أي شيء.. أي تصرف.. أي كلمة..
أي اعتراف.. سيطرت عليها حُيَي الكتابة.. راحت تكتب..

أعظم شرف ليا

إني قابلتك

إني عرفتك

إني سكنتك

إني لاقيتك و اتمنيتك

إني صارحتك..

إني بحبك..

أيوا بحبك..

سيبني أقولك

«إني اخترتك».

أعظم شرف ليًا
إني أشيلك اسمك
إني أجيب منك
ابنك وبنتك
أعظم شرف ليًا
إني حبيبتك
إني بحبك
إني أميرتك
إني صديقتك
أعظم شرف ليًا حُبك
وإني ف حضنك
وإني عروستك
تعرف ليه إني عشقتك؟
أيوا عشقتك
ليك طلة.. ليك صورتك
فيك حاجة خاصة.. هي رجولتك
فيك تركيبة عجيبة رهيبة مش عارفاها! بس هقولك
انت حبيبي.. وبس بقولك
خدني ف ضلك..

هاتفها نعمة ذلك المساء منتزعة إيها من خاطرة جديدة كتبها لتوها..
(أعظم شرف ليًا)..

- ايه يا زهرة مكلمتنيش يعني.. محصلش جديد؟

حكمت لصديقتها ما حدث.. في هدوء شديد.. وحزن دفين.. كانت نعمة تستمع إليها على الهاتف وهي مندهشة.. مستنكرة.. حتى إن تعليقها كان شديد اللهجة..

- هو بيستهبل الواد ده؟ ولما هو لسه بيكون رأيه.. كان بيعصرك طول الفترة اللي فاتت دي ليه.. حد يقول الكلام اللي قاله ده؟ لاااااااا ده واضح أنه بيتسلي.. لقي بنت بتحبه وبتكتبه poems.. بنت مختلفة ومعدّتش عليه قبل كده.. قال أما أعيش بقي.. زهرة متكلمهوش تاني.. أظن كده كفاااية.. ده حتى كان مفروض يتصل بيكي لما قفلتي الشات على طول وانتي زعلانة كده.. ده مفيش أي حاجة خالص.. ايبيبويه ده بجد.. مش فاهمة.. في حلقة مفقودة قالت زهرة بنفس نبرة الهدوء الحزين في صوتها..

- نعمة أنا مش ندمانة على أي حاجة حصلت ولا أي كلمة قلتها.. بالعكس أنا كده ارتحت.. قلت كل اللي جوايا.. بس أنا مش هكلمه تاني فعلا.. ساد صمت ثقيل بينهما.. قطعته نعمة بلهجتها المستنكرة..

He just enjoys -

سألتها زهرة :

- ازاي؟

- مجرد بيستمع بالإحساس اللي بيحسه معاكي.. بالوقت اللي بيقضيه معاكي.. بوجودك في حياته.. حُبك ليه.. القصايد اللي بتكتبها له وبتنشرها على بروفايلك.. الحاجات دي كلها عملا له حالة حلوة.. إحساس معين لاقيه معاكي.. لكن هو من جواه مفيش مشاعر حقيقية.. بس اللي غايطني منه بجد.. ليه كان بيعصرك فيكي من رمضان.. عصرك أسئلة.. تصميمه أنه يشوفك.. ليه كل ده لو هو مفيش حاجة.. قال لسه مكونتش رأيي قال.. ده بيستهبل.. في حد يقول كده؟

بكت زهرة بنشيج مكتوم :

- متعيطييش.. اهدي.. هتسي والله.. شوية وقت بس..

- نعمة هقفل دلوقت معلى :

- على راحتك.. هبقي أطمئن عليكى.. سلام

- سلام

نامت مبكرا تلك الليلة.. وكلها أحاسيس مختلطة.. نامت وفي قلبها كبسة.. نامت بنفس مكسورة.. بمشاعر مبتورة.. إلا أنها نامت.. راحت في سبات عميق حتى الصباح.. استيقظت عابسة.. بائسة.. إلا أنه هناك في أعماقها.. في ركن ما.. كان هناك شيئاً يلح عليها أن تتفهمه.. شيئاً ينبئها أن الحكاية لن تنتهي على هذا النحو.. إلا أنها عاهدت قلبها أن تظل صامته..

بفضول شديد.. فتحت الفيسبوك.. ربما تكون هناك رسالة منه تثلج صدرها.. ربما تكون هناك مفاجأة ما.. لم تجد أي رسالة منه.. تفقدت صفحته الشخصية لم تجد أي جديد.. شعرت بغصة في حلقها.. تفقدت المنشورات.. من بينها أحد الزملاء نشر شيئاً.. كان هذا الشيء مفاجأة ولكن من نوع خاص.. قرأت..

(شباب أنا طالع معسكر باجوش الصبح إن شاء الله.. فوج 10 سبتمبر.. في حد هنا منكو هيكون هناك نتقابل)

وكان هناك تعليقا واحدا على هذا المنشور.. من أحد الزملاء.. كان تعليقه..

(«هشام» رايح في الفوج ده..)

ارتفع حاجباها في دهشة.. اذن هو الآن في الطريق إلى مطروح.. لماذا لم يخبرها بهذا الأمر من قبل.. أغلقت الفيسبوك والكأبة تحوم حولها.. تهدت.. خرجت من غرفتها.. والخيبة تظللها.. توضأت وصلت ركعتين.. هدأت نفسها.. مارست حياتها اليومية بشكل طبيعي ظاهريا.. شرعت في أعمالها المنزلية

اليومية من ترتيب البيت وإعداد الطعام.. وغسل الأطباق.. كانت تنهك نفسها حتى لا تفكر كثيرًا ولكن هميات.. انطفأت..

هااتفها أروة للاطمئنان عليها.. لم تخبر أروة بأي شيء مما حدث.. لم يكن لها رغبة في الحديث في هذا الموضوع ولم تكن لتتحمل أي تعليق أو توبيخ أو نقد.. فقط اكتفت بقول :

- ابقى فوتي عليا وانتي راجعة من الصيدلية
قالت أروة بقلق :

- حاضر.. مال صوتك؟

- مفيش.. مقريفة شوية.. تعالي اقعدى معايا زهقانة.. مخرجتش من آخر مرة
كنتي معايا فيها

- أوك.. مش عايزة حاجة أجيبالك معايا وأنا جاية

- ربنا يخليكي.. هستناكي بقي نتغدي سوا

- أوك.. سلام

- سلام

انقضى اليوم.. استلقت على سريرها.. لم تفتح الفيسبوك.. لم تطق أن تفتحه وهي تعلم أنها لن تراه لأيام.. تعلم أنه الآن في معسكر باجوش في الصحراء.. تلاعبت بها الظنون.. الآن هو يعيش جو السمر بين مختلف الشباب من الأولاد والفتيات.. شعرت بغيرة شديدة تقض مضجعها.. نامت عارية منه تلك الليلة.. عارية من حديثه.. تمت أن يهاطفها ونامت عارية أيضًا من صوته..

استيقظت في اليوم التالي على طرقات أبيها الحادة على باب غرفتها.. استقبلها وهي تطالعه بوجه ناعس.. بصوت قلق ضعيف..

- صباح الخير يا بابا

لم يرد الصباح.. بلهجة جافة مقتضبة قال :

-.. احنا بقينا الظهر كل ده نوم

ثم استطرد :

مرات عبد الرحيم ولدت.. خلصي اللي وراكي النهاردة بدري.. عشان تيجي

معايا المستشفى.. اخواتك كلهم هناك.. أنا لسه جاي ورايح المكتب دلوقت..

تهللت أساريرها..

- بجد.. ما شاء الله.. جابو ايه يا بابا؟

- عبدالله

- الله.. ربنا يبارك فيه يا رب

لم يعلق.. نظر إليها بحدّة.. قال بلهجة لينة مكابرة..

- عقبالك

ابتسمت قائلة :

- آمين

تركها وانصرف :

هذا الحدث كان له رونقه الخاص في قلبها.. الآن لم تعد خالة فقط.. بل

أصبحت عمّة أيضا.. كم هو شعور جميل.. في الخامسة مساءً جلست

بجوار أبيها في سيارته.. لم يتبادلا كلمة واحدة طوال الطريق.. قاد السيارة

بملامحه الصارمة وهي تجلس منكمشة صامتة..وصلا المستشفى.. مشت

بخطوات سريعة عبر أروقة المستشفى حتى وصلت مع أبيها الغرفة التي

تحتوي أسرتها.. على باب الغرفة جلس والد وفاء.. سلّمت عليه بحفاوة

شديدة هي وأبيها.. تركتهما معا..

دلّفت الغرفة.. طالعها وجه أمها وشقيقها عبد الرحيم يجلسان في ركن

الغرفة على أريكة جلدية مريحة.. وجدت والدة وفاء وشقيقها الكبرى

جالستين بالقرب من سرير وفاء.. سلمت على الجميع.. ذهبت إلى سرير
وفاء.. قبّلتها.. ابتسمت وفاء في وهن.. سألتها زهرة :
- أو مال فين النونو؟

حملته لها والدة وفاء.. تناولته زهرة برفق شديد.. وهي تسمّي :
- صغتوت خااااالص.. ياتي كمييلة.. حبيب عمتمو
ناولته لجدته لأمه قائلة :

- مبروك يا طنط وعقبال جيداء يا رب

ضحكت جيداء.. شقيقة وفاء الكبرى.. أشارت إلى بطنها المنتفخة :

- هم السابقون ونحن اللاحقون

ضحك الجميع.. باركتها والدة وفاء :

- عقبالك يا زهرة يا رب

- ربنا يخليكي يا طنط

احتضنت أمها.. جلست بجوارها.. هامسة لها :

ma belle maman -

أشرقت أمها.. همست لها في حنان :

ma petite fille -

حيّت عبد الرحيم بيدها قائلة :

- مبروك يا عبده

قال مداعبا إياها :

- لسه فاكرة تعبريني

- مانا قلت أختم بيبك بقي.. والله وبقيت أب يا عبده

- عقبالك يا وزّة

- أميين

تناولت أطراف الحديث مع أمها.. كانت تفتقدها بشدة.. تحدّثت معها قرابة الساعة.. حتى قطع أبيها الحديث.. دلف الغرفة.. تبادل هو وأمها نظرات صامته سريعة.. قال :

- يلا يا زهرة..

قالت في رجاء :

- طب خليني شوية

- ابقني تعالي تاني.. أنا ماشي دلوقت مين هيروحك؟ بدل ما تتهدلي في المواصلات وترجعي متأخر.. صالح وأسر مشوا من شوية.. لما حد منهم يبجي

تاني ابقني تعالي معاه

قالت في انصياح :

- حاضر.. جاية

سلمت على أمها.. وعدتها بزيارة قريبة.. قبّلت يدها.. قالت لها :

- ادعيلي

وضعت أمها يدها على رأسها في حنان جارف.. قالت :

- الرب يحميكي يا بنتي..

عادت من المستشفى في حالة مزاجية جيدة.. سعيدة بالمولود الجديد الذي سيحمل اسم العائلة.. سعيدة برؤية أمها.. كم كانت تفتقدها.. حمدت الله كثيرًا.. انتشلها هذا الحدث السعيد من كآبتها.. في المساء كتبت على صفحتها الشخصية، (أنا بقيت عمتو).. باركها الجميع.. شعرت بالبهجة والتفاؤل.. اجتاحتها رغبة الكتابة.. شهية كبيرة للكتابة.. كتبت قصيدة عن الحُب.. وذيلت القصيدة بكلمات بسيطة.. كتبت :

Love is a chain
Will forever remain
When love comes
It does refresh your soul and your brain
Love does sustain
Love means to feel no pain
To be satisfied, not to complain
To feel warmth when there is rain
Love invades your heart powerfully much more than any other
campaign
Love is to remain
Because love is a chain
I will always say it again and again
..Love is a chain

الحُب هو سلسلة من الحُب.. تمامًا كالطبيعة سلسلة من الحياة..
زهرة أبو الفتوح

أصبحت تتفحص هاتفها المحمول كل ساعة.. تترقب مكالمته.. قلبها يخبرها
بأنه سيفعلها.. مرّت أربعة أيام ولم يفعلها.. ولم يتزعزع حدسها رغم هذا..
ظَلَّت تنتظره.. كلما يدق الهاتف يدق قلبها معه.. ثم تكتشف أنه ليس هو
فيخبو قلبها.. توحشته بشدة.. ترك غيابه فراغا كبيرا.. عزاؤها الوحيد هو
القلم.. راحت تفرغ ما بها من مشاعر على الورق.. تكتب له وكأنها تحدّثه..

تشكوه إليه.. كتبت له أنها بالفعل وقعت في حبه ولا تستطيع أن تستقيل.. لا
تستطيع أن تستقيل عن هذا الحُب.. بئت له غضبها وحماها واشتياقها
وخوفها.. النار المضطربة في قلبها المسكين.. عبّرت عمّا يجول في صدرها من
مشاعر متضاربة.. نشرت ما كتبتة على صفحتها الشخصية فيسبوك في
يأس.. تعلم أنه لن يقرأه.. هو الآن مسافر.. ربما يقرأه عند عودته.. هي لن
تحدّثه عندما يعود.. كل ما سمحت لها به كرامتها هو الكتابة.. وبث ما تكتب
على صفحتها الشخصية.. كتبت..

Excuse me sir, I already fell in your love..Cannot resign!!!

Believe me, it wasn't my intention I swear , it wasn't a design

It seems to be my destiny but tell me how can I make you believe in
love .. It's just something divine

It is you sir who conquered me and I hope to be mine

It's this light in your eyes... I do love you sunshine

I am sick of you sir.. am moaning,, I am gonna decline

Oh my god! help me, I am living in agony am not fine

Let me tell you that your love makes me unconscience as if being
drunk! are you wine?!

Who are you sir?! How could your soul capture me? Is that gravity
that spoke about it Newton or maybe Aineshtine?!!!!

Know this please, if I ve known that you don't appreciate

female..Trust that I wouldn't have fall in love with you or even write

for you just one line!!!

But what I should do now? It's too late,, I already fell in love and my poor heart cannot resign.....

Excuse me sir , I already fell in your love ... cannot resign

obeikandi.com

في نهاية اليوم الخامس فعلها.. قبيل منتصف الليل دق هاتفها.. كادت ألا تصدق شاشة الهاتف التي تضيء باسمه.. تماسكت.. أخذت نفسا عميقا.. كبتت انفعالاتها حتى لا يفضحها صوتها.. ردّت بصوت مبتسم رقيق :

- ازيك يا «هشام»..

أتاها صوته يحمل شوق عميق :

- ازيك يا زهرة.. عاملة إيه؟

- الحمد لله

تغيّرت لهجة صوته.. جاء معاتبا :

- بقالي خمس تيام مش بفتح فيسبوك.. مسألتيش عليا.. بس أنا قلت خليني

أحسن «كالعادة».. وأسأل أنا

جاء صوتها ساخرا :

- كالعادة؟

ببروده المستفز :

- أه طبعا كالعادة.. عندك اعتراض؟

ثم استطرد في لهجة خاصة عميقة وهو يضغط على كلماته عن قصد :

- حسيت اني عاوز أتكلم مع حد.. لقيت نفسي بكلمك انتي

اخترقت كلماته قلبها.. شعرت بسعادة كبيرة.. صمتت.. سألتها بلهجة خبيثة :

- مكنتيش بتسألني ليه.. تقلانة عليا؟

- لا مش تقلانة..

- أو مال؟

بعتاب ودهشة قالت :

- لا والله!!

- طيب.. انتي عارفة أنا فين دلوقت؟

هي كانت تعرف أين هو.. ولكنها ردّت :

- لأ

- أنا في باجوش.. معسكر باجوش.. طلعتي باجوش قبل كده؟

- لأ

كانت تسمعه بالكاد.. حوله ضوضاء عالية.. قالت بانزعاج :

- مش عارفة أسمعك كويس.. ايه الدوشة دي

- طب خلاص هكلمك لما أرجع.. أنا راجع بُكرا إن شاء الله.. مش عاوزه

حاجة؟

- ترجع بالسلامة يا رب.. خلي بالك على نفسك

- حاضر وانتي كمان.. سلام يا زهره

استعادت عافيتها بعد هذه المكالمة.. تدفقت الأفكار في رأسها.. لقد اشتاقها.. هذا يعني لها الكثير.. لم يهاتفها طوال تلك الأيام لأنه كان في انتظار أن تلاحظ غيابها وتساءل عنه.. هذا معناه أنها تشغل تفكيره وقلبه هي الأخرى.. لم ينساها وسط ضجيج حفلات السمر في المعسكر.. هذا لأن ضجيجها في قلبه أعلي بكثير.. أرخت جفنتها وعلي شفتمها ابتسامة كبيرة.. نامت استعجالا لليل أن ينقضي.. شوقا لعودته.. بعد أن كتبت قصيدة جديدة..

I am breathing romance what a feeling!!

Can any body understand that meaning?

I can feel & even smell romantic air

I have to confirm that.. I have to be fair

I love you ... I swear

How strong & strange emotions!

I mustn't flee!.. There are no other solutions

It's my heart which became obsessed!

Believe me you are so blessed !

استيقظت وكلها شوق إلى الإسكندرية.. بمعجزة كبري استطاعت إقناع
الحاج أن يسمح لها بالذهاب للإسكندرية لشراء بعض احتياجاتها.. وافق
الحاج بشرط أن تعود قبل حلول المساء.. قال لها وهو يعقد حاجبيه حتى
صارا رقم ثمانية وثمانين.. بلهجة خشنة محدّرة..
- قبل الدنيا ما تليل تكوني في البيت..

- حاضر..

انطلقت إلى الإسكندرية.. كعادتها عندما تكون حزينة أو في حاجة للانفراد
بنفسها.. تذهب للإسكندرية بمفردها.. وهناك تستقل التّرام دون وجهة
محددة.. وتجلس بجوار النافذة وتسرح في ملكوت الله.. ولكن تلك المرة كانت
في حالة اشتياق مدمرة.. يقال إن المرأة عندما تشتاق رجل تحبه فانها تشم
رائحة عطره وتضعه على ملابسها.. تسمع أغنية تحمل ذاكرة مشتركة بينهما..
تذهب إلى مكان جمعهما سويا.. لكن زهرة نارية كهذه لا يكفها كل هذا.. لذا
ذهبت إلى موطنه.. اشترت عباءة من رشدي.. من محل ما في واجهة الدير
مول.. في طريق عودتها.. عرجت على استانلي حيث يسكن حبيب القلب..
تنفست هواء ستانلي وكأنها تنفسه.. مرت على كوبري استانلي.. لعلّها تجد
جزئيات «هشام» منتشرة في الهواء.. كم كان محقا عمرو دياب حينما شدا..
(أي حاجة تيجي من ريحة الحبايب.. بتصبر قلبي اللي مشغول عاللي غايب)

هي تعلم أنه سيعود في ذلك اليوم.. لكنها لم تكن تطيق غيابه أكثر من ذلك.. قتلا للوقت وتصيرا للشوق.. ذهبت إلى موطنه في غيابه.. وكأنها ترف قدومه إلى ستانلي.. بل إلى الإسكندرية بأكملها.. ذهبت كي تخبر الإسكندرية على طريقتها («هشام» قادم اليوم.. فاستقبله).. ذهبت كي تترك له رائحتها لعلّه يلتقطها.. ذهبت كي تزقّه إلى عروس البحر الأبيض..

وعادت زهرة.. وفي طريق عودتها من الإسكندرية.. عاد حبيب القلب إلى الإسكندرية.. «هشام».. (هشامها).. التقط رائحتها.. رائحة شوقها فاحت.. وشت بها الإسكندرية.. ما إن دلف إلى غرفته، فتح حاسوبه.. كانت هي تترقبه بشوق العالمين.. تتفقد الفيسبوك كل ساعة من خلال هاتفها المحمول.. الوقت نهار.. هذا ليس معاده.. هو رجل الليل.. أحاديثه مسائية.. ثم إنه حتى وإن عاد في وقت النهار حتمًا سيكون مرهقا من السفر وفي حاجة إلى الراحة بعض الوقت.. إلا أنه أخلف كل ظنونها.. في الرابعة والنصف عصرا.. فتحت لتتفقد الفيسبوك وهي في السيارة إذ بها تجده.. لا إراديا خانتها أصابعها.. كتبت له..

welcome back -

أسعده ظهورها في هذا الوقت.. هو رجل مُحَنِّك أدرك أنها كانت تترقبه.. كتب :

thanks Zahra -

استطرد :

- لسه داخل من الباب.. عاملة إيه؟

كتبت له تُعلمه :

- الحمدلله.. أنا now في الطريق.. راجعة البيت.. كنت في Alex

اهتز كيانه.. كان من المفترض أن يكتب لها (التقطت رائحتك) سألتها بفضول

يفوح في حروفه :

- كنتي فين في Alex؟

وَدَّت لو قالت له (كنت في استانلي.. أبحث عنك.. ألتقط أنفاسك..) ولكنها أجابت :

- كنت ف رشدي بشتري لبس..

سألها وكيانه ينتشي :

- وانتي ايه أخباراتك؟

لم ترد فهي لم يكن في نيتهما أن تنجرف معه في الحديث وتتجاهل ما حدث بينهما ليلة سفره.. كبحت شوقها عند هذا الحد.. استدركت نفسها.. كتبت له في عتاب ممزوج بكرامة..

- على فكرة.. معرفتش أتكلم معاك امبارح في الموبائل عشان كان في دوشة عندك.. أساسا المفروض تبقي عارف لوحذك أنا ليه مش بكلمك.. عشان اللي حصل آخر مرة ولا انت عامل من الهند؟ مكانش ينفع أتكلم معاك بعد اللي انت قلته ده.. بس

قال متصنعا وكأن شيئاً لم يحدث :

- قلت إيه؟

كتبت في غضب حازم :

- «هشام» أنا اتخنقت من your way دي.. راجع آخر conversation بينا قبل ما تسافر وشوف انت قلت ايه.. أنا مفيش عندي كلام تاني أقوله.. بعد اذنك.. سلام

أنهت المحادثة وأنين قلبها يعلو.. كانت منفعلة جداً لدرجة أنها ظلت تنهج وكأنها تعدو في سباق.. وكأنها في ماراثون.. رغم أنها تجلس في السيارة.. جاهدت دموع جمدها في عينيها.. انطلق صوت كارول سماحة من السيارة

مواسيا إياها.. فانهمرت دموعها المتجمدة.. راح صوت كارول الشحي يدغدغ
مشاعرها المكلومة.. وهي تطل من نافذة السيارة بعيون شاردة دامعة تنظر
إلى المجهول.. استمعت إلى الأغنية..

أول ما قابلتك.. كان بس يادوب بينا سلام
تأثير اللحظة دي مش ممكن أوصفه بكلام
وكأنك كنت جنبي.. من سنين وأيام
وأنا فاكره الليلة دي.. مش ناسية ومعرفتش أنام
يا هحك النهارده.. يا هحك قدام

عادت إلى بيتها مختنقة.. لحسن حظها لم يكن هناك أحد في استقبالها..
دخلت غرفتها.. رمت على سريرها حقيبتها و ثوبها الجديد.. خلعت نقابها..
تطلعت إلى وجهها في المرآة.. لم تتعرف على نفسها! ذهبت إلى الحمام.. كانت
أمطار عينها تضاهي أمطار مياه (الدوش).. تمددت في البانيو.. أغمضت
عينها.. ما أفاقت إلا بعد ساعة.. توقفت أمطار الدوش ولم تتوقف أمطار
عينها ظلت تهطل بغزارة وهي تصفف شعرها.. انتزعها من بين شرودها
وأمطارها رنين هاتفها المحمول.. تناولته.. كانت «إسراء» شقيقته.. زفرت في
ضيق.. لم ترد.. بعد دقائق دق هاتفها من جديد.. تناولته بغضب دون أن
تنظر لشاشته.. ردّت في لهجة هجومية :

- عايزة إيه؟

جاءها صوت نعمة مندهشا :

- مش عايزة حاجة يا بت مالك في إيه؟!

تبدلت لهجتها على الفور.. قالت باحراج شديد :

- نعمة.. معلش والله افتكرتك «إسراء»..

قالت نعمة ملطفة :

- ولا يهملك ياستي.. لسه برضو قافشة من أختك؟ ما خلاص بقي

قالت زهرة مترجبة :

- نعمة بالله عليك ما تضغطيش عليا.. لما أهدي هبقي أكلها..

- خلاص خلاص.. شكلك مخنوقة أصلا.. حصل حاجة؟

تهددت.. قالت :

- كلمني امبارح بالليل من باجوش..

- وبعدين؟

- أبدا.. كان واضح من صوته اني وحشته وقالي مبتسألش ليه وكده.. بيقولي

انتي بتتقلي ولا ايه.. تخيلي؟! بعد اللي قاله آخر مرة قبل ما يسافر.. يعني هو

متوقع اني اكلمه عادي بعد اللي حصل ده؟!!!! طب ازاي!!!

قالت نعمة مؤيدة :

- مضبوط.. كل اللي قاله ده مش كفاية ميأكلش عيش خصوصا أنه شافك

وقلتيله انك بتحببيه.. هو بيستهيل على فكرة.. عاوز يقضها كده ويبشوف رد

فعلك

قالت زهرة منزعجة :

- معرفش بقي.. عموما هو رجع النهارده وكان أونلاين وأنا جاية في الطريق..

وقلتله اني مش هينفع أتكلم معاه والمفروض يكون عارف ليه.. وقفلتها على

كده

- وده اللي مزعلك ومعصّبك كده؟ ده انتي كنتي هتاكليني أول ما رديتي ع

الموبايل.. اهدي شوية

- أهذا ازاي.. الموضوع بقي حساس جدًّا.. مش هينفع أتعامل معاه تاني..

ومش قادرة أستحمل الوضع ده واحنا مش بنتكلم..

- وهتعملي ايه تاني يا زهره؟ مالوش حجة دلوقت اهو شافك وعرف اللي فيها مع أنه كان عارف.. بس اهو عرف رسمي.. وقال كلام أهبل محدش بيقوله.. لسه بكون رأيي ومش عارف ايه.. أو مال كان بيفرك طول المدة اللي فاتت ليه بقي.. كان بيرجع من الشغل ويفضل مكبوب على الفيسبوك طول الليل معاكي ليه ويعصر فيكي.. الواد ده مش سهل.. وشكله لافف وداير كثير قبل كده

قالت زهرة بكبرياء وأنفة :

- بس أنا حاجة تانية..

- عارفة والله.. المهم هو اللي لازم يعرف ده ويقدره صح.. زهرة ده واد بتاع بيانو ونوادي.. صحيح هو اتشد ليكي.. وانتي حالة معدّتش عليه قبل كده.. لكن الاستايل بتاعه ده عاوز واحدة مطرقة.. ميك أب بقي وبنطلون والجو ده.. مش هيفكّر في واحدة منتقبة.. سوري يا زهرة متزعليش.. بس ممكن يكون ده تفكيره..

قالت زهرة بعزة نفس :

- والله اللي عاوزني ياخدني زي مانا package على بعضي.. مش هغير حاجة فيا ولا طريقة لبسي عشان حد.. حتى لو كان «هشام».. لو ما اختارنيش زي ما أنا يبقي خلاص..

- أنا شايفكي مكثّرة الموضوع.. ولو قالك تقلعي النقاب ايه المشكلة

- نعمة.. اللي بيحب حد بجد بيقبله بكل معطياته.. وانا مش وصمة عار ولا متخلفة ولا جاهلة أو لبسي معفن ومش لاقية أشتري لبس وأتشيّك.. أظن انتي عارفة وبإين أوي على لبسي أنه غالي.. بس ده استاييلي ومش هغيره لأنني مقتنعة بيه.. ومرتاحة فيه..

ثم أضافت بشموخ ينز ألما :

- ولو «هشام» بيفكر كده.. يبقي ميلزمني

أنهت المكالمة قبل أن يسيطر عليها البكاء..

- معلش هقفل دلوقت.. معملتش أكل لاختواتي لسه.. ألحق أحضر حاجة في السريع كده

استوعبت نعمة هروبها.. إلا أنها تركت لها مساحتها.. يهدوء انسحبت..

- أوك.. سلام

التزمت بما قطعته على نفسها.. كانت تراه أمامها علي الفيسبوك ولا يتحدثان.. هو الآخر اختبر صمودها أمامه.. كم كان هذا مضميا عليها.. ليومين كاملين.. كان يحاول أن يضعفها على طريقته.. هو الذي لم يكتب لها تعليقا على أي شيء تنشره أو أي صورة لها.. كان يكتفي بمراقبتها ويعلق بينهما فقط بطريقته.. فاجأها أثناء قطيعتها له بكتابة تعليق على منشور لها ..

Qura'n is the best medicine ever.

كتبتها تأثرا بسورة الإنسان.. كم تحب هي أن تستمع إلى تلاوة سورة الإنسان بصوت الشيخ أحمد بن على العجمي.. كانت تستعين بالقرآن لتقويتها وتهديئة قلبها الثائر المكلموم.. استمعت إلى سورة الإنسان حتى غمرتها السكينة.. بعد أن استمعت إلى تلاوة العجمي.. كتبت.. قرأها هو.. ولأول مرة يكتب لها تعليقا أمام الجميع.. كان تعليقه مفاجأة..

(من وجد الله ماذا فقد ومن فقد الله ماذا وجد).. قرأت التعليق وابتسمت ولم ترد عليه.. فوجئت بصديقتها وسن تكتب لها في الخاص :

- الله يسهلو.. «هشام» كتب كومنت!!

ضحكت عن آخرها.. وضحكت.. وضحكت.. أما هو كتب التعليق.. وظل لبعض الوقت.. عندما لم تحدته.. أغلق الفيسبوك ونام ليلته عاريا منها.. إلا أن وجهها بملامحه الطفولية كان يطارد مخيلته فيبتسم في نشوة.. هذا

الوجه الذي أصبح يحفظه عن ظهر قلب منذ أن أرسلت له صورتها وتمعن في تضاريسه.. عندما سافر إلى معسكر باجوش، كان وجهها رفيقه في خيمته.. يتجلى بوضوح أمام ناظره.. يبتسم له في رقة.. رافقته روحها في مخيمه وفي حفلات السمر الليلية.. كان وجهها هو المسيطر.. حجب عنه رؤية كل الوجوه.. اشتاقها كثيراً في سفره ولم يكن ليقاطعها وبداخله هذا الشوق.. يعلم أنها تعشقه حتى النخاع.. هي كانت تقاومه بصراوة.. ينتفض قلبها عند ظهوره على قائمة الدردشة أمامها.. تجتاحها رغبة عارمة في الحديث معه.. إلا أنها سيطرت على مشاعرها وانفعالاتها.. لكنها لم تستطع السيطرة على رغبة الكتابة.. كانت تكتب وتنشر.. كان يقرأها من خلال كتاباتها.. يستشعر حالتها المزاجية.. رسائلها الموجهة له.. في اليوم الثاني لقطيعتهما نشرت كلماتها.. من تأليفها.. كانت تكتب بغزارة..

I do believe that pious woman is for pious man

Since couples are made as mentioned in Qura'n

وقصيدة أخرى صغيرة.. تبث فيها التفاؤل.. قرأها وابتسم في خبث....

Hey, my heart never give up hope.. Never

Since Hope tells us ever

Tomorrow is always better

I ve a feeling that we ll be together

Loving each other forever

في مساء اليوم الثالث من قطيعتها له.. قرأ قصيدة لها اهتز لها كيانه.. قرر أن يكلمها ويكتفي بالقطيعة إلى هذا الحد.. كانت القصيدة تفيض حبا

وكبرياء وغضبا وعتبا ولوما.. حتى إنها حازت تعليقات وإعجابات كثيرة من
مختلف أصدقائها على الفيسبوك.. تحدّثت عنها قصيدتها..

Maybe I wanna stop living

Yet forsure cannot stop loving

Maybe I convince myself that all what happened is nothing

Yet I cannot make my heart stop shedding

There is something that is already missing

I try to persuade myself that this is a blessing

Hey heart lets start our journey of forgetting

Hey! Lets stop all feelings we are giving

someone I hope that we are forgiving

Someone that just enjoys getting

But I admit that I am dreaming one day to witness our wedding

«And to be your bride and to say to me «how you look stunning

كم دمعت عيناها وهي تكتب آخر بيتين في القصيدة.. كم ابتسم وهو

يقراها.. كم خطفته ملامح وجهها عندما رأتها عيناها!! كم تبعث بداخله

سعادة من نوع ما لا يعرفه سواها.. كم تشعره بلذة لا تضاهي.. كم يشعر

بمتعة معها وهي تراشقه بالكلمات.. وكأنها نوتات.. يستبجحها هو ليحوّلها إلى

سمفونيات ومقطوعات أخاذة.. لا عجب أليس هو عازف البيانو؟ لغتها

تأخذها.. كلماتها تهره.. انطبقت عليهما مقولة أحلام مستغانمي ما الانهار إلا

انخطاف موسيقي..

فوجئت به أرسل لها كلمتهما المشتركة..

Hey

فرحت لكتّها لم ترد كما اعتادت بنفس الكلمة.. أرسلت له علامة استفهام :
؟-

كتب معاتبا :

- ايه يعني Hey الرد بتاعها بيكون كده (؟)

كتبت ساخرة :

Ok, sorry -

وأضافت :

Hey -

ردّ :

- الله.. الله.. مااشي.. مالك؟

ببرود كتبت :

- خير؟

احترق كبرياؤه.. ما اعتاد منها ذلك الجفاء.. كتب :

- خير؟ لا تمام.. سوري أنا مكنتش أعرف إن انتي مش عايزة تتكلمي وأنا

غلطان إن أنا كنت بسأل عليك..

لم يمهلها كي ترد.. أنهي المحادثة :

شكرا.. سلام

كتبت له في غيظ ودهشة بعد أن أنهى المحادثة :

- ذوق الصراحة.. ربنا ما يحرمني من سؤالك

أما هو فقد أنهى المحادثة محترق الكبرياء.. أغلق حاسوبه.. خرج من البيت

ليلا.. قابل صديقا له وجد في حديثه سلوانا لكبريائه المحترق.

بعد ساعة من التفكير وتأنيب الضمير.. شعرت بأنها هاجمته.. وأشعلت الجو

المتوتر بينهما.. هدأت انفعالاتها.. هاتفته بينما كان هو لايزال في الشارع

يتحدّث مع صديقه.. نظر لشاشة هاتفه المضئنة باسمها.. لم يكن ليحدّثها في حضرة صديقه.. ضغط على زر رفض المكالمة.

ارتفع حاجباها وزفرت في ضيق.. ظنّته لا يرغب في الحديث معها ولا يزال غاضبا.. قررت أن تهاتفه من رقم آخر لا يعرفه هو.. بحوزتها شريحة أخرى لا يعرف عنها شيئا.. حمدت الله أنه لا يعرف رقمها الآخر.. دق هاتفه.. ظهر رقم غريب على شاشته.. لم يرد.. ضغط أيضًا على زر الرفض.. يأسّت هي من أي محاولة أخرى.. ظنّت أن حدسه أخبره أنها هي.. بعد دقائق قليلة.. دق هاتفها.. كان هو المتصل ولكن على الرقم الغريب.. عقدت حاجبها. ردّت دون سلام، قالت بلهجة عاتبة هادئة مبتسمة..

- يعني بتتصل على أرقام غريبة وأنا تكنسل عليا؟
تفاجأ أنها صاحبة هذا الرقم.. قال بنبرة باسمه منتشية ممزوجة بإحراج لذيذ..

- أنا كنت واقف مع واحد صاحبي في الشارع.. ومعرفتش أرد فقلت أشوف مين الرقم ده وكنت هكلمك والله لما أطلع البيت
قالت :

- طيب براءة.. هنتكلم دلوقت ولا امتي؟

- شوية كده وهكلمك

- أوك.. متتأخرش

أنهي تلك المكالمة القصيرة معها وهو يستعيد زهوه وكبرياءه.. أنهى الحديث مع صديقه.. صعد البيت على عجل.. لم يهاتفها.. أرسل لها رسالة نصية محتواها كلمة واحدة :

Facebook -

كانت تنتظره على أحرّ من الجمر.. قرأت رسالته النصية.. تفهمت أنه لن يهاتفها وأنه في انتظارها على الفيسبوك.. حمدت الله.. فهي لا تفضّل المكالمات الهاتفية في وقت متأخر من الليل.. فتحت الفيسبوك :

- في إيه؟

- انت عارف كل حاجة

بانفعال كتب :

- يعني ايه عارف كل حاجة.. هو انتي كل شوية تحسسيني إن أنا بتعامل معاكي بطريقة غريبة واللي انتي قولتيه قبل كده.. ومحسساني إن أنا عملت حاجة فظيعة أو جريمة.. مش فاهم إنتي بتعملي كل ده ليه..

بدهشة وألم كتبت :

- انت اللي بتعمل كل ده ليه؟ أنا تعبت بجد

- أيوا بعمل ايه يا زهره؟ قولتي لي ده أكثر من مرة.. أنا بعمل ايه قوليلي

بغیظ مكتوم كتبت :

- مش بتجاوب على أي حاجة بسألك عليها وعاوز تعرف وبس.. لكن تقول لأ..

ثم أضافت ودموعها تنهمر :

So selfish of you -

- أنا برضو اللي كدا؟

شهقت وهي تقرأ كلامه المستفز.. كتبت :

- حرام عليك بجد.. فاضل ايه أنا مقولتهوش.. وياه أصلا انت قولته؟!!

ببرود سألها :

- انتي اللي بتقوليه ده اللي بيحصل؟

كادت تشد شعرها.. كتبت وهي تجرّ على أسنانها :

- انتي هتجنني by the way

باستفزاز متعمّد.. كتب :

- طيب ما دي حاجة كويسة

صرخت بحروفها :

- يلا يا باااa

- هو أنا ممكن أسألك سؤال؟ أنا عمري هزرت معاكي بشتيمة؟ ولا انتي مش

بتهزري وبتتكلمي جد عشان أبقى عارف بس؟

شعرت باحراج.. كتبت :

- أيوا بتهزر.. وقتلي يا تيت قبل كده وأنا عادي متكلمتش عموما am sorry

- وهي تيت دي شتيمة؟ لا دي كناية عن إن أنا عايز أشتيم بس ما بشتمش..

سؤال، ايه المشكلة لما تتجني؟ وحش ده يعني؟

بكت في قهر من كم البرود واللامبالاة والاستفزاز المتعمدين في ردوده..

كتبت..

- ربنا يسامحك بقي

غير دفة الحديث :

- عملي ايه today؟

أدركت مراوغته.. كتبت بتصميم :

- جاوبني على سؤالي

- ايه هو سؤالك يا زيكو؟

- اللي مجاوبتهوش قبل كده

ثم واصلت :

- What do you feel about me ?

- وهو عشان يعني طلعتي زي القمر تقولييلي What do you feel

- لا عشان أنا صارحتك بمشاعري والمفروض تقدر ده وتقولي اللي عندك..

أيا كان بس أعرف..

- انتي شايفة طالما حصل كده يبقي لازم أعمل كده؟

- أه.. ده من حقي.. الوضع دلوقت مختلف.. قدّر الإنسانية دي
- ومين قالك إن أنا مش بقدرها.. وانتي لو واحدة عادية كان زمان (النجم)
بيكلمها كده عادي؟

تجاهلت وصفه لنفسه ب(النجم) ولم تعلق عليه.. أنكها.. كتبت..

- أنا عاوزة أعرف اللي جواك.. متعذبنيش أكثر من كده please

- متعذبنيش؟ طب أقولك على حاجة بصراحة؟

- قول

- أنا ببقي مبسوط وأنا بغلّس عليكي

كتبت في انهيار:

- «هشام».. ده ما يرضيش رينا.. I can't bear anymore ..enough please

- والله بحلفلك.. دي حاجة حلوة إن أنا أحب أغلّس عليكي.. ثانيا انتي أخده

الموضوع على أعصابك جدًّا ولا أنا شايف غلط؟

استطرد:

- انتي عايزة تعرفي امتي؟

كتبت ودموعها المشتعلة تحرق وجنتيها:

- يعني أنا صارحتك وانت مش عايز تريحني.. انت مبسوط وانت شايفني

بحرق في قلبي؟

سألها:

- انتي نازلة Alex تاني امتي؟

- مش عارفة بجد

- ما هو أنا عايز أفهمك حاجة بجد.. الموضوع أصله ما ينفعش يبجي خبط

للق كده.. فاهمة؟

..say yes or no.. مينفعش تقوليلي ايه أروح أقولك كذا على طول..

ردّت بالم:

- مانا قلت.. ولا أنا كنت غلطانة شكلي؟

- هو لما الواحد بيصاح بمشاعره ده بيبقي غلطان؟ ولا عشان انتي زي القمر يعني؟

- طب ما تقول اللي عندك.. انجز.. آه ولا فاكس؟

- فاكس؟ ايه ده.. الله كبيرنا أهو واتعلمنا فاكس وحركات.. يا بنتي افهمي وبتكلم جد شوية ممكن؟

تنقّست الصعداء.. ردّت :

- ممكن

- هو انتي بتحبيني عشان أنا كمان كده أو مش كده ولا عشان انتي حاسة بكده؟ أكيد عشان انتي حاسة بكده.. طيب فين المشكلة دلوقت؟ سمعت صدي صوت نعمة يرن في طبله أذنها عندما قالت لها..

He just enjoys -

شعرت بمهانة.. كتبت :

- آاااااااااا.. يعني انت عاوزني أفضل كده وانت just enjoying وخلص..

- ومين قالك إن أنا just enjoying.. ومين قالك أساسا إن أنا enjoying.. هو بصراحة لما شوفت صورتك بغض النظر عن الimpression اللي أخذته..

ماشي جامدة وكل حاجة

ودي حقيقة تقال.. بس مش معني إن إنتي جامدة وزي القمر إنني أقولك حاجة مش في وقتها..

- أنا وريتك صورتني عشان تعرف ملامحي.. تعرف انت بتكلم مين.. لكن الموضوع مش موضوع شكل.. الموضوع موضوع soul

- لا بس الصورة جامدة الصراحة

احمرت وجنتاها.. استرسلت :

- انت فاكر مثلا أنا حبيتك ليه؟ It's something spiritual.. مش عشان

الشكل ولا أي حاجة تانية.. the whole matter about soul

سألها بزهو وغرور مشتعل :

- مش عشان نجم؟

كتبت ساخرة :

- ومين قالك انك نجم؟

ضحك عن آخره.. ردّ :

- طول عمرنا طول عمرنا.. بس انت مش واخد بالك مننا

باستفزاز كتبت :

- ما في نجوم كتير

انطفأ غروره.. كتب مكابرا :

- لا لا لا.. بيتيألك

كتبت بصدق وحرارة شديدة :

- أنا بجد بحبك عشان your soul is mine

لم يستطع مقاومتها أكثر من ذلك.. تنحّي عن بروده ولا مبالاته واستفزازه..

رضخ.. كتب..

- بقولك ايه.. هكلمك فون

- لأ

- آجي على طول؟

ابتسمت.. كتبت :

- مش هينفع نتكلم فون دلوقت.. it's too late

- تصدّقي أن انتي تبيت قالك الوقت too late.. ماشي ماشي طيب هسألك

سؤال وتردي بصراحة.. بالله عليك انتي بعد ما بتكلميني مبتصلّيش ركعتين

حمد وشكر إن إنتي اتكلمتي معايا أو أنا كلمتك عادي؟

ضحكت وضحكت وضحكت.. كتبت :

- انت أساسا مش عارف أنا مين شكلك.. أو مش حاسس

- أوبأااااااا ده اسمه غرور ولا تكبر ولا عدم إحساس بالذات

- ما تقول لنفسك طيب.. قال أصي ركعتين قال

- ايه أكثر؟ أربع ركعات ولا إيه؟

لم تشأ أن تطفئ غروره.. كتبت :

- أقولك بصراحة؟

استرسلت بعمق :

Am closing my eyes and let my soul reaches yours.. Am moved -

beyond description

أشعلته.. إلا أنه كتب في سخرية :

- انتي بتاخدي كورس English؟

أجابت في دهشة :

- لأ.. ليه؟

- لا بهزر.. أنا مش بحب حد يتكلم معايا كده.. يا إما كله انجلش، يا إما كله

فرانكو، يا إما كله عربي.. ما دام بنتكلم فرانكو يبقى نكمل فرانكو.. قشطة؟

أفشت له عن سرها في خجل متواطيء :

- ما أنا هقولك حاجة.. أنا بتكلم انجلش عشان بيدارييني.. بستخبي وراه..

علق عليها بخبت :

- لا لا لا عادي متدرايش قدامي..متخافيش أنا بدور وشي..هو إنتي دلوقت

منتقبة ولا بشعرك؟

- لا ذكاوة

- ايه يعني؟

- هقعد في أوصتي بنقاب ليه؟ أفهم يعني.. على فكرة اتخنقت منك

متصنعا البراءة كتب :

- ربنا يسامحك

كتبت بحزن :

- ربنا يسامحك انت

ألحّت عليه الرغبة في أن يهاتفها.. ما عاد يطيق الكتابة.. كتب :

- يعني أنا بقولك أكلّمك فون عشان نقرب وجهات النظر.. مرضيتيش.. طيب
أعمل ايه تاني؟

What do you feel? your feelings? Tell me -

لم يرد عليها.. فوجئت بشاشة هاتفها بجوارها تضيء.. أمسكتها هو
المُتصل.. ارتبكت.. إنها الثانية صباحا.. ماذا سيحدث إن سمعها أبوها أو أحد
اخوتها وهي تتحدّث على الهاتف في هذا الوقت المتأخر.. كانت حائرة مرتبكة
وشاشة هاتفها في يدها تضيء بتصميم وإلحاح.. حسمت أمرها.. ردّت بصوت
خفيض :

- عاوز إيه؟

قهقه عن آخره بصوت مكتوم.. جاء صوته خفيض هو الآخر..

- عاوز إيه؟ كده برضو؟

بصوت أقرب للهمس :

- أه عاوز إيه؟

ضحك.. تبدّلت لهجته فجأة إلى لهجة حازة عميقة.. غازلها غزلا صريحا :

- وهو الواحد هبعوز إيه تاني من الدنيا لما يكون بيكلم واحدة زي القمر
وصوتها حلو كده..

تلعثمت.. ارتبكت.. صمتت.. قال هو بلهجة أذابت أعصابها :

- ساكتة ليه؟

تفجّرت بداخلها دهشة عارمة.. ما الذي غيّر هذه السرعة.. قالت :

- المهم مش الشكل.. المهم الروح..

استرسل بجرأة لم تعهدا فيه من قبل :

- طبعاً.. الروح هي اللي بتفضل.. هي اللي بنعيش معاها.. انتي عارفة لما اتنين بيتجوزو.. الحاجات اللي بيعملوها دي أو الشهوة بتروح مع الوقت.. اللي

بيفضل هو الروح

ذابت خجلاً من جرأته.. لم ترد.. فأكمل هو :

- أنا لما هتجوز إنسانة.. الإنسانة دي هعيش معاها ثلاثين أربعين سنة.. وأنا مش من النوع اللي بحب كل شوية تيجي بنت وتقولي أنا معجبة بيك.. لا والله.. زي مثلا بعض الشباب ما كانوا بيعملوا قدامي في الجامعة..

- ماشي أنا عاوزه أعرف بقي مشاعرك ناحيتي.. ولا انت مبسوط وانت بتعمل فيا كده

قال بصوت هاديء مبتسم :

- زهرة.. أنا بريقي مبسوط لما بغلس عليكي.. بجد والله.. بكون مبسوط جدااا

قالت بصوت حزين :

- يعني مبسوط وأنا بحرق في قلبي؟

تبدلت لهجته.. بحنان جارف :

- ليه يا زهرة تحرقي ف قلبك الصغنت؟

قالت مرددة بدهشة :

- قلبي صغنت؟

بنبرة مبتسمة عميقة قال :

- القلب بيكون قد قبضة اليد.. وقلبك صغنت عشان ايديكي صغنته وحلوه..

أسعدتها تلك الكلمات.. أسعدها أنه يلاحظ تفاصيلها إلا أنها قالت باستنكار..

- يا سلام!

بصدق قال :

- آه والله ايديكي فعلا صبغنته وحلوه..

- اممم.. وبعدين؟

- ومناخيرك صبغنته..

قالت بنفاد صبر :

- هشاشاشاش.. انت ليه بتغلبني معاك؟

رد بحرارة شديدة :

- انتي فاكراني قاصد اني أعمل فيكي كده؟ ربنا يعلم أنا زعلان عشانك.. بس بهزر وبعمل معاكي كده عشان أخرجك شوية من حالتك وأهون الوضع عليكى..

- طب ما تريّحني

- والله يا زهرة هتلاقيني جاي لوحدي بقولك على كل حاجة.. وهقولك أنا كنت بعمل كذا عشان كذا..

تهتدت.. استطرده هو :

- تعرفي يا زهرة لما حد يبحب حد ومش بيقوله لحد ما يموت بيدخل الجنة؟ ولا انتي عاوزه تعرفي كل حاجة يا طماعة بدهشة :

- أنا طماعة؟ وبعدين لو الحد ده يبحب بجد ليه مش بيقول لبي يبحبه؟

- ظروف بقي.. عشان كده بيدخل الجنة

- أول مرة أسمع الكلام ده.. ده على كده ناس كتير هتدخل الجنة

سألها بلهجة زلزلتها.. لهجة عندما تسمعها المرأة من رجل.. تدرك جيدًا أنه وقع بها.. لم يسيطر على نفسه.. لدرجة أن أنفاسه كانت تلفحها :

- زهرة.. نازلة تاني إسكندرية امتي؟

أدركت مقصده.. ردّت بسعادة وخجل :

- ليه؟

لأول مرة يتلعثم.. لأول مرة يضعف صوته.. بلهجة عشقية قال :

- عاوز أشوفك

لا اراديا قالت بخفوت :

- حاضر

لم تتغيّر لهجته.. سألها :

- قوليلي دلوقت انتي لابسة إيه؟

بحركة لا إرادية تحسست قميصها القطني القصير والبنفسجي اللون الذي يربطه من الكتفين حَمالتان رفيفتان.. والذي بدا منحسرا إلى الأعلى نتيجة استرخائها على السرير فكشفت عن فخذين جميلين متناسقين تحملهما ساقان مصبويتان فرنسيتان شمعتان.. أما تَهديها اليانعين فقد برزا من فتحة الصدر.. آه لو رآها «هشام».. لو رآها هكذا لتحسّس بشرتها الغضّة البضّة.. ولفارت فحولته!

صمتت.. خجلت.. استطرد في غزل صريح جريء :

- عارف انك بشعرك.. لابسة ايه بقي في الحر ده؟ لابسة خفيف؟

فارت الدماء بوجهها.. خرست تماما.. استرسل بصوت هاديء دافئ :

- طبعا بقي زمانك حاطة إيدك على شعرك وبتمسحي عليه من الكسوف..

صح؟

نطقت أخيرا..

- لأ

قال بدعابة استفزازية :

- أو مال حلقتيه ولا راح فين؟

ابتسمت.. مسحت بيدها في تلقائية على ضفيرتها.. لم تخبره أن تسريحها
المفضلة هي ضفيرة على الجنب.. استطرد بجرأة غير عادية :

- مش هتقوليلي لابسة إيه؟ خفيف ولا قصير؟ متخافيش الدنيا ضلمة.. أنا
قاعد في الضلمة دلوقت.. انتي قاعدة في الضلمة ولا بتخافي؟

لم ترد.. صمتت.. شعرت بحب العالم يسري في عروقها.. اجتاحتها سعادة
غير عادية وهو يغازلها بهذه الجرأة.. صهرتها لهجته.. أنفاسه.. لأول مرة
يكلمها بتلك الطريقة.. شعرت أنها ليست في احتياج لأن تعرف ما إذا كان
يحبها أم لا.. هذه الكلمة الآن أصبحت لا تساوي شيئاً أمام لهجته.. أمام
صوته الضائع المبحوح الذي دغدغ كيائها حتى صارت أشلاء.. كم يسعد
الرجل عندما تضعف أمامه امرأته، ولا شيء يضاهي سعادة امرأة ضعف
رجلها أمامها في لحظات عشق ثملة، هي لحظات سُكْر بين الرجل والمرأة..
تظل شاخصة في وجدانها.. لحظات لا تُنسى ولا تَعْوِض ولا تَقْدَر بثمن.. هي
لحظات مُقدّسة.. لحظات سمو روحاني في محراب الحُب.. للحُب قدسية..
أغمضت عينها.. استسلمت لتلك الرغبة في قولها.. ثملت.. قالت بضياح وهي
سكرانة..

- بحبك

صهرت أذنه، أغمض عينيه.. صمت.. ثم سألها في نشوة :

- و ايه كمان؟

بصوت أقرب للوحي.. همست :

- بحبك.. كتيير

بخجل متناقض مع جراته :

- زهرة.. عاوز أقولك حاجة

ظنّت أنه سيقولها هو الآخر.. قالت :

- ايه

- لا مش هينفع أقول.. هكتيمالك على الفيسبوك دلوقت

ابتسمت :

- أوك ثواني هفتح الفيس..

فتحت الفيسبوك وما زال الهاتف على أذنها.. كتبت له في الشات :

- ايه

كتب لها :

- عينكي حلوين جدا

ابتسمت.. كتبت :

- عيونك أحلي على فكرة

أكملت معه الحديث على الهاتف :

- ومكسوف ليه تقولها؟

- كده

- ضحكت.. تعجبت من جرأته في قول أشياء ثم خجله في أن يخبرها أشياء

أقل جرأة..

لأكثر من ساعة.. ظلا يثرثران على الهاتف.. كانت ليلة عشقية.. في زخم

الحديث سألته :

- «هشام».. القصايد اللي بكتما وبنشرها على صفحتي بتبقي عارف انها ليك؟

- طبعا.. بس في بعض الكلمات بالانجلش مش بفهمها.. بس المضمون بفهمه

طبعا..

بفضول أنتوي :

- طب هتقولي امتي اللي جواك؟

قال في سخرية :

- خايف أقولك دلوقت.. متستحملش تقومي تصوّتي في الشقة.. انتي لسة

صغنته

- والله؟! أنا مش صغنته على فكرة.. أنا عندي 22 سنة

باستفزاز :

- خلاص كمان سنتين هقولك.. لما تكبري شوية.. يا بنتي اللي انتي فيه ده

سَبَق

كزَّزَتْ بدهشة :

- سبق؟! :

بهدوء وبصوت لا يخلو من الابتسامة :

- آه سبق.. شهادة تقدير يعني.. أنا عمري ما عملتها قبل كده.. أكلّم حد

مخصوص في وقت متأخر.. وأهزر معاه.. أنا نفسي مش مصدق اني بعمل

ده.. ولا حد يصدق إن (النجم) يعمل كده

قالت بسخرية :

- نجم؟

بغرور :

- آه نجم

قالت مبتسمة :

- ماشي.. خد وقتك.. هستناك لما تيجي تقولي اللي جواك..

ثم استطردت برجاء :

- بس بليز ما تطولش عليا

صمت لبرهة ثم رد بحرارة :

- حاضر

- طب يلا مش هتنام.. عندك شغل الصبح بدري

- أنا سببت الشغل من كام يوم

قالت بقلق :

- ليه بس؟ حصل إيه؟

- أبدا.. اختلفت مع صاحب الشغل في شوية حاجات.. وبعدين كلمني لما مشيت وقال لي هعملك اللي انت عاوزه.. قتلته لا خلاص.. كان من أول مرة قالت بأسف :

- معلش إن شاء الله ربنا شايلك حاجة أحسن.. متمزعلش أنا واثقة انك هتعوض الشغل ده وهتعامل حاجة.. و واثقة إن صاحب الشغل هو اللي خسرك يا هشام قال بامتنان :

- شكرا يا زهرة.. أنا مش زعلان على فكرة.. قوليلي تحبي نكمل كلامنا فون ولا على الفيسبوك أنا خلصت اللي كنت عاوز أقوله
- لا كفاية كدة.. بس عاوزة أسألك سؤال أخير
- قولي

- فاكر يوم الحفلة لما كنت بعيط عشان فقرتي اتلغت و انت سمعتني وساعدتني اني أقدم فقرتي؟
- اها

- ليه عملت معايا كده؟

صمت للحظات.. ثم قال بلهجة عميقة جداً تحمل الكثير :

- مش عارف

نطقها بنبرة متهدجة تفيض بالمشاعر والانفعالات الصارخة في أعماقه.. ولأنه نطقها بهذه الطريقة.. ولأن صوت دقات قلبه كان عالياً جداً حد اختراق قلبها وشطره نصفين عبر ذلك السكون المحبب الذي غلّفهما معا.. فقد كان هذا في حد ذاته كافياً لها.

غزّت شفيتها ابتسامة رضا وعلت وجنتها حُمْرة لفرط اشتعاله بها! ولسوء حظهما أنه لم يكن يراها وأن كلا منهما كان في غرفة منعزلة الجدران عن غرفة الآخر بمسافات طويلة.. فلو رآها في تلك اللحظة في غرفة تجمعهما

وحدهما، لكان لقاء عاصفا تتفجر فيه حمم براكين الرغبة المكبوتة.. ولكانت
رجولته اشتبكت مع أنوثتها في معركة ضارية يظلان فيها مُلتحمين إلى أجل
غير مسعي!

لا شك أن تلك الاشتباكات كانت تعيش في مخيلاتهما في تلك اللحظات
الثملة.. فأنتهي تلك الجولة بصوت مُهك وغائب.. بصوت مبوح ضائع قال..

- تصبحي على خير

ودت لو قالتها :

- وانت من أهلي.. إلا أنها قالت بمحبة..

- وانت من أهله

أنهت معه تلك الجولة الطويلة جداً لدرجة أن بطارية هاتفها كادت تتهار من
حديث دام لساعات.. قبّلت هاتفها.. احتضنت دميها الكبيرة.. غير مصدقة
تلك السعادة التي حلّت عليها.. أغمضت عينها ووجهها يشرق بابتسامة
كبيرة.. بعد دقائق بينما هي تفكر به.. أضاءت شاشة هاتفها معلنة عن تسلم
رسالة نصية.. كانت على يقين أنه هو.. بالفعل كان هو.. وكانت رسالته
النصية.. لا تحتوي سوى نقاط (....) دُهِشت من تلك الرسالة الغريبة..
ابتسمت..

إنها الرابعة بعد منتصف الليل وزهرتنا لم تنم بعد.. فتحت الفيسبوك
بتلقائية.. وجدته نشر status أربكتها.. تحتوي كلمة واحدة فقط.. (للأسف)..
لم تفهم ماذا يقصد بهذه الكلمة.. قررت ألا تفكر كثيراً وأن تسأله فيما بعد..
لم تشأ أن تفسد ليلتها.. لم تكن لتعطب احتفاءها بمكالمته الغير متوقعة..
نامت مُتدثرة بصوته الدافئ الهاديء الباسم.. نامت ولهيب لهجته العشقية
يلفح أذنها.. نامت وهي تشعر بأنوثتها.. نامت كطفلة ليلة العيد.. نامت
وذاكرتها تسجّل تلك الليلة وتحفرها في قلبها.. نامت مطمئنة.. سعيدة..
حاملة..

استيقظت من نومها لتواجه يومًا تاريخيا في حياتها.. لم تكن لتعرف ذلك..
أنها بصدد مفاجأة قدرية من نوع خاص.. خاص جدًا.. هاتفت نعمة في
الصباح.. كان صوتها يضاهي زقزقة العصافير.. عصفورة تغرد.. زفت
لصديقتها تلك المكاملة السحرية.. كانت نعمة تستمع وهي مندهشة.. علقت
قائلة بسخرية :

- طب ولما هو كده لازمها ايه المرمطة؟

ضحكت زهرة.. أجابت :

- معرفش.. يمكن يكون بيتكسف.. تخيلي قالي عنيكى حلوين جدًا.. مقدرش
يقولها في الفون.. كتهالي على الفيس!

- يااااه؟! على كده بقي كان قاصد عنيكى تحت القمر.. كانت ليكي وش
قالت زهرة بسعادة بالغة :

- طبعا..

ثم استرسلت في وجد :

- تعرفي يا نعمة.. انا مش محتاجة انه يقولي بحبك.. حاسة اني مش
محتاجاها.. لو سمعتيه وهو بيكلمني امبارح..صوته كان عامل ازاي.. ياااااااااااا
الله.. بغض النظر عن اللي قاله.. اللهجة نفسها.. صوت نفسه.. والله يا نعمة
حاجة فوووووق الوصف.. كنت سامعة قلبه وهو بيدق

- طب ياختي.. عيشي بقي.. ربنا يسعدك يا رب.

- على فكرة.. بعد ما قفلت معاه.. بعثلي مسدج ع الفون.. عبارة عن نقط
وبس.. مش فاهمة يقصد ايه!!

ضحكت نعمة.. قالت ساخرة :

- نقط بس؟ طب عددهم كام؟ المفروض يكونوا أربع نقط.. يعني بحبك..
بصي هو باينله ثقيل وهيطلع عينك.. اسأليه ايه النقط دي.. حتى لو

هيقولك كل يوم حرف

- لا مش أربع نقط.. نقط كثير.. صحيح لقينه برضو كاتب status.. قبل
 الفجر.. عبارة عن كلمة واحدة بس
 سألتها نعمة بفضول :
 - إيه؟
 - للأسف
 صمتت نعمة.. طال صمتها.. شعرت زهرة بالقلق.. أدركتها :
 - إيه سكتي ليه؟
 - أبدا.. كلمة غريبة..
 قالت بانطفاء :
 - ممكن يكون زعلان أصله ساب الشغل..
 - اممممم ممكن.. بس ابق اسأليه لما تتكلموا تاني..
 - اوك..
 واصلت بثقة وفخر :
 - بس أنا متأكدة أنه هيعوّض الشغل ده بحاجة أكبر
 - إن شاء الله.. يلا مش عاوزه حاجة؟ ورايا مذاكرة بالكوم
 - ربنا يخليكي.. وأنا كمان ورايا ترويق البيت وطبخ
 ثم استطردت :
 - نعمة.. أنا مبسوطه أوي
 - أخيرا.. الحمد لله.. يلا سلام
 - سلام

حلّ المساء سريعا.. غابت الشمس.. ها هو الغروب يعلن عن قرب انتهاء
 اليوم ليحل يوم جديد.. يبدأ بسواد ليلة حالكة.. ليلة العشرين من سبتمبر..

- طيب لما تفضي ابقي كلمني.. باي

- إن شاء الله.. باي

لم تغلق الفيسبوك ظلت متواجدة.. مرت ثلاث ساعات وهي جالسة في مكانها متسمة أمام الشاشة.. ولا تزال تراه متواجد.. ثلاث ساعات وهو يراها.. لم يحدثها.. لم يكتب لها كلمة.. تركها وليمة للقلق.. لم تحتل أكثر من ذلك.. عصفت بها الأسئلة والظنون.. بعد ثلاث ساعات كتبت له في حيرة مفتوحة الحديث..

hey -

hey -

سألته :

- انت كويس؟

- الحمد لله.. هيكون في ايه يعني

سألته والشك يعترها :

- Really ?

Yup -

- حاساك في حاجة

- لا مفيش

سألته بتصميم :

- مالك؟

كتب بسخرية :

- عمرو دياب

- حاساك فيك حاجة.. حصل حاجة today؟

- والله ما في

- انت متدايق طيب عشان الشغل؟

- ايه اللي بتقوليه ده

- مش عاوز تقولي مالك؟

- أممممم

طال سكوتته.. كتبت بضجر :

- busy ?

yup -

تحمّلتته.. كتبت :

Ok -

أضافت :

- ربنا معاك

تركته لساعة أخري كاملة.. لايزال متواجد.. ساعة أخري لم يكتب لها أي

شيء.. لا يزال مشغولا عنها.. لكنها لم تكن تعلم أنه مشغول عنها.. كتبت

معاتبة :

- still busy ?

- عادي بكلم ناس

- في إيه؟

- Nothing, just chatting

كتبت وكبرياؤها يئن :

- (للأسف دي) تقصد بيها إيه؟

- انتي فهمتي إيه؟

- مش فاهمة حاجة.. قولي انت

- لا لا أنا بقول كده

زادت حيرتها.. كتبت :

-؟؟؟

رد عليها بعلامة استفهام :

؟-

كتبت وقد بدأ صبرها ينفد :

- يعني ايه (للأسف)؟ انت ليه مش عاوز تكلمني today؟

أردفت بغضب :

What's going on ? -

- انتي بيتهيا لك.. مفيش حاجة.. مانا برد عليكي عادي

- انت مش عاوز تكلمني تاني؟ دي مسدج بتوصلهالي؟

- أنا لو كده هقولك وش

- طيب في إيه؟

- مفيش.. انتي اللي بيتهيا لك إن في حاجة

- طيب ايه كلمة (للأسف) دي.. ما تجاوبني

- للأسف

- ايه وليه؟ للأسف ايه وليه؟

طال سكوته.. كتبت وقد بدأت تغلي :

- busy أوي كده مع مين؟

ببرود كتب :

- صاحبتني

أنهت المحادثة :

Ok, bye -

أدرك خطأه.. كتب على الفور :

- يا سلام

لم ترد.. أنهت المحادثة.. اجتاحتها بكاء شديد.. لا تفهم ماذا يحدث.. ماذا يقصد

بكلمة (للأسف) وأنها موجهة لها.. ولماذا لا يشرح لها مقصده.. لا تفهم حالة

البرود التي انتابته دون مقدمات.. لا تفهم كيف نامت ليلتها السابقة وهي في أوج سعادتها وآلآن هي تنتحب ألما.. ما يقرب من ثلاث ساعات بكاء متواصل.. تورمت جفونها.. احمرت عيناها كمدمني الحشيش.. أصابها صداع رهيب.. قرع متواصل في رأسها.. فتحت الفيسبوك.. وجدته لايزال! اقتحمته بعنف..

- نفسي أعرف في إيه؟

- في إيه؟

كتبت بانهار..

- انت عامل كده ليه؟ مش انت

- عادي عادي

- لأ في حاجة.. للأسف دي إيه؟ انك كلمتني امبارح؟

- لا مش على الكلام

- أومال على إيه؟ أنا مش فاهمة حاجة.. أنا دايقتك ف إيه؟

- مقولتش دايقتيني

- طيب قول في ايه.. أنا تعبانة مش فاهمة حاجة.. بتعاملني كده ليه.. please

talk

- انتي مش سألتيني سؤال امبارح؟

- سؤال إيه؟

لم يرد.. دخل في غيبوبة الصمت.. دخلت هي في دوامة البكاء.. هاتفته..

ضغط على زر رفض المكالمة.. كتبت بألم شديد :

- كنسلت ليه طيب؟ حرام عليك عينا ورمت من العياط.. طب أعمل إيه؟

كتب محاولا تلطيف الزوبعة التي تسبب فيها :

- ممكن تهدي شوية

- يعني ايه للأسف؟

- يعني حاجة مش مطبوطة
- هي إيه؟
- حاجة عندي بقي
- كتبت وهي تنتفض :
- طيب قولي أنا غلطت ف ايه معاك؟ مش قادرة أتحمل كده بجد.. ده فوق طاقتي.. انت غاوي تعذّب فيا وخلص؟
- يا حول الله يا رب
- ما تقول في إيه؟ طيب نتكلم فون؟ أفهم بس في ايه
- عايزة تفهمني ايه
- اللي بتعمله ده كتير.. لو في مشكلة قول.. لو مش عاوزني أكلّمك تاني و أبعد قول.. قوووووول
- يعني ايه مش تتكلمي تاني.. يعني حتى افرضي قلتلك مش حاسس حاجة.. يعني ايه ما نتكلمش تاني
- هكلمك فون.. لأن كده صعب جدًّا
- مش هينفع والله.. أنا معاكي هنا
- طيب اتكلم
- عايزة تعرفي ايه ؟
- تعبت بجد.. للأسف دي معناها ايبيبويه؟ ليه بتعاملني كده
- هو أنا عملت حاجة؟ هو كون اني مش بتكلم بتزعلي.. أتكلم تبقي مش فاهمة وتزعلي.. أعمل ايه تاني بس يا زهره؟
- كتبت ومخالب القهر تنهش قلبها :
- ارحمني بقي.. يعني عاوز تقول إنك مش حاسس حاجة نحيتي؟
- حاسس أو مش حاسس.. ده مش هينفع
- كم كان يؤلمها تقطيره للكلمات.. وكأن الكلمات تباع في قطرة.. كتبت :

- انت فرحان اني تعبانة وبتحايل عليك؟ ما تقول اللي عندك دفعة واحدة
- انتي فاهمة؟ يعني بقولك say أنا حاسس بحاجة ولا مش حاسس..

الموضوع ذات نفسه مش هينفع يحصل
شعرت بسبخ حديد يخترق قلبها.. شعرت بأنفاسها تتوقف.. قذفتها تلك
الكلمات في هوة بئر سحيق جدًّا.. كتبت بأطراف مرتعشة.. وهي تغالب ذلك
الدوار الذي حل بها..

- أوك.. فهمت خلاص.. بعد اذنك.. باي
استدركت شيئاً.. كتبت :

- حاجة أخيرة.. ممكن أعرف ليه؟ ممكن ترد بقي وهمشي بعدها
- اللي أقدر أقولهولك إن الموضوع ده مش هينفع ولأسباب.. بس مش منها
إن أنا حاسس بحاجة من نحييتك ولا لأ
- عاوزه أعرف الأسباب دي.. انت على طول بتسأل وأنا بجاوب.. جاوب بقي
المرّة دي

صدمها بأسبابه.. اجتثها من روحها.. اقتلعها من قلبها.. كتب :
- تقدري تقولي إن إنتي أكبر مني.. تقدري تقولي تقارب السن.. تقدري تقولي
طموح في وقت مينفعش فيه إن إنت تكون مع حد قدك.
سألته غير مصدّقة وكأنها في كابوس :

- أنا أكبر منك؟

أجاب :

Yup -

في الحقيقة هي تكبره بخمسة أشهر.. كلاهما من مواليد 1990 هو من
مواليد نوفمبر وهي من مواليد يونيو.. لكنها ظنّت أنها تكبره بأكثر من ذلك
وأنه ربما يكون من مواليد 1991.. حتى وإن كان كذلك.. هناك الكثير من
قصص الحُب التي توجت بالزواج وكانت الزوجة تكبر زوجها بعامين وثلاثة

وحتى أربعة أعوام بل هناك أكثر من ذلك.. خمسة أشهر لا يمثلوا ذلك الفارق كما يعتقد هو..

علمتها الكتب والروايات أن الحُب لا يعترف بتلك الفروق.. كرواية رغم الفراق.. بطله الرواية تكبر البطل بخمسة أعوام ولم يمنع ذلك البطل من الوقوع في حُبها.. مسحت دموعها كتبت بغضب :

- وانت جاي تقول ده دلوقت بعد ما خلتنى أقولك على كل اللي عندي كالشيطان عندما يغوي الإنسان بفعل شيء ما ومهيأ له المناخ حتى يفعل ذلك الشيء ثم يتبرأ منه قال :

- وهو أنا اللي خلتيك تقولي؟

اشتعل غضبها.. كتبت :

- مش بقولك انت just enjoy إن في بنت بتحبك

- أنا كان أسهل حاجة عندي إنى أقولك أنا مرتبط والموضوع ينتهي بس عشان مكذبش عليكي.. أنا كده؟ شكرا يا زهرة على كلامك

كتبت نائرة :

- كلمتني امبارح ليه؟ ليه؟ ليه؟

واصلت :

To have fun with my feelings -

- كلمتك عشان إنتي كنتي زعلانة ومكنتش عايزك تبقي زعلانة.. أنا fun with

your feelings? ..ربنا يسامحك

- ربنا يسامحك انت.. بعد اذنك.. ويا ريت Remove me من الفيسبوك

أضافت بحسم :

Remove now -

- أنا مش هعمل Remove عشان أنا لما عرفتك مكنتش عارفك عشان حاجة ولما تخلص الحاجة أروح ماسح الإنسان ده زيك.. ربنا عالم بكل واحد وربنا هيحاسب كل واحد على قد اللي عمله

زادت كلماته من جرحها.. كانت تنزف كطير مذبح.. كتبت :

- ده على أساس اني عرفتك عشان حاجة؟! أنا كانت فاتحتي مقرية ولا كان على بالي إن كل ده هيحصل.. بس أنا مش عاوزة أشوفك تاني هنا عندي في الفريندس.. لأنني همسحك من حياتي كلها مش بس من الفيسبوك.. انت كدبت عليا لأنك قلت قبل كده إنك مواليد 90 يعني قدي.. والحب اللي بجد يا أستاذ ميعرفش فرق سن أو أي حاجة من الهبل ده لأنك بجد معرفتش يعني ايه حب ولا هتعرفه.. وانت آخر واحد تتكلم عن ربنا..

- أنا مواليد 90 فعلا ومكدبتش وربنا هو اللي عارف كل حاجة.. برضو ربنا يسامحك على كل اللي بتقوليه..

توقفت عن الحديث.. جرّت على أسنانها في ألم.. وهي تدوس على زر unfriend.. مسحته من الفيسبوك.. مسحته من قائمة الأصدقاء.. هو فعلا لم يعد صديق.. هو أصلا لم يكن صديق.. أغلقت كل شيء.. ونار في قلبها تستعر وتكويها.. ظلت تنهج وكأنها تعدو.. وكأنها لتوها قد انتهت من سباق (ماراثون) طويل المسافة.. طويل جداً.. أنهكها.. حلب كل قوتها.. كانت تنزّ عرقا.. تهز رأسها بعنف رافضة أن تصدّق أو حتى تستوعب ما حدث.. لقد انهار حلمها.. انهار كل شيء.. تحطّم قلبها بدوي عنيف مخيف.. تصدّعت جدرانها.. أغمضت عينها وهي تقول لنفسها أنها في كابوس بشع وستصحو منه.. راحت تغط في سبات عميق أملا في الاستيقاظ من ذلك الكابوس.. البشع.

استيقظت في اليوم التالي لتبدأ حياة جديدة كئيبة.. أو لتبدأ رحلة الموت! ها هي تعيش صدمة لم تكن في الحسبان! ها هي فقدته.. فقدته! وكأنها كانت تعيش طوال الأيام الماضية حلما جميلا لتستيقظ على هذا الواقع البشع.. تخضبت عينها بالدموع.. راحت تتقلب على سريرها وكأنها سمكة يتم شطبها.. هل ما حدث بالفعل قد حدث؟!!

انخرطت في بكاء طويل مريع حد أنها لم تلاحظ شاشة هاتفها وهي تضيء معلنة أن هناك اتصال عليها استقباله.. ظلّت شاشتها تومض وما من مجيب.. عندما انتهت من نحيبها.. أو عندما أنهاها نحيبها.. تذكرت أن هذا المأتم لا بد من أن تقيم له سرادق للعزاء وما من سرادق له سوى قلبها.. حتى تستطيع أن تتلقّى العزاء!

وعندما يموت شيئاً فينا.. عندما نفقد أحبّاءنا.. نجد نفسنا في حاجة ماسّة لأن نرتمي على صدر يواسينا في مصابنا.. ونبكي سويا.. حتى يخفّ عنا هؤل الصدمة.. وهذا ما فعلته هي.. أمسكت الهاتف كي تتحدّث مع وسن أو نعمة أو أروة إلا أنها وجدت مكالمات فائتة على هاتفها.. بتلقائية ضغطت على زر الهاتف كي ترى من حاول الاتصال بها ولم تنتبه.. سقط منها قلبها.. إنه «هشام».. حدّقت في شاشة هاتفها غير مصدّقة.. هشام!! لم تعرف ماذا تفعل.. كانت مشتعلة الكبرياء وكرامتها تنزف لذا لن تتصل به.. يا للقدر! لم يترك لها لحظة اختيار.. ودّت أنها لو كانت انتهت أثناء اتصاله.. ستكون وقتها في لحظة اختيار حُر.. ربما كانت ردّت عليه.. فهي حقًا كانت في حاجة لسماع صوته ولو للمرة الأخيرة.. من يدري ربما كان سيصلح ما أفسده.. ربما.. ما أحوجها لأن يكذب صدمتها.. لأن يؤكد لها أن ما حدث لم يحدث! لأن يريح قلبها.. شعرت بغصة تقتلعها.. فهذا بداية فصل الألم.. ستعيشه رغماً عنها.

الصدمة العاطفية.. تلك الكلمة المخيفة.. وما يصاحبها من عواقب وخيمة.. ومخاطر جسيمة.. الصدمة العاطفية هي أن يكون قلبك مكسورا.. مُحطّما.. أن تعيش حالة من التصحّر الوجداني.. أن تتكبّد معاناة التشرّد العاطفي.. أن تشعر بالضّياع.. أن تختلّ روحك.. أن تغترب أنت عن أنت.. تنفصل عن ذاتك.. أن تنعزل عن العالم المحيط بك.. الصدمة في حد ذاتها تعني الفقد.. أو بالأحرى مرارة الفقد.. تلك الغُصّة في حلقك التي ما عليك سوى تجرعها لأنك عاجز عن فعل أي شيء! وزهرتنا لم تكن لديها القدرة على تجرعها.. لذا ظلت عالقة فيها.

لم يكن لديها القدرة على استيعاب أنها فقدته.. بل لم يكن لديها من القوة لتصديق أنها فقدته.. كم كانت تتألم.. كم هشّمها هشام! غرس بداخلها ألما ينمو مع الأيام.. كانت لا تطيق أي شيء.. وكل شيء.. لا تطيق واقعها المفجع.. لا تريد أن تعيشه.. ترفضه.. وكيف يُعاش هذا الواقع من دون هشام؟ بل أيستحق أن يُعاش؟ احتلتها غربة موحشة.. اغتربت عنها روحها منذ أن فارقتها توأم روحها.. كادت تُجنّ وهي تبحث عن إجابة لذلك السؤال القاتل كيف حدث هذا؟

أصبح كل شيء غريبا عنها.. تفتح الفيسبوك فتشعر باختناق شديد.. باتت تجد صعوبة حادة في التنفس.. تضع يدها على صدرها وكأنها تستجدي ذلك الألم الرابض في ثنايا قلبها أن يخمد.. أن يكف.. أن يسكن.. تفيض عيناها بالدمع تنفيسا عن ألم لا يطاق في كل أنحاء جسدها.. مطارق تطحن عظامها.. ذلك القرع الدائم الذي يدكُ رأسها.. تهرب إلى النوم فتلاحقها تلك الكلابة الفولاذية وتسجنها بالسريّر.. فلا تجعلها تقدر حتى على رفع رأسها عن الوسادة.. وكان رأسها استحالت جوال من الملح.

فقدت الشهية عن الطعام والشراب والحياة.. ولكنها لم تفقد الشهية عن شينين هما النوم والسهرة! أحيانا يلازمها الأرق لليال طوال.. وأحيانا يلازمها

النوم وكأنها سقطت في غيبوبة.. تمارس حياتها اليومية المنزلية وكأنها إنسان إلى (روبوت) حتى تنتهي منها لتهرب سريعًا إلى غرفتها لتمطر غيمات سحب عينها دون أن يرى معاناتها أي فرد من عائلتها.

مكالمات صديقاتها كانت بمثابة العزاء الذي تتلقّاه في مآتمها الخاص.. حزنها الشديد.. الصعب.. الفريد.. حاولن كثيرًا أن يخرجنها مما هي فيه أو يخففن عنها إلا أنها كانت رغمًا عنها لا رغبة منها لا تستجيب.. أو تستجيب ببطء حتى تشدّها دوامة الألم من جديد لتأخذها في غياهب جُب الفقد.

هي الآن حزينة.. مجروحة.. غاضبة.. هي الآن تتألم.. مكسورة.. ضعيفة.. هي الآن مصدومة. هي الآن تعيش شقاء لا طاقة لها به إلا أنها لم تفقد ثقمتها وإيمانها بنفسها! وما زالت تكتب! ودموعها تحجب عنها ما تكتبه.. تمسحها.. وتواصل الكتابة.

And who has faith ever

....Shall regret never....

.And I have faith in me.

.And I know well who is she.

.She is free.

I am strong enough to face and not to flee

..Only because she is me

أكتوبر الحزين.. هكذا كنت يا أكتوبر.. بدأته هي بقراءة منشور في الصفحة (الخاصة بدورة التدريب) على الفيسبوك.. ذلك المنشور كتبه زميلها الشاعر أحمد منصور.. الذي دائمًا ما تلقبه هي بالمُبدع.

كتب المُبدع في منشوره..

بسم الله الرحمن الرحيم

غدا إن شاء الله الثلاثاء.. الموافق 2 / 10 سيتم عقد ندوة ثقافية تستضيف حركة شعراء الطرق بداخل أسوار كلية التجارة جامعة الإسكندرية بحضور منتدى اطلالة الأدبي وكبار الشعراء بالإسكندرية وعلى جميع شعراء الطرق بالإسكندرية الحضور غدا الساعة 2 ظهرا في قاعة المؤتمرات بمبنى د/ أحمد نور (مبنى تجارة انجلش) وإحضار قصيدة جيدة ونسخها 5 نسخ لعرضها على الحضور وعلى الجميع الحضور غدا..

ادعوا لنا بالتوفيق

والله الموفق والمستعان

تحياتي / أحمد منصور

منسق حركة شعراء الطرق في الإسكندرية.

هافتها وسن.. ردّت بصوت يحمل كآبة العالم :

- ازيك يا وسن

بنبرة مشفقة لما حلّ بهذه الزهرة قالت وسن :

- زهوره حبيبتى.. مش عاجبني حالك.. ما يستاهلش حزنك عليه

أجهشت زهرة بالبكاء متممة في ألم :

- مش قادرة يا وسن.. مش قaaaaاادرة

دمعت عينا وسن في تأثر شديد.. قالت بحرارة :

- ربنا يخفف عنك يا رب..

ارتفع صوت بكاء زهرة.. صمتت وسن لحظات.. فاضت عيناها هي الأخرى..

قالت :

- طب حاولي تخرجي عشان خاطري.. تعالي احضري الندوة اللي أحمد قال
عليها في الجروب

قالت بشفتين مرتعشتين من البكاء :

- صدقيني مش قادرة

- مش هتكوني لوحديك يا زهرة.. أنا هحضر الندوة وهصوّر بما اني المسئولة
عن اللجنة الإعلامية في أسرة ميدان في الكلية.. ومش هسيبك خالص..
عشان خاطري يا زهرة

تيجي.. أنا عايزة أشوفك يا ستي ولا انتي مش عاوزه تشوفيني؟

قالت بحزن ممزوج بغضب :

- ماليش نفس أقول شعر.. كرهت الشعر وكرهت نفسي بقصايدي.. الغيبة..
التافهة

قالت وسن وقد انتقل حزنها إلى صوتها :

- انتي أحلي قصيدة يا زهرة.. انتي ف حد ذاتك قصيدة.. على كل البحور..
صدقيني هو اللي خسرك.. تعالي الندوة وقولي اللي حسّاه.. قولي اللي ف
قلبك.. أيا كان.. عارفة.. لما تقفي على الاستيدج وتتكلمي من قلبك وتقولي
وجعلك والجمهور يسقفلك هترتاحي.. سقفة الجمهور بمثابة تضامن معنوي..
سقفة الجمهور يعني مشاركة لمشاعرك أو على الأقل تفهم واحترام
لمشاعرك.. وده ف حد ذاته هيسندك.. عمّنا صلاح جاهين بيقول :

(يا عندليب ما تخافش من غنوتك.. قول شكوتك.. واحكي على بلوتك..
الغنوة مش حتموتك.. إنما كتم الغنا هو اللي حيموتك).

كانت زهرة تستمع إليها وهي تبكي بحُرقة شديدة.. كانت تشعر بجمرة مستعرة
تكوي قلبها.. صدرها يضيق اختناقًا.. هي تعيش صدمة غادرة.. في أعماقها
جروح غائرة.. تنزف بلا هوادة.. أطرقت برأسها وهي تستغيث في أعماقها بأن
تحل عليها رحمة من الله عز وجل.. تنتشلها من هذا الوحل.. كيف لها أن

تصمد وقد فقدت قطعة من روحها.. توأم روحها.. كيف لها أن تعيش من دونه؟ من دون هذا الجزء الذي لا يتجزأ من تكوينها.. الذي تم استئصاله منها غُنة.. هذا الجزء هو «هشام».

- ها؟ حبيبتي هتيجي.. هستناكي يا زوزو

ردت بصوت هزيل..

- إن شاء الله

- وعد؟

- وعد..

هي لن تنسي طيلة حياتها ذلك الإحساس الذي اعتراها عندما وقفت أمامه تحدّثه يوم الافطار الجماعي.. طوله الشاهق.. ابتسامة عينيه الصافية.. وكيف تنسي هذا الإحساس وقد أصبحت تعيشه كل لحظة؟ تلك اللحظة التي رغبت به.. نعم رغبت به.. بل إن رغبتها تلك رأتها منطوقة في عينيه في نفس اللحظة.. شعرت أنها تريد أن تحدّثه.. بعيدا عن الأنظار.. دون أي حاجز بينهما.. تحدّثه بلغة أخرى. تحدّثه بصمت وهي في حضنه.. انتابتها رغبة في أن تفك أزرار قميصه.. وتطوق رقبتة بيديها.. وتظل تنهل من عسل عينيه ثم تتذوّق شفّتيه حد الارتواء.

هولم يعرف أن روحه تلبّستها.. هولم يعي مقدار ارتباطها به.. تشبّثها به.. حُبّها له.. لقد تشرّبتته.. هي سَجرت به.. ألقيت في قلبها تعويذة حُب أبدية.. ظلّسم لا يقدر على فك شفرته أعطي ملوك الجان.. فحبه موشوم في قلبها حتى الموت.. هولم يدرك تلك الحالة ولا تلك الهالة اللتين أحاطتا بها وغيبّتاها تمامًا عن عالمها لتسجناها في عالمه هو فقط.. عالم «هشام».

ذلك الإحساس الذي استحال وسيلة تعذيب مؤلمة جداً.. يسيطر عليها.. يتحكم بها.. يحرقها.. لا تتقبل فكرة فقدانه.. كم يكونها فراقه.. كم أصاب نزار قباني حين قال (إذا لم يزدك البُعد حُبًا، فأنت لم تحب حقاً).. تعذبت زهرة كثيرًا كثيرًا وكثيرا.. كم هو موجه حينما تخلد للنوم دون أن تحدثه كما اعتادت كل ليلة.. كم هو موجه حينما تخنقها الأحاديث في صدرها ولا تجده كي تخبره بها.. كي تحكي له تفاصيل يومها كما اعتادت.. أن تسأله عن حاله ويسألها عن حالها.. أن تتلاقي أرواحهما.. أن يتشاركا الكلام والنبض.. مهما تحدثت مع المقربين إليك وفضفضت بما يحمله قلبك فإن الحديث مع حبيبك هو شيء آخر قطعاً.. تلك المتعة في الحديث التي لا تضاهي وتجدها فقط حين تتحدث مع من تحب تتحول إلى لعنة أبدية تطاردك عندما تفارقه.. لعنة لا قبل لك بها.

فجأة انقطع عنها غذاؤها الروحي.. قوتها اليومي.. فهي دون أن تشعر كانت تقعات من «هشام».. انقطعت عنها جرعتها اليومية من تعاطيه.. ولك أن تتخيل مدمن عندما ينقطع فجأة عنه ادمانه.. ماذا يمكن أن يحدث له؟ قطعاً يُجنّ.. تنتابه حالة من الهوس.. عذاب بكل ما تحمله الكلمة من معان. لا يوجد أدنى مجال للشك أنها امرأة استثنائية وحبها له هو حب استثنائي.. ليته يفهم أنها أحبته حد الوجد.. حد الألم.. حد النخاع، ليته يفهم.. ليته يفهم ماذا يعني لها هو.. بل ليته يدرك ماذا يمكن أن تُفجّر فيها كلمة واحدة من فيضانات من المشاعر الجياشة.. هذه الكلمة هي (هشام).. ما تحمله هذه الكلمة من عواصف بداخلها.. وكيف أن هذه الكلمة لها نكهة خاصة في حلقها.. هذه الكلمة المكونة من أربعة أحرف (هشام) هي في الواقع تمثل نقطة ضعفها الوحيدة في هذا العالم!

رغم أنها قد حذفته من صفحتها الشخصية فيسبوك إلا أنها كانت تتفقد صفحته كل يوم! من بعيد.. وكانت تشعر بمرارة لا حدود لها.. تلك الغصة

التي تقف في حنجرتها.. ترى صفحته الشخصية فيسبوك وتشعر بألم يغلفها من قمة رأسها وحتى أخمص قدميها.. كانت لا تستطيع رؤية ما ينشره لأن خصوصيته كانت تقتصر على الأصدقاء فقط.. لم يكن يظهر لها غير صورة الغلاف وصورته الشخصية.

أثارت تساؤلاتها كثيرًا صورة الغلاف التي لم يغيرها منذ أن وضعها بعد أن حذفته بأربعة أيام.. حتى الآن لم يغيرها.. صورة مكتوب عليها بالإنجليزية جملة واحدة فقط.. قرأت هذه الجملة مرارا وتكرارا ولم تفهم منها شيئًا رغم بساطتها.. كانت الجملة تقول..

((No girls are allowed

ماذا يقصد من وراء هذه الكلمات؟ هي تدري أنها ليست كلمات عابرة.. فهو يوجّه رسالة بعينها من وراء هذه الكلمات الأربع.. أدخلتها التساؤلات في حيرة شديدة.. هل يقصد بأنه هناك واحدة في قلبه وأنه يكتفي بها عمّن سواها؟ إذا كان هذا صحيحا فمن تكون؟ زهرة أم واحدة أخرى؟ لا.. لا يوجد أخري هو قد أخبرها أنه غير مرتبط.. إذا من تكون؟ زهره؟ وإن كانت هي فلم فعل ما فعل؟ لا لا هذه الاحتمالات كلها خاطئة.. إذا ما يقصد؟ ربما يقصد بأنه بالفعل لا يحب البنات كما أخبرها وأنه لا يؤمن بالحُب؟ ربما.. هكذا تعصف بها الظنون والتساؤلات من جملة واحدة تحملها صورة غلاف صفحته الشخصية فيسبوك!!

هكذا هم العشاق.. لا يقتل حبه البعد.. لا يقلل الفراق من مقدار حبه بل يتفاقم هذا الحُب ويتضخّم بعنفوان.. هكذا هم من يحبون بصدق حتى وإن تظاهروا بالتجاهل والبرود تجاه من يحبون فإنهم في أعماقهم يحملون براكيننا فتاكة من الاهتمام.. وحرارة حبه تلفحهم بل تكويهم وتعذبهم رغمًا عن أنوفهم.. فهي بالفعل حذفته من صفحتها الشخصية إلا أنها لم تستطع أن تحذفه من قلبها.. بل لم تستطع أن تتوقف عن متابعته عن بُعد.. باتت

مُحتلّة بهشام.. مسكونة به.. تفكّر به بمجرد أن تفتح عينها وتحلم به بمجرد أن تغمضهما! لا ترى عيناها غيره..

وكيف ترى عيناها غيره وهو وحده من استطاع أن يملأهما به حد الثمالة! هذا الـ«هشام» تغلغل في أعماقها.. امتزج بدمائها.. بات قلبها يتنفسه ويضخه في جميع أوردتها وشرائنها.. طُبعت أجزاءه على أجزائها حتى التحمت وصارت أجزاء واحدة لكيان واحد اسمه زهرة ينبض من أجل كيان اسمه «هشام».

أشدُّ الأوقات العصبية التي تمر على حياتنا تكون عند مفارقة من نحب.. فقدان الحبيب عذاب لا يضاهيه عذاب.. تسكنك وحدة وغربة.. يعتربك خوف وغضب وحنق وألم وإحساس بالعجز يطيح في أرجائك.. تتخبّط في الحياة.. تشعر بذلٍ مرير.. ذلّ الفقد.. ذلّ الحرمان.. وما أبشع ذلّ الحرمان.

كم هو مؤلم أن يُفرض عليك واقع لا تريده.. كم هو موجه أن تعيش بقلب محطّم.. بروح مغتربة.. بنفس مكسورة! كم هو مؤلم يا «هشام».. بل كم هو قاتل يا «هشام».. هي تموت كل لحظة.. تموت بالتقسيت يا «هشام».. أتدري ماذا فعل بها فراقك؟ أتشعر بما تشعر به هي؟

بدموع مشتعلة ألما شرعت في ارتداء الثياب التي سترتديها لحضور تلك الندوة الأدبية بكلية التجارة.. اختارت عباءة لونها رصاصي وتنتشر فيها كرات صغيرة ملونة بالبمبي الهاديء والبترولي الصافي.. انتقت لون نقابها بعناية ليتناسب مع ألوان العباءة.. فضّلت اللون البترولي فهو يتسم بالحزن الأنيق تمامًا كهذا الحزن الذي يقيم في عينها.. رنّ هاتفها المحمول.. تناولته بحركة سريعة وهي تنظر لشاشته.. ردّت قائلة..

- ازيك يا وسن.. أنا بجهاز أهو

- زهوره.. كنت خايفة تغيري رأيك

- جاهدت كي تصنع ابتسامة في صوتها..

- لا يا حبيبي مقدرش

قالت وسن بحماس :

- أيوا كده يا زوزااا يا مُرّه.. مستنياكي.. أنا في الكلية من الصبح أصلا.. لسة مخلصه المحاضرة دلوقت.. وبنستعد اهو عشان الندوة.. أنا لسة شايفة أمينة اللجنة الثقافية المسؤلة عن التنظيم.. أحمد كلمني وعلي وصول..

ابتسمت زهرة من حماس وسن.. هكذا هي وسن تضحج بالحيوية والحماس والنشاط.. عبارة عن طاقة إيجابية تسير على الأرض.. تحبها زهرة حبا جما.. وسن فتاة جادة.. مثال حي للفتاة الثورية الإسكندرانية (الجدعة).. كما أنها حنونة وسمينة.. تحب زهرة سمنتها.. فزهرة لديها نظرية غريبة تؤمن بها.. هي ترى أنه كلما كانت المرأة سمينة كلما كانت حنونة! هكذا هي تؤمن.. دائماً ما كانت وسن تبث فيها طاقة إيجابية جميلة.. دائماً ما كانت زهرة تشعر بالراحة والطمأنينة في وجود وسن. تجد فيها أمومة.. تشعر وكأنها تحميها.. وسن ظهر وسند لها.

وكانت زهرة في تلك اللحظة في أشد احتياجها لأن ترتمي في حضن وسن وتبكي.. تبكي وتبكي عليها تفرج عن بعض من حزنها المُعْتَقَل في صدرها.

- هاا روحتي فين

أجابت زهرة وهي تمسح دموعها :

- معاكي.. بسمعك

- لا مش معايا خاااااالص.. عموما أنا مستنية أما أشوفك بس.. قوليلي

قدامك قد ايه وتكوني هنا

- ساعة ونص بالكثير إن شاء الله.. دقائق وهنزل من البيت.. يا رب المواصلات

تكون كويسة بس

قالت وسن مطمأنة إياها :

- باذن الله.. ربنا يسهلك الحال يا رب.. خلي بالك على نفسك يا زوزااا يا مُرّه

وأول ما توصلني الكلية رني عليا..

- اوڭ حبيبتى.. سلام

- سلام

obeikandi.com

وصلت إلى الكلية لتجد وسن وأحمد في استقبالها.. وجود أحمد منعمها من تحقيق رغبتها في أن ترتدي على صدر وسن وتبكي.. كبحت مشاعرها.. سلّمت عليهما بحرارة.. قبل أن توجّه حديثها لأحمد قائلة :

- أتأخرت عليكو؟

ابتسم أحمد بوجهه المشرق الذي يضاهي اشراق القميص الأصفر الذي يرتديه.. وملامحه الهادئة المتناسقة التي تضاهي هدوء وتناسق ألوان هذا الملفوف بعشوائية جميلة حول رقبتة الشامخة المتوجّجة بشعره الأسود الناعم الذي يعزف مع بنطاله الأسود مقطوعة حزن دفين في عينيه السوداويتين.. قال :

- لا يا ست الكل متأخرتيش ولا حاجة.. لسة قدامنا وقت.. ثم أشار بيده للأعلى..

- يلا بينا نطلع

قالت وسن بحماس :

- يلا

همست لها زهرة في أذنها وهي تسير بجوارها بينما يتقدمها أحمد :

- جامد أوي ال Orange Vest عليكى مع ال Slim Brown ده.. وحلوه التسريحة دي

داعبت وسن خصلات شعرها بتلقائية والتفتت لزهرة قائلة بامتنان :

- انتى اللي عنيكى حلوين

اختلج قلب زهرة.. شعرت بوخزة مؤلمة في صدرها.. تذكرت «هشام» ومقولته.. (عنيكى حلوين جدا).

استقلوا هم الثلاثة المصعد للدور الرابع حيث القاعة التي ستُعقد بها الندوة.. وجدوا القاعة نصف ممتلئة من الحضور.. وعلي المنصة تجلس أمينة اللجنة الثقافية باتحاد طلبة كلية التجارة.. المنصة تتسع لفردين

بجوارها ولم يصلا بعد وهما عضوا منتدي اطلالة الأدبي.. يوجد ثلاثة ميكروفونات على المنصة وبجوار كل ميكروفون زجاجة مياه معدنية وعصير وكأس زجاجية شفافة فارغة.. بجوار المنصة توجد منصة أخرى تتسع لفرد واحد وعليها ميكروفون هي الأخرى.. من الوهلة الأولى أدركت زهرة أن المنصة الصغيرة تلك مخصصة للمشاركين في الندوة مثلها.

بدت القاعة مريحة.. يسودها جو أدبي شبابي جميل.. خلال دقائق وصل عضوا منتدي اطلالة الأدبي.. أو بالأحرى مؤسساً هذا المنتدي الأدبي.. كانت زهرة تجلس بين وسن وأحمد الذي مال عليها قائلاً بصوت خفيض :

- حضرتي خمس نسخ من القصيدة اللي هتقولها؟

أومأت برأسها إيجاباً.. ثم أخرجت الورق من حقيبة يدها.. تناول أحمد منها النسخ دون أن ينظر لمحتواها وقال بنفس درجة الصوت الخفيض..

- أصلهم هيجمعوهم مننا دلوقت.. وهيمرروا علينا استمارة نكتب فيها بياناتنا

- أو ك

صمتا ليستمعا فقد بدأت الندوة.. قدمت أمينة اللجنة الثقافية عضوي منتدي اطلالة الأدبي.. ثم تركت الميكروفون قائلة..

- ودلوقت الندوة هتبدأ مع أستاذ أدهم

بدأت الندوة تسير بشكل منسق.. تكلم الأستاذ أدهم عن نشأة المنتدي الأدبي وأنه منتدي معني بالشباب ومواهبهم أيا كانت فهو لا يقتصر على الشعر والنثر والقصة القصيرة فقط بل يستوعب أيا من المواهب كالرسم والغناء.. ختم الأستاذ أدهم كلمته قائلاً :

- زي ما قلنا يا شباب احنا بنقبل أي حد عنده موهبة.. وبنشجع الشباب.. ودلوقتي هتمر عليكم استمارة يا ريت تملوها ببياناتكو كاملة عشان هناخد منكوا الأعمال الأدبية اللي أحضرتوها معاكوا وهنسمعها منكوا دلوقت

ونقيمتها.. وإن شاء الله قريب سيكون لنا ايضاً كبرى ف مكتبة إسكندرية
هنبلعكم بيه وهيكون في مسابقات للأعمال الأدبية وجوائز قيمة للفائزين..

هنبدأ دلوقت نسمع المواهب.. مين يحب يبدأ؟

رفع أحمد يده.. فابتسم الأستاذ أدهم وأشار له :

- نتعرف على حضرتك

قام أحمد من مكانه وقدم نفسه قائلاً بابتسامة عريضة :

- أحمد منصور.. خريج تجارة الدفعة اللي فاتت لسنة طازة.. شاعر.. منسق

حركة شعراء الطرق الأدبية في إسكندرية

ابتسم أدهم وقال بلهجة مهذبة :

- أهلاً وسهلاً بيك معانا.. احنا هنا زي ما قلنا صدرنا بيتسع لأي حد..

وينزح بحركة شعراء الطرق.. هتسمعنا إيه؟

- قصيدة جديدة ليا بعنوان (توب الأمل) كتبها لسه قريب.. مستمدة من

الصعوبات اللي اصطدمت بيها بعد التخرج واني مش عارف الأقي شغل..

أشار له أدهم بأن يتجه للمنصة قائلاً بلهجة مرحة :

- اتفضل.. عاوزين نسمعك

صفق الحاضرون.. صفقت زهرة و وسن لم تصفق فقد كانت بيدها الكاميرا

وتستعد لتصوير أحمد.. اتجه أحمد للمنصة وبدأ يلقي قصيدته العذبة التي

تزر أملاً وتفاؤلاً.. كانت قصيدة أحمد تنوّه عن ضرورة أن يكون لك هدف في

الحياة وأن تتمسك بهدك وتتشبّه بالأمل مهما واجهت من صعاب.. وتطرق

أحمد في قصيدته لشروط هذا الهدف حتى يتحقق مشيراً إلى معايير

.SMART

كانت قصيدة أحمد رائعة بكل المقاييس.. بمجرد أن انتهى من القاء قصيدته

حتى ارتفع التصفيق بشدة.. عاد أحمد لمكانه بجوار زهرة.. أثنى أدهم على

قصيدته معلقاً بأن مستواه جيد في الكتابة وشجعه على الاستمرار.. ثم قال :

- ها مين بعد أحمد؟

بعد أن استهل أحمد الندوة.. تشجع المشاركون فارتفعت الكثير من الأيدي هذه المرة.. لكزت وسن زهرة مشجعة اياها قائلة :
- ارفعي ايدك..

رفعت زهرة يدها في لا مبالاة.. رأها أدهم.. ميّزها بوضوح ليس لأنها تجلس في الصف الثالث بل لأنها المنتقبة الوحيدة التي تجلس في القاعة.. المنتقبة الموهوبة! رفع حاجبيه في دهشة وعدل من نظّارته الطّبية وهو يتسم مشيراً بيده إليها قائلاً باحترام..
- اتفضلي

فوجئت زهرة.. لم يخطر ببالها بأنه سيختارها من بين كل تلك الأيدي المرتفعة.. قامت على الفور.. إلا أنها كانت تترنح ألماً من الداخل.. خرج صوتها ناعماً ممتلئاً بحزن دفين ليعرّف صاحبته :

- اسمي زهرة أبو الفتوح.. خريجة آداب انجلش.. بكتب شعر عربي وانجلش وفرنساوي.. بس الصراحة أنا مش قوية أوي في الشعر العربي.. بكون متمكنة أكثر أو بلاقي نفسي أكثر في الـ English poetry

ظهرت معالم الدهشة الممتزجة بالإعجاب على وجه أدهم وزميله عمرو الذي يجاوره.. جاء إعجابه واضحاً في صوته أيضاً وهو يقول :

- ما شاء الله.. طب هتسمعينا إيه؟

صمتت للحظات وهي تسيطر على دقات قلبها التي بدأت تعلو.. قالت..

- حاجة جديدة كتبتها بالعربي.. معرفش هي قصيدة ولا خاطرة ولا ممكن تصنفوها ايه.. بس حابة أقولها

و أنا اللي جارحني مش انه "مفيش".
عارفة إنه «مفيش».
أنا اللي جارحني.. ليه طولت عليا؟!
اوعي تقولي مطولتيش!
ماهو من أولها كنت عارف انه "مفيش".
طب كنت تقول..
طب كنت متظلمنيش..
متفكرنيش
ساكتة أو راضية أو «هيلة!».
برضو مايخلصنيش..
أنا اللي جارحني، انك طولت عليا
بقي كل ده «متعرفنيش!».
طب ليه ف حالي مبتسيبنيش؟
أنا كنت هسامحك، لو كنت بس
متعلقنيش
متشغلنيش
متعذبنيش
و متوجعنيش
و أما أحتاجلك،..
ماتنفضليش..
بص مقولك..
متقوليش
"هو أنا قولتلك قولي؟".
ماتغلطنيش!..

ماتسكتنيش

ماتقهرنيش

و متجر حنيش..

الحدوتة خلصت و خلاص..

الحدوتة انت محبتنيش..

طب ليه "شوفت" «لما "مفيش"؟!!

كنت بلاش تجرح

كنت بلاش تدبح

قلت "تجرب" «فيا؟!!

متجر بنيش!!

طب ليبيه "شوفت" «لما "مفيش"؟!!

خلصت الحدوتة

و راحت الكتكوتة

و بكرا الزمن بيعتلك فرخة ب ريش!!

وهييجي اليوم و أقولها

مابتوحشنيش

بقي أكون وياك..

متقدرنيش؟!!

كان لازم أمشي يا نجم!

عشان متضيعنيش..

كان لازم أمشي يانجم!

و ياريت مترجعنيش..

كان لازم أمشي يا نجم!

عشان أعرف أعيش..

كان لازم أمشي يا نجم!
عشان انت «محستنيش».
كان لازم أمشي يا نجم!
عشان «أنا» متخسرنيش..
كان لازم أمشي.. و متسألنيش..
و ان قلت «هسامحك "،،،..
متصدقنيش..

كانت الأعناق كلها مُشربَّة ومُصوِّبة نحوها.. نحو تلك الزهرة الذابلة.. تلك التي تروي فاجعتها.. تلك الشحرورة التي ترثي نفسها بعد غياب وليفها عنها.. وليفها الذي طعنها في صدرها قبل أن يغيب تاركا إياها تنزف بلا هوادة.. بمجرد أن انتهت.. ارتفع التصفيق بحرارة بل إن التصفيق طال هذه المرة.. ليس لأن قصيدتها الأروع.. حتمًا ليست الأروع بل هي الأفجع! وكم كان جليًا أن وجعها طازجا.. فرائحة شواء قلبها كانت فائحة في كلماتها.. وكان الخذلان طافحا في شواطئ عينها.. أما ذلك العلقم العالق في حلقها فصوتها تكفل به. عقب أدهم قائلاً بجديّة :

- أنا تخصصي قصة قصيرة ونثر.. لكن كمتلقّي اتأثرت بالقصيدة.. وهسيب الأستاذ عمرو يعقب لأنه مختص بالشعر الفصحي والعامي
تنحج عمرو وهو يبتسم ابتسامة عريضة قائلاً :

- واضح جدًّا إنها كانت تجربة قاسية.. واللي شايف نفسه نجم ده الدليل على كده.. كقصيدة مؤثرة ولكن الوزن محتاج يتظبط شوية.. محتاجة تقري كتير في الشعر العامي.. وعلي فكرة أنا شايف إن لون الشعر الغنائي هو اتجاهك.. أو ميولك ف الكتابة.. شايفها أغنية أقرب منها لقصيدة.

في تلك الندوة الأدبية.. تصفّحت الصور وهي تبتسم.. فوجئت بوسن قد ركّزت عليها خصيصا في توثيق تلك الندوة فقد نشرت لها وحدها أكثر من صورة.. قرأت ما كتبته وسن عنهم..

تغطية لندوة إطلالة لحركة شعراء الطرق.. كانت ندوة ممتعة.. شارك فيها أحمد منصور بقصيدة بعنوان (توب الأمل).. وزهره أبوالفتوح شاركت بقصيدة (كان لازم أمشي يا نجم).. وسارة إسماعيل شاركت بقصيدة بعنوان (سجّل يا تاريخ).. وسهاد المصري شاركت بقصيدة بعنوان (تخاريف عشقية).. وجاري رفع الفيديو.. أبدأ بزهره أبوالفتوح وقصيدة (كان لازم أمشي يا نجم)..
التغطية من اللجنة الإعلامية لأسرة ميدان بكلية تجارة حزب الدستور
تصوير / وسن يوسف

انهالت الإعجابات والتعليقات من كل صوب وحدث من زملاء التدريب.. قرأت زهرة التعليقات وابتسمت في ألم.. هاتفنت وسن.. ردّت وسن بحيويتها المعهودة..

- زهرتي

بصوت هاديء مبتسم..

- حبيبة زهرتك

- دخلتي الجروب أكيد طبعاً.. ظهر في ال seen by

ضحكت زهرة :

- ههه أحلي حاجة في الجروب أنه يببين أي بوست بينزل مين شافه.. حلو

أوي النظام الجديد ده.. seen by

قالت وسن بحماس :

- «هشام» كمان شاف كل حاجة على فكرة

صمتت زهرة.. ثم قالت في مرارة :

- مانا عارفة

شجعتها وسن :

- اجمدي.. ده لسه لما يشوف الفيديو..

تخضبت عينها بالدموع.. استشاطت غضبا وغيظا.. قالت بنبرة قهر شديدة

:

- الفيديو هينزل امتي؟

- دقائق وهيكون جاهز على اليوتيوب.. وهعمله شير في الجروب

- أوك..

أضافت بعد شيء من الصمت بنبرة امتنان :

- وسن.. بجد مش عارفة أقولك ايه على اللي بتعمله معايا..

قالت وسن :

- متقوليش حاجة يا زهرة.. انتي عارفة غلاوتك عندي قد ايه..

ثم أضافت دون أن تترك مجالا للرد :

- يلا بقي استعدي عشان تشوفي الفيديو.. شوفي نفسك جميلة ازاي

- مستنية.. هسيبك دلوقت تظبطي الدنيا وهتلاقيني ع الفيسبوك

- أوووك يا قمر.. أنا أونلاين من بدري أساسا.. يلا سلام

- سلام

شاهد «هشام» الفيديو مرارا وتكرارا.. حفظ القصيدة عن ظهر قلب.. لا

بأس يا زهرة.. تلقيت رسالتك والآن ستصبح هذه الصفحة هي ملتقانا

الجديد.. ولكن بصورة جديدة أيضا!!

وهكذا أصبحت الصفحة هي صندوق الرسائل الموجهة (المُبْتَنة) بينهما.. ولم يكن ليفهم تلك الرسائل غيرهما.. ووسن أيضاً بطبيعة الحال لأنها تعرف القصة منذ البداية..

كلما كانت تكتب قصيدة جديدة أو بالأحرى رسالة جديدة كانت تنشرها في هذا الجروب حتى ترى seen be Hesham فتتأكد أنه قد قرأها.. كذلك هو الآخر كان ينشر أغاني معيّنة.. ردا على تلك القصائد حتى يرى seen by Zahra فيتأكد أنها قد استمعت إليها أو بالأحرى استلمت رسالته!

وكم كانت وسن تضحك كثيراً من جنونهما هذا.. هي الوحيدة من الجمهور على دراية بما وراء كواليس تلك المنشورات.. حظيت وحدها بهذا السبق! كما أنها على علم بتاريخ «هشام» في مركز التدريب وهذه هي أول مرة تشاهده يفعل ذلك.. ها هو رده على قصيدة (كان لازم أمشي يا نجم) نشر رابط فيديو (يوتيوب) قديم للإعلامي محمود سعد وهو يحاور القيصر كاظم الساهر في برنامج (البيت بيتك).. لم ينشر الحوار كاملا بل اختار جزء بعينه من الحوار.. عندما سأل محمود سعد القيصر إذا كان يوجد في حياته حُب أم لا.. أجاب القيصر بالإيجاب ولكنه حلل حبه لتلك المرأة بطريقة معيّنة.. أو بالأحرى أنه في مرحلة معينة من الاندماج الروحي وأنه لم يصل بعد إلى مرحلة التطابق معها نظرا لأن لكل إنسان طباعه المختلفة.. ويأخذ الحُب منحني صاعد مع تلك الطباع فيتغير كل طرف من أجل الطرف الآخر ويغير فيه وهذا يستلزم وقت.. فسأله الإعلامي محمود سعد، أي أن الحُب قائم؟ قال (نعم) فسأله مرة أخرى هل هناك أمل؟ قال إن شاء الله.. أمنيقي طبعاً.. فابتسم محمود سعد وهو يُشبك أصابع يديه ببعضهم البعض (أي أنّ عملية التعشيق لم تكتمل بعد.. أنت الآن في هذه المرحلة) أوماً القيصر برأسه قائلاً (نعم).. فابتسم المحاور وقال أنت الآن في مرحلة عظيمة! وتلك الرسالة هي ما أراد «هشام» إيصالها لزهرة بما معناه أنها تسرّعت ولم تصبر

عليه! وبعدها بثلاثة أيام قام بنشر أغنية (فرشت رمل البحر) للقيصر.. له
حكايات سابقة مع أخريات ولم يكن ليصدر منه شيء يفضح قلبه كالذي
يفعله مع زهرة.. «هشام» لم يكن من عادته أن ينشر أغاني في الصفحة ثم
إنه قليل الكلام ولا يتفاعل مع أي من أعضاء الصفحة.. لماذا ظهر فيها فجأة
هكذا بعد أن حذفته زهرة وبعد قصيدة (كان لازم أمشي يا نجم)؟ لماذا لا
ينشر تلك الروابط في صفحته الشخصية؟ لماذا ينشرها هنا؟ لماذا هكذا
فجأة أصبح رومانسيا؟! هو ينشرها من أجل زهرة لأنه إن قام بنشرها على
صفحته الشخصية لن تراها هي بحكم أنها حذفته من قائمة الأصدقاء..
لذلك تيقنت وسن أن زهرة في حياته حدثا جلا وأنها استثنائية! وأن مرورها
لم يكن مرورا عابرا في حياته بل مُنْعَطَف سيتوقف أمامه رغما عنه! لذا
تنبأت بجولات قادمة ستحدث بينهما لكنها لم تخبر زهرة خوفا عليها.. ولقد
صدق حدس وسن.

أما زهرة فقد كانت تارة تسعد بتلك الأغنيات (الرسائل) وتارة يصيبها
الإحباط.. فما جدواها وما نهايتها.. هل سيظلان على ذلك الحال طويلا؟ لقد
اشتاقت.. عذبها الحنين وأضناها الشوق.. تعرف أنها تمثل قيمة كبيرة في
قلب «هشام» بل هي على يقين.. فلم هذا الجفاء؟ ألم يشاقتها هو الآخر؟ ألم
يفتقدها على أقل تقدير؟ قطعاً يشعر بخسارتها.. ولكنه (النجم) على حد
زعمه.. لذا فلن يبدأ هو الكلام خاصة بعد أن حذفته هي من الفيسبوك..
وهاتفها بعد أن حذفته ولم ترد عليه.. لذا لن يفعل شيئاً آخر.. كرامته
وكبرياؤه يمنعانه من المبادرة بأي خطوة ملموسة.. لذا هو يكتفي باثارتها
برسالته التي يوجهها لها على الصفحة. يقوم باستفزازها إلى أقصى حد
لتبادر هي بتلك الخطوة التي ينتظرها.. هو يعلم أنها لن تصمد طويلا.. هو
صبور.. سينتظرها.. راح يحبك لها شباكه.. هو صياد ماهر.. يعلم أنها
ستأتي..

باتت تتفقّد هاتفها كل لحظة.. تنتظر اتصاله.. ألن يحاول مرة أخرى؟؟ هل سيكتفي بمحاولة واحدة فشلت؟ كم كانت تبتهل وترتل صلاة الاستسقاء حتى يهطل عليها اتصاله! يا الله.. كم هو مضمي فراقه.. تمزقها الذكريات.. فراقه حنضل تلوكه رغبًا عنها!

انك «تكتب «إحساسك»..»

ده كده يبقى «قمة» القسوة..

تقسي على نفسك وتحطّمها ببطء.

وأرجع أقول الحمدلله على نعمة «الإحساس»..

انك تتعرّض للأذي حد الكتابة..

انك تبقي عارف انك مش شخصية عادية..

والعالم كله يشهدلك انك كده..

ويبيجي «حد مُعين» ميشوفش ده..

ميقدرش "خضوعك" ليه..

ميقدرش «كيانك».. هتحس بآيه؟؟

هو مش شايفك..

مش حاسك..

مش لمسك..

هتصعب عليك نفسك

ولا هو اللي هيصعب عليك لأنه خسرك؟

كان نفسك مش يخسرك

كان نفسك مش يكسرك

كان نفسك تديله «نفسك»..

كان نفسك تبقي «كيان واحد»..

هتقول بكل حسرة

وهتقول بكل قهرة

يا خسارة!!

لأن لما عيونكم اتقابلوا أول مرة،

«اتوحدوا» للأبد..

رمت له تلك القنبلة في الصفحة، سالت الدموع من عينها بغزارة وبِحُرقة ما بعدها حُرقة.. وهكذا كل ليلة.. صارت كالمجذوبة.. كالمسحورة.. عندما يَجِن عليها الليل والنهار!! تجد نفسها مسلوية الإرادة تفكّر به.. تكتب له.. تستعيده.. تستحضره.. تشتاقه.. لا يغيب عن بالها لحظة.. أصابها الوهن.. مرضت به مرضاً عضال.. أصيبت بوباء حُبّه.. والآن هي تنتظر موتاً بالتقسيط.

قرأ كلماتها كما جرت العادة.. استجاب لها قلبه.. فخرج عن صمته في الرابعة فجراً بعد منتصف الليل!! قام بعمل مشاركة لأغنية للقيصر كاظم الساهر (ها حبيبي)..

ها حبيبي

ها حبيبي مو على بعضك أحسك

ها حبيبي لخاطري لا تأذي نفسك

منو زعلك؟؟ أنت

مني تزعل لك والله زعل الدنيا كلها ولا مكروه يمسك

أبتسم هدي أعصابك

خل راسك بين أيديا

وأخذ بوسة صلح مني كافي تدلل علياً

لك أدلل علياً أدلل علياً

يا هبة ربي من السما وأجمل هدية

كانت هي الأخرى ساهرة لم تنم بعد.. استمعت للأغنية.. شعرت وكأنه يكفكف دموعها.. وكأنه يشعر بها.. نزع فتيل مشاعرها فقصفته في الليلة التالية بقنبلة انفجرت في أعماق قلبه.. ليلة منتصف شهر أكتوبر، كتبت له بمشاعر فيّاضة جامحة..

Still loving you without any reason
Still your love here,,every time and every season
My heart just beats for you & considers beating for any other one a treason.....

Still having this dream to be one day your wife
Still having this faith to share you this life

Still seeing myself pregnant & carrying your baby
Still hope to give me your name & to be your lady
can you give me such feelings ?

دوت تلك القنبلة في الصفحة وتدفقت عليها الإعجابات والتعليقات التي تمتدح رقة وعذوبة كلماتها وعلو إحساسها الذي لا سقف له!! ولا شك أن «هشام» يقرأ كلماتها وكومة التعليقات التي تنهال على أي قصيدة أو خاطرة تنشرها فتتخلله موجة عارمة من المشاعر الفيّاضة لفرط ذهوله! إحساس لا يوصف عندما يُكتب فيك شعراً ويغبطك كل من حولك دون أن يعلموا أنك (أنت) المقصود.. وكما قالها لها ذات ليلة (أنا محظوظ).. عندما أخبرته أنها حفظت اسمه منذ أول مرة شاهدته يعزف.. بالفعل هو محظوظ.. أن

تعشقه (هي) بالذات وتكتب فيه شعرا! يا الله.. كم تدخله زهرته في حالة انتشاء جارفة.. كم تحرّض عليه رجولته من دون مجهود منها! رغم كل شيء فهي قادرة على جعله يبتسم بمجرد التفكير بها! كم تشعره بزهو لا يضاهي.. اجتاحتها و وصلت به حيث لم ولن تطأ مضاربها أنثى غيرها.. يقرأ كلماتها فيشعر بارتواء.. ثم لم يلبث أن يقرأها ثانية وثالثة وعاشرة.. ولأنه من مواليد برج العقرب فهو (تقيل) وكتوم.. وغامض.. انكفاً على صمته الذي أصابها بإحباط ذريع انعكس في كلمات جديدة كتبتها له بعدها بثلاثة أيام.. كتبت تستجديه بألم..

Why my sigh can't reach your ears?

Why your eye can't see my tears?

Why your heart can't feel my fears?

And why days become as long as years!!

بعد ثلاثة أيام في حوالي الساعة مساء وجدت هشامها نشر أغنية في الصفحة.. فتحت الرابط واستمعت.. أغنية لدينا شماميان بعنوان (يوماً لا لا) أخبرتها أذناها الموسيقيتان أن ذلك عزف بيانو.. فهي أيضاً عازفة منذ الصّغر.. عازفة اكسليفون.. إلا أنها توقّفت عن العزف منذ سنوات وأصبحت الكتابة هي شغلها الشّاغل.. أنصتت بكل جوارحها إلى الموسيقي مع الكلمات التي راحت تتوغّل فيها وتدغدغها. وكأنّ «هشام» كان يعزف.. على أوتار قلبها.. ثم صدحت لنا شماميان..

يوماً لا لا

وإيش بيدك مني يا خالة

وحياتك خليني بحالي

وخلي الحلوة بحالا

كم ابتسمت عند هذا المقطع من الأغنية..

يوما لالا لاتخليني حين

دايمًا على بالي بتعين

ها الحلوة خلتنى حين

عيونا عيون الغزالة

لمستها تلك الجملة من الأغنية (ها الحلوة خلتنى حين.. عيونا عيون الغزالة)..

فقد أخبرها أن عيونها (حلوين جدا) في تلك الليلة ال(وَحْدَه).. في آخر مكالمة

قبل القطيعة..

يوما خلي الحلوة لأهلا

تمشي وتسرح ع مهلا

ما شقنا منها أحلى

ها الحلوة زادت دلالا

وفي اليوم التالي مباشرة في نفس التوقيت نشر أغنية (وَحْدَه) لدينا

الوديدي..

"وحدة.. دي ليلة واحدة، وبعدها عرفت ايه معنى الغياب

وحده.. بعيش في وحده، فوق السما تحت التراب

يا ليل.. ياليل يالى ما ليك اخر

مليت يا ليل.. كاساتى علالأخر

وشربت مسكرتش.. وعطشت من تانى

لقيت ومتوهتتش.. ورجعت لمكانى

يا ليل.. ياليل يالى ما ليك اخر

مليت يا ليل.. كاساتى علالأخر

وكل وقت وحين.. ألقى الكاسات فاضيين

وانده على روحى.. ومين يجاوب مين

استمعت هي إلى الأغنية وظلّت مشدوهة مأخوذة!! دمر خلاياها العصبية.. هل في تلك الأغنية رسالة ما؟ هل يقصد بتلك الليلة ال (وَحْدَه) آخر مكاملة حدثت بينهما قبل القطيعة والتي استمرت حتى لاحت خيوط الفجر الأولي؟ ليته يعي كم تُمَرِّقها ذكري تلك المكاملة بالذات.. لأنه قال الكثير فيها.. في تلك الليلة ال (وَحْدَه)!!

ابتسمت في شرود.. لأنه تلك المرة قطع صمته بأغنيتين متتاليتين على مدار يومين تعويضا وتقديرا لأنها كتبت له مرتين واكتفي بالصمت لأيام.. أغنيتين أي رسالتين.. أرسلهما لها من خلال دينا الوديدي ولينا شماميان.. ومنذ يومها أصبحت هي تحب دينا ولينا..

كانت مئة من الله - عز وجل - أن أباه خارج البلاد في تلك الأيام المباركة لقضاء شعائر الحج كعادته كل عام.. سفر أبيها بمثابة هدنة سلام لأولاده.. فترة استجمام تهدأ أعصابهم فيها حتى يستطيعوا تحمّله هو وزوابعه التي لا تهدأ عندما يعود من سفره! قطعاً ليس سفر أبيها هو ما أضاف حزنا على حزنها بل سفر شقيقتها الكبرى «إسراء».. سافرت «إسراء» منذ بضعة أيام إلى الولايات المتحدة الأمريكية للانتهاء من بعض الإجراءات لنيل درجة الدكتوراه في الكيمياء الحيوية مما ترك في صدرها خواء مؤلم.. عزائها الوحيد في سفر شقيقتها هو أنها اقتربت أخيرا من تحقيق أمنية طال انتظارها فلم يكن هناك مُتَبَقّ سوى شهرين على موعد مناقشة رسالتها.. انكفأت زهرة على كتاباتها وانزوت في كاتبها.

لم تشعر زهرة بفرحة حلول عيد الأضحى المبارك.. كما لم يشعر بها من قبل ابن زيدون شاعر الأندلس والذي قد لقبه بعض الكُتّاب ب (بُحْثُري المغرب)..

حلّ العيد وهو نازح عن وطنه ونائي عن أهله وحبيبته ولادة بنت المستكفي..
فقال في قصيدته..

إن كان عادكم عيد، فَرُبَّ فتى بالشَّوق قد عاده - مِنْ ذِكْرِكُمْ - حَزْنٌ
وختمها بيت استعاره من المُنْتَبِيّ..

بِمَ التَّعَلُّلِ؟ لا أهل ولا وطن ولا نديم ولا كأس ولا سكن!!

أحياناً تكون الأعياد والمناسبات ما هي إلا أسواط تجلدنا.. ما هي إلا مآتم
وحدتنا.. كيف تشعر بالعيد من دون من تحبهم؟ وهل وُجِدَت الأعياد
والأفراح إلا لنتقاسمها مع أحببنا؟ ما أبشع ألا تجد من يشاركك فرحة
ما.. بل ما أبشع ألا تجد من ((تُرِيدُه)) أن يشاركك فرحة ما!! ما أقيسي ألا
تجد من ((تُرِيدُه)) أن تقتسم معه سعادة أو نجاح أو عيد! ابن زيدون عاده
العيد وهو نائي عن وطنه (ولآده).. أما زهرتنا عادها العيد وهي نائية عن
(هشام).. مُعْتَرِبَةٌ عن روحها.. فالغُرْبَةُ ليست مرتبطة بمكان.. والغُرْبَةُ لا
تقتصر علي التشرّد عن الأوطان بل الغُرْبَةُ تولد فينا.. الغُرْبَةُ بداخلنا..
فالتشرّد العاطفي غُرْبَةٌ.. كما النزوح عن الأوطان غُرْبَةٌ فالنزوح عن الحبيب
غُرْبَةٌ لا تضاهيها غُرْبَةٌ! ذلك لأن الحبيب وطن!

«هشام» يا عازف البيانو.. هل ستظل هكذا منكفئاً على صمته كالبيانو
المنكفي على موسيقاه! لقد طال صمته يا نجم! سئمت سمفونية الصمت
تلك.. متى ستعزف لي كما وعدتني من قبل؟ متى ستخبر الجمهور أنك تعزف
من أجل كمنجة اسمها زهره؟؟ متى؟؟ هل ستحنث بوعدك؟ هل النجوم
يحنثون بوعودهم؟ هل تلك شيمهم؟ لا أظن أنك ستحنث بوعدك.. لا أظن.
لا تتوقف هي عن التفكير به.. عن تذكر كل أحاديثهم.. بل صارت تقرأ
المحادثات من جديد وتبكي على الأطلال.. تلعن نفسها أنها أحبته.. تلعن
نفسها أنها تسرّعت وأضاعته.. تُحَمِّلُ نفسها ما لا طاقة لها به.

ثلاثة أشياء لا تتوقف هي عن فعلهم، التفكير به والبقاء عليه والكتابة له..

Your tears,, pain, sufferings and sorrows are what make you a sensitive human

And to be a real man,, you must appreciate and respect the weakness and madness of your loving woman

وقفه عرفات

لبيك اللهم لبيك.. لبيك لا شريك لك لبيك.. إن الحمد والنعمة.. لك والملك.. لا شريك لك.. لبيك.

ذرفت عيناها الدموع خشوعا وصوت الحجيج ينطلق من صعيد عرفات وهي تتابع البث عبر شاشة التلفاز.. كان المشهد مهيبا حقًا.. تقشعر له الأبدان إجلالا لعظمته.. يا الله! انتزعها رنين الهاتف.. كان أبوها المتصل.. خلع قلبها بصوته الباكي.. حدّ أنها فُجعت لقرط بكائه..

- مالك يا بابا خير حصل حاجة؟

ارتفع نسيج أبيها وهو يقول بلهجة متقطعة..

- النهاردة عرفات يا بنتي.. الدعوه مستجابة باذن الله.. ادعي لعبدالله - الله يرحمه - وخلي اخواتك يدعوله.. ادعوا لأخوكم يا زهرة.. اوعو تنسوه.. الله

يرحمك يا عبدالله.. الله يرحمك يا بني

سالت الدموع من عينها قائلة..

- حاضر يا بابا.. خلي بالك على نفسك..

- أنا الحمد لله بخير.. انتو عاملين إيه؟ اخواتك عاملين إيه؟

قالت مطمئنة اياه :

- بخير يا بابا.. زي الفل.. وعبد الرحيم بيطل علينا من وقت للتاني هو ومراته

- طيب يا بنتي.. خلي بالك على اخواتك..

أردف كأنما تذكّر شيئاً :

- اخواتك اشتروا الأضحية؟

- أها.. وموجودة عند الجزار.. بكرة بعد صلاة العيد باذن الله. صالح وأسر
هيطلعوا على الجزار ويقوموا بالموضوع زي كل سنة..

- يوزعوا ع الناس أهم حاجة يا بنتي.. انا سايلهم كشف خليم يلتزموا بيه..
الناس اللي ف شارع جدتك اللي يرحمها واللي عبد الله كان بيوزع عليهم أهم
حاجة.. مش عاوزين نقطع اللي كان بيعمله الله لا يسينك

- حاضر.. متقلقش يا بابا.. الدبيحة كبيرة.. صالح بيقولي (البقرة) ما شاء
الله.. وبعدين أكيد عبد الرحيم مش هيسيمهم لوحدهم.. هيفوت عليهم يقف
معاهم متقلقش

- على الله كلوا.. وأنا هكلم صالح بكرة أشوفو عمل ايه..

أنهي المكالمة..

- لا إله إلا الله

- محمد رسول الله

قضت يوم عرفات في حزن يشيب له الولدان.. تترحم على شقيقها الراحل..
ليست هي في حاجة لأن يذكرها به أحد.. فمنذ أن رحل عبدالله وقد رحل
معه شيء منها لتشعر بنقص دائم بداخلها يذكرها برحيل نديم طفولتها
وأقرب أشقائها إليها.. ليرحمك الله يا عبدالله وليرحمنا معك يا أخي.

تفتقد شقيقتها أيضاً.. دعت لها بأن تعود من الولايات المتحدة الأمريكية
سألمة غانمة بمشيئة الله.

في المساء.. هاتفها أمها..

Bonsoir Zahra -

كافحت هي لتصنع ابتسامة في صوتها :

Bonsoir maman -

- كل سنة وانتي طيبة يا (لوتس)

- وانتي طيبة ف كل لحظة وكل ثانية.. ما بتنسيش يا أمي أي مناسبة أو أي

عيد تكلمينا واحد واحد مخصوص

ضحكت أمها :

- ولا انتي يا زهرة بتنسي تكلميني وتعيدي عليا ف أي عيد أو مناسبة دينية..

كريسماس.. عيد القيامة.. عيد الميلاد المجيد.. عيد الأم انتي أول واحدة ف

اخواتك تقولي كل سنة وانتي طيبة يا أمي

ثم استرسلت وقد تملكتها العبرة :

- بتفكريني بعبداالله.. كنت ألقيه جايلي البيت ف كل عيد.. أخلص القداس

وأخرج ألقيه ف وشي مستنيني ف ساحة الكنيسة.. بابتسامته الجميلة

ويبوس أيدي ويقولي كل سنة وانتي طيبة يا أم عبدالله

ملأت الدموع عينها قالت في لهجة منقطعة متهدجة :

- ربنا يرحمه يا رب ويعزيكي يا أم عبدالله

- آمين.. وربنا يحافظ عليكم يا حبيبتي.. ويرجع أختك بالسلامة

- آمين يا أمي..

واصلت بلهجة حزينة بعد شيء من الصمت والبكاء :

- ادعيلي يا أمي.. أنا بمر بأزمة

انفطر قلب أمها.. قالت :

- بدعيلك من غير ما تقولي.. وبدعي لكل اخواتك.. انتي بالذات بدعيلك أكثر

واحدة..

- محتاجة أشوفك ف العيد وأقضي معاكي يوم يا ماما

دائمًا يلاعها القدر.. دائمًا يحرمها من أحبها.. منذ صغرها حُرمت من أمها..
 أمها ذات الأصول الفرنسية.. أمها حفيدة أحد (الباشاوات) والتي لا تعرف لها
 ديانة محددة.. لا تعرف ما إذا كانت مسلمة أم مسيحية.. تتذكر في طفولتها
 كانت تصطحبها أمها للكنيسة في أيام الأحاد.. وتعلّمها تصلي صلاة المسلمين
 أمامها في البيت.. تقرأ الإنجيل لنفسها وتُرتل القرآن لطفلتها.. تتذكر في
 طفولتها عندما كانت تمرض أو تصاب بالحُمى تشعر بأيدي أمها على رأسها
 وهي تمسح على رأسها بالكّمادات حتى تنخفض درجة حرارتها.. تتذكر أيضًا
 صوت أمها وهي تنفث ببضع آيات من القرآن الكريم في أذنها داعية الله أن
 يشفي ابنتها.. أن يشفي زهرتها.. كانت أمها تقرأ لها آية الكرسي بالعربية
 وأحيانًا بالفرنسية.. مازال صوت أمها الرقيق في أذنها وهي ترتل بخفوت..

Allah! Point de divinité à part Lui

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

le Vivant, Celui qui subsiste par lui-même

الْحَيُّ الْقَيُّومُ

Ni somnolence ni sommeil ne Le saisissent

لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ

A Lui appartient tout ce qui est dans les cieus et sur la terre

لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ

Qui peut intercéder auprès de Lui sans Sa permission

مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ

Il connaît leur passé et leur futur

يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ

Et de Sa science, ils n'embrassent que ce qu'il veut

وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ

Son Trône «Kursiy» déborde les cieux et la terre

وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ

dont la garde ne Lui coûte aucune peine

وَلَا يُؤُودُهُ حِفْظُهُمَا

Et Il est le Très Haut, le Très Grand

وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ

تتذكر في طفولتها.. سألت أمها ببراءة وعفوية :

maman -

ma chère -

- انتي مسيحية ولا مسلمة؟

ابتسمت أمها وفتحت ذراعها عن آخرهما لتضم طفلتها بشدة حتى كادت تلتصق بها..وهنا همست لها في أذنها :

- لسه صُغْنَتَتَة على الكلام ده

العجيب أنها نفس الجملة التي كان يقولها لها «هشام» دائماً عندما تسأله عن أي شيء ولا يجيبها فتصرخ فيه (ليبيه) فيقول لها، (عشان لسه صُغْنَتَتَة) بلهجة مرحة متلذذاً لأنه قد استفزها.. ولكنها كانت تقول له بغضب نفس الجملة التي قالتها لأمها بعفوية وهي مازالت طفلة..

- أنا مش صغنتتة

ثم جلست على فخذ أمها قائلة ببراءة الطفولة :

- بابا مسلم.. بيروح يصلي في الجامع.. وبيقراً القرآن.. انتي ليه بتروحي الكنيسة؟ وبتعلميني أصلي زي بابا وبتقريئلي القرآن.. صحابي اللي بشوفهم

في الكنيسة مش بشوفهم في الجامع.. وصحابي اللي بيحفظوا معايا قرآن في الجامع مش بيروحوا الكنيسة..

دخل أبوها في تلك اللحظة.. ثم عقد حاجبيه في غضب وقال :

- زهرة روحي العبي في أوضتك دلوقت

ركضت نحو أبيها وقبلته ثم قالت :

- حاضر يا بابا

ذهبت المسكينة إلى غرفتها تلعب بدميتها.. وسرعان ما سمعت صوت شجار عال بين أبيها وأمها.. يصل إلى مسامعها صوت أبيها الغاضب وهو يقول لأمها :

- انتي بوظتي دماغ البننت.. حرام عليكي.. احنا اتقفنا من الأول ملكيش دعوة

بالنقطة دي.. أنا مسلم وولادي مسلمين زيي.. انتي مش عارفة ترسيلك على

دين انتي حرة.. ذنبا ايه البننت تعملي فيها كده؟ مش قلتك متخديهاش

معاكي الكنيسة.. حصل ولا لأ يا كارما؟

ترد أمها بصوت باكي :

- حصل.. انا فعلا مش باخد أي حد من ولادي الكنيسة.. هي زهرة بس

باخدها معايا عشان لسه صغيرة بخاف أسيمها لوحدها في البيت.. بكره

تدخل المدرسة زي اخوتها وأظمن عليها وساعتها مش هاخدها معايا في حنة..

ارتحت يا سيدي؟

- لا مارتحتش.. البننت دي مش هتعيش معاكي تاني.. هحرمك منها

ترد أمها بهلع :

- تحرمني من بنتي!؟

- آه.. هوديتها تعيش مع أمي.. هبقي مطمئن عليها.. واهي برضو تونّس أمي في

وحدتها.. وتاخذ بحسها.. وانتي روحي الكنيسة براحتك وكفاية عليكي اخوتها..

- انت بتقول ايه.. دي بنتي

- وبنتي أنا كمان.. ومش هستني على بنتي اكر من كده معاكي بصراحة..

- انت مجنون

يصرخ مكشراً عن أنيابه في غضب مخيف..

- كارما.. انتي عارفاني راجل صعيدي ولما بقول كلمة مش برجع فيها.. ثم ساد

الصمت

يصمت أبوها عندما يرى دموع القهر والحرمان تنهمر على وجنتي امرأته بعد

صدور فرمانه ولا يرد.. تماماً كما يصمت «هشام» عندما يرى دموع القهر

والحرمان في عيني زهرة ولا يرد.. ترى تشابه بين علاقة أبيها بأبها وعلاقتها

بهشام.. فكلتا العلاقتين معقدتين ومتشابكتي الأفرع وعميقتي الجذور.. ولكن

باختلافات الوقت والزمن وعوامل الفشل بينهما.

يخرج أبوها تاركا البيت وهو يزفر في غضب.. تركض هي نحو غرفة أمها

لتجدها غارقة في البكاء.. تتجه نحوها وتمسح دموع أمها بأصابعها الصغيرة

فتلثمها أمها ثم تضمها لتبكيان هما الاثنان في صمت.. ثم تقطع هي هذا

الصمت قائلة..

maman -

ma chère -

- انتي بتعيطي عشان بابا زعقلك بسببي.. متعيطيش.. أنا آسفة.. أنا سألتك

عشان الشيخ في الجامع بيقولنا اللي مش بيصلي هيدخل النار.. ولما سألته

واللي بيروح الكنيسة هيدخل النار؟ راح زعقلي جامد وقالني اسكتي وصحابي

ضحكوا عليا..

ضممتها أمها بحنان جارف.. فواصلت طفلتها الحديث بتلقائية :

- هو اللي بيروح الكنيسة بيدخل النار؟

لم ترد أمها وانما انهارت دموعها بغزارة شديدة.. فالتصقت بها طفلتها في

خوف وهي تبكي بدورها..

- طب بابا هياخدني منك عشان بتروحي الكنيسة؟

Non -

انكمشت بين ذراعي أمها :

- أنا خايفة أوي..

تمتمت أمها بالفرنسية بصوت غائب :

moi aussi ma chère -

واصلت صغيرتها بشرود :

- احنا كلنا هنروح الجنة مع بعض صح؟

ثم أخذت تعد على أصابعها الرقيقة :

أنا وانتي وبابا واسراء وعبد الرحيم وعبدالله وصالح والنونو اللي في بطنك..

صح؟ مشيرة باصبعها الصغير إلى بطن أمها المنتفخة..

تمسح أمها على شعر صغيرتها وهي تجيب :

- صح يا لوتس

كانت هذه الكلمة (لوتس) هي دلعها عند أمها.. كانت أمها تراها زهرة لوتس..

ولكن فيما بعد حين حُرمت من أمها.. لم تعد زهرة لوتس.. بل أصبحت زهرة

نارية.. تتدفق حممها متى تكلمت وحيثما حَلَّت.. مثلما ذاقت حرمان أمها..

فقد ذاقت حرمان جدتها حينما وافتها المنية.. تُوفيت جدتها وهي لم تنزل بعد

في الصف الخامس الابتدائي.. فعادت مرة أخرى للعيش مع والدتها.. ولكن

كانت قد فقدت الكثير من طفولتها.. الحرمان جرّدها من طفولتها.. وألم

الفقد كثرها.. كانت تنزّز ألما لفراق جدتها.. فقد تعلقَتْ بها كثيرًا.. صحيح أنها

عادت لأُمها ولكن كانت هناك فجوة كبيرة بينهما وشرخ كبير في قلوبهما.. خلال

السنوات التي عاشتها مع جدتها عرفت حقيقة كانت قد أخفتها عنها أمها..

أنها حُرمت من الرضاعة وهي في شهرها الثالث حيث انفصلت والدتها عن

والدها وهي رضبعة وعمرها ثلاثة أشهر.. وجدتها هي التي ربّتها حتى عادت أمها

لأبيها فيما بعد و زهره قد أتمت عامها الأول.. عرفت هذه الحقيقة بالصدفة
ذات حديث بين أبيها وجدتها.. كانا يعتقدان بأنها نائمة.. وكانت جدتها
الصعيدية تلوم أبيها على حرمانه إياها من أمها قائلة..

- مش حرام عليك عاد يا أبوالفتوح؟ الضنا غالي يا ولدي

- لا مش حرام يامه.. ما هي سابتها قبل كده وهي لسه بترضع ومهانس عليها
تاخدها معاها حتي.. سابتها ولولاكي بعد ربنا كانت البنات اتهدلت.. فاكرة
يامه لما كنت بجيبيلها اللبن في الكسرولة من السوبر ماركت في عز الشتا
وأحط أيدي على الكسرولة عشان المطر ما يجيش في اللبن وانا ماشي تحت
البلكونات في عز البرد عشان ألحق أعملها الرضعة قبل ما اروح الشغل؟
تهدت جدتها قائلة..

- فاكرة يا ولدي

واصل قائلنا :

- ولولاكي يامه جيتي قعدتي معايا وخذتي بالك منها وربيتيها هي واخوتها..
طول غياب أمها.. صحيح اخواتي البنات كانو ببيجوا يساعدوكي من وقت
للتاني لكن زهرة بالذات مكنتيش بتخلي حد يلمسها غيرك.. عشان كده يامه
مش هظمن عليها غير معاكي.

- الحديت ده ماعادش له عازة يا ولدي.. لازم تتحمل اختيارك.. اتجوزت
واحدة مش من دينك ولا من توبك يا ولدي.. وجاي دلوك تظلم الولد

زفر أبوها في عمق :

- حبيتها يامه.. من أول ما عيني شافتها في فرح عبد المنعم صاحبي في
المنصورة.. وكنت عمري ما روحت المنصورة في حياتي يامه لولا فرح صاحبي..
كان عشرة من أيام الجيش..

- ركبت دماغك يا ولدي.. مارضيتش أكسر بخاطرك..

- نصيب يامه.. كله مقدر ومكتوب

- إيوة يا ولدي.. وأني مؤمنة بالنصيب.. عشان أكده ما تكسرش بخاطر
الوئد.. رجّعها ضناها.. الظلم حرام
قال وقد بدأ الغضب يتسلل إلى صوته :
- في ايه يأمه.. هي كلمتك ولا ايه.. وبعدين انا مش حارمها منها ما هي بتروح
لزهره المدرسة على طول وبتجيلك هنا ولا فاكراني نايم على وداني..
- لسّاك راسك ناشفة يا أبو الفتوح..
- أحب على ايدك يأمه.. الموضوع ده منتهي.. زهرة هتفضل عايشة معاكي..
تاخذ بحسك..

وبعدين ما هي معاها «إسراء» والصبيان.. انتهينا يأمه
- مش معجول أكده يا ولدي.. تحرمها من ضناها عشان خدتها الكنيسة.. ما
هي كات بتاخذ الوئد كلاتهم وهما صغار.. مالك يا أبو الفتوح.. موضوع
الكنيسة مش لادد عليا واصل
قال في لهجة حاسمة صارمة مقتضية منهي النقاش :
- أمه.. الله يرضي عليكى.. لازم أعاقبها وفي زهرة بالذات.. زي ما رمتها وهي
بترضع.. لازم أعاقبها.. سيبيني يأمه.. مراتي وعارف أنا بعمل ايه.. لازم تحس
بقيمة زهرة.. زي ما فرّطت فيها هجرمها منها..
زفرت أمه مستسلمة :

- لا حول ولا قوة إلا بالله.. بخاطرك يا ولدي
تلك كانت أول صدمة تتلقاها في حياتها.. أو بالأحرى في طفولتها.. تألمت كثيرًا..
شعرت بأنها لن تغفر لأُمها ما فعلته.. إلا أنها كان بداخلها صراعات
وتساؤلات.. ما الذي حدث بين أُمها وأصلها لهذه الدرجة.. أن تتخلي
عن طفلتها.. أن تتخلي عن رضيعتها.. ظلت تعيش في كنف جدتها لسته
أعوام.. رحلت بعدها جدتها عن عالمنا تاركة إياها تتلقي صدمتها الثانية في
طفولتها.. فقدان جدتها لم يكن سهلاً.. طوال حياتها لم تنس جدتها يوماً.. لم

تنس ذلك الدفاء الذي شعرت به مع جدتها.. تلك المرأة المؤمنة التي لم يخل بيتها من صوت المذياع العتيق الذي لم تغير مؤشره عن إذاعة القرآن الكريم.. كانت جدتها حريصة على أداء صلاة الفجر.. والابتهاال إلى الله والدعاء لكل الناس.. لم تكن المسبحة تغادر يد جدتها حتى إنها لفظت أنفاسها الأخيرة والمسبحة في يدها اليمنى بعد أداء صلاة الفجر كعادتها.. ظلت زهرة محتفظة بمسبحة ومذياع جدتها بعد وفاتها.. كانت تشم فيهما رائحة جدتها الذكيّة.. لذا ظلت المسبحة و المذياع العتيق يلازماها في غرفتها الجديدة عندما عادت مرة أخرى للعيش في بيت أبيها.

الله أكبر الله أكبر الله أكبر.. لا إله إلا الله

الله أكبر الله أكبر.. والله الحمد

الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلا

لا إله إلا الله وحده.. صدق وعده.. ونصر عبده.. وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده

لا إله إلا الله.. ولا نعبد إلا إياه.. مخلصين له الدين ولو كره الكافرون

اللهم صلى على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وعلى أصحاب سيدنا

محمد وعلى أنصار سيدنا محمد وعلى أزواج سيدنا محمد وعلى ذرية سيدنا

محمد وسلم تسليماً كبيراً

اقتلعتها تكبيرات العيد من أفكارها وذكرياتها الأليمة.. مسحت دموعها بعد

سهر ليلة استرجعت فيها كل أوجاعها.. قامت لتتوضأ وتوقظ أخويها لصلاة

العيد..

عادت من صلاة العيد.. من بهجة العيد التي لم تشعر بها قط.. قابلت بعض

من جيرانها وصديقاتها بالإضافة إلى بعض من أساتذتها القدامى مذ المرحلة

الثانوية.. وسرعان ما خبا كل هذا وعادت إلى بيتها وحيدة تنتظر مكالمته منه..
تنتظر أن يهاتفها لتشعر حقًا بأن اليوم عيد.. تنتظر مكالمته التي ستكون
بمثابة صك العيدية!!

انتهت أيام العيد.. ولم تظفر بصك العيدية.. حزنت.. قارب أكتوبر على
الانتهاء أيضا.. كان عليها الاستعداد لحفل شعراء الطرق.. فهي لم تشارك في
تنظيم وإعداد الحفل لتدهور حالتها الصحية كنتيجة لتدهور حالتها
النفسية.. طغت عليها كآبتها.. فتكفل أحمد منصور وسارة إسماعيل بهذا
الشأن على أتم وجه.. طوال تلك الأيام اجتهدت سارة في تحضير ضيوف
الحفل وفقا لفقرات الحفل التي أعدتها مع أحمد منصور.. في الحقيقة
تحملت سارة إسماعيل على عاتقها كل شيء تقريبا.. نظمت فقرات الحفل
جيدا.. فصلت بين كل فقرة شعر وأخرى بفقرة عزف على العود أو انشاد
ديني أو غناء أو موسيقي (البيت بوكس) التي يتميز بها ييبو.. كانت زهرة تتابع
الأعداد وتشارك برأيها من خلال الهاتف بالتنسيق مع سارة
وأحمد و وسن التي يكمن دورها في تصوير الحفل كاملا.. إلى أن حدث سوء
تفاهم بين زهرة وسارة..

سارة إسماعيل شاعرة جيدة.. من جذور صعيدية تظهر بوضوح في بشرتها
السمراء وقسمات وجهها التي تنضح عدوبة.. كذلك تظهر أصولها الصعيدية
في كثير من قصائدها التي تلقى باللحجة الصعيدية رغم أن لهجتها العادية
إسكندرانية بحتة.. إلا أنها تعتز بأصولها كما يعتز كل صعيدى بذلك وكما
تعزز زهرة أبو الفتوح بذلك فهي الأخرى من أصول صعيدية..
العلاقة بين زهرة وسارة علاقة سطحية ولكنها علاقة احترام وود متبادلين..
ولكن كل هذا لم يمنع من حدوث سوء تفاهم بينهما..

هاتفت سارة زهرة كما العادة من أجل تنظيم الحفل وإخراجه بصورة تليق..
وفي وسط الحديث قالت سارة..

- احنا طبعا هنعمل ايفنت كبير على الفيسبوك وهنعزم كل زميلنا ف مركز
التدريب أساسي..

ومحتاجين أنهم يشاركوا معنا ف الحفلة عشان مش معقول كلها هتبقى
شعر.. الناس هتمل.. لازم نكسر ده بإننا ما بين كل فقرتين شعر نحط مثلا
فقرة عزف بالعود.. وبيت بوكس.. وغنا.. وانشاد.. بصي أنا الفقرات عندي
متظبطة.. كده فاضل فقرة الغنا لسة مش اتفقت مع حد ومحتاجين كمان
فقرة عزف.. «هشام» اللي كان معنا ف التدريب.. مش ده برضو عازف
بيانو.. أنا أعرف انكو تعرفوا بعض.. سايبالك انتي المهمة دي كلميه عشان
انا ماليش كلام معاه

كانت سارة تتكلم بعفوية.. هي لا تعي شيئاً عن طبيعة العلاقة بينه وبين
زهرة ولا تعرف عمّا آلت إليه تلك العلاقة.. تحسبها مجرد زمالة مثل أحمد
منصور ويبدو وغيرهما من زملاء التدريب.. رغم ذلك الفوران في صدرها إلا
أنها حاولت أن تتماسك وتتكلم بثبات ظاهري و رغم هذا خانها صوتها وخرج
متغيّراً مهتزاً مضطرباً.. قالت :

- أها طبعا احنا بينا كلام يا ساره بس أنا معيش رقم موبايله.. ممكن تخلي
أحمد منصور يكلمه أو يبيو
قالت سارة بتلقائية :

- لا لا يا زهرة انتي عارفة موضوع التنظيم ده علينا عشان أحمد مش
هيقدر يبجي الحفلة انتي عارفة عشان ربنا كرمه ولقي شغل.. قالي ممكن
يبجي الحفلة ف آخرها ومش أكيد كمان..

- أمممم.. كلميه انتي يا ساره طيب هاتي رقمه من أي حد

- يا بنتي انتو مش فيه بينكو كلام؟ خلاص قوليله ع الفيس

!!...-

- سكتي ليه.. ألووووو

- أيوا معاكي.. اه في بينا كلام.. بس مش أوي.. أصلي بتحرج منه يا سارة!!!

معلش اعفيني من الموضوع ده

قالت سارة بدهشة عارمة :

- خلاص.. هكلمه انا وأقوله إن زهرة قالتلي انك بتعزف وعاوزينك معانا ف

الحفلة

اندفعت زهرة لا اراديا :

- لاااااا.. اوعي تقويله كده يا ساره.. اوعي.. ماتجيبيش سيرتي خالص

!!!!!!-

تداركت زهرة نفسها ولكن قد فات الأوان.. ومؤكد أن سارة لاحظت أن هناك

شيء ما إلا أنها لاذت بالصمت والدهشة ولم تشأ أن تحرجها.. تركتها تبرّر :

- معلش يا سارة أصلي بتحرج.. ومش عاوزه يعرف اني قلتلك حاجة.. لا

قصدي يعني اننا قلنا كده.. لالا قصدي يعني.. بصي يا سارة متقوليلهوش

وخالص!!!

مؤكد أن سارة قالت في أعماقها (هي البت مالها؟ صواميل مخها فكّت ولا

ايه) إلا أنها قالت..

- خلاص متقلقيش.. هكلمه أنا.. اجيب رقمه الأول بس

- أوك.. سلام

- سلام!!!!

أنهت زهرة المكالمة وصدرها يعلو ويهبط.. كاد قلبها يسقط بين قدميها لفرط

ارتباكها واضطرابها وانفعالها وفيضانات المشاعر التي تفجّرت بداخلها.. هل

سيأتي الحفل؟ يا الله!! هل ستحملها قدماها لتقف أمامه وتواجهه وجها

لوجه؟ هل لديها من القوة لذلك؟ رغم أنها في حالة اشتياق حادة.. وتتكبّد

من الحنين ما لا يُختمَل إلا أن فكرة أن يجمعهما مكان واحد أصابها
بارتيك شديد.. كاد قلبها يقفز من صدرها لفرط دقاته..

داهمها ألم رهيب في ذراعها اليمنى.. باتت لا تستطيع تحريكها.. تنميل في
أصابع يدها.. تننفس بصعوبة شديدة.. صدرها يضيق حد الاختناق.. طبل
في رأسها ينتهي بخطاف يسحبها من مؤخرة رأسها.. شعرت بأن الألم تفاقم
ولم يعد يحتمل السكوت.. هاتفت شقيقها الدكتور عبد الرحيم.. أخبرته
بمرضها.. شرحت له الأعراض من بين دموعها.. جاء ردّه (مسافة السكّة
وهكون عندك).. بالفعل لم تمض نصف ساعة وكان يقرع جرس المنزل.. فتح
له أسر.. هرع إلى غرفتها.. وجدها طريحة الفراش.. تتلوّي في ألم.. ودموعها
تغرق الوسادة، قام بقياس نبضها وضغطها.. حرك ذراعها.. وتحسّس موضع
الألم حسبما أخبرته.. بينما كان أسر يقف مذعورا.. أخرج عبد الرحيم من
جيبه نوتة صغيرة وقلم.. كتب وناول لأسر قائلاً في جزع..

- روح هات الحقن والمحاليل دي بسرعة من الصيدلية

حقنها عبد الرحيم في وريدها بعد صعوبة شديدة للقبض على أي من عروق
يدها الهاربة.. أمدها بمحلول مركّز ودس فيه حقنة أخرى.. أسبلت زهرة
جفניה والدموع تغرق وجنتها.. جلس عبد الرحيم على حافة السرير قائلاً
بتأثر:

- إن شاء الله دقائق وهتتحسني.. ايه اللي مزعلك يا وزه؟

حملت في سقف الغرفة.. صممت للحظات.. قالت :

- مفيش

أشار عبد الرحيم لأسر بالانصراف.. ثم اقترب من زهرة وهو يربّت بباطن
كف يده في حنان على ظاهر كفّها والمغروس فيه (كالونة) المحلول.. نظرت
إلى أخيها.. انهمرت دموعها بغزارة.. فقال و قد اكتسي وجهه بابتسامة حانية :

- مش هضغط عليكي دلوقت عشان عارف حالتك.. بس عاوز أقولك حاجة..
انتي اكتر واحدة عارفة إن زعلك وحش وبيأثر على صحتك.. بس تعرفي؟ أنا
مطمئن انك بتعيطي..

ارتعشت شفقتيها.. شهقت.. انفجرت تنهه.. اقترب منها أكثر وضمتها.. وهو
يسترسل في الكلام وقد فاضت دموعه هو الآخر :

- كويس انك بتعيطي يا وزه.. يوم ما عبدالله مات.. كلنا عيطنا إلا انتي..
فضلي مسهمة وساكتة.. لحد ما بؤك اتعوج وكنتي هيجيلك جلطة
ولحقناكي.. وربنا سترلأن مكناش هندستحمل انتي كمان تروحي مننا.. طول
عمرك زعلك وحش.. من صغرك.. لما جدتك الله يرحمها اتوفت وانتي ف
ابتدائي.. ومكنتيش فاهمة يعني ايه زعل.. بس الصدمة وقفت رجلك عن
الحركة وخذتي جلسات علاج طبيعي فترة طويلة لحد ما قومتي بالسلامة.. انا
بخاف من زعلك يا زهرة.. مش هضغط عليكي تقولي ايه اللي عمل فيكي
كده.. بس ارجوكي انا واخواتك اللي لينا خاطر عندك بلاش تخلي زعلك
يسيطر عليكي.. زهرة انا مش عاوز اخوفك بس انتي عارفة انك معرضة
لخطر كبير لو زعلتي زعلة جامدة.. وعارفة قد ايه الدكاترة منبهين علينا
وعليكي بعد اللي حصلك لما عبدالله مات.. أرجوووكي يا زهرة ما تحرقيش
قلب اخواتك عليكي.. أرجوكي ياختي.. وغلاوة عبدالله ما تحرق قلبنا عليكي..

في نهاية اليوم الذي هو رابع وآخر أيام العيد كتبت له بقلها.. كتبت له
قصيدتها الجديدة.. أو بالأحرى رسالتها الجديدة.. وهبته عيدته..

بالعند فيك

هحلمك وهحققك..

بالعند فيك،..

لو انت كدبة هصدقك
بالعند فييبك..
روحي هتوصلك..
وللجنووون هوصلك
بالعند فييك وهفكرك..
زهره
أنا زهرة..
زهرتك..
في قلبها رسمتك..
هتلمسك
وهتأسرك
وهتكسرك..
بالعند فييبك مش هخسرك..
ومن تاني هلملمك! وهكعورك!!
بالعند فيك..
هسحرك وهسهرك..
وههجرك..
بوحشك؟ أكيبيد بوحشك..
وفي الآاااخر «هحضنك»
أيوا هحضنك
وفي عنيك هبصلك
وهقولك بكرهك!! بكرهك بكرهك
مليووون «أحبك مش كفاااية!!»
بندهك..

«هشام» قد نشر شيئاً جديداً .. فتحت رابط الأغنية الجديدة بفرحة طفلة
تفتح هدية جديدة.. هذه رسالته الجديدة.. هذه المرة بصوت من؟ راح صوت
Lionel Richie يتوغّل في وجدانها صادحا بعذوبة..

I've been alone with you Inside my mind

And in my dreams I've kissed your lips a thousand times

I sometimes see you Pass outside my door

Hello!

تلك المرّة لم تملك نفسها.. تلك المرّة لم تترك نفسها للهواجس والاحتمالات
في تفسير الأغاني.. اتخذت قرارها بأن تحسم الموضوع وتضع النقاط على
الحروف.. ضغطت على زر الإعجاب.. وكتبت له تعليقا أمام الجميع.. على
الملاّ كتبت له بعض من كلمات الأغنية.. انتقت كلمات بعينها..

You're all I've ever wanted

And my arms are open wide

Because you know just what to say

And you know just what to do

And I want to tell you so much

I love you

كان مستيقظا هو الآخر.. فوجيء بجرأتها! ابتسم وصمت.. أما هي لم تطق
صمته أكثر من يوم.. مرّ يوم الثلاثين من أكتوبر في صمت..

31 أكتوبر 2012.. الساعة السابعة والنصف صباحا

كتبت كلمة واحدة على الجروب.. كتبت Hello.. لكتّها لم تكن كلمة بريئة.. بل
تقصّد الأغنية الأخيرة.. كما أنها كانت تريد أن تتأكد ما إن كان موجودا أم لا

من خلال علامة الـ Seen by التي تظهر بجوار كل منشور لتوضّح من رآه..
وصدق حدسها.. كان موجودا.. وجدت نفسها تراسله على الخاص.. كتبت له
مباشرة :

وبعدين؟ انت صاحي على فكرة

seen

أغاظتها تلك العلامة التي تفيد أنه قرأ الرسالة.. لم يرد.. انتظرت دقائق..
وكتبت ثانية :

أمم وبعدين برضو؟ إيه؟

seen

انتظرت دقائق أخرى.. أدركت أنه لن ينطق بسهولة.. لذا كتبت في سخرية :
السينما الصامتة.. طب ينفع فايريشن طيب؟

seen

انتظرت عشر دقائق.. ولم يرد.. إلا أنه كان يبتسم عن آخره أمام الشاشة..
كتبت له في دعاة :
خلاص أنا ماشية.. على فكرة انت بخيل أوي.. هروح أشرب نسكافيه ف أي

حثة ثانية

seen

نهضت من سريرها.. تحمّمت سريعا.. صقّفت شعرها الطويل ثم عقصته
أسفل مؤخرة رأسها.. ارتدت إسدال الصلاة.. أتمت صلاتها وهي تبتهل بعينين
باكيتين إلى الله أن يرفع عنها هذا الألم الرابض في صدرها.. ذهبت للمطبخ..
أعدّدت فنجان نسكافيه! وعادت إلى غرفتها.. جلست ترتشف.. فتحت
الفيسيوك ثانية.. شعرت بإحباط عندما لم تجد منه أي رد.. تحاملت على
نفسها.. هاتفته وقلّما ينتفض في صدرها.. لا تدري ماذا ستقول.. ولكنها
فعلتها.. لم يرد.. حاولت مرة ثانية و الثالثة.. وما زال «هشام» مُضْرباً عن

الرد.. زفرت في مرارة.. فاضت عيناها بدموع ألهمت مُقلتيها و وجنتيها.. لم تياس.. فهي قد اتخذت قرارا بأنها ستعيده بأي ثمن.. لذا راسلته ثانية على الفيسبوك بعد تفكير ونحيب داما لثلاث ساعات متواصلة..

وبعدين يا «هشام».. مش عاوز ترد كمان على الفون.. كده كثير عليا.. خلاص زي ما تحب.. توقعت رد أحسن من كده.. لو مشغول أنا مستنية ردك بس كنت تقول برضو.. على فكرة أنا مفيش ف دماغى أي حاجة.. عشان بس تفكيرك ميروحش ف حته تانية.. أنا بس مش عاوزة الوضع ده.. محدش بيكلم الثاني مش فريندس احنا؟ أنا كنت ف ضغط نفسي بس دلوقتي أنا كويسة الحمد لله.. وبعدين هو مش أنا أكبر منك؟ يعني لما حد أكبر منك يكلمك المفروض ترد عليه.. أكيد مامتك قالتلك الكلام ده وانت كتكوت لسه عندك 6 سنين.. أعتقد كده إن كل حاجة بقت واضحة.. وبرضو كل سنة وانت طيب.. «هشام» بيتهياي كده مفيش حاجة تاني ممكن تتقال أو تتعمل.. وبرضو زي ما تحب.. أنا كده ضميري مرتاح.

في كل علاقة حُب.. يكون أحد الطرفين يحب أكثر من الآخر.. وفي هذه العلاقة كانت هي تحب بجنون! والطرف الذي يحب أكثر قطعاً يتألم أكثر ولذا لا يتقبل فكرة الفراق بعد فترة.. في محاولات تمويه عشقية يستعيض عن الفراق بأي شيء آخر وغالبا هذا الشيء يكون تحت مُسَي الصداقة! الصداقة التي تحمل في جوفها حَمَّ العشق المكبوت! معتقدا أن عذاب الكبت أرحم من عذاب الفراق.. وهذا ما توصلت إليه زهرتنا لأنها لم تقو على فراقه.. استنفذت كل قواها.. عبثا حاولت إقناع نفسها باستعادته كصديق.. ظنا منها أنها ستستعيده مع الوقت كحبيب.

باقي ثلاثة أيام على الحفل.. حفل شعراء الطرق.. أي باقي ثلاثة أيام على عيد ميلاد «هشام».. هشامها.. طوال اليوم عابسة مُحبطة خاصة بعد عدم تلقّيها أي استجابة منه.. ظل عازف البيانو منكفئا على صمته كالبيانو المنكفى على

موسيقاه.. وتضاعف حزنها بعد أن أبلغتها سارة أن «هشام» اعتذر عن الحفل.. تتردد كلمات سارة في أذنيها..

(قال مش هيقدر يشارك ولو كان يقدر مكانش اتأخر.. بس هو كلمني عن بنت اسمها رضوي قال إنها معرفة من زمان و انها بتغني وصوتها حلو.. و رشحها تشارك معنا في الحفلة.. قالي أنها برضو في كلية تجارة و اداني رقمها وقال هيديها فكرة برضو عشان لما أكلمها تكون عندها فكرة..)

أصاها ذلك بإحباط ذريع.. كم كانت تتمني رؤيته في ذلك اليوم.. ليس من أجل الحفل.. بل لأن هذا اليوم هو عيد ميلاده.. كانت تود أن تقول له Happy Birthday على طريقتها.. ثم من هذه الفتاة التي رشحها للغناء في الحفل.. هي تعرف تلك الفتاة شكلا فقط فهي في قائمة أصدقائه على الفيسبوك وتعليقاتها منتشرة على صفحته.. زهرة تعرف أغلب الفتيات على صفحته قبل أن تحذفه.. بمجرد أن تلمح أي إعجاب أو تعليق من أي أنثى.. تتفحص صفحة تلك الأنثى ومعلوماتها الشخصية.. بدافع الغيرة البحتة! لذا عندما سمعت اسم رضوي لم يكن هذا شيئا جديدا فهي تعرف اسمها وتعرف من معلوماتها وصورها على صفحتها فيسبوك بأنها تغني. ولكن ما أغاز زهرة بحق هو تمتعه وترقعه عن المشاركة في الحفل..

ناهيك عن تلك النار التي نشبت في أحشائها منذ أيام بعد أن أخبرتها احدي الزميلات بشكل عفوي على دردشة الفيسبوك أنها حضرت حفل عمر خيرت في مكتبة الإسكندرية بصحبة «هشام» و شقيقته الصغري وزميلة أخري له منذ أيام التدريب عازفة كيبورد وشقيقتها!! هذه العازفة أيضا كانت ضمن فريقه في مشروعه! منذ أن عرفت ذلك الخبر ونار الغيرة تكوي صدرها وتقض مضجعها!! لعل ذلك كان السبب في تفاقم الآمها حتى سقوطها طريحة الفراش آخر أيام العيد لولا عناية الله وتدخّل شقيقها الدكتور عبد الرحيم قبل فوات الأوان..

من دون أن تشعر بنفسها انفجرت في سارة.. أخبرتھا أنها معترضة على مشاركة هذه الفتاة في الحفل.. أبدت سارة دهشة شديدة وسألتها عن السبب.. قالت زهرة باقتضاب أنها لا تريد تلك الفتاة أن تشارك و حسب.. حسبھا سارة تعرفھا مذ زمن وربما قد حدث بينهما سوء تفاهم.. قالت سارة بلهجة لطيفة ليّنة :

- طب فھمني يا زهرة بس ايه وجه اعتراضك.. انا خلاص اديت «ھشام» كلمة وكلمت البنت

بصوت عالي شديد الانفعال حتى كاد الهاتف يئن وكادت تثقب طبله أذن سارة :

- بلاھا البنت دي.. بلاھا الفقرة دي يا سارة.. هو انا مش من اللي بينظموا الحفلة دي وليا رأى ولا إيه؟ انا مش عاوزة البت دي

- يا حبيبتي اھدي بس طب انتي تعرفھا من قبل كده؟ حصل حاجة بينك وبينھا؟

- لا والله معرفھا ولا في بينا أي كلام ولا هي تعرفني.. بس مش عاوزاھا تشارك

- زهرة.. انا مش ھرجع ف كلامي خاصة مفيش سبب واضح..

- وانا مش ھشارك في الحفلة يا سارة..

- لا حول ولا قوة إلا بالله.. نفسي افھم بس ايه اللي معصّبك كده

- ساااارة!! أنا ھكلم أحمد بما أنه هو المُتسَّق والمُسئول..

- والمُتسَّق والمسئول ده بقي فوّضني ف كل حاجة عشان مش ھيقدر يحضر!

ھنا احتدم النقاش.. حدث خلاف بينهما.. احتنقت سارة.. حدثت مشادّة

كلامية على اثرھا أنهت زهرة المكاملة في عنف غير مفھوم. وظلت تغلي وتبكي..

تضايقت من نفسها لما فعلته مع سارة فھي ليس لها ذنب كي تكلمھا بتلك

العصبية.. ھدأت قليلا.. ھاتفّت سارة كي تعتذر لها.. لم تسمع سارة رنين

الهاتف.. كانت في المطبخ.. ظنّنت زهرة أنها (مغبونة) كما يقول الصعايدة.. لذا هاتفتم وسن كي تلتطف الأمور بينهما.. حكمت لوسن ما حدث وبعد أن انتهت قالت وسن :

- طب اهدي يا زهرة.. وعلي فكرة البت رضوي برضو مالهاش ذنب.. هي واحدة قاعدة في بيتهم لا على بالها حاجة.. هو اللي رشّحها وسارة وافقت ثم إن البننت معروفة هنا في الكلية وصوتها حلو.. متخلّيش زعلك انك مش هتشوفيه يعميكي.. أنا فهماكي يا زهرة انتي مش عاوزة البننت تيجي عشان سارة تكلمه وتعتذرله ويعرف انك انتي اللي رفضتها بما أن الايفنت موجود على الفيسبوك وهو متابع وعارف انك انتي وسارة اللي بتنظموا الحفلة وأكد بيقرأ بوستاتك ع الايفنت والجروب فطبعاً هتحرقي دمه زي مانتي دمك محروق دلوقت عشان مش هيحضر وانتي هتموتي وتشوفيه!!
تهدّت زهرة.. بكت.. قالت من بين بكائها..

- أيوا هموت واشوفه.. هو ليه اعتذر عن الحضور.. عشاني صح؟ عارف اني موجودة ومش عاوز يشوفني.. ولا هو فاضي بس يروح حفلات عمر خيرت مع زمايله البنات!!

واصلت في قهر وصوت بكائها يرتفع :
يوم الحفلة ده هيكون عيد ميلاده برضو وكان نفسي أشوفه ف اليوم ده وأقوله كل سنة وانت طيب..

سألته وسن في دهشة :

- انتي عرفتي منين أنه راح حفلة عمر خيرت مع بنات زمايله!!؟

- واحده منهم قالتلي بشكل عفوي..!

- ازاي بس فهميني بالراحة وبطلتي عياط.. هي قالتلك كدة من نفسها ولا عرفتي ازاي؟

- انا كتبت بوست على الفيس بسأل عادي مين حضر حفلة عمر خيبرت ف مكتبة إسكندرية.. عشان انا كان نفسي احضرها بس انتي عارفة بتبقي بالليل وانا مش من إسكندرية فمقدرش احضرها
- ها وبعدين؟

- لقيتها ردّت ع البوست (انااا).. وهي منشكحة كدة.. والله يا وسن قلبي طَبّ ف ساعتها معرفش ليه.. كلمتها ف الشات بقولها روحتي لوحدك ولا مع صحابك.. كان قلبي حاسس أن ريحة «هشام» ف الحوار.. قالتلي أمها راحت هي و«هشام» وأخته و(....) وأختها.. انتي حاسة بيا يا وسن؟ انا تعبانا.. قلبي بيوجعني يا وسن.. قلبي بيوجعني

- اهدي يا زهرة.. يا عبيطة هو لو في حاجة بينه وبين أي واحدة فهمم هياخدهم كده بربطة المعلم لوكشة واحدة مع بعض؟! وكمان أخته كانت معاهم وأخت (...). يعني الموضوع صحاب مش أكثر مش معقول هيجب بالجوز يعني.. وبعدين انتي نسيتي أنه عزمك على يخت قبل كده لوحدك وانتي مروحتيش؟ دي تفرق كتييييييير يا زهرة والله.. انتي غيرهم.. صدقيني.. متدايقيش نفسك

لم يجاوبها غير بكاء زهرة ونشيجها الحار..

- طب اهدي.. متعيطيش بقي.. كفاية عياط ارحمي نفسك يا زهرة حرام عليك اللي بتعمليه ف صحتك.. بالنسبة لسارة انا هصلح اللي حصل بينكو وأقولها انك تعبانة واعصابك بايظة

وانتي اعتذريها ولعي الموضوع يا زهرة.. البنت هتيجي وتغني ده مالوش دعوه بحوار «هشام».. أنا عارفاكي قلبك طيب بس هو اللي حصل ده من زعلك أنه مش هيجي الحفلة.. سيبها على الله.. يمكن ييجي ده انتو الاتنين مقطعين بعض على الجروب.. هو ينزلك أغنية وانتي تردي عليه بقصيدة.. هههه طب ما تكلموا بعض بدل وجع القلب ده

ابتسمت زهرة رغماً عنها.. قالت وقد بدأت تهتداً :

- هبعت لسارة مسدج دلوقت اعتذرلها

- تمام وقومي اغسلي وشك.. وجهزي نفسك بقي.. فاضل يومين ع الحفلة..

استعدي يلا شوفي هتلبسي ايه وتحضري قصيدة جميلة زيك كده.. الحفلة

كبيرة يا زهرة احنا حجزنا مدرج ف الكلية والموضوع اتظبط مع اتحاد الطلبة

وفي ضيوف كتير وفقرات متنوعة.. عاوزاكي ف احلي صورة اليوم ده..

- أوك.. سلام

- سلام يا زوززا يا مُرّه!

الكتابة جهاد في سبيل الله.. وكل كاتب هو مجاهد.. فالجهاد بالقلم لا يقل

عن الجهاد بالنفس بل لن أبالغ إن قلت أنّ الجهاد بالقلم لا يضاھيه جهاد..

لأنه جهاد بالنفس في حد ذاته كما أنّ رسالته السامية تظل ممتدة عبر

الأجيال إلى يوم تقوم الساعة.. فكم من مجاهد بالقلم استطاع أن يُلهم أمة

بل الإنسانية بأسرها والتاريخ خير شاهد على ذلك. هكذا تؤمن زهرة

أبوالفتوح.. هكذا هو إيمانها المستمد من موهبة حباها الله - عز وجل - بها..

كما هو إيمانها ب«هشام» المستمد من إيمانها بالحُب.. لم تفقد إيمانها به

لأنها تدرك جيداً أنها إن فقدت إيمانها به فسوف تلحد عاطفياً بقية عمرها!

لذا ظلت متشبّثة بهذا الإيمان.

«هشام» يا محظوظ.. «هشام» يا من ستدخل التاريخ.. يا من سيسطرك

الأدب العربي في سجلاته.. في الواقع الأدب العربي والتاريخ هما المحظوظان

بك! وهما اللذان ينبغي لهما أن يفخرا بهذا الشرف يا رجل!! يا من ستُمنح

الخلود.. هنيئاً لك بقلب امرأة كهذه.. هنيئاً لك.. رغم أنك لم تُقدر تلك المرأة

كما ينبغي ولم تُعطيها حقّها إلا أنك تستحق.. رغم أنك قمت باجتثاثها من

حياتك إلا أنك ما حييت لن تستطيع أن تجتثها من قلبك! لن تستطيع فقط؟ بل لا تريد أيضًا أن تجتثها من قلبك.. في زاوية ما.. في ركن ما بداخلك هي لا تتوقف عن الهطول! أليس كذلك؟ «هشام» يا حُب عمرها.. يا حياة روحها.. يا كل طموحها.. «هشام» يا وسامة جبارة.. يا رجولة طاغية..

انني أكاد أجزم يا «هشام» أن نزار قباني كتب تلك الجملة من قصيدة عينك من أجلك (لكأنك من قمر تأتي.. من نجمة صبح ذهبية.. من أرض فيها شمس الحب تعانق وجه الحرية) بالإذن من الأسطورة نزار قباني سأضع لتلك السطور إجابة.. سيد نزار إنه بالفعل أتى من أرض فيها شمس الحب تعانق وجه الحرية.. إنها الإسكندرية.. نعم سيدي!! ولكنها مازالت إجابة ليست نموذجية! لأنني حقًا أتساءل أي بطن تلك التي حبلت بك وأنجبتك هدية لهذا العالم؟ وأي بطن تلك التي ستتشرّف بأن تحبل بطفلتك؟! أي بطن يا هشام؟ من أي كوكب أتيت يا هشام؟ بربك يا رجل هل امرأة كهذه قابلة للتكرار؟ هل امرأة كهذه تُعوّض؟ هل امرأة كهذه تستحق ما لاقته منك؟ «هشام» يا كتوم.. يا غامض.. ما الذي يصير بعالمك؟

الليلة هي ليلة الثالث من نوفمبر.. ليلة ميلادك يا «هشام».. يجتاحني شعور غريب يا حبيبي.. أشعر بك تلج في.. أنا أحبل الليلة منك بك! أنا حبلي بك من جديد.. حملا أبديا.. أكاد أشعر بك تنمو في أحشائي.. تتكون من دمائي.. أنا أغبط أمك كثيرًا يا «هشام».. لأنها حبلت بك قبلي.. أتحنّس بطني.. أمك حبلت بك و حظيت هي بهذا الشرف.. أغار منها.. لذا لن يعوّضني عن ذلك إلا الولوج في لأحبل منك.. أطالب بحق اللجوء العاطفي إليك! أطالب بطفلة منك أحملها تسعة أشهر في رحمي.. أنا الآن بعيدة عنك.. وأشعر كأني في مخاض طويل كاد رحمي ينفجر يا «هشام».. ورغم هذا فلن يلفظك رحمي! سأظل متشبّثة بك.. لن أتخلى عن حُبّي لك.. لن أفقد إيماني بك.. أحبك.. كثيرًا.. إلى ما لا نهاية.. حبي لك هو حب سرمدي أبدي.. سأتوجك بالخلود في

كتاباتى وأشعاري.. سأحبل منك وأنجب للأدب العربي والغربي قصائد كثيرة
هن بناتي منك.. وسأظل انتظر أن أحبل منك بطفلي التي أسميتها (ملك)..
أحبك.. كم أنا في حاجة لأن تسندني بقبلة.. لأن تلمني شفتاك.. لأن يلتحما
وشفتاي المكتزتان وتطفيء حرائقهما حتى يتوقف بنا الزمن! أحبك.. أغار
عليك يا «هشام».. أغار.. من كل فتاة تعرفك وتعرفها.. أغار.. أكاد أجن يا
حبيبي.. ارحمني يرحمك الله يا هشامي!

لقد تعديّ حبي لك كل حدود العقل والمنطق منذ بداية معرفتي بك! أنا الآن
في حاجة لأن أمارس معك الحب في تلك الليلة.. ليلة ميلادك ولا أعتقك حتى
الصباح! وكل ليلة حتى الصباح! أحتاج لأن أمارسه معك كزوجة! لا رغبة
فيك ولا شهوة أقسم بالله العظيم وهو شاهد على ما أقول.. بل حاجة
إليك.. أنا في حاجة لأن أفعل ذلك معك! لأن يجمعنا سرير.. لأن أتعرى
أمامك تمامًا مثلما أتعرى بكلماتي في كتاباتي وتتعرى أمامي تمامًا حتى من
صمتك! نتعرى سويًا ليرتدي كلا منا الآخر! لأن تنصهر فيك أجزائي حتى
أذوب وأتلاشى بداخلك! أنا في أمسّ الحاجة لأن أصبح أم على يديك! لأن
أعطيك نفسي.. لأن أهبك سعادة.. لأن أحمل اسمك وذريتك.. أنا لا أدري
كيف تُفجّر بداخلي كل تلك المشاعر.. بدأت أشعر بأنوثتي مذ دق قلبي لك..
أدركت حكمة الله سبحانه وتعالى في أن يهبني ذلك القدر من الجمال
والمهوبة وكأنه يُعدّني خصيصًا من أجلك.. حتى أليق بك! حتى أهب ذلك
لك! أحبك يا «هشام».. أنا أتنفسك.. تجري بعروقي.. تضحك شرايبي..
أحبك.. أنا أكتب الآن وأنا في حالة هذيان! أهذي بك! أنا محمومة بك! لا
أريد صك عتقي منك! ما أجمل الرضوخ لك! ما ألدّ الخضوع لك! أريدك يا
«هشام» هل يسمعني قلبك؟ هل تشعر الآن بحرارة أنفاسي تلفحك؟ أريد أن
أطبع قبلة طويلة جدًّا على شفتيك تاركة نكهة قبلي في فمك وعبق عطري
تستنشقه خياشيمك! أريد أن أتذوق شفتيك.. هل هذا كثير؟ أريد أن

أمنحك مذاق قبليتي.. هل أنا أطلب المستحيل؟ أريد أن أخطفك بعيداً
وأسجنك في أنوثتي.. أصدر عليك حكماً بالسجن المؤبد في حضني.. هل هذا
مُحرّم عليّ؟ أريدك أن تهوي قتيلاً كل ليلة على مشارف جسدي.. هل هذا
ممنوع؟ أليس من حقي؟ لم سلبتني هذا الحق؟ سأقتلك! ولن تجرؤ أن
تعرض أمام أنوثتي المُسلّحة! ستهزم أنت ورجولتك الحصينة المنيعة في
أول قبلة أقسم بالله.. ستهزم تماماً وسأنهزم معك.. لنبدأ معركة طويلة من
القبلات التي ستردي علينا قتيلين!

أتمنى أن يرزقني الله منك بطفلة.. أكاد أري ملامحها بوضوح منذ الآن! سترث
عينيك الواسعتين العميقتين جداً.. وسترث شعري البني الطويل الذي يصل
إلى نهاية ظهري.. سترث سحرِك وسترث قوامي الفرنسي! سترث لكنتك
وطريقة نطقك لحرف الرّاء.. وسترث يدي الصغيرتين حتى إنها استداعبك
بأناملها الصغيرة وأنت نائم لتستيقظ على وجهها الملائكي..

و حتى يأتي ذلك اليوم سأتولى أنا هذه المهمة يا هشامي.. سأوقظك تارة
بخصلات شعري.. و تارة بقبلة صباحية.. وتارة بأناملي وهي تتحسس وجهك و
تارة و أنا أهمس في أذنك بكلمات لن يفهمها سوانا! إلهي! يكاد قلبي يتوقف
عن النبض كلما عشت تلك اللحظات في مخيلتي فما بالي إن تحققت.. يا
الله..

لا يمكنك أن تتخيل مدى عذابي حينما يخطر ببالي أنه يمكن لغيري أن
تظفر بك.. تنهار كل أحلامي دفعة واحدة.. أتمنى من الله ألا أعيش حتى أراك
مع غيري.. أتمنى أن تُقبض رُوحِي قبل أن أشهد تلك الفاجعة.. أتمنى أن
أموت قبل أن تأتي تلك اللحظة.

أفاقت من هذيانها وبكائها.. لا تحتمل البعاد أكثر من ذلك.. الليلة ليلة ميلاده.. ظلت تتفقد صفحته الشخصية فيسبوك.. وتتصفح صورته التي حفظتها عن ظهر قلب.. وفي كل مرة تستوقفها صورة معينة.. صورته وهو طفل.. طفل لا يتعدي العامين على الأكثر.. تتأمل ملامحه الملائكية.. لم يتغير كثيرًا.. نفس نظرة عينيه.. ونفس عينيه الواسعتين.. يا الله! كم تُسكِّرها تلك الصورة حد أنها جعلتها خلفية هاتفها المحمول و حاسوبها!

جُنَّت بهذه الصورة.. تفتح هاتفها وتقبلها كل يوم! تشعر وكأنها تلثم طفلها و حبيبها في الوقت ذاته! ظلَّت تنتظر الساعة حتى تدق الثانية عشر لكي ترسل له رسالة تهنئة بعيد ميلاده.. فهي ما عادت تطيق فراقه أكثر من ذلك.. ما عادت لها القدرة أن تتجرَّع ذلك العلقم العالق في حلقها.. وبينما هي تنتظر الوقت.. غلبها النّوم!

استيقظت مذعورة في الثانية والنصف بعد منتصف الليل.. أمسكت هاتفها وراحت تكتب له رسالة نصية..

A very happy birthday , Hesham ,, by the way I love your photo when you were just a baby , it makes me want to jump into it and squeeze that baby and laugh laugh laugh with so much love !

send!

أرسلت له الرسالة.. في تمام الثالثة بعد منتصف الليل.. قرأها و ابتسم.. بعدها بخمس دقائق قام بتغيير صورته الشخصية على الفيسبوك إلى صورته وهو طفل! الصورة التي تحبها هي وكتبت له عنها في رسالة تهنئتها بعيد ميلاده!

أما هي بعد أن أرسلت له الرسالة خلدت إلى النوم.. ولم تر صورته إلا عندما استيقظت في الصباح الباكر.. وهي لا تزال في سريرها.. ابتسمت عن آخرها.. كان ذلك رده على رسالتها.. تفاءلت.. وتمنّت لو يفاجئها بحضوره الحفل.. أرسلت له رسالة على الفيسبوك هذه المرة.. بدأت يومها به :

قولي الحقيقة بقي.. انت غيرت صورة بروفايلك بعد رسالتي صح؟ تعرف.. الصورة دي خلفية موبايلي واللاب توب بتاعي وكل مرّة أبص ف الطفل اللي ف الصورة كتييير لحد ما بقينا روح واحدة.. وعشان أكون صريحة معاك، أنا ببوس الطفل ده كل ما بشوفه! مش حرام على فكرة.. ده طفل صغنتوت.. محتاجة أتكلم معاك بقي.. في حاجة عشان عيد ميلادك.. الطفل اللي ف الصورة ده أنا جبتله كادو.. بس اديها له ازاى؟ يا ريت أشوفك النهاردة في الحفلة.. هتنورها أكيد.. الساعة 2 بعد الظهر ف مدرج 1.. مبني تجارة انجلس.. الدور تاني.. إن شاء الله هتكون حفلة جميلة..

نهضت من سريرها في ألم.. عاودتها تلك الآلام في ذراعها اليمنى.. شعرت بثقل في حركة ذراعها.. اختناق في صدرها.. تعاملت على نفسها.. أنهت طقوسها الصباحية.. تحمّمت.. توضأت وارتدت ثياب الصلاة.. اتّجهت بكل جوارحها إلى الله - عز وجل - أتمت صلاتها في خشوع تام..

قامت بعمل بروفة أكثر من مرة للقصيدة التي ستلقها في حفل اليوم.. قامت بتشغيل الموسيقى في هاتفها والتي خصصتها لتلك القصيدة.. وقفت أمام المرأة تلقها.. كانت متوترة بعض الشيء.. فالقصيدة جديدة ولأول مرة ستلقها.. كتبها من أجل عيد ميلاده.. عنوانها..

Happy birthday my love ...

أخرجت من خزانة ملابسها تلك الهدية.. فتحت العلبة وتأملت ذلك الفيل الصغير الملفوف بعناية بالئُل الأحمر والمربوط بشرائط حمراء.. نظرت إليه للمرة الأخيرة وهي تبتسم في مرارة.. تذكرت عندما ابتاعته من محل الهدايا منذ ثلاثة أيام كتذكّار لـ«هشام» رغم أنها لا تدري إن كانت ستراه أم لا.. وإن كان سيمنحها القدر تلك الفرصة أم لا.. إلا أنها وجدت قدمها تجرّها إلى ذلك المحل.. وقفت حائرة لا تعرف ماذا تختار.. أدركتها البائعة بابتسامة عريضة.. سألتها ماذا تريد.. بعد حيرة شديدة لفت انتباهها هذا الفيل الصغير الفاير بألوانه الجميلة.. لم تلتفت لأي دب تقليدي كالأخرى.. بل اختارت شيئاً غير مألوف! وقع اختيارها عليه.. أشارت للبائعة بأن تحضره لها..

أغلقت خزانة ملابسها.. احتضنته وكأنها تودعه وهي تبتسم وعينيها تمتليء بالدموع.. تحسّسته وكأنه طفلها.. ثم دسّته برفق في حقيبة يدها.. شرعت في تحضير ثيابها التي سترتديها للحفل.. أو بالأحرى ذلك الثوب الجديد الذي ابتاعته مع أمها ثالث أيام العيد بعد أن اتفقتا أن تتقابلان في النادي وتقضيان اليوم سوياً.. ثم ذهبت برفقة أمها لتشاركها اختيار ثوب جديد للحفل فهي يروق لها ذوق أمها كثيراً.. تمتاز أمها بذوق باريسى رفيع يعود إلى أصولها الفرنسية.. كم أعبت أمها في هذا اليوم.. جابت كل المحلات ولم يعجبها شيء.. حتى وقع اختيار أمها على ذلك الثوب.. المكون من طبقتين.. الطبقة الأساسية عباءة سوداء وفوقها طبقة أقصر من العباءة مموّجة بالأحمر الداكن (نيبتي) والرّمادي.. وكأن هذا الثوب كان مُصمّم خصيصاً من أجلها هي.. بمجرد أن ارتدته في بروفة المحل حتى شهقت أمها في إعجاب (أووو).. ثم غمزت لها فابتسمت زهرة.. أعجبها كثيراً.. أهدتها أمها في ذلك اليوم الحقيبة والحذاء.. ابتاعتهما قائلة (دول عيديتك مني)..

اختارت لها أمها حقيبة جلدية كلاسيكية رمادية اللون وحذاء جلدي كلاسيكي رمادي اللون أيضا.. ترجّت أمها بأن تحضر الحفل.. ووعدتها أمها بالحضور وبأنها ستكون في أول صف لتشاهد زهرتها وهي تتألق.. قضت ذلك اليوم بصحبة أمها.. فقد كانت في أمس الحاجة لجرعة حنان وبث شيئاً من الطمأنينة في روحها..

ارتدت نقابها الرمادي الداكن.. وانتهت من اللمسات الأخيرة.. نظرت لهيئتها الجديدة في المرأة.. ثم خرجت من البيت واثقة الخطأ..

وصلت الكلية.. دلفت إلى مدرج 1 بمبنى تجارة انجلش.. رغم أنها وصلت مبكراً إلا أن المدرج كان يعج بالحضور.. شبه ممتليء.. واضح أن سارة إسماعيل وأحمد منصور قد قاما بالدعاية بشكل جيد للحفل من خلال الفيسبوك.. وجدت سارة منهمكة في مراجعة الفقرات وتعليق بعض اللوحات التي تحتوي نظم أبيات شعرية بقلم شعراء الطرق بصحبة أمينة اللجنة الثقافية باتحاد الطلبة.. لمحت رضوى بصحبة شخص ما يعزف على البيانو وهي تدندن بجواره بصوت خفيض بعض الشيء كما لو تقوم بعمل بروفة قبل بدء الحفل.. لمحت أيضاً سهاد المصري.. شاعرة أيضاً.. كانت تقوم بتثبيت شاشة العرض.. لعرض فيديو قامت هي باعداده وإخراجه.. هذا الفيديو بمثابة تعريف لحركة شعراء الطرق.. وستقوم سارة إسماعيل بعرضه في مستهل الحفل..

راحت تسمح المكان بعينها بحثاً عنه! ولم تجده.. علّه سيتأخر قليلاً.. لا بأس فالحفل لم يبدأ بعد.. لمحت عدداً لا بأس به من رفاق مركز التدريب وأهمهم بيبو الذي حيّاهم بإشارة من يده وهو يبتسم عن آخره.. لحظات ودلفت وسن من باب المدرج.. ابتسمت لتلقائيا من قلبها.. إلا أن سرعان ما تبددت ابتسامتها عندما لمحت كف وسن الأيسر! كَفّها مُجَبَّر برباط ضاغط! هرولت نحو وسن.. احتضنتها وهي تسألها في جزع :

- مال كف ايدك؟
- ضحكت وسن قائلة :
- كنت بصوّر ف فعالية من الفعاليات
- مظاهرات برضو يا وسن!
- لا فعالية.. حاجة كده على ما قُسم.. ههه مش مظاهرة بالمعني الشامل يعني..
- وكالعادة أنا مسئولة عن التغطية الإعلامية.. وحصل اللي حصل.. عادي عادي يا زهوره.. انا اتعودت
- قالت زهرة بانفعال :
- حبيبتي خلي بالك على نفسك.. والله بترعب عليكي.. بلاها الفعاليات يا وسن الله يكرمك
- هتعملي زي ماما يا زوززا.. احنا مش هنسكت غير لما الثورة تحقق أهدافها.. الثورة مستمرة يا زهرة.. مستمررة.. العمر واحد والرب واحد ثم أردفت :
- ((أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة..))
- ردّت زهرة بخشوع :
- صدق الله العظيم
- واصلت بلهجة ودودة وهي تشير بيدها إلى شعر وسن :
- تصدّقي الضفيرة حلوه أوي عليكي يا وسن.. وكمان عملها على الجنب! دي تسريحتي المفضلة على فكرة.. بعملها قبل ما أنا.. زي ماما لما كانت بتعملها لي وأنا صغيرة
- أكملت بحماس وهي تشير لباب المدرج كأنما تذكرت شيئًا :
- صحيح.. ماما هتحضّر الحفلة.. زمانها على وصول.. هعرفك عل....
- بترت عبارتها بغتة عندما رأت أمها وهي تدلف إلى المدرج.. صاحت في سعادة :

- اهي جت

ذهبت بخطوات سريعة نحو أمها.. رأتها أمها وهي مقبلة ناحيتها.. فأشرقت
بابتسامة عذبة.. ومن موقعها وقفت وسن مشدوهة عن آخرها.. مأخوذة..
فغرت فاهها لفرط دهشتها! كانت تتوقع أن تكون أم زهرة منتقبة أو محجبة
على أقل تقدير! إلا أنها فوجئت بامرأة باذخة الجمال رغم الحزن الطافح
على محياها الذي يدل على أنها في الأربعينات! بشرتها ناصعة البياض
ومُخَصَّبة بحُمرة ربانِيَّة من دون أي مساحيق تجميل! عيناها الواسعتان
كعيني غزالة والمغروس فيهما فصَّان عسليان! تنسدل خصلات شعرها
الناعمة الفاحمة في انسيابية على كتفيها.. قوام فرنسي أصيل ملفوف في
فستان أسود طويل.. ينبثق منه في شموخ نحرها الرقيق الشَّمعي.. ويزين
جيدها قلادة ذهبية يتدلَّى منها صليب! فركت وسن عينيها غير مستوعبة..
تتطلَّع إلى أم زهرة بعيني مُصَوَّرة.. راحت تلتقط بعدسات عينيها صوراً مُقَرَّبَةً
أكثر.. زهرة تسير هي وأمها ناحيتها الآن.. يا الهي! ماذا يحدث!

أفاقت على صوت زهرة وهي تحدِّثها بحرارة :

- ماما دي وسن.. وسن دي ماما

!!!..-

أمالت والدة زهرة رأسها محيية وسن قائلة بابتسامة رشيقة وهي تصافحها
بشياكة :

- أهلا وسن

صافحتها وسن وعلامات الدهول لم تفارقها بعد إلا أنها ابتسمت للسيدة
الجميلة قائلة في حرارة :

- أهلا بحضرتك يا طنط! نورتيانا!

أمسكت زهرة بيد أمها وهي تقول لوسن :

- هقعد ماما وأرجعلك تاني

!!..-

أجلست أمها في أول صف.. وانحنت على يدها لتلثمها فاحتضنتها أمها بعفوية.. همست في أذن أمها في لطف :

- خليكي هنا.. هجيلك تاني

أومأت أمها برأسها متفهمة.. شيعتها بابتسامه.. بينما عادت زهرة لوسن المذهولة :

- ايبييه يا بنتي.. مالك؟

بعد شيء من الصمت قالت وسن بلهجة متقطعة :

- زهرة.. انتي مامتك.. Christian؟

ردت زهرة بصوت باسم :

- أها.. وأصلها فرنساوي كمان

- لا ما هو باين الصراحة.. الجمال ده مستورد ههه

أضافت وهي تغمز لزهرة :

- هذا الشبل من ذاك الأسد.. وعلي فكرة أبوكي باين عليه دبوووور كبير

ضحكت زهرة عن آخرها حتى مالت إلى الورااء وربتت على كتف وسن..

- عارفة انك اتفاجئتني لما شوفتي ماما وعشان كده رجعتك تاني..

صمتت وسن للحظات.. لمعت عيناها بالدموع.. ثم عانقت زهرة من دون

مقدمات.. باتت تعي أنّ زهرة تحمل على عاتقها الكثير خاصة بعد أن

اكتشفت حقيقة أمها.. في داخلها هي على يقين بأنّ زهرة وراءها قصة ما..

وأنّ هذه الزهرة ليست عادية.. فسّر هذا لديها شعورها اللا ارادي بالمسؤولية

تجاه زهرة.. أقسمت لنفسها ألا تتخلي عن زهرة ما حيت.. وكان هذا العناق

بمثابة العهد الذي قطعتة على نفسها! ورغم أنّ كل تلك الأفكار والمشاعر

جاشت في صدرها إلا أنّ زهرة شعرت بكل شيء في هذا العناق.. عهد

الصدّاقة!

بدأ الحفل.. استهلّ بتلاوة بضع آيات من القرآن الكريم وفقرة انشاد ديني وهشامها لم يأت بعد! أين أنت يا هشامي؟ هكذا ظلّت بعينها تمسح المدرج بأكمله ولا تجده.. تمر الفقرة تلو الفقرة ويلقي كلمة ضيف تلو ضيف وهو لم يأت.. صدحت رضوي بصوتها القوي عربية يا أرض فلسطين وانتهت فقرتها وهو لم يأت بعد.. كلّما اقتربت فقرتها وتشير لها سارة بأن فقرتها التالية تطلب منها التأجيل! تتعجّب سارة.. تظنها خائفة أو متوترة ولكن هذه ليست هي المرة الأولى لها لكي تعتلي منصة وتواجه جمهورا.. ولكن زهرة تذرعت بحجة ابتلعها سارة.. قالت لها أن هناك بعض من أصدقائها لم يأتوا بعد وهي لا تريد أن تفوتهم فقرتها! كانت وسن تعلم سبب تأجيلها المتتالي لفقرتها إلا أنها لاذت بالصمت.. أما أمها فقد لاحظت عيني زهرتها الغائبتين واضطرابها.. وأدركت زهرة أن أمها لاحظت ذلك فهربت منها إلى آخر القاعة بحُجّة أنها بصدد استقبال بعض من أصدقائها..

بالفعل هي كانت تنتظر صديقتها نعمة ولكن نعمة جاءت منذ نصف ساعة.. وتجلس الآن بجوار أمها.. سألتها نعمة عن أروه فأخبرتها أنها لن تستطيع المجيء نظرا لظروف عملها في الصيدلية..

ظلّت تدور كمنحلة في أنحاء المدرج بحثا عنه وأملا في أن يفاجئها باطلالته من باب القاعة.. وبينما هي تدور وتدور إذ بها تجد بيبو في مواجهتها وهو يتسم عن آخره ويشير بكلتا يديه في إعجاب..

- طب وربنا منوورة.. وربنا انتي اللي ف المدرج كلو يا زهره!!
ابتسمت له بعينها في امتنان ثم تركته وانصرفت حيث تستعد لفقرتها التالية.. بينما بيبو أكمل طريقه للخروج.. وقف أمام المدرج.. أشعل سيجارة.. نفث دخانها سريعا.. ثم دخل المدرج وعاد لمقعده في الصف الأول حيث الآن أمينة اللجنة الثقافية تقدم زهرة لفقرتها.. صقّق بشدة مع الحضور.. وارتفع صفيّره كالعادة مشجّعا إياها..

تقدّمت زهرة وهي تترنح داخلها.. أمسكت الميكروفون بيدها اليسرى نظرا
لأنها الآن لا تقدرعلي تحريك ذراعها اليمني بل تكاد لا تشعر بها! قبل أن
تنطلق الموسيقى التي تمثل خلفية لقصيدتها.. قالت بضع كلمات مؤثرة في
الحضور :

- أنا اسمي زهرة أبوالفتوح.. ليسانس آداب إنجليزي زي ما قدموني دلوقت..
وبكتب شعر بس أنا عاوزه أحكيكم حكاية..!

كان الحضور ينصت إليها جيدا.. نظرت في الوجوه.. ها هي أمها تبتسم لها..
وكذلك وسن وهي تثبتت الكاميرا عليها ونعمة وبيبو وسارة وسهاد.. وكل رفاق
مركز التدريب.. الجميع يصغي لها عمّا سوف تقوله.. وانطلقت الموسيقى..

استسلمت بكل جوارحها لإحساسها في تلك اللحظة..استسلمت للبكاء الذي
بدا واضحا في صوتها وهو يحكي القصة.. منذ أن أخبرها في يوم أنّ (اسمها)
هو كلمة المرور (password) لبرنامج جديد أنشأه! ولكنّها لم تستطع أن
تخبره أنّه (هو) أصبح كلمة المرور لقلبها! وفي اليوم التالي لذلك اليوم.. يوم
الافطار الجماعي وهي واقفة أمامه.. دعا الله بأن يحقق لها (كل اللي ف
نفسها) لكنّها لم تستطع أن تخبره أنه (هو كل اللي ف نفسها)!

واليوم في عيد ميلاده هي تحكي تلك القصة للجُمهور من خلال كلمات
قصيدها الجديدة بعنوان.. Happy birthday my love

One day he told her that the password of his program was her name

But she couldn't tell him that the password of her heart he became

One day he told her that he was asking Allah to achieve her target

and her aim

But she couldn't tell him that he is her dream..she couldn't proclaim

Her heart and her soul just saved him deep in an inner frame

She kept silent and didn't say how love was burning her heart more than any flame

He played tricks on her, hurt her, and She didn't understand until now why this game

Because she really loved him heartily, she didn't act the same

He didn't appreciate love or to be loved by her

! just loves himself, business, and fame!

Another day he broke her heart..She couldn't bear anymore and left him even didn't blame

And today she just wanna say «Happy Birthday my love

So please tell him that - for him - she came.

انهارت باكية في آخر القصيدة.. صمت الحضور احتراماً لبكائها.. دمعت عيون الكثير منهم متأثراً.. فاضت عينا أمها بالدموع.. أمطرت مُقلتي كليهما! تقابلت عيناها وعينا أمها وهي لا تزال ممسكة الميكروفون بيدها.. سكتت للحظات.. كافحت كي تقول شيئاً آخر.. أي شيء.. لم تفلح.. تركت الميكروفون على المنصة.. صَفَّق لها الجمهور بحرارة بالغة.. صفقت لها وسن رغم كَفِّها المصاب وقد التمعت عيناها بالدموع.. كذلك دمعت نعمة.. أما أمها فقد وقفت وهي تصفِّق لها بينما زهرة اتجهت صوبها مباشرة.. غاصت في حضنها.. احتوتها أمها وهي تربّت على ظهرها بحنو.. بكت على صدرها للحظات ثم تطلّعت لوجه أمها.. كفكفت دمعا بباطن كف يدها اليسري.. لثمت أمها باطن كَفِّها واحتوتها بين ذراعها من جديد.

انتهي الحفل بفقرة بيبو.. أشعل الجو بحماسه وروحه المرحة.. شاطره الجمهور بالتصفيق والتمايل بأجسادهم يمنة ويسرة.. تزامنا مع إيقاع موسيقي Beat box المنبعثة من فمه.. يلعبها ببراعة شديدة.. تلك الذبذبات

والأصوات الإيقاعية التي تخرج من فمه عبر الميكروفون فتجلجل القاعة عن آخرها.. وكأن فمه عبارة عن ديجيه بشري! أضفي جوا من البهجة.. أطفأ ذلك الحزن الذي أشاعته زهرة في النفوس منذ قليل.. حد أن زهرة نفسها قامت من مكانها متحمسة والتقطت الكاميرا من وسن وراحت تصوره بيدها اليسري وحدها.. لمحها وهي تقترب منه والكاميرا في يدها.. ابتسم لها غامزا بعينه.. فطفت على سطح عينها ابتسامة طفولية!

في المساء.. تكوّمت على سريرها مرهقة مُهكّة.. في غاية الإحباط.. اغرورقت
عينها بالدموع.. ماذا بعد يا هشامي؟ هل سنظل هكذا؟ أفتقدك يا غالي..
تمزقني الذكريات.. كل أحاديثك تطن في أذناي.. فراقك مؤلم يا هشامي..
ليتك تشعر بي.. أنا في قمة احتياجي إليك.. أنا من دونك هشة كالقشة..
تعبت بي رياح الوحدة.. فارتطم في حنيني.. ليتصدّع كياني..

وأظل أتخبّط في الحياة.. أشعر بوحشة توجّع أحشائي يا هشامي.. ارحمني
بالله عليك.. هل فراقك لا يمثل لك شيء؟ هشامي إن فقدانك هو خسارة
فادحة لا أستطيع أن أتحمّلها.. حجم خساراتي باختفائك من حياتي لا
يمكنني تجاوزه.. لا يمكن لقلبي أن يحمل تلك الخسارات ويمضي بها في
الحياة.. صدّقني يا هشامي.. أنت في حياتي منعطف لا أستطيع أن أصمد
أمامه وأكمل بقية طريقي.. أنت محطتي الأولى والأخيرة.. حطّ رحالي فيك يا
وطني.. «هشام» أنت وطن.. وأنا من دون وطني مُشرّدة.. مُغترية.. انتظر مثواي
الأخير..

كم أنا حمقاء.. أنا نادمة على ما فعلت.. لقد تسرّعت.. غلبتني انفعالاتي..
تصوّرت في لحظة تهور أنني سأستطيع أن أكمل حياتي من دونك.. والحقيقة
التي أدركتها أنني لا شيء من دونك.. الحياة من دونك عدم.. أقسم بالله عدم
يا «هشام».. إلهي كم أتعذّب.. لقد فقدت قطعة من روحي.. توأم روحي..
الأبدي..

رغم ما حدث يا هشامي.. إلا أنه لم يقلل من حبي لك ولو مثقال ذرة.. بل
صرت أتعذّب أكثر وتكوييني نار الغيرة حتى امتلأ قلبي بالندوب التي تنكأ في
جراحي.. هناك شيء يا «هشام» في أعماقي يخبرني بشدة أنني بالنسبة إليك
شيء مختلف.. أنني أحتل مكانة في قلبك.. هذا الشيء يحركني ويدفعني بل
يسوقني إليك رغماً عني.. يجعلني أهرع إليك مسلوبة الإرادة.. هذا الشيء بات
يكبر بداخلي حتى تضخّم بعنفوان.. أضحيت لا أستطيع الصمود أمامه..

خارت مقاومتي.. سأتيك يا هشامي.. سأطرق باب قلبك ولن أياس.. سأحارب من أجل نَيْل قلبك.. سأحارب حتى أناله أو أنال الشهادة في سبيله.. لن أتركك تضيع مني.. لن أترك الحياة تأخذك مني.. سأتي إليك.. وسأقف على عتبة قلبك.. سأستجديك إن تطلّب الأمر.. سأفعل أي شيء لأني بتُّ أوْمَن في أعماقي بك.. تعدّت عواظي معك مرحلة الحُب.. أنا الآن في مرحلة ما بعد الحُب.. أنا الآن وصلت لمرحلة الايمان.. اليقين بك.. أنا مؤمنة بك.. وسيدفعني إيماني لفعل المستحيل من أجلك..

أنت لا تعلم يا هشامي كم هو قاتل عندما يُرَوِّض القلم مشاعري.. عندما يُحوّلها لكلمات.. لا تدري كم هذا مؤلم.. إنه اجهاض للمشاعر يا حبيبي.. ويظل قلبي ينزف جِبْر كلماته بلا هوادة.. أنا امرأة نِقَاس يا «هشام».. وما أحوجني لأن أفتات منك.. لأن توقف أنت نزيفي.. إلهي يا «هشام».. ما أعذب عذابك.. ما أعذبه! أحبك.. صدّقني يا «هشام» - وأنا أعرف أنك تصدّقني -.. صدّقني أنه مهما كانت بلاغة الكلمات وفصاحتها فإنها لا تعبّر بدرجة تامة عمّا أشعر به.. مهما كانت كلماتي مؤثرة فإنها مجرد قشور عمّا يحدث في داخلي.. مهما سرّبت إليك من إحساس فهو مجرد طفح جلدي طفا على السطح بالكاد يصف الغليان الذي يحرق أحشائي.. أنا مُتعبة يا هشامي.. وأحتاج أن أرتاح بين ذراعيك.. أحتاج لأن أرتمي في حضنك لمائة عام على الأقل حتى أنسي أوجاعك.. والله يا «هشام» إني في أمس الحاجة لأن أموت على صدرك.. للخلاص من عذابي ومعاناتي.. لأن تتم مراسم دفن حزني على كتفيك.. لأن أنال هذا الشرف.. لأن يعلن ألمي استشهاده على مشارفك.. يا وطني.. يا ملاذي.. سأظل أرددها دائما.. «هشام» أنت وطن.. وطن بكل ما تحمله كلمة (وطن) من معاني.. أنت وطن أتشرف أنا بحمل جنسيّته أمام العالمين وأمام الله - عزّ وجلّ -.. بالله عليك يا «هشام» امنحني تأشيرة اللجوء العاطفي إلى أراضي قلبك.. بالله عليك امنحني طفلة منك حتى يتسني لي

الحصول على الجنسية الهشامية.. بالله عليك امنحني.. بالله عليك لا توصد أبوابك في وجهي.. لا توليني ظهرك.. أستحلفك بالله يا «هشام» أن تمنحني صك الدخول.. اختم جواز سفري إليك بالموافقة أرجوك. امنح قلبي البعث من موته.. امنحه قيامته المجيدة.. قلبي الذي وُلد يوم دق لك.. ويموت منذ يوم فراقك وينتظر يوم البعث.. يوم قيامته من جديد.. سلامٌ على قلبي يوم وُلد ويوم يموت ويوم يُبعث حيًا..

كم أشتاق للبحار في شواطئ عينيك الساحرتين.. في أمس الحاجة لأتعاطي صوتك.. لسماع لهجتك.. لكنتك السكندرية البحتة.. ولطريقة نطقك لحرف الرّاء.. إلهي! كم أفتقد تفاصيلك.. كم أتوق لأغترف من تضاريس وجهك وأتطلع لطولك الشاهق وأنا أتكلم معك وأرفع رأسي عن آخرها حتى أستطيع رؤية محياك.. لأن أسافر في وسامتك الطاغية.. أنا أحتاج لتلك الابتسامة التي تنور محياك عند إطلائي.. أفتقد نظراتك الثاقبة لي.. تحديقك في بؤبؤي عيني حتى تشمل.. ونظراتك خلسة ليدي الصغيرتين حينما أتكلم وألوح بهما بشكل عفوي.. أفتقد فيك ابتسامة معينة تخرج منك حينما تتطلع إلى كف يدي الصغير على حد قولك.. ألمح في عينيك نظرة إعجاب فتغمري السعادة.. وأشعر أنني سيدة نساء العالمين! أشعر أنني ملكة.. أشعر بزهو لا يوصف.. أنا أعرف أنك تفرح بل تنتشي عندما تراني.. أو تسمع صوتي أو حتى تلمح هويتي وتعترك الغبطة حينما تقرأ لي.. أعرف ذلك.. تنبثق منك أشعة فرحتك وتنفذ مباشرة إلى قلبي.. تخترقها دون مجهود منك.. أتدري؟ هناك ذبذبات مشتركة بيننا.. تلك الذبذبات تعمل ما إن تلتقط أثير أي منا.. وبذلك تدلّه على مكان وجود الآخر!!

أصبر نفسي أحياناً بسماع صوت الفنان (محمد محسن) أو التطلع لصوره.. فهو يشبهك كثيرًا في هيئتك.. طولك الشاهق.. لون بشرتك.. محياك.. عندما يبتسم ألمح طيفك فيه.. حينما يتكلم أشعر بأني قريبة منك.. هناك بحة

صوت مشتركة بينكما في الكلام.. ولكن كل ذلك لا يغنيني عنك.. بل أتعذب بك أكثر.. أَدفع عمري كله مقابل أن أسمع ثانية ضجيج انفعالاتك وأنت تكتمها حينما تهاتفني وتسمع صوتي.. تتلاحق أنفاسك.. أشعر باضطرابك.. فأضطرب أكثر وتخور مقاومتي لتستمد أنت من ضعفي أمامك قوة جسورة.. تستعيد بها عافيتك وتماسكك وبرودك الظاهري! في حين أنّ حرارة باطنك تلفحني! وهكذا تعذبني بصراع نفسي يدور فيه كلُّ منا.. أنا مستعدة لأن أقايض بحياتي في سبيل أن أفهم لماذا تفعل بي هذا؟ لماذا تجذبني إليك بقوة ثم تصدّني عنك بمنتهي القسوة.. باختصار أنا مستعدة لأن أَدفع عمري ثمنا في سبيل البحث عن إجابة لسؤال واحد يا «هشام».. هذا السؤال هو: كيف (هُنْتُ) عليك؟

أنت كتوم وصموت جدًّا يا «هشام».. ولكن أنا لا يضيرني! تظن أنك بكتمانك وصمتك تستطيع أن تضلّل إحساسي وتأرجحني من أقصى اليقين لأقصى الشك! مخطيء أنت يا حُب عمري.. حساباتك خاطئة يا سيادة الباش محاسب.. فقد فاتك أنني أحمل شهادة دكتوراه في قراءة عينيك.. كما أنني حصلت على دكتوراه فخريّة في الإحساس بك! ناهيك عن أنني نلت درجة الأستاذية في رسالة نوقشت تحت عنوان (كيف تسمع صوت الصّمت)!! وبهذا أنا تخرجت من الجامعة الهشامية بجدارة بل بامتياز مع مرتبة الشرف..

انتشلها رنين هاتفها من أفكارها ودموعها التي أغرقت وصادتها.. ردّت..

- ازيك يا نعمة..

قالت نعمة في لهجة جزعة :

- طب و ربنا كنت عارفة.. قلت هلاقيكي قلباها جنازة.. أهو صوتك فضحك اهو.. معرفتش اتكلم معاكي ف الحفلة عشان مامتك كانت معاكي.. قلت

- عارفة.. هنرجع على أساس نبقي أصدقاء

- زهرة.. انتي بتضحكي على نفسك ولا عليا؟ أصدقاء مين يا أمي.. وهو

هيخيل عليه الكلام ده؟

انهارت تمامًا.. علا صوت بكائها..

- أعمل ايبيه.. مفيش قدامي غير كده.. انا مش قد قرار البعد نهائي.. مش

قالادرة.. تخيلي ده ساب الجروب كمان بعد أغنية Hello.. يعني حتى حلقة

الوصل الوحيدة اللي بينا قطعها..

قالت نعمة في لطف :

- اهدي يا زهرة.. انا خايفة عليكي والله.. ما كان من الأول يا بنت الناس..

كنتي خليك معاه واصبري.. انتي اتسرعتي يا زهرة وعبرتني عن مشاعرك..

غالبا نوعية «هشام» ده بياخد وقت كبير عشان ينطق.. عموما مش هقعد

أقطم فيكي.. اللي حصل حصل وخلص.. يا زهرة اعلمي اللي يريحك.. بس

هتستحملي يبقي قدامك وهو عارف انك بتحبيه وتكبتني ف إحساسك

وتكلميه وانتي عارفة انك مش هتوصلني معاه لاكثر من كده؟ كلام وخلص!!

- مش هفكر اللي هيجصل ايه.. يا عالم.. يمكن نقرب لبعض.. خليني دلوقت

ف الخطوة دي.. إن احنا نرجع نتكلم تاني

4 نوفمبر 2012.. الساعة الثانية والنصف بعد منتصف الليل

يعني أنا قولت..

Happy Eid

Happy Birthday

وأهو بالمرة كمان

Happy Valentine

الأعياد كده خلصت كلها ما فضلش حاجة.. أعمل ايه أنا؟ أصلي ركعتين؟

على فكرة انت كنت منور الحفلة!! يا سلام كنت موجود معنا طول

الوقت!! وأحلي فقرة في الحفلة كانت فقرة واحد قال لواحدة زمان أنه لما يكون في أقرب فرصة فيها استيدج أو كيبورد هيعزف ويقول إنه بيعزف لزهرة.. فاكرا الواحد ده؟ على فكرة دمه بقي ثقيل.. كده زودها

Send

عاد أبوها من المملكة العربية السعودية.. عاد الحاج.. وقد تحسّنت علاقته معها إلى حد ما.. نسي أو تناسي موضوع فسخ قراءة الفاتحة.. والذي على اثره ظل يعاملها بجفاف وخشونة حتى سفره لأداء مناسك الحج.. ولكنه عاد صبح الوجه.. هدأت نفسه تجاهها إلا أنه لا تزال هناك مسافة بينهما.. حاجز نفسي.

أما شقيقتها إسرائ فلن تعود من الولايات المتحدة الأمريكية قبل ديسمبر حين تكون انتهت تقارير المحكّم والمُشرف الأجنبي على رسالتها.. حيث سيتم مناقشة رسالة الدكتوراه هنا في الإسكندرية في كلية العلوم بمحرم بك. كم تفتقد إسرائ..

مضي يوم آخر ولم تلتق سوى كُرباج الصّمت.. قرأ رسالتها ولم يرد.. أدركت أنه لا مفر من المواجهة.. قررت أن تهاتفه من رقم غريب حتى تضمن ردّه.. باتت ترتجف وتعلو دقات قلبها وهي تدخل الشريحة الجديدة التي اشترتها في الهاتف.. كانت الساعة العاشرة والنصف مساء وهي تسمع صوت الجرس.. جاء صوته باسمها :

- ألو

التقطت أذناها ضوضاء حوله.. خرج صوتها يرتعش بشدّة وهي تقول :

- أيوا

عرفها على الفور.. رغم أنه في المواصلات والجو حوله يعج بالضوضاء ومرهق
لم ينم منذ يومين.. إلا أنه عرف أنها هي.. صمت للحظات.. قال بلهجة هادئة
باسمة :

- بتكلميني من رقم غريب عشان أرد! عموما مش هينفع نتكلم دلوقت.. أنا
ف الطريق راجع من بور سعيد.. ومش هعرف أكلمك النهارده خالص.. مطبّق
من امبارح منمتش.. خلينا نتكلم بكرا بالليل..
ثم أضاف بنبرة صادقة :

- وهرد عليكي

قالت وقد تماسكت بعد أن طمأنتها نبرة صوته :

- بكرا امتي؟

- الساعة 8

Ok -

صمتت.. لم تدر ماذا تقول.. أو كيف ستتهيء المكالمة.. شعرت بتوتر بالغ.. كان
يشعر بما تمر به ويفهم أنها تبذل مجهودا جبارا كي تتضافر قوي احتمالها
أمامه.. فقال بصوت مبتسم وبلهجة ودودة :

- مش عاوزة حاجة؟

ابتسمت رغماً عنها.. فقد أراحتها لهجته كثيرًا.. أزاح عنها عبثا نفسيا.. قالت
بخجل..

Merci -

أدرك خجلها.. اتسعت ابتسامته في صوته وهو يقول :

- مع السلامة

كطفلة عفا عنها أبوها ومنحها صك الغفران.. ردّت مبتسمة :

- الله يسلمك

أنهت معه تلك المكالمة القصيرة وقد تهللت أساريرها بل نُفِخَتْ فيها الروح من جديد.. يا الله! نهضت من سريرها واقفة على قدميها.. خطت حتى النافذة.. فتحتها ووقفت تتطلّع إلى كورنيش المحمودية المُكْتَظ.. ولأول مرّة منذ وقت طويل مضي تشعر بجمال المنظر! يا الله! كم هي جميلة مدينة كفر الدوار خاصة في المساء!.. أضواء مصابيح الشوارع والمحلات على ضفّتي المحمودية.. مصابيح أعمدة الإنارة التي تعلقو كوبري كفر الدوار وتصطف بمفارقه التي تربط شرق المدينة بغيرها.. وذلك الجسر العائم في مياه المحمودية والذي هو لغة التواصل بين سكان كل ضفّة.. رفعت ناظريها إلى السّماء وهي تبتسم نشوة بهذا الجمال التي تطل عليه من نافذتها.. خفضت ناظريها لتصطدم بكنيسة مارجرس الواقعة على الضّفّة الأخرى.. تلك الكنيسة التي يعانق صليها منذنة الجامع المجاور لها في توحد تهتز له القلوب.. ما أروع هذا التوحد.. تذكّرت عندما كانت تصطحبها أمها للكنيسة في طفولتها.. وكمن كوّنت صداقات طفولة بريئة من خلال الكنيسة.. وامتدّت تلك الصداقات حتى الآن.. أبرزهم صديقتها أنصاف التي انقطعت عنها أخبارها منذ تزوجت وهاجرت لأمریکا وجرفتها الحياة.. كل ما تعلمه عنها الآن عندما قابلت شقيقتها ذات يوم في المواصلات أنّ أنصاف أصبحت أم لطفلين.. جوزيف وجمانة.. إلهي كم أسعدها ذلك الخبر.. احتضنت شقيقة صديقة طفولتها علها تشم رائحة طفولتها البريئة التي تجرّدت منها مبكرا! احتضنتها وهي توصيها بأن ترسل سلامها وأشواقها الحارة لصديقة طفولتها..

أغلقت النافذة بعد حديث مع النفس.. واجترار للذكريات.. ارتمت على سريرها.. سرعان ما داعب الوسن جفونها فأغمضت عينيها واستسلمت لنوم عميق..

في اليوم التالي.. كم كانت تتعجّل الساعة أن تزحف بعقاربها لتقف عند تمام الثامنة مساء.. ها هو الأمل يبزغ في قلبها من جديد.. ستحدثه.. ستسعيده..

بأي ثمن! لا طاقة لها للبعد أكثر من ذلك.. لم تعد تتحمل ألا ترى تلك العلامة الخضراء بجوار اسمه في صندوق الدردشة التي تخبرها أنه متواجد.. الفيسبوك من دونه صحراء جرداء.. في حاجة لأن يرويه «هشام» من جديد.. الأيام من دونه تمر ببطء.. تذبجها بسكين بارد.. عقارب الساعات تلدغها بِسَمِّ زَعَافٍ.. والاختناق ضيف ثقيل على جهازها التنفسي.. يجثم فوق صدرها.. حتى باتت رثاها في حاجة لأكسجين نقي لا يضحخه إلا «هشام».. الغالي «هشام»..

انتهت من أعمالها اليومية المنزلية.. تحمّمت.. ارتدت ثوب وردي مثير.. بدت فاتنة.. وكأنه سيرها.. هو لن يراها.. ولكنها تجملت كما لو كان سيرها على حالتها تلك.. فرجل مثله يستحق أن تترين له امرأة مثلها وإن كان لن يرى منها شيء! ابتسمت وهي تنظر لوجهها البضّ في المرآة وتتحمّس شعرها الطويل.. وذلك القِرط الذي يتدلي من أذنها.. ارتدت عقد حول عنقها الطويل العاجي.. وضعت قليلاً من أحمر الشفاه على شففتها الورديتين المكتنزتين وكأنها تتواطىء مع القدر ليمنحها «هشام» قُبلة.. قُبلة الحياة.. ويعود إليها مجدداً.. ظلّت واقفة أمام المرآة تتطلع لشففتها.. طنّت في أذنها جملة شقيقها الراحل عبدالله (زهرة.. أحلي حاجة فيكي شفيفك..) لأول مرة يجتاحها ذلك الإحساس كان مع هشام! ذلك الاحتياج.. لأن تلامس شففتها شفتي «هشام».. أغمضت عينيها وهي تكبح ذلك الاحتياج.. فتحتهما لتلقي نظرة أخيرة على هيئتها وتضع زخات من عطرها وهي تبسّم ثم تخطو نحو سريرها وتلتقط الهاتف.. اقتربت دقات الساعة الثامنة.. ودقات قلبها تعلو تعلو في خوف لذيذ.. تلك المرّة تهاتفه من رقمها لا من رقم غريب.. عندما سمعت صوت الجرس.. كان هو الآخر في انتظارها.. فقبيل الثامنة بقليل هبط من منزله الكائن باستانلي إلى الشارع.. في مكان هاديء ليحدّثها على انفراد.. أضاءت شاشة هاتفه.. فضغط على زر رفض المكالمة ليطلبها هو.. ابتسمت عندما

فعل ذلك.. تصرّف أنيق قلّمًا يفعله الشباب.. لا يفعلها شاب مع فتاة إلا إذا كانت تعني له شيئًا.. على الفور ردّت بابتسامة خجولة انعكست بوضوح في صوتها..

- ازيك يا «هشام»

ابتسم هو الآخر.. ابتسامة واسعة قائلًا :

- الحمد لله يا زهرة..

بعد شيء من الصمت قالت في تردد :

- عامل إيه؟

- زي الفل والله.. كله تمام.. وسألها :

- وانتي عاملة إيه يا زهره؟

ودّت لو تبكي على صدره وتخبره كم هي في حال يرثي له.. كم يدمرها فراقه

ويطحن ضلوعها.. كم هي الآن زهرة ذابلة.. إلا أنها تنهدت قائلة :

- الحمد لله.. انت فين دلوقت؟

- ف الشارع

استرسل :

- امبارح معرفتش اكلّمك عشان كنا راجعين من بور سعيد كنا بنعرض

المشروع هناك.. في التصفيات النهائية على مستوى الجامعات.. وكنت مطبّق

منمتش

شعرت بوخزة مؤلمة في صدرها.. معني ذلك أن (...) كانت معه.. فهي ضمن

أفراد فريقه.. قالت بصوتها الشجي..

- ربنا يوفقك

وغرقت في بحر من الدموع والصمت.. لم تسعفها قواها لتتخط أي كلمة..

وكان هو متفهم ذلك النوع من الصمت جيّدًا.. دائمًا هو متفهم صمتها.. أمام

سجّر حضوره الأسر.. وهيبة صمته الكاسر! يدرك تأثيره عليها وهذا يضيفي

عليه جاذبية خاصة! يدرك ضعفها أمامه.. وهذا يضيف عليها اغراء أخاذ..
 بعد لحظات طويلة انتشلها قائلاً في عتاب عميق قاسي :
 - زهرة.. say مسحتيني من الفيسبوك.. كتبتني اللي كتبتيه.. قلتي اللي قلتيه..
 وانا كنت silent وهفضل silent على فكرة.. دعيتي عليًا و..
 قاطعته مدافعة عن نفسها بصوت باكي وأنفاس مُتهدّجة :
 - والله ما دعيت عليك يا «هشام».. ولا عمري هعملها.. أنا كنت ف Stress..
 مكنتش حاسة بنفسي انا بعمل ايه.. ومتقولش اني مسحتك من الفيسبوك
 أنا طلبت منك تمسحني وانت رفضت.. فمسحت نفسي من عندك لاني
 مكنتش شايفة قدامي.. أنا دلوقت هديت.. وانا اللي بكلمك.. بحاول معاك
 بقالي كام يوم وانت مش عاوز تكلمني.. بعذرلك عن اللي حصل..
 ثم أضافت وشهقة بكاء تخرج منها رغمًا عنها..
 - اللي حصل كان غصب عني.. كل حاجة كانت غصب عني.. حاول تقدر ده
 هرّه بكائها وانفعالها.. قال في لهجة ليّنة..
 - والله أنا مقدر يا زهرة.. وسكوتي ده عشان مقدر.. كتبتني كان لازم أمشي يا
 نجم وسكت.. أنا عمري ما كنت هسمح لبنت تعمل معايا ده.. بس عشان أنا
 مقدر..
 ضغط على كلماته وهو يقول :
 - ومقدرك يا زهرة.. عشان أنا نجم
 قالت في لهجة ساخرة باسمه مستفزة :
 - ما قلتك قبل كده النجوم كتير
 احترق كبرياؤه.. قال بنبرة ثقة :
 - لا بيتيألك.. ولما هما النجوم كتير بتكلميني (أنا) ليه؟

ألجم لسانها.. رفعت حاجبها عن آخرهما مأخوذة بردوده السريعة الحاضرة..
وابتسمت منتشية لأنها نجحت في استفزازه! وصقّق لهما القدر إعجاباً! بينما
كان التاريخ يسطرهما في سجلاته!

- بكلمك عشان انت «هشام».. مش عشان نجم

قال بضيق وقد استفزته إلى الذروة :

- لا أنا نجم..

ثم سألها في استعلاء ساخر واستخفاف :

- انتي نجمة؟

تألّمت من استخفافه بها.. نهضت من سريرها وما زالت تضع بيدها الهاتف
على أذنها.. خطت بقدميها الناعمتين نحو مرآتها.. وقفت تتطلّع إلى أنوثتها
الصارخة في هذا الثوب الوردى القصير والذي كشف عن فخذين عاجيتين
فرنسيتين.. انزلقت حمّالي الصدر على كتفيها الشمعيين.. وبرزت قناة نهديها
بوضوح.. رفعت عنقها الطويل في شموخ.. وبباطن كفها تحسّست خصلات
شعرها البني الثائر كشلال حتى نهاية ظهرها.. فاضت الدموع من عينيها في
مرارة وقالت له في كبرياء يئن..

- أنا القمر!

ثم صمتت والدموع تكسو وجنتيها الجميلتين.. وهي تعتصر ألماً ومرارة.. طال
صمتها.. فأدرك قسوته.. تبدّلت لهجته وقال بصوت مبتسم حنون :

- أه صحيح.. وانتي طيّبة

ابتسمت رغماً عنها.. قالت معاتبة وهي تمسح دموعها بباطن كفها :

- ومقولتهاش ليه يوم عيد ميلادك.. ليه مكنتش بترد عليا

استعاد قسوته.. قال :

- مكنتش عارف أقول ايه.. ومش فاهم دلوقت الهدف من مكاملتك ايه

قالت وهي تتحامل على نفسها.. في لهجة أقرب ما تكون للاستجداء :

- «هشام».. انا مش عاوزاك تزعل مني..

تفاهم اختناق الدموع في صوتها وهي تكمل :

- أنا عاوزة نبقي أصدقاء

صمت للحظات ثم جاء رده قاسيا :

- مينفعش يا زهرة لما يكون في عاطفة.. عشان ميحصلش تاني shock

امتقع وجهها.. قالت في خفوت حزين :

- يعني مش عاوز تكلمني تاني خالص؟

- ماقولتش كده.. لو مش عاوز أكلمك يا زهرة ماكنش زماننا بنتكلم دلوقت..

وانتي فاهمة ده.. بس مينفعش نتكلم عشانك انتي.. لأن في عاطفة

قالت والأرض تميد بها :

- لا يا «هشام» صدقي.. انا بقيت كويسة.. الموضوع ده انتهى.. مفيش

feelings.. أنا مقدرش أخسرك كصديق

كان يتألم وهو يسمع كلماتها.. يعلم أنها تكذب وأنها عاشقة حتى النخاع..

ويتألم أكثر من قسوته عليها.. إلا أنه تمادي في قسوته وهو يصيح بها محاولا

افاقتها من غيبوبة العشق..

- زهرة.. زهرة.. انتي بتقوليلي أنا الكلام ده؟ أنا لسه قريب قريت لك

قصيدة كنتي منزلها في الجروب.. مش فاكر كلامها بالظبط.. كان باين

بتقولي فيها احمل اسمك

تغيرت لهجته وهو يضيف في زهو بصوت خفيض مبتسم عميق..

- تعرفي؟ أنا لو بحب واحده مش هجها بالعُمق ده.. بالإحساس اللي في

القصيدة..

لمستها جملمته الأخيرة.. اهتزت لها أوتار قلبها.. استعادت ثقتها في قدراتها.. قالت

في سعادة وتحدي :

- طب ماننت كمان كنت بتنزل أغاني رومانسية في الجروب..

تهدّجت أنفاسه.. خفض صوته وهو يبتسم قائلاً في خبث..

- ومين قالك اني كنت بنزلك انتي الأغاني دي؟

ضحكت.. قالت :

- طب عيني ف عينك كده؟

قال في ثقة ساخرا :

- بلاش.. عشان بتقعي بسرعة

وجعتها تلك الجملة.. فقالت بكبرياء :

- ومين قالك إني كنت بنزلك انت القصايد بتاعتي؟

بلهجة ساخرة مبتسمة :

- وافرضي اني بنزل الأغاني لواحد تانية.. مش ليكي

لم تهتز لحظة.. قالت وابتسامتها تتسع في صوتها :

- ومكنتش بتنزل الأغاني على صفحتك الشخصية ليه لما هي لواحدة تانية؟

بتنزلها في الجروب ليه؟

قال محاولاً إشعالها :

- وافرضي بقي إن هيا عندي على صفحتي الشخصية وفي الجروب.. يعني

جوا وبره..

ضحكت.. قهقهت :

- لا والله! أومال هي سكتت ليه لما أنا عملتلك كومنت على أغنية Hello؟ ده

محدث عمل كومنت غيري.. كله اتفرج على الكومنت وسكت

- ما هي اتدايقت وعشان كده انا سببت الجروب

ظلت تضحك هبيستيريا.. (هاها).. علا صوت ضحكها.. حتى إنه كان مندهشا

من تصرفها ذلك.. وكأنها تعري نقابها.. شعر أنها مغرية.. ضحكها عفوية

وصوتها أخاذ.. صمت تماماً حتى إنتهت وهي تتظاهر باللامبالاة بينما كانت

تتألم وهي تقول في سخرية مريرة..

- أنا مستعدة اعتذر لها بجد.. وأقول لها إن احنا أصدقاء.. لا لا هقولها إن
أنا أكبر منك ومنفعلكش واني زي ماما بالظبط! ما تعرفني عليها!
قال في ضيق :

- زي ماما؟ أمم

صمتت قهرا.. والدموع تلهب مقلتيها..

استطرد هو :

- عاوزه ايه يا زهره؟

قالت في ثبات ظاهري :

- بقى أصدقاء.. مش انت كنت عاوز ده؟

عاد من جديد لقسوته وكأنه يحن إليها :

- زهرة.. احنا ممكن نتكلم تاني.. نسأل على بعض من وقت للتاني.. لكن مش

هترجع على الفيسبوك.. مش هينفع

سألت في ألم :

- ليه يا هشام؟

قال وهو يضغط على كلماته بقصد تقطيعها :

- زهرة.. انتي مسحتيني من الفيسبوك.. والمفروض إن التصرف ده خرج من

واحدة عاقلة وفاهمة هي بتعمل ايه.. عارفة انا ساعات بكون على خلاف مع

ناس وأحياناً حد بيغلط ف حقي.. لكن مش بمسحه من الفيسبوك.. وانا

بقي مش هضيف حد مسحني من عنده..

قالت في جزع :

- حد؟ انا حد يا هشام؟

تنحّي عن قسوته.. أدرك أنه ألمها بما يكفي.. تحولت لهجته لحنان جارف وهو

يقول :

- زهرة.. زهوره.. زيكو وكل حاجة حلوة في الدنيا.. افهميني.. انا سيبت
الجروب عشانك.. موضوع ارتباطنا مش هينفع.. ربنا يعلم أنا كل يوم
بدعيلك قد ايه.. وعارف لما يكون حد بيحب حد ويبعد عنه بيتعب قد ايه..
بتنامي وانتي بتتألبي قد ايه.. بفضل أدعيلك أن أملك ده يخف.. بس..

قاطعته منهارة :

- عشان خاطري لو فعلا حاسس بألبي ماتبعدهش عني انا محتاجالك..
اوعدك اني هبقي كويسة لما تكون معايا.. مش هنكر اني لسه.. لسه.. لسه
جوايا feelings.. بس اوعدك اني هعمل control..

قال في رضوخ حاني :

- طب قوليلي عاوزه ايه وانا اعملهولك

- نرجع.. نرجع يا «هشام»

زفر في حرارة :

- اوك.. اعمليلي آد وانا هقبله.. قوليلي..

- ها

- انتي عاملة ايه وكل أسرتك.. كللكو كويسين

- اها

- حفلة شعراء الطرق كانت تمام؟

- اه تمام

- عاوزه حاجة تاني يا زهره؟

- لا خلاص.. خلصت الحدوتة

قال مداعبا اياها :

- خلصت الحدوتة وراحت الكتكوتة، وبكرا

ضحكت.. رغم كل شيء كانت سعيدة أنه استشهد بكلمات من قصيدة (كان

لازم أمشي يا نجم).. ضحكت لأنه يحفظ كلماتها.. ولا شيء يسعد الشاعر

كسعادته بتقدير كلماته وحفظها وترديدها على الألسن.. بل لا شيء يسعده
مثلما تُحضر كلماته في ذاكرة من يحب.. في ذاكرة من كتبها له و فيه.. لحظتها
فقط يدرك أنه شاعر! لحظتها فقط يشعر بمذاق تلك الموهبة!
يا الله! وحدك يا «هشام» تستطيع أن تتحكّم في بوصلة مشاعرها.. وحدك
تستطيع توجيه دفة حالتها المزاجية.. وحدك قادر على جعلها تذرف الدموع
بلا توقف.. و وحدك قادر على جعلها تغرّد سعادة.. ترى ما ذلك السرّ الالهي
فيك؟ أنت مُلمّهما.. وحببيهما.. أنت قطعة من روحها بل أنت روحها.. روحها يا
«هشام».. فلماذا تسلب منها روحها؟ لماذا تحكّم عليها بالإعدام؟ بل لماذا
يعذّب الناس بعضهم البعض؟!
أرسلت له طلب صداقة على الفيسبوك كما اتفقا.. خلدت إلى النوم.. وقلها
ينتعش بالأمل..

استيقظت في اليوم التالي.. فتحت الفيسبوك.. لم يقبل طلب صداقتها بعد!
طمأنت نفسها بأنه من المؤكد لم يفتح الفيسبوك حتى الآن.. هاتفت نعمة
وزقت لها ما حدث.. مارست يومها في حالة من الارتباك والترقب.. كل ساعة
تفحص الفيسبوك وتجده لم يقبل طلب صداقتها بعد.. حاولت أن تسهو في
أعمال المنزل.. أخرجت طاقتها في غسيل الصحون والطبخ.. إلا أن قلبها كان
قلقا.. ذهنها شاردًا..

في الخامسة مساء انتهت من كل شيء.. اختلت بنفسها في غرفتها.. فتحت
الفيسبوك.. لم تجد طلب صداقتها قد قُبل بعد إلا أنها وجدت علامة حمراء
على أيقونة الرسائل.. فتحتها بأصابع مرتجفة.. رسالة من «هشام»..

قدك يعمل ده.. انا بموت والله.. فعلا بموت.. يمكن الموت أرحم.. ليه بترجع
ف كلمة اديتهاي؟ أنا اتفقت معاك على حاجة اني على الأقل هعمل control
على مشاعري.. الله يسامحك.. أنا ايه عملته معاك غير اني حببتك من كل
قلبي.. ومش عاوزه حاجة أكثر من علاقة طيبة وبس.. ربنا موجود يا
«هشام».. وهيشفيني إن شاء الله.

لم تكف أمطار عينها عن الهطول طوال الليل وهي تهذي كالمحمومة.. لا
تستوعب قسوته التي لم تعدها فيه من قبل.. هل هذا «هشام» الحنون؟
«هشام» الذي يفهمني من عيني.. يحس بي من دون أن يراني.. «هشام» الذي
أغدق على من حنانه واهتمامه.. «هشام» الذي اكتملت به.. واكتفيت من كل
شيء به.. «هشام» الذي أشعرتني بأنوثتي التي لمستته من دون أن يراها..
«هشام» هو روجي.. «هشام» الذي لم أعرف ما هو الأمان إلا معه.. لم أشعر
طوال حياتي بأمان في عائلتي.. لم أر من أبي سوى القسوة والجفاف.. فقدت
قلبي عندما توفي شقيقي.. بل كفرت بالحياة ولم أسترِد إيماني بها إلا عندما
ظهر «هشام» في حياتي.. لم أستطع أن أستعيد قلبي الذي غرق مع شقيقي
إلا بهشام.. يا رب.. لقد أنعمت عليا ب«هشام» فلم تحرمني منه؟ يا رب أنا
لم أعد أحتمل خسارة مجحفة كخسارة «هشام».. وحدك يا ربي تعلم ذلك..
أنا مريضة به.. أنا أموت بالبطيء.. روجي مُعذّبة.. يا ربي أرحني.. أعد لي
«هشام».. أو أعطني إليك.. إما «هشام» أو الموت.. إما «هشام» أو الموت.. يا
رب ارحم ضعفي وألمي.. يا رب رقق قلب «هشام».. سأنام وأنا على أمل
الاستيقاظ على شيء يرد في الروح.

استيقظت بقلب مقبوض.. استيقظت وهي كارهة للحياة.. لم تجد منه رد
على رسالتها.. فقط ظهرت كلمة seen أسفل الرسالة أي أنه فتحها وقرأها..
هل لم يصدق ما كتبته ويظن بأنها تبالغ؟ هل لا يشعر بألمها؟ هل حقًا
أصبح «هشام» قاسيا لهذه الدرجة؟ عادت تهطل دموعها من جديد دون

توقف.. لن نتوقف عن طرق باب قلبه حتى يفتح لها أو تموت على أعتابه..
كتبت له رسالة أخرى..

ليه بتراجع ف كلمة قلتمها؟ الكلمة (عقد).. قلت بنفسك لو مكنتش عاوز
أكلمك تاني مكنش زماننا بنتكلم دلوقت.. لو انت فعلا خايف عليا زي ما
بتقول مش تعمل كده.. طيب ماحنا كنا بنتكلم وكنت عارف اللي جوايا وكان
عادي.. ورفضت تعمل Remove من الفيسبوك وكنت عاوز نفضل نتكلم..
ليه بقي دلوقت غيرت رأيك بحجة انك خايف عليا.. «هشام» أنا عارفة انك
زعلان مني وده السبب الحقيقي اللي خلاك متعملش Add.. أنا واثقة أوي
انك زعلان.. و واثقة أكثر إن ليا مكان جواك.. عارفة انك مش بتحبني.. بس
أنا جواك حاجة كبيرة.. عشان كده انت بتعمل كده.. «هشام» أنا تعبت مش
عشان بعدت عنك بس.. أنا تعبت عشان زعلتك.. انت مش متخيل قد ايه
أنا بتألم اني اتصرفت كده.. مكنتش عاوزة أبين لك ده عشان متفهمش اني
بستعطفك.. بس برضو لازم تفهم اني لما عملت كده.. ده معناه حُب برضو..
لو انت فاهم زهرة صح هتعرف ده.. كل اللي أقدر أوعدك بيه بجد إنني
هتلاقيني حد كويس معاك وبيحبك بجد من قلبه.. والله العظيم يا «هشام»
ورحمة أخويا الغالي أنا فعلا تعبانة جدًا وكنت بتعالج فعلا وكنت بدخل على
الفيسبوك اتكلم واهزر عادي وانا باخد في حقن وبرشام ومحدّش حاسس
بيا.. والله رابع يوم العيد واخدة حقتين وريد.. وكنت مع الميتين أساسا..
مكنتش بحضور اجتماعات الحفلة وكنت بتابع بالموبايل بس.. وكنت خايفة
اني مقدرش أروح الحفلة بس الحمد لله ربنا قدّرني وروحت.. حاجات كتير
حصلت انت متعرفهاش.. ولو شففتي وانا بالحالة دي مكنتش هتزعل من
زهرة كنت هتزعل عليها.. يا ريت ترد عليا.. عارفة انك هتقدر تفهم.. أنا عارفة
انك راجل بجد يا «هشام».. وعارفة انك أكبر من كل ده.. يا ريت نتناقش..
احنا ناس متحضرة وبنحس ببعض ولا إيه؟ ومش «هشام» اللي يكسر

خاطري.. أنا ليا خاطر عندك.. وبوعدك بحق لا إله إلا الله انك هتلاقي زهرة اللي عرفتها من البداية وأحسن كمان.

مضت ست ساعات ولم يأتيها الرد.. رغم ظهور كلمة seen أسفل الرسالة.. بما معناه أنه قرأها.. لو يعلم مارك زوكربيرج مخترع الفيسبوك مقدار الألم الذي يمكن أن تسببه كلمة (seen) أسفل الرسائل لما فعل هذه الإمكانية.. فقبل ظهور تلك الكلمة، كُنَّا عندما نراسل شخص ما ولا يرد على رسالتنا.. نصبر أنفسنا بأنه ربما لم يقرأها بعد.. أما الآن أصبحت هذه الكلمة بمثابة صفة قوية.. بل سوط يجلد كرامتنا.. يخبرنا بأن مكانتنا تغيرت في قلوب من نحيمهم.. وأنهم لن يعودوا إلينا وإن عادوا فلن يعودوا كسابق عهدهم.. أبدا.

حاولت الاتصال به.. هاتفته ولم يرد.. أعادت المحاولة مرات ولم يرد.. ألححت فضغط على زر رفض المكالمة.. بكت في قهر.. لا تعلم لماذا يحدث لها هذا.. لماذا لا ترد على رسائلي يا هشام؟ لماذا عشمتمني بالرجوع إذن؟ هل مازال في قلبك عتب علي؟ هل لا زلت تحمل في نفسك شيئاً مني؟ هل صدر مني خطأ في حقك أو شيئاً غيرك أثناء آخر مكالمة حدثت بيننا؟ ما الذي غير قرارك يا هشام؟ لماذا تركني فريسة للصمت.. أنا لم أعد أحتمل..

سأكتب لك رسالتي الثالثة كمحاولة أخيرة وإن لم ترد سأجذبك بأي طريقة وإن وصل الأمر لتدخل وسيط بيننا.. سأطلب من نعمة أو وسن أو أروة أن تهاتفك وتشرح لك كيف تدهورت حالتي وكم أنا في احتياج لك.. وإن وصل الأمر لأن أذهب إلى الإسكندرية لأقابلك.. حتى وإن طلبت من أحد قريب منك من رفاق مركز التدريب أن يوصلني بك.. أنا على أتم الاستعداد لأن أفعل كل ما بوسعي للوصول إليك.. لن أدخر شيئاً في استطاعتي.. سأفعل المستحيل!

كتبت له رسالتها الثالثة وهي في حالة انهيار نفسي تام :

معرفش ليه كلمتك كده آخر مكالمة.. انا كنت عاوزه أقول كلام تاني خالص.. معرفش ليه اتكلمت كده وزعلتلك أكثر.. كنت عاوزه أقولك متزعلش مني

سامحني.. لقيت نفسي بقول كلام أهبل معرفش ازاي قلته.. انا عارفة انت
زعلان اوي.. عندك حق على فكرة.. حاسة قد ايه انت شايلى مني.. انا مش
عارفة أعمل ايه.. بس والله أنا بتألم مليون مرة ف كل لحظة بتعدّي عليا..
انا آسفة من كل قلبي.. أعمل ايه عشان أثبتلك ده.. هفضل في اللي انا فيه
ده لامتي.. يا ريتي كنت مت قبل ما زعلتلك..

خمس دقائق وجاءتها أبشع رسالة في حياتها..
والله والله والله ما زعلت ووالله العظيم ثلاثة وأقسم بالله العظيم أنا
مرتبطة.

اكفهرّ وجهها.. انطفأت الأنوار بغتة.. وساد ظلام دامس.. انعدمت الرؤية..
اختناق صدرها يتفاقم.. هرعت إلى النافذة فتحتها عن آخرها بحثا عن
أكسجين.. رفعت بصرها إلى السماء لتصرخ.. ولكن جبالها الصوّتية خذلتها..
كما لو أصيبت بالخرس..

ولكن لا.. لن تجعلك تشعر بذلك يا «هشام».. لن تجعلك تشعر بأنك
ذبحتها.. لن تُشعرك بأنك كسرت قلبها.. قضمت ظهرها.. خيّبت آمالها.. كتبت
له وهي تموت..

أوك.. وحتى لو مش مرتبطة أنا عارفة أنه مينفعش.. أنا فعلا مش عاوزه
حاجة غير نتكلم عادي زي قبل كده عشان أنا أرتاح.. كده بتساعدني اني
أبقي كويسة.. وانه كأنه محصلش حاجة.

خرجت من غرفتها تركض في أرجاء المنزل كالمجنونة.. لم يكن هناك غيرها..
كانت بمفردها.. فصرخت بملء حنجرتها.. (أاااا).. (أاااا).. (أاااا).. دخلت
الحمام.. فتحت الدوش.. تجرّدت من ملابسها وكأنها تتجرّد من كل شيء..
تكوّمت في البانيو.. وهطلت عليها قطرات المياه..

لم تمكث طويلا في الحمام.. خرجت بعد دقائق وقد حشرت نفسها في
منشفة كبيرة.. ارتمت على أقرب أريكة وهي لا تزال غارقة في الدموع.. قامت

تترنح لتحضر الهاتف من غرفتها.. وعادت مجددا إلى نفس الأريكة.. هاتفت
نعمة..

- هاااا قبل الآد يا زهوره واتكلمتوا؟

بصوت مهزوم مقهور يفيض بالدمعات قالت :

- قالي أنه مرتبط

!!؟-

استرسلت زهرة :

- من بعد ما قفلت معاكي امبارح لحد دلوقت وانا متمرمة عشان يرد عليا..
ولما رد.. دبخي

قالت نعمة في ارتياح :

- زهرة.. انا مش فاهمة حاجة.. انتو مش اتكلمتوا واتفتوا انكو هترجعوا

صحاب وبعثيلو Add؟

من بين لوعتها قالت :

- غير رأيه بعثلي رسالة بيقولي مش هينفع يكون فيه ما بينا أي contact

تاني.. ومن ساعتها وانا عمالة ابعثله ف رسايل واتصل بيه زي المجنونة.. وهو

ولا ف قلبه رحمة.. لسة رادد عليا من شوية.. بيحلف بالله.. وأقسملي أنه

مرتبط

تجهم صوت نعمة وهي تقول مواسية صديقتها :

- خلاص يا زهرة.. ده واحد بايع.. انسيه.. مش آخر ولد في الدنيا صدقيني..

عارفة اللي انتي فيه دلوقت.. حاسة بيكي.. بس مرحلة وهتعدي من حياتك

وهتبقي كويسة والله..

قاطعتها زهرة وهي تقول في مرارة :

- يعني ايه مرتبط.. طب امتي وازاي؟ انا هتجنن..

ردت نعمة :

- يا ااه يا زهرة.. دول معندهمش امتي وازاي.. ممكن يكلمك ويكلم غيرك..
ممكن يكون كان مرتبط اصلا ومتخايق معاها ف الفترة اللي عرفك فيها..
ممكن يكون بعد ما بعدتي عنه.. الله اعلم.. بس الغريبة فعلا لما هو كان
عارف انك بتحبيه ومش ناوي يرتبط بيكي ليه كان يقرب منك وعارف انك
بتفركشي قراية فاتحة عشانه وبرضو فضل يقرب منك!!
هزّت رأسها رافضة لتصديق الواقع :

- ده قالي أنه مش مرتبط ومبيحبش البنات.. انا مش عبيطة يا نعمة
إحساسي بيه ماكنش وهم.. والفترة اللي بعدتها عنه فضل يتابعني.. الأغاني
اللي كان بينزلها ف الجروب.. لا لا لا يا نعمة انا مش مجنونة.. يعني يرفضني
انا.. ويحب غيري بعدي؟ لا ااا هي أحسن مني ف ايه.. انا مش وحشة.. انا؟
بعد كل اللي عملته عشانه.. بعد اللي جralي بسببه
قاطعتها نعمة في تعاطف :

- مش بتتحسب كده يا زهرة صدقيني :

صرخت :

- أو مال بتتحسب ازاااي؟ أو مال بتتحسب ازااي؟ انا عاوزه اموت يا نعمة..
عاوزه امووت.. عاوزه امووت..

- اهدي يا زهرة.. عايزة تموتي عشان مين؟ عشان واحد باعك؟

- نعمة انا هقفل دلوقت :

أنهت مع نعمة المكالمة قبل أن تضيف الأخيرة حرفا آخر.

وجدت رسالة منه.. قرأتها..

طيب لو انتي كده هتبقي أقوى وهي هتكون بده متدايقة يعني انتي يرضيكي

عشان انتي تبقي كويسة تيجي على حد تاني؟

انتفضت ألما كعصفورة مذبوحة من كلماته القاسية.. ولكنها لن تظهر له
حتماً كيف ينزف قلبها الآن.. لذا كتبت :

أنا مش هاجي على حق حد.. أنا عارفة أنا هتعامل ازاي.. أقسم بالله حتى لو
انت مش مرتبط انا عارفة برضو أنه مينفعش.. كل الحكاية انا عاوزه الوضع
يرجع طبيعي.. وبطلب منك تساعدني مش أكثر.. ثق فيا.. وبعدين أنا لو كنت
لسة عندك ف الفريندس كنت هتقطع معايا يعني؟ أو تقطع مع أي بنت؟
أنا عارفة حدودي وعارفة هتعامل ازاي و والله أكيد أنا برضو في يوم
هرتبط.. وعادي جداً هنتعامل عادي..
هل كان مصمماً على أن يذبحها للنهاية حين سألها..

ولو هي مش هتفهم ده؟

تحب أفهمها بنفسي يعني؟ هي أكيد واثقة فيك طبعاً.. وبعدين يا «هشام» أنا
هدايقها ف إيه؟ ولا هي تعرفني منين؟! بص يا «هشام» انسي اللي حصل قبل
كده خالص.. الوقت بيعالج كل حاجة.. اعتبرني لسه عندك في الفريندس
كأنه محصلش حاجة.. مش عاوزه افتكر اللي حصل ومحتاجة احس إن كل
حاجة طبيعية.. عشان الصدمة تعدي بسلام.. ده طبيعي انت ترتبط.. انا
ارتبط.. طبيعي جداً.. انا لو كنت فضلت في الفريندس عندك وده حصل كان
هيفرق ف إيه؟ هي ليه أنا بالذات أدايقها؟ مانا زي زي أي بنت موجودة في
الفريندس عندك وبتكلمها.. فرقت إيه؟ أنا والله اتمني لك الخير.. ربنا
يسعدك.. بس ساعدني الفترة دي.. انا لو تعبت تاني بجد ربنا يعلم أنا ممكن
أروح لفين.. ليه مش تساعدني وانت بايدك ده.. ولفتره مؤقتة كمان.. كل
حاجة هتبقي تمام وانا اقدر أكمل حياتي.. وبعدين مانا كنت بتكلمني عادي
وانا فاتحتي مقربة ولا نسيت؟؟

توعديني إن لو ده حصل هتكون صحتك أحسن من الأول؟

إن شاء الله

ربنا معاكي

ربنا موجود

قَبْل طلب الصداقة الذي ظل مُعلَقا ليومين.. وجاءها إشعارا يقول..

Hesham accepted your request , you are now friends !

((مُولد و اتفض))

هكذا كان أول منشور كتبته زهرة بعد إضافة «هشام» لها على الفيسبوك! ومنه فهمت نعمة أنها حسمت أمرها بشأن «هشام».. وأنهما عادا مجددا (أصدقاء)..

قارب هذا اليوم على الانتهاء.. يوم الخميس الموافق الثامن من شهر نوفمبر.. كان يومًا قاسيا.. خاضت فيه سجالات طويلة حتى تستعيد الرجل الذي أحبته.. ولكن استعادته مُشوّه.. مبتور القلب! ولذا واستمها الطبيعة في فجيعتها.. بكت السماء.. هطل المطر بغزارة.. وفرحت القلوب بهطول المطر وبوادر فصل الشتاء إلا زهرة.. غسلت الأمطار القلوب.. فتحت زهرة نافذة غرفتها عن آخرها ورفعت ناظرها للسماء الباكية.. وبكت هي الأخرى.. هطلت أمطارها هي الأخرى..

و عادت زهرة للقلم.. راحت تفرغ ما في أحشائها من مشاعر مختلطة :

Hey heart

Lets start

Our journey

Yeah so smart

Yet depart

Your enemy

قرأتها نعمة.. ودعمتها نفسيا بتعليق كتبتة.. أزرتها.. فهي ترى من وراء كبرياء
تلك الكلمات انكسارا.. كما أنها باتت تعلم الآن أن زهرة لن تظهر أي ضعف
يتسرّب منها لهشام..

وحتى من خلال كتاباتها كما كانت تفعل في السابق وتظهر له عواطفها وكأنه
مرآتها.. الآن الوضع اختلف جذريا.. فهو على حد قوله في حياته أنثي.. وزهره
لن تظهر له كم يؤلمها ذلك.. ستغاضي عن ذلك أمامه.. ستضغط على
نفسها وتعدّها لتظهر أمامه قوية.. صلبة.. عصيّة على الانكسار.. لن تجعله
يشعر كم هي الآن هشّة!

ها هي زهرة الآن.. محمومة بالكتابة.. تكتب وتشر على الفيسبوك.. وها هو
«هشام» يقرأها :

..How I was blind

And how wrong was my mind

And what I should find

..Now I realized

مرّ يوما الخميس والجمعة وزهرتنا تفرغ كل طاقتها في أعمال المنزل والكتابة..
لكن تلك العُصّة في حلقها تتفاقم.. تلك الطّعنة في صدرها تنزف.. دقات قلبها
تخنقها.. تناضل كي تنفّس! كنتيجة لشعور بقهر لا حدود له.. بعد صدمة
كتلك لا بد أن تسقط.. كيف سقطت زهره؟

ليلة يوم السبت كانت تغط في النوم.. فجأة استيقظت على خيط نار في
معدتها.. تقلّصات شديدة.. نوبة هياج على غير العادة.. ثورة تنطلق من
معدتها! حاولت أن تتجاهل الألم وتعود للنوم ولكن ههيات.. يتفاقم الألم
بشدّة.. تحاملت على نفسها.. جلست على سريرها وأشعلت النور.. أحضرت

فوطة وأخذت تعضّها.. تحاول أن تفرغ فيها ذلك العذاب المنبعث من معدتها حتى لا تصرخ وتوقظ من في البيت.. لساعتين ظلّت تتقلّب على السرير وهي تموء وجعا حتى خمد الوجع.. وسقطت صريعة في غيبوبة نوم حتى الصّباح. فتحت عينها على صوت هاتفها.. التقطته حيث تضعه تحت وسادتها رغم كل التحذيرات العِلمية التي تشير إلى خطورة وضع الهاتف المحمول تحت الوسادة! إلا أنها تضرب بها عرض الحائط ولا تأبه لها! انفرج ثغرها عن ابتسامة وهي تتطلّع لشاشة الهاتف.. اتصال دولي من الولايات المتّحدة الأمريكية من شقيقتهما.. اعتدلت جالسة على سريرها وردّت في سرعة ولهفة شديدة..

- اسرأااا.. صباح الخير

أتاها صوت «إسراء» مفعما بالحماس :

- وزززه صباح النور.. عاملة ايه وحشالاني يا وزتي

وجدت دماغها تنهمر رغماً عنها وصوتها يختنق وهي ترد :

- وانتي كمان يا حبيبي وحشاني كتيبير.. انا زي الفل انتي اللي عاملة ايه وأخبار أمريكا معاكي ايه

- تماااام يا وزة.. انا بخير وبيعاملوني هنا كويس جدًّا وبروفسور جيبسون مبسوط مني اوووي.. تصوّري ادّاني امتياز بعد ما قرأ الرسالة كلها.. مكننتش متخيّلة إن تقرير المُحكّم الأجنبي هيكون امتياز..

استدركت «إسراء» متسائلة في قلق :

- زهرة.. انتي بتعيّطي؟ صوتك مش عاجبي.. مالك؟ اخواتك كويسين؟ ماما بخير؟ بابا بخير؟ ده لسه مكلمني من يومين..

حاولت أن تتماسك :

- كلنا زي الفل متقلقيش انا بس مقدرتش أمسك نفسي أصلك وحشاني اوي.. مبروووووك يا حبيبتى.. طمنتيني.. كنت قلقانة عليكى عشان انتي منتقبة وف أمريكا أنهم هيعاملوكى بعنصرية

- لا لا الوضع ده اتغير خاصة بعد فيلم My Name Is Khan دول شعب متحضر يا زهرة.. فاهمين يعني ايه حرية شخصية بجد.. صدقيني انا تعاملت هنا أحسن ما بتعامل ف جامعتي ف إسكندرية.. وعلي فكرة في منتقبات ف أمريكا ومش عرب لا دول مواطنات أمريكيات.. حاجة جميلة خالص بجد.. وبصلي ف المسجد هنا.. انا مرتاحة كتير وحاسة إن عبدالله مبسوط بتغيير الجو.. كنت خيفة ميتقبلهوش

- الحمد لله يا حبيبتى.. انا مش عاوز أطول عليكى ف المكالمة.. بس اعمل ايه مانتي ملكيش ف النت خالص.. ولا حد يصدق أن دكتورة زيك معندهاش اكونت على الفيسبوك!!

- فيسبوك ايه يا وزتي.. ماليش ف الجو ده.. حتى اميل الياهو اللي عندي يادوب بس للشغل ماليش ف الشات خالص هو انا عارفة افضي.. خلاص هانت انا راجعة آخر الشهر أو أول ديسمبر بالكثير إن شاء الله.. سلميلي على اخواتك كتير وعلي ماما وبابا..

- ترجعي بالسلامة يا أصغر دكتورة سنا حصلت ع الدكتوراه فيكي يا جامعة إسكندرية

- متحرمش منك يا وزتي.. عقبال ما تبقي شاعرة وكاتبة قد الدنيا يااارب..

- أمين يا حبيبتى.. خلي بالك على نفسك.. لا إله إلا الله

- سيدنا محمد رسول الله

أنهت المكالمة مع شقيقتها وانخرطت في نحيب طويل.. عاودها من جديد ذلك الألم المُجحف في معدتها.. هياج مجنون في معدتها.. ضغطت بيدها بكل قوتها على معدتها أملا في إسكاتهما.. ولكن الألم يزداد ويتوسع في أنحاء أحشائها حتى

صارت لا تعرف مصدر الألم تحديدا.. نهضت من سريرها.. هرعت إلى الحمام.. أفرغت ما في جوفها وهي تعتصر ألما.. تتقلص معدتها حتى لم يعد بها شيء سوى سائل أصفر اللون تقذفه من حلقها حارقا لاذعا.. تسري في جسدها قشعريرة وتترجرج وَهْنَا.. ما عادت قادرة على الاحتمال.. تحاملت على نفسها.. بحثت عن شقيقها في البيت لم تجد أي منهما لا صالح ولا أسر.. عادت إلى غرفتها

والعرق يكسو جبينها وكأنها ستلفظ أنفاسها الأخيرة.. شعرت أنها ستموت.. اشتمّت رائحة الموت تحوم حولها.. عادت إلى غرفتها وهي تستند بيدها على حوائط البيت وكل ما يقابلها.. لأول مرّة تشعر بأن البيت كبير جدًّا وأن غرفتها بعيدة.. وصلت إلى غرفتها.. هاتفت صالح وهي تنن.. بدأ يعلو صوتها.. الألم يفتك بها.. سمعت صوت صالح أخيرا..

- أيوا يا زهرة

بصوت ضعيف متألم للغاية وبأنفاس متقطعة..

- الحقني يا صالح.. انا بموت

جزع شقيقها من نبرة صوتها.. قال في هلع :

- انا جاي حالا.. البسي عقبال ماجيلك هنروح المستشفى

رمت الهاتف على سريرها وقامت وهي تعض في الفوطة من فرط الألم.. أدخلت نفسها في أول عباءة وقعت عليها.. لبست نقابها وهي تتلوى.. خرجت للصالة ارتمت على الأريكة في انتظار صالح.. وما هي دقائق وكان صالح يفتح باب الشقّة.. دخل وهو يلهث والعرق يكسوه كان واضحا بأنه قطع الطريق من النادي للبيت ركضا ولحُسن حظّها أنه لم يكن في الجامعة وكان يتريّض في النادي القريب من البيت.. أقبلت عليه وقد بدأت تموء من الألم وتسيل دمعاتها بغزارة.. ارتمت على شقيقها.. أسندها بساعديه القويين وأدخلها المصعد وهو يقول..

- انا كلمت عبد الرحيم وقالي أودّيكى عند د. يحيى.. عقبال ما بيحي هو
ويطمن عليكى
أومأت برأسها تفهما.. دكتور يحيى هو صديق لشقيقها عبد الرحيم.. وهو
أيضًا طبيب ماهر.. متخصص في علاج أمراض الباطنة والقلب.. كما أنه
حصل على دراسات عليا من جامعة أجنبية.. وهو مشهور جدًا في مدينة
كفر الدوار يمتد صيته لأبعد من ذلك.. حيث يقصده المرضى للعلاج من كل
فج عميق.. تيمنا بمهاراته والحالات الصعبة التي عالجهها وشفاهها الله على
يديه.. كما أن دكتور يحيى هو طبيب والدتها أيضا.. وهي تعرفه فقد كانت
أحيانًا تصطحب أمها إلى عيادته عندما لا يكون هناك متسع من الوقت لأي
من اخوتها لاصطحاب أمهم فكانت هي تتولّى تلك المهمة.. وها هي الآن تقصد
عيادته كمريضة..

بعد إجراء الفحوصات والأشعة.. دَوّن د. يحيى في ورقة بعض الملحوظات
الطبية.. وما زالت زهرة مستلقية على ظهرها على الشازلونج خلف البارافان..
طلب د. يحيى إجراء بعض التحاليل الطبية على الفور.. تم سحب عيّنة دم
من ذراعها.. أخيرا عاد د. يحيى إلى مكتبه وجلس في حين اعتدلت زهرة
وملمت نفسها وشقيقها يعاونها.

عدّل نظّارته الطبية ورفع رأسه محاولا تصنع ابتسامة على وجهه وهو يقول:
- زهرة.. عاوزك تقوليلى كل اللي حاسة بيه.. من تاني يا زهرة.. كل الاعراض

اللي حاسة بيها اوصفيها..

قالت بصوت ضعيف :

- حاسة كأن في نار ف معدتي.. ومش عارفة أخذ نفسي.. بتجيلي خنقة ف
صدري بحس كأني هموت.. والوجع بقي يزيد وينتشر ف كل جسي.. عضمي
بينشر عليا يا دكتور

أوماً د. يحيي وأطرق برأسه للحظات.. طيب ماهر في مثل خبرته وحنكته
وعلي ذلك القدر من العلم لم يكن من الصّعب عليه تشخيص حالتها! ولكنه
سألها مجدداً محاولاً التمعن في كلامها.. أو استيعاب ما أصيبت به شابة
جميلة في ربيع عمرها.. تلك الزهرة الجالسة أمامه.. لم تكن مريضة عادية بل
هي شقيقة صديق وزميل عمل عزيز عليه جداً.. ولذا يتعدّر عليه إبلاغهم
بما تمر به.. لذا طلب إجراء بعض التحاليل الطبية.. حتى يتأكد حدسه
وفحوصاته الأولية.. كتب لها بعض المهدئات ومسكنات الآلام المعدة.. ناول
صالح الروشّة الطبية وهو يقول مبتسماً..

- بلاش تزعلوها يا صالح.. اللي هي فيه ده زعل مش أكثر
ثم التفت إلى زهرة :

- أشوفك كمان يومين يا زهرة.. وتكون كمان نتيجة التحاليل اللي طلبتها من
المعمل جهزت.. وإن شاء الله خير.. أهم حاجة بلاش تزعلي نفسك من أي
حاجة..

أشار لها بسبّابته مُحدّراً :

- الزّعل مش كويس عشانك يا زهرة..

لم تكن زهرة بالغباء الذي لا يجعلها تلمح تجهّم وجه د. يحيي.. أدركت في
قرارة نفسها أنه هناك شيء كبير يحدث وإلا لما طلب د. يحيي إجراء كل تلك
التحاليل.. فحص طبي شامل.. كما أن تلك الآلام التي تطحن عظامها ليست
علامة خير أبداً.. ضيق التنفس الذي يتفاقم لم يكن عادياً بل أصبح

احتماله فوق طاقتها.. ذلك الهياج في معدتها.. حد أنها عذفت عن تناول الطعام.. لم تكن تتحمل البلع.. تشعر وكأنها تقذف طوب في معدتها.. لذا أصبحت لا تتناول إلا السوائل باستجداء من إختوها حتى يصمد جسدها أمام شدة المضادات الحيوية والمهدئات التي باتت تتعاطاها.

ذات مساء كئيب كتبت كلمات أكثر كآبة تودّع فيها الدنيا! ونشرتها على صفحتها الشخصية فيسبوك وقد اختفي بؤبؤا عينها داخل جفونها المنتفخة لفرط البكاء والتّوم! انطقات عينها وبدأت الزهرة رحلة الذبول والموت.. اليوم بعد زيارة لطبيب أمراض القلب والباطنة وبعد إجراء الفحوصات وطلب بعض التحاليل الطبية.. تبينت لي بعض الحقائق والشكوك.. وبعد عودتي، وجدت نفسي أكتب هذه الكلمات بين الآلام الرهيبة التي تزداد في جسدي الذي لم يعد يحتمل.. ولكن عَلَيَّ أن أحتمل في صمت فهذا قدرتي.. لذلك أقول من بين دموعي الحارة التي كادت بالفعل أن تطبق ضلوعي..

رحلة بدأت بحلم عشته وحدي في خيالاتي

واستمرت استمرت في الازدياد معاناتي

وها هو القدر يحسمها قريبا بوفاتي

ولكن أتساءل من سينعي رفاتي؟

ومن سيعلن الحداد بعد مماتي؟

وهل يموت من جديد بعض الأمواتِ؟

لن يتبق مني سوى حبي لكم وذكرياتني

سيتبقي أيضًا إحساسي وأحر وأصدق كلماتي

ولعل الشعر يومًا يذكر كم كانت قاسية مأساتي

سيتبقي لي دعاء أبي وأمي وستبقي لي صلواتي

سيتبقي لي حزن أصدقاء يرتلوه لي بدعوات

فاذكروني بحب وتلاوة بعض الآيات

سأذهب بشوق إلى شقيقي ورفيق حياتي
يا أغلي الناس كم أنست بكم أوقاتي
وها أنا الآن أصل إلى نهاية محطاتي
وقبل الذهاب أحببت أن أرسل أرق تحياتي..
زهرة أبوالفتوح.

كان د. يحيي في غاية العجب! فالفحوصات تبين أن قلبها سليم.. الشرايين التاجية سليمة لا ضيق فيها ولا اختناق ولكن تعاني عضلة القلب من نقص في الدم الوارد إليها وذلك يتمخض عن بروتينات تفرز في الدم تسبب تقلصا في الشرايين، الأمر الذي يسبب تلفا في خلايا عضلة القلب ويؤدي إلى فشل مؤقت في أداء وظائفها وهو ما يجعل زهرة تجد صعوبة في التنفس حد الاختناق. ولأن د. يحيي طبيب ماهر فلم يقع في تشخيص خطأ على أنها نوبة قلبية بسبب تشابه الأعراض مع أعراض انسداد عضلة القلب*.
إذا ما يحدث لزهرة هو عُصَاب (ألم نفسي حاد).. حالة زهرة هي حالة عَرَضِيَّة نفسية وليست مرض عضوي.. إنَّ زهرة تعيش أقصى درجات الصدمة العاطفية.. ويُطلق عليها في علم النفس (الانفجار العاطفي).

حدثت تلك المرحلة من الرواية في نوفمبر عام 2012.. وفي عام 2014، كشفت الأبحاث الطبية الفرنسية، التي أجرتها طبيبة القلب الفرنسية «كلير مونييه»، أن هناك خطأ يقع فيه البعض عند التشخيص بين أعراض انسداد عضلة القلب وأعراض متشابهة أخرى يعرفها الأطباء بمرض متلازمة القلب المنكسر أو اعتلال «تاكو تسيبو»، وهي حالة مرضية تحدث نتيجة

الأم عاطفية شديدة أو معاناة يشعر بها المرء بعد فقدان أحد الأحباء، سواء من خلال الموت أو الطلاق أو الخيانة أو غيرها.

وهي إحدى الظواهر العلمية التي رصدها العلم بدقة دون أن يعرف لها سببا واضحا أو يجد لها تفسيراً قاطعاً، وتجلت الحيرة في تسمية تلك الظاهرة بأسماء متعددة تبدأ باعتلال «تاكو تسيبو» أو تضخم البطين الأيسر أو القلب المكسور.

وأوضحت الطبيبة الفرنسية أنه يتم تشخيص متلازمة «القلب المكسور» خطأ على أنها نوبة قلبية بسبب تشابه الأعراض مع أعراض انسداد عضلة القلب وعلى العكس تبدو الشرايين التاجية سليمة تماماً لا ضيق فيها ولا معالم لجلطة، ولكن الملاحظات الدقيقة للأبحاث المعملية تؤكد أن هناك مؤشرات حقيقية للمعاناة والألم، وأن هناك فترة تعاني فيها عضلة القلب من نقص في الدم الوارد إليها، الأمر الذي يحدث تلفاً في خلاياها ويقودها إلى فشل مؤقت في أداء مهامها. ومع ذلك يبدو الأمر محيراً للغاية في وجود شرايين سليمة لا أثر فيها لضيق أو اختناق، لكن في كل الأحوال فإن هذه الأعراض تحدث إثر التعرض لوقت عصيب أو ألم نفسي أو توتر بالغ. وتصيب النساء أكثر من الرجال..

وشرحت الطبيبة الفرنسية هذه الأعراض بأنها تأتي بسبب نقص في الدم الوارد إلى القلب، وأن ذلك ينجم عن بروتينات تفرز في الدم تسبب تقلصاً في الشرايين ولكنه سرعان ما يزول كما جاء فجأة.

وتحتاج المريضة إلى 48 ساعة مراقبة في المستشفى وأخذ علاج لمدة أسبوع لمساعدة القلب على العمل جيداً مرة أخرى، ويجب استشارة طبيب القلب بعد شهرين من هذه الحادثة حتى يتأكد من عمل القلب مرة أخرى بطريقة سليمة.

وهذا ما دَعَمته دراسة هولندية حديثة من خلال دراسة مشتركة بين جامعة أمستردام وجامعة لايدن في هولندا حيث توصل مجموعة من الباحثين إلى إيجاد تفسير علمي للتضارب في المشاعر الذي يصيب العاشق نتيجة الانفصال عن الحبيب.. كالتباطؤ في سرعة دقات القلب.. واضطراب النوم والعزوف عن الطعام.. وأن احتمالات الإصابة بنوبة قلبية أو آلام في الصدر تكون بمعدل 43% مقارنة بالشخص الذي يعيش علاقة مستقرة مع شريك حياته!!

ولذلك فإن وصف عاشق انفصل عن حبيبه أنه «مُحَطَّم القلب» ليس مبالغاً فيه لأن هذه الكلمة لها أساس علمي.. فالإنسان عندما يكون في حالة حُب وانسجام مع حبيبه ثم يحدث انفصال لأي سبب ويتعرض لتلك الصدمة القاسية فإن قلبه يتحطم بالفعل ويحدث توقفا مؤقتا لضربات القلب.

تَفَسَّيَ فيها الألم.. وأدركت أنه كُتِبَ عليها العيش ما بقي لها من العُمْر بقلبي معطوب.. برُوحٍ مُعَذِّبَةٍ.. وما أبشع عذاب الرُّوح.. عندما تُنْتَنِعَ قطعة من روحك عُتُوَّة.. فلن ينتشلك من براثن العذاب إلا استعادتها أو الموت في سبيلها! لا شيء يعوِّض تلك القطعة من روحك.. خاصة إذا كانت تلك القطعة بها فقط اكتملت روحك.. وهذه القطعة في حياة (زهرة) لها مُسَيِّي واحد.. ألا وهو (هشام).

- زهرة.. زهرة.. زهرة

أفاقت على يد صديقتها أروة وهي تهزها برفق لايقاظها.. فتحت جفونها المتورمة بصعوبة شديدة.. ابتسمت أروة قائلة :

- معاد الدّوا يا وزه.. بس لازم تشربي شوربة الخضار الأول

اعتدلت بجزعها العلوي.. ساعدتها أروة وهي تضع لها وسادة صغيرة خلف رأسها لتسند برأسها عليه.. جلست أروة بجوارها على السرير.. وهي تحضر طبق الجِساء حيث وضعته على الكومود المجاور لسرير زهرة قبل إيقاظها.. تناولت الطَّبَق من أروة في صمت.. ارتشفت منه ملعقتين.. ثم وضعته على الكومود ثانية.. تنحنحت أروة قائلة في عطف لم يخفي ملامح الحزن في صوتها :

- زهرة.. انتي مأكلتيش حاجة بقالك 3 أيام.. مينفعش كده.. الأدوية اللي بتاخذها شديدة ولازم تتقوتِي يا حبيبتي

فاضت الدموع من عينها وهي تقول في ضعف شديد :

- ماليش نفس يا أروة.. وبعدين انتي عارفة إن معدتي بقت مبيتستحملش.. صمتت أروة فهي تعي جيداً أنّ الذي تمر به يفعل أكثر من ذلك.. خاصة إن كان عرضاً نتيجة ألم نفسي شديد.. قالت في تردد :

- على فكرة موبالك رن كثير جداً من امبارح.. مرضتش أصحكي..

قالت زهرة دون أن تلتفت للهاتف :

- «هشام»

ابتلعت أروة ريقها :

- مانتي عارفة اهو

انهمرت الدموع بغزارة :

- مش بيسيبني لحظة حتى ف أحلامي.. عاوزاني معرفش ازاى أنه هو.. ده عايش جوايا..

قالت أروة محاولة تغيير الموضوع :

- نعمة كلمتني كانت بتتظمن عليكي.. ده غير الفيسبوك بتاعك.. ابقي افتحيه وشوفي كمية الكومنتات على آخر بوست كتبتيه.. كل الناس قلقانين جداً عليكي.. وكثير من صحابنا اتصلوا عليا يطمنوا مني عشان مش عارفين

يوصلوك لا بتفتحي فيسبوك بعد البوست الأخير ده ولا بتبردي على الموبايل..
بس هما متفهمين اللي انتي فيه.. لما تروقي وتفتحي الفيسبوك ابقى طمني
الناس.. بجد يا زهرة كلامك الأخير كان صعب اوووي.. انا نفسي أول ما قريرته
لقيت نفسي هنا عندك في البيت.. ومش هسيبك لوحديك غير لما حالتك
تتحسن باذن الله..

- طب ناوليني التليفون عشان هكلم وسن وبعدين هقفل الخط ده.. واحط
شريحة الرقم التاني.. هتلاقها عندك في درج الكومود
ناولتها أروة الهاتف وهي تسأل في دهشة بينما تفتح درج الكومود بحثا عن
الشريحة :

- هتقضي موبايلك ليه!!!

- عشان «هشام»..

صمتت أروة ولم تعقب.. هاتفت زهرة وسن.. ردّت وسن في لهفة :

- زهرة حبيبي.. عاملة ايه يا قلبي انا

- بخير

- لا لا لا صوتك مش بيقول كده خالص.. ولا الكلام اللي انتي كتبتيه على
بروفايك قبل ما تختفي بيقول كده.. مالك يا زهرة.. ايه اللي جراك.. على
فكرة كل زمايلنا قلقانين عليك وبيسألوا عليك وانتي مش بتبردي على أي
حد..

- تعبانة يا وسن.. واكيد فهمتي من كلامي الأخير على الفيسبوك.. وسن انا

ماليش روح اتكلم كتير

قالت وسن في تأثر شديد :

- مفهوم يا زهرة.. بس عشان خاطري خلي بالك على نفسك.. انا هكلمك تاني

تكون نفسيتك هديت

- وسن.. اسمعيني.. بلّغي زمايلنا إني كويسة وطمنهم وقوليلهم اني مش بقدر
أرد على الموبايل عشان الأدوية اللي باخدها بتخليني انام كثير..
حاضر يا قلبي..

- وعلي فكرة هشيل شريحة الرقم اللي بكلمك منه دلوقت.. واحط شريحة
تانية عندي من فترة.. معاكي الرقم ده؟
- لآ.. فهميني بس هتقفي الرقم ده ليه!!!

- مؤقتا يا وسن.. انا مش قادرة اكلم حد.. والتليفون مش يبطل رن.. هرن
عليكي من الرقم بعد ما اقل معاكي سيّفيه بقي هو آخره 563.. يلا سلام
أنهت زهرة المكالمة مع وسن.. وأخرجت الشريحة من الهاتف.. ناولتها لأزوة
وأخذت منها الشريحة الأخرى.. دسّتها في الهاتف.. رقم تلك الشريحة لا يعرفه
سوى القليل جدّا من أصدقائها.. أو بالأحرى القليلات جدّا من صديقاتها..
هذا الرقم هو نفسه الذي هاتفت منه «هشام» عندما كان لا يرد على
مكالماتها.. هاتفته منه تحديدا يوم أن كان عائدا من سفره لعرض المشروع
في التصفيات النهائية على مستوى الجامعات.. هاتفته منه تلك المرّة فقط..
ولم يخطر بباله أن يحفظه على هاتفه..

شباب.. انا كلمت زهرة.. وهي بتعتذر للناس اللي كلموها ومش ردّت عليهم
عشان العلاج اللي بتاخدو بيخليها تنام كثير.. دعواتكم لها بالشفاء العاجل
اللهم اشف كل مريض

قرأ «هشام» ما كتبته وسن على الصفحة.. لم يكتب أي تعليق كما فعل
الأخرون الذين دعوا لها متمنين من الله أن يشفيها ويخرجها من محنة
المرض.. التزم الصّمت.. حاول الاتصال بزهره مرارا وتكرارا وجد الهاتف
مغلق.. انكبّ على صمته وهو يفكّر في إيجاد طريقة للوصول بها إليها..

كل من يعرف زهرة يعرف أن أروة هي أقرب صديقة لها.. أروة فتاة رائعة.. عندما تتطلع لوجهها تشعر بالراحة تغمرك.. ملامح مصريّة أصيلة محفورة في بشرة سمراء تُذكرك بعراقه نهر النيل وأصالة مصر.. شعرها أسود ناعم يصل لمنتصف ظهرها.. عيناها العسليتان أجمل ما فيها.. واسعتان كعيني المها.. ورموشها كثيفة طويلة جذابة.. أنف مستقيم.. وثغر رقيق عندما ينفج مبتسما تشعر بمدى عذوبته..

أحكمت أروة الغطاء جيدا على زهرة التي سقطت صريعة في النوم مجددا بفعل تأثير الأدوية والحالة النفسية.. تحسّست بأناملها جبينها لتطمئن على درجة حرارتها.. ثم تمددت بجوارها وهي تتطلع في حزن شديد إلى ملامح زهرة.. تنهدت وسقطت منها دموعها رغما عنها.. تمتمت في خفوت (ربنا يشفيكي يا زهره).. بداخلها كانت تجلد ذاتها.. فهي كانت السبب.. أو بالأحرى جعلها القدر سببا في أن تتعرف زهرة على «هشام» وتقع في حبه.. فهي من دعته لتحضر حفل دورة التدريب.. وشجّعته على التقديم والالتحاق بالدورة التالية في مركز التدريب.. هي من جلبتها إلى هذا العالم.. ولم تستطع أن تفعل لها شيئا لتنقذها من الوقوع في براثن الحب.. أروة وزهره تربطهما صداقة متينة منذ سنوات.. باتت تفهمها من نظرة عينها.. لم تكن أروة في حاجة لأن تدرك منذ البداية بأن زهرة ستجمعها قصة مع «هشام».. عندما وقعت عينا زهرة عليه وظلّت تثرثر عنه طوال الطريق.. أدركت أروة أنه لاحقا ستورّط زهرة معه في قصة.. ولكنّها ظنّت أنها ستكون قصّة سعيدة!

وها هي القصة تحوّلت.. أصبحت قصة تعيسة.. والحلم الجميل أضحي كابوسا مريعا.. أروة تعي جيدا أن زهرة تحتاج إلى معجزة لكي تتجاوز ذلك الكابوس وتتقبّل الأمر الواقع.. لم تتحمل زهرة وسقطت في غياهب المرض.. لذا كان لزاما على أروة بحكم صداقتها مع زهرة وبما تفرضه عليها تلك الصداقة من واجبات تجاه صديقتها ألا تتركها في محنتها.. فرّغت أروة نفسها

لزهرة.. أخذت إجازة من عملها بالصيدلية.. وتركت بيتها وجاءت لتمكث مع زهرة.. لمن ستتركها أروة؟ نظرا لظروف زهرة العائلية فهي بعيدة عن أمها.. وحتى شقيقتها الوحيدة متزوجة ومسافرة الآن في قارة أخرى من هذا العالم.. هل ستتركها في مرضها لأبها الذي لا يتكفل بشيء سوى الإنفاق وتوفير المأوى؟ أب مشغول الآن بأطفال جدد وعائلة جديدة دخيلة! وكأنه تجرد من أبوته القديمة! هل ستتركها لإخوتها الذين لن يفهموا أبدًا ما تمر به شقيقتهم.. زهرة الآن في حاجة لقلب يتفهم ويحتوي.. وإخوتها اعتادوا أن تحتويهم هي لا أن يحتووها هم! حتى عبد الرحيم لن يقدر على تولي هذه المهمة.. ليس فقط لأنه الآن زوج وأب وتقع على عاتقه مسؤوليات بل لأنه لن يتفهم مشاعر أخته المجروحة.. هناك أزمات إنسانية وأوقات حرجة نمر بها في حياتنا لا يتفهمها إخوتنا من (تربطنا) بهم صلة دم.. بل يتفهمها اخوتنا من (لا تربطنا) بهم صلة دم! أصدقاؤنا.. ولذا أوجد الله نعمة الصديق.. الصديق الذي تربطنا به رابطة أقوى من رابطة الدم.. الصديق الذي يربطنا به كل شيء إلا الدم.. في حين أن أفراد عائلتنا في أغلب الأحيان لا يربطنا بهم شيء سوى الدم!

حاولت أروة ايقاظ زهرة كما العادة لتتناول الدواء إلا أنّ زهرة لم تستجب تلك المرة.. فقلت أروة.. فزهرة تواصل النوم ولا تستيقظ من النوم إلا لقضاء الحاجة أو تناول الدواء.. وبالكاد تبتلع لقيمات لا يقمن صليها بعد محاولات استجداء من أروة.. تركتها أروة تغط في نومها..

انقضي النهار كله و أوشك اليوم أن ينتهي وزهره لم تتقلب في نومها كما تفعل.. ساكنة في مكانها حيث نامت منذ الليلة الماضية.. اعتبرى أروة قلق شديد.. قاربت الأربع وعشرون ساعة وزهره لم تتحرك.. التاسعة مساء

وزهره لا تبدي أي استجابة لأروة.. بل شحب وجهاها بشكل ملحوظ.. قاست أروة نبضها فوجدته ضعيف جداً.. خرجت من غرفة زهرة مهرولة وهي تحكم غطاء رأسها عليها.. نادى على أسر.. خرج على الفور من غرفته مذعورا من صياحها :

- أسر.. تعال شيل زهرة معايا.. هننقلها للمركز الطبي

ركض نحو غرفة شقيقته.. رغم صغر سنه وأنه لا يزال في الصف الثالث الثانوي إلا أنه قوي البنية.. ذو ساعدين مفتولين بفعل ممارسة الرياضة.. دخل الغرفة وجد شقيقته مغمضة العينين.. ساكنة.. شاحبة الوجه.. ترقرت عيناه بالدمع وهو ينظر لأروة مصدوما.. أشاحت أروة بوجهها حتى لا تتهار أمامه.. فهذا الوقت العصيب لا يحتمل نحيبها وندبها.. لا بد أن تتماسك حتى تنقذ صديقتها.. فتحت أروة خزانة الملابس في سرعة وأخرجت عباءة وهي تقول :

- ساعدني عشان نلبسها

خلال دقائق وصلاهما لمركز المدينة الطبي الخاص.. بعد الفحص تبين أن زهرة سقطت في غيبوبة.. تم إيداعها في غرفة العناية المركزة.. وقف أسر يبكي وهو يتطلع إليها من خلال زجاج الغرفة.. تلك الأسلاك المتصلة بها والتي تنقل نبض قلبها على شاشة بجوار سريرها.. بالإضافة لوضعها على جهاز تنفس صناعي.. غير مستوعب لما يحدث.. لم يفهم حتى حديث أروة مع

الطبيب والذي دار بالمصطلحات الطبية.. لم يفهم سبب تلك الغيبوبة! تعمّدت أروة التحدّث بتلك الطريقة حتى لا يفهم أسر شيئا.. وأن سبب مرضها كان صدمة عاطفية وتفاقت الحالة إلى أن سقطت في غيبوبة (Coma)!

وها هي أروة تشرح للطبيب الحالة تفصيليا :

- Emotional Trauma

هَزَّ الطَّبِيبُ رَأْسَهُ قَائِلًا :

- الصدمة العاطفية أو النفسية ممكن تعمل أي حاجة.. شلل.. خرس.. أي حاجة.. أو غيبوبة زي ما حصل مع الحالة.. الإنسان مش بيقدّر يتحمّل فبيحصل تحوّل الألم النفسي لعرض جسدي.. هي دلوقت في غيبوبة، بس ممكن تكون سامعة اللي بيحصل وحاسة باللي حوالها بس مش قادرة تتفاعل..

سألته أروة والأسّي يملأ وجهها :

- طب هتفوق من الغيبوبة ازاى يا دكتور أو بعد قد إيه؟
- طبيب نفسي لازم يشوفها.. ولازم طبيب باطنة يفحصها..
- طب يا دكتور بعد اذنك بالنسبة لطبيب الباطنة ممكن د. يحيى هو اللي يفحصها لأنها متابعة معاه من الأول وشخص الحالة وهو أدري بالhistory بتاع الحالة.. خصوصا أنها مازالت تحت تأثير الأدوية اللي هو كتبها لها.. فهيكون أفضل أنه هو اللي يفحصها.. انا طبعا فاهمة أن د. يحيى مش بيشتغل هنا في المركز فبعد اذن حضرتك انا هكلمه وييجي يفحصها..

ابتسم الطبيب في وقار وهو يقول :

- أه طبعا.. د. يحيى غني عن التعريف.. والمركز يتشرف بيه ف أي وقت.. وكلنا زملاء ولازم نراعي البُعد الإنساني في المهنة قبل أي شيء اكيد.. وانا بشكرك جدا يا دكتورة أروة لانك ساعدتينا ووضّحتي الصورة بالظبط للحالة وده هيساعد في العلاج اكثر.. وإن شاء الله صديقتك تقوم بالسلامة لم تستطع أن تبسم له وصديقتها راقدة في غيبوبة.. ولكنها قالت له من بين انفعالها وحزنها :

- متشكرة جدا لحضرتك يا دكتور.. بس معلش ليا طلب كمان

- أوامري

- الأمر لله.. يا ريت محدش من أسرة زهرة يعرف سبب الغيبوبة بالظبط.. لأن باباها صعب ومش هيتفهم ده وحتى اخوتها مش هيتعاطفوا معاها.. ممكن حضرتك تقولهم السبب ضغوط نفسية وانها حساسة لكن بلاش توضيح خالص أنها صدمة عاطفية.. انا اضطريت أقول لحضرتك كده لأن ده هيكون خطوة مهمة ف علاجها وتشخيص الحالة بدقة.. حتى د. يحيي نفسه موضحش لأسرتها نتيجة ايه بالظبط رغم الصداقة اللي بتربطه بأخوها الطيب.. وقال إن ده سببه زل والتهابات في المعدة.. أرجوك يا دكتور لأن لو حد من اسرتها فهم الحقيقة مش هيعملوا أي اعتبار لمرضها.. دول صعايدة يا دكتور!

أوماً الطيب برأسه وهو يقول :

- مفهوم.. مفهوم.. اطمني يا دكتورة..

لم تلبث أروة أن تذكر أسرتها.. حتى أتوا على السيرة.. لمحت عبد الرحيم وصالح وأبيها يدلفون عبر أروقة المركز الطبي.. ومن مكانه لمحهم أسر وهرول نحوهم.. فقد كان ينتظرهم بفارغ الصبر بعد أن هاتفه صالح عند عودته للبيت ولم يجد فيه أحد.. سارت أروة نحوهم وقلبها ينتفض.. تدعو الله في سرّها أن تستطيع تغطية زهرة أمامهم على أكمل وجه..

هاتفت أروة أمها.. كانت في أمس الحاجة لأن تجد أحدا تبكي معه زهرة.. ولم يكن هناك غير أمها :

- زهرة بتموت يا ماما.. زهرة بتموت

قالتها أروة وانفجرت في البكاء.. فزعت أم أروة قائلة :

- يا ضنايا يا بنتي.. حصل إيه؟

- زهرة ف غيبوبة.. انا معاها ف المركز الطبي دلوقت

شهقت أمها عن آخرها..

- يا حبيبتي يا زهرة.. وانتي لوحدك معاها.. فين أبوها واخوتها؟

- لسه ماشيين.. هيبجوا الصبح.. بعد ما اقتنعوا أن وجودهم دلوقت مش هيفيد.. وكفاية وجودي معاها..

- انا جاية يا أروة

- لا يا ماما صدقيني زهرة مش محتاجة دلوقت غير دعاكي.. ادعيها كتير يا امي.. ابقى تعالي الصبح أفضل..

قالت أمها في جزع..

- إن شاء الله.. ربنا يقوّمها بالسلامة يا رب

أنهت أم أروة المكالمة.. وبكت بحُرقة شديدة.. زهرة لم تكن مجرد صديقة عادية لابنتها.. بل هي ابنة ثانية لها.. وتوأم ابنتها.. تدفقت الذكريات في مُخَيَلتها.. وراح صوت زهرة يطن في أذنها وهي تقول لها (عاملة ايه على الغدا يا طنط.. انا جاية اتغدا معاكو).. تذكّرت عندما كانت تزورهم زهرة.. فإنها بمجرد دخولها البيت.. تخلع نقابها عنها وحجابها.. تظل بشعرها في بيتهم.. تتصرّف بعفوية تامة وعلي طبيعتها وكأنها في بيتها.. نعم أليس هو بيتها أيضا؟ وكم احتوتها أم أروة بين ذراعها وهي تشكو من قسوة أبيها وافتقادها للأمها.. وكم ظلت محتضنها يوم وفاة شقيقها.. أه يا زهرة.. تألمتي كثيرا يا ابنتي وأنتِ لا زلت صغيرة على هذا القدر المُجحف من الألم.. لطالما كنتي أنتِ وأروة تؤازران بعضكما البعض في ماتمكما الخاصة.. عندما تُوفِّي والد أروة منذ ثلاثة أعوام أثناء أداء أروة امتحانات آخر العام الجامعي.. أتيتي إلى باكية واحتضنتيني.. لم تتركي أروة.. أخذتها لتمكث معك في بيتك.. بعدها بأقل من شهرين توفي شقيقك عبدالله ولم تترك أروة.. تذوقتي أنتِ وأروة مرارة فجيعة واحدة.. خلال شهرين يا ابنتي.. حفظكما الله من كل سوء ولا حرم أحدكما الأخرى.. يا رب لا ترني سوء في أي من ابنتي.. يا رب احفظهما لي..

أسألك يا الله أن تشفي لي ابنتي زهرة.. وتنجيها من محنتها.. يا الله لا تحرمني من دخلتهما سويا في هذا البيت..

بكي أسر في قهر.. بدا صالح أكثر تماسكا أمامه وهو يربّت على كتفه مقاوما دموعه التي هزمته وتدفقت في صمت.. سأله أسر من بين بكائه :

- هي زهرة هتموت زي عبدالله ما مات؟

قال صالح بصوت باكي :

- إن شاء الله مش هتموت.. احنا نصلي وندعيها

انهار أسر باكيا :

- أنا مش عاوزها تموت يا صالح.. مش عاوزها تموت.. ياااa

متخدهاش مننا هي وعبدالله.. ده أنا مكنتش طابق لما كانت هتتخطب

وتتجوز وتبعد عننا.. البيت مش هعرف أعيش فيه من غيرها.. مالوش طعم..

حاسو مقبرة.. رغم إن زهرة لما بتكون موجودة على طول بتبقي ف أوضتها

لوحدها ومش بتخرج من الأوضة كتير.. بس ببقى مطمئن إنها موجودة..

حسّها ف البيت.. البيت من غيرها خرابة.. أنا مخنوق يا صالح.. أنا همشي

وأروح عند أمي.. مش راجع البيت غير لما زهرة ترجع..

قال صالح :

- مش عاوزين أمك تحس بحاجة.. عبد الرحيم أكد علينا.. هي صحتها مش

ناقصة يا أسر.. لو عرفت إن زهرة ف غيبوبة هتحصلها هي كمان.. احنا ما

صدّقنا أنها مشت على رجلها تاني بعد وفاة عبدالله واللي جرالها.. عشان

خاطر زهرة يا أسر خليك هنا.. خرينا نستناها سوا.. وإن شاء الله هترجع

وعلي رجلها كمان.. قوم نام دلوقت عشان نروحها الصبح..

رفعت حاجبها الرّفيعين الجميلين عن آخرهما في دهشة شديدة!! كل منهما يعرف الآخر ولكن كلامهما سطحي جداً خلال أيام التدريب.. المعاملة بينهما لا تخرج عن هذا النطاق. فهو لم يتحدث معها ولو لمرة واحدة عبر بريدها الإلكتروني.. منذ أن أرسلت له من خلاله بعض الصور والبيانات الخاصة بمنهج الدورة خلال مدة التدريب.. لم يشكرها حتى.. لم يكتب لها كلمة شكر واحدة! استلم المطلوب وساد الصّمت.. وحتى لم يضيف أي منهما الآخر على قائمة أصدقائه في صفحة الفيسبوك!

وظل بريده الإلكتروني مسجلاً لديها.. تراه في بعض الأوقات متواجداً.. وكذلك هو ولكن لا يلقي أي منهما على الآخر حتى التّحية..

واليوم قرّر أن يحادثها..

Buzz -

سمعت وسن صوت الحاسوب.. اعتدلت لتري من يحادثها.. رفعت حاجبها عن آخرهما في دهشة شديدة!! إنه هشام!!

Hesham is typing ...

قبل أن تصلها أي كلمة منه.. كانت على يقين أنه سيسألها عن زهره!

- وسن.. تعرفي رقم تليفون بيت زهره؟

بُهِتت وسن من سؤاله.. لم تتوقّع أن يسألها عن رقم هاتف المنزل!! توقّعت أن يسألها عنها.. أو لم لا ترد على الهاتف المحمول.. أو حتى يجعل منها رسولة بينه وبين زهره.. لكن أن يسألها عن رقم هاتف بيتها.. فاق سقف توقعاتها.. غريب جداً! كتبت له..

- ليه؟

- أنا عارف انك قريبة من زهره.. وانا يعني في كلام بيني وبينها.. وكنت عاوز أطمئن عليها.. بعد الكلام الأخير اللي كتبتة على الفيسبوك.. مش عارف أوصلها.. بتصل بيها مش بترد..

ودلوقتي موباييلها مقفول.. عاوز رقم بيتها.

لم تفارقها دهشتها بعد.. كتبت :

- أنا معرفش رقم بيتها يا «هشام».. بكلمها على موباييلها على طول.. عموماً هي بخير.. أنا كلمتها امبارح وقالتي أنها مش بترد على الموبايل عشان بتكون نايمة من الأدوية اللي بتاخذها..

وقالتي أطمئني على الجروب.. عشان هي هتقفل موباييلها الأيام دي.. مش انت شوفت البوست اللي انا كتبتو؟

- اوك.. بس أنا عاوز أطمئن عليها بنفسي.. عاوز رقم تليفون البيت يا وسن!
رغم رأيها الواضح فيه.. وتحاشيها الاختلاط معه.. إلا أنها شعرت بصدقه.. إنه قلق على زهرة بصدق.. لن يهدأ إلا عندما يكلمها بنفسه.. هناك شيء يجيش في صدره.. زهرة تحركه.. أخرجته عن طوره.. مرضها جزده من رداء البرود والصمت.. تظهر مشاعر الإنسان الحقيقية في أوقات الشدة.. لو كانت زهرة لا تمثل له شيء الآن.. لما كان يسأل عنها بهذه الطريقة.. لما تجرأ لطلب رقم بيتها! مجنون هل سيكلمها على هاتف المنزل!! وماذا عن عائلتها.. «هشام» العاقل المتأن في تصرفاته.. ما الذي يجعله يُقدم على تلك الفكرة الغير عادية غير أن هذه الزهرة بالنسبة له غير عادية.. إنه لم يكلمني ولو كلمة واحدة علي الماسنجر منذ يوم أخذته منه في الكلاس وأرسلت له بعض الصور والأوراق المتعلقة بالكورس! لم يقل لي حتى شكراً.. كونه يسألني أنا بالذات عن زهرة.. فذلك يعني الكثير.. هل تغير هشام؟ مرض زهرة غيره؟

- معرفش رقم البيت والله يا هشام! صدقني لو أنا كلمتها قبل ما توصلها انت هقولها انك بتسأل عليها وهخليها تكلمك..

- شكراً يا وسن..

- العفو

أطلقت وسن صغيراً.. ثم ضحكت عن آخرها حتى تخرجت بجسدها..
تمت بصوت خافت وهي تحدّث نفسها، رقم البيت مرّة واحدة يا هشام!!
أوي بقي يا زوزا يا مُرّة

سحبت هاتفها المحمول.. طلبت رقم زهرة الذي لا يعرفه الآن غيرها من رفاق
مركز التدريب.. سمعت صوت الجرس إلى النهاية ولم ترد زهرة.. عقدت
حاجبها في قلق.. ثم ما لبثت أن طمأنت نفسها بأنه ربما تكون نائمة أو في
الحمام وحتماً ستهايتها لاحقاً بمجرد أن تشاهد مكالمتها الفائتة.. كتبت لها
رسالة نصّية لتقرأها بمجرد أن ترى الهاتف..
(زهرة حبيبي.. كلميني ضروروووووري)

هل سيتوقف «هشام» عن محاولة الوصول لزهرة ويكتفي بذلك؟ لا.. لن
يتوقف «هشام»..

تلك المرّة سيسأل عنها آخر إنسانة تتوقّع زهرة نفسها أن يسألها عنها! تلك
المرّة سيسأل عنها زميلة منذ أيام التدريب.. زميلتها التي أخبرتها بشكل عفوي
عن حفلة عمر خيرت في مكتبة الإسكندرية!!
هاتفها «هشام».. ردّت الزميلة في ترحاب :

- الو ازيك يا «هشام» عامل إيه؟

- تعرفي رقم تليفون البيت بتاع زهره؟

!!-

- تعرفيه؟

العلاقة بينهما سطحية في الواقع.. لا تتعدى الفيسبوك.. ورقم الهاتف
بالكاد!

- لأ.. هو في إيه؟!!

- زهرة تعبانة جداً.. انتي مقرتيش ال status اللي زهرة كتبتهما واختفت بعدها
ولا إيه؟ بقولك زهرة تعبانة جداً
قالت الزميلة في استخفاف :

- تعبانة؟ تلاقى بردانة ولا حاجة.. دور برد وهيروح
- بردانة؟ اقري الكلام.. قالت في كلامها أنها راحت لدكتور قلب وباطنة
وعملت تحاليل وعندها حاجة كبيرة مقالتهش ايه هي.. وكتبت أبيات شعر
صعبة جداً..

اعتدلت الزميلة.. شحذت كل حواسها.. قالت معذرة في حرج :
- أول مرة اسمع الكلام ده دلوقت.. انا مش بدخل فيسبوك الأيام دي عشان
امتحانات الميديترم ف الكلية.. مأخذتس بالي والله من الكلام ده.. عموما يا
«هشام» في بنت زميلتي معايا في الكلية من كفر الدوار وكانت معنا ف
كورس التدريب.. اختها تبقي صاحبة زهرة.. هكلمها .. سلام دلوقت
- أوك مستنيكي

هاتفت الزميلة أخت صديقة زهرة :

- ازيك يا نهلة عاملة إيه؟
- تمام يا حبيبيتي.. انتي عاملة إيه؟
- بخير.. كنت بس عاوزاكي ف خدمة كده
- أومري
- أنا طبعا عارفة انك تعرفي زهرة أبوالفتوح اللي كانت معنا ف كورس
التدريب..

- اهااا.. زهرة.. اكيد طبعا.. دي صاحبة سلمي اختي كمان
- طب ممكن يا نهلة تديني رقم بيتها؟

قالت نهلة في حذر :

- رقم بيتها؟ ليه؟

- انتي متعرفيش أنها تعبانة ولا إيه؟ بقي لها كام يوم مختفية عن الفيسبوك
ومش عارفين نوصلها نطمئن عليها.. وتليفونها مقفول..

قالت نهلة في نبرة قلق :

- لا والله معرفش أنها تعبانة.. ده حتى سلمي أختي خرجت من شوية.. هي
الي عارفة رقم بيتها.. بس أول ما تيجي هبلغها وأكلمك اديكي الرقم..

قالت الزميلة مؤكدة :

- أوك يا نهلة.. بس ضروري الله يخليكي.. أنا مستنية تليفون منك..

- حاضر والله.. اكيد مش هنسي.. أول ما سلمي ترجع من برا

أنهت نهلة المكالمة وهي تحدّث نفسها في جزع.. لا حول ولا قوة إلا بالله.. دي
سلمي هتزعل خالص لما تعرف الخبر ده.. ربنا يقومك بالسلامة يا زهره

بعد ساعة بأحد معامل التحاليل الطّبية.. أنهت سلمي عملها وخلعت
البالطو الأبيض.. وقفت أمام مرآة الحمام.. عدّلت حجابها وأصلحت هيئتها..
غادرت وهي تلقي التّحية على بعض الزملاء والزميلات.. الذين شيعوها
كالعادة بحرارة (مع السلامة يا دكتورة)..

سلمي عاطف.. خريجة كلية العلوم جامعة الإسكندرية بتقدير امتياز..
وحاليا تدرس دبلومة تحاليل طبيّة وتمارس عملها بأحد المعامل الطّبية
بمدينة كفر الدوار.. سمراء.. من أصول صعيدية.. واسعة العينين.. صوتها
أنثوي رقيق.. أنيقة.. محبوبة جدًّا وناجحة جدًّا في عملها وفي الجامعة وفي
البيت وبين أصدقائها.. تتسم بالجديّة والإتقان.. مهذبة.. خفيفة الظلّ.. تحب
الناس والخير..

تعتبر سلمي عاطف من صديقات طفولة زهرة أبوالفتوح.. وأصدقاء الطفولة لهم دائمًا مذاق خاص في القلوب.. لم تفترقا إلا عند دخول الجامعة.. ورغم ذلك لم تجرفهما الحياة عن بعضهما البعض.. من وقت للآخر تتبادلان الزيارات والخروجات.. بالإضافة إلى الفيسبوك الذي يقرب المسافات كثيرًا ويطلعهما على الجديد في حياة كل منهما.. إلا أن سلمي في الفترة الأخيرة مضغوطة جدًا في المعمل والدبلومة.. تقضي الأيام بين الجامعة والمعمل ومساعدة والدتها في أعمال المنزل بالتبادل مع شقيقها نهلة.. لذا باتت لا تتابع الفيسبوك كثيرًا.. ولم تقرأ ما كتبه زهرة مؤخرًا.. ليس لديها أدنى فكرة عمّا أحل بصديقة طفولتها.. ونديمة المدرسة..

بداية الصداقة بين زهرة وسلمي نشأت في المدرسة.. عندما كانت تعطي زهرة المنصة في المدرسة وتلقي شعرا.. يصفق لها الجميع.. كانت سلمي تُعجب بها كثيرًا.. فمن لا يعجب بزهره أبوالفتوح؟ من لا يعرف زهرة أبوالفتوح؟ ذات الضفائر البنيّة.. تصدح بصوتها في الإذاعة المدرسية شعرا.. فتجعلك تنفعل بها.. تجعلك تبكي.. تجعلك تضحك.. لديها كاريزما.. وذات شخصية مؤثرة وجذابة كما أنها جميلة جدًا.. صاحبة المركز الأول في إلقاء الشعر على مستوى الجمهورية دائما.. دائمًا ما كانت تمدحها مديرة المدرسة بأنها شرف لمدرستها.. في الحقيقة زهرة أبوالفتوح لم تكن شرف لمدرسة الإعدادية بنات فقط.. بل كانت شرفا لصديقاتها.. ولذا كانت البنات تقبلن عليها وتتوددن إليها طلبا لصداقتها.. إلا سلمي! كانت تراقبها من بعيد.. في صمت.. وذات يوم وزهره في طريقها إلى المدرسة.. صادفت سلمي في الطريق.. اقتربت منها بضعفائها.. وهي تبتسم.. (ممكّن أمشي معاكي؟).. ابتسمت سلمي في ترحاب قائلة (why not ?).. ومنذ تلك اللحظة لم تفترقا.. وظلّتا تذهبان سويا للمدرسة حتى المرحلة الثانوية..

في طريقها للبيت عرجت على السوبر ماركت وكعادتها تبصّعت واشترت الشيكولا والحلوى والعصائر والأجبان والفواكه لأسرتها.. وصلت سلمي.. دلفت إلى البيت.. لتجد نهلة جالسة في انتظارها في الصالة الواسعة على أحد مقاعد السُّفرة.. أَلقت سلمي التحيّة :

- سلام عليكم

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.. تعالي يا سَلْمُنْتِي عاوزاكي وضعت سلمي حقيبة يدها والأكياس التي في يديها على السُّفرة.. جذبت مقعدا وجلست بجوار نهلة.. وعلي وجهها علامات التساؤل وهي تخلع حجابها:
- في ايه يا نهلة؟

قالت نهلة في لهجة متوترة.. وببطء :

- زهرة صاحبتك.. تعبانة أوي

حدّقت سلمي في وجهها في وجوم.. توقفت عن خلع الحجاب.. استرسلت نهلة:
- واحدة زميلتي ف الكلية وكانت معانا ف كورس التدريب أنا وزهره.. كلمتني وانتي بزا.. سألتني على رقم بيت زهرة.. سألتها ليه.. قالتلي أنها تعبانة جدًّا ومختفية بقالها كام يوم مبتدخلىش فيس وتليفونها مقفول ومش عارفين يوصلولها.. عاوزين يطمنوا عليها

أخرجت سلمي هاتفها المحمول من حقيبتها وهاتفت زهرة.. وجدت هاتفها مغلق.. ضغطت على رقم آخر تحفظه باسم زهرة اتصالات.. سمعت صوت جرس طويل ولم يأتيها أي رد.. قامت وطلبت رقم منزلها لم يرد أحد أيضا.. تهاوت على أقرب أريكة وهي تضع يدها على صدرها وقد اعتري وجهها قلق عارم.. قالت لنهلة :

- اسمعي يا نهلة.. اكيد في حاجة كبيرة عند زهرة.. أنا هروحها البيت بُكرا.. بس أنا مش هديكي رقم بيتها تديه لزميلتك.. مقدرش أعمل كده.. افرضي ده يدايق زهرة.. أنا هديكي رقم تاني لزهرة.. بتشغله لما تكون عاوزة تبعد عن

الناس.. والرقم ده مش بتديه لكل اللي تعرفهم.. ده أفضل الحلول.. لحد ما
أنا أعرف أوصل لزهرة وأطمئن عليها بنفسى.. اوك؟
أومأت نهلة برأسها تفهما :
- اوك..

أملتها سلمي الرقم.. خطته نهلة في ورقة.. وهاتفتم الزميلة :

عقد حاجبيه العريضين الكثيفين وهو يستمع للزميلة على الهاتف حتى
انتهت فقال :

- يعني معرفتيش تجيبي رقم بيتها

- والله يا «هشام» حاولت كثير.. مادتنيش غير رقم موبايل..قالتلي أنها بتشغله
لما بتقفل رقمها الأساسي..

زفر في ضيق :

- ماشي.. مليني الرقم

حاول الاتصال بها من خلال ذلك الرقم الذي أملته له.. صوت جرس.. وما
من رد.. زفر في حنق.. كم يلتمه القلق والخوف عليها.. هل أنت تخاف من
فقدتها يا هشام؟ لماذا إذا كنت تصدّها عنك عندما حاولت هي بشّي الطرق
الرجوع لك بعد قطيعة دامت لشهر ونصف؟ لماذا؟ هل تشعر بالذنب
ناحيتها؟ هل تشعر بأنك السبب فيما آلت إليه حالتها الصّحية والنفسية
الآن؟ ما الذي جري لك يا هشام؟ هذه هي زهرة.. زهرة التي شغلت بالك
واحتلتك دون أن تعرف كيف تبدو معالم وجهها.. لماذا قسوت عليها لهذه
الدرجة يا هشام؟ لماذا أخبرتتها بأنك مرتبط بواحدة غيرها؟ هل أنت حقًا
مرتبط؟ تلك اللفظة على زهرة.. ذلك الخوف في محياك.. بحثك عنها بهذا
الجنون.. إذا كنت حقًا مرتبط يا «هشام» فأنت مرتبط بزهرة.. أنت رغم

قسوتك عليها وتغيّر معاملتك معها بعد الرجوع.. إلا أنك لا تستطيع تقبّل فقدانها.. أنت تحمّلت قطيعتها لكنك لن تتحمّل فقدانها.. تحمّلت قطيعتها لأنك كنت تتنصّم أخبارها ونشرتها العاطفية بقصائدها.. على الأقل كنت تستطيع الوصول إليها.. كنت تعرف أنها على قيد الحياة.. إلهي! هل يمكن أن تموت زهرة قريبا كما قالت في آخر كلماتها قبل أن تختفي؟! لا لا لا.. لم تتحمل كلماتها الحزينة عن المرض والموت قبل اختفائها.. ولن تتحمّل اختفائها أكثر من ذلك يا نجم! لن تتحمّل.. يارب اشفها واحفظها من كل سوء.. يا رب طمئن قلبي عليها يا رب.. يا رب..

الأرواح جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ.. هكذا قال رسول الله صلي الله عليه وسلّم.. زهرة الآن ترقد في غرفة العناية المُركّزة تننّس صناعيا وغارقة في غيبوبة.. فاقدة الوعي.. ولكن حتى في غيبوبتها لم تتركها يا «هشام».. مازالت روحك تسكنها.. صورك.. أحاديثك.. كل شيء حدث بينكما يمر الآن في شريط عقلها الباطن.. أنت قطعة من روحها.. توأم روحها يا «هشام».. أنت تعيش تحت جلدها.. تجري في دماغها.. تحتل كيائها.. أنت تسيطر على كلّها يا «هشام».. زهرة الآن طيبا فاقدة الوعي.. غارقة في غيبوبة.. ولكن روحانيا هي معك.. معك أنت فقط.. تراك الآن وأنت تبتسم لها.. تقترب منها.. تلثم يدها وتحتويها بين ذراعيك.. تتخلّل أصابعك شعرها بينما تدعو لها.. دعاؤك يصلها الآن يا «هشام».. زهرة تسمعك.. مُتّصلة بك روحيا.. تشعر بك.. يجتاحها فيضان من مشاعرك الحنونة.. تغدق عليها من اهتمامك.. انشغالك بها استشعرته هي.. زهرة تبتسم الآن.. مازالت فاقدة الوعي إلا أنها تبتسم.. زهرة تعيش حلم جميل معك..

رأتها أروة من خلف زجاج الغرفة وهي تبتسم.. رقص قلبها.. التفتت إلى نعمة وهي تصيح في فرح..

- نعمة شوفتي اللي انا شوفته؟ زهرة ابتسمت دلوقت

هرولت نعمة نحوها.. وقفت بجوارها.. تطلّعت إلى زهرة عبر الزجاج.. رأتها ساكنة.. لا تبتسم.. ولا يبدو عليها أي شيء مما قالته أروة.. ظنّت أن أروة تهيأ لها ذلك نتيجة للسهر والإجهاد والإرهاق وحزنها على زهرة فتخيّلت أنها تبتسم.. ربّنت على كتف أروة في عطف وهي تقول لها :

- أروة عشان خاطري.. اسمعي الكلام وروحي البيت دلوقت.. انتي مبتناميش بقالك يومين.. خليني أنا قاعدة مع زهرة.. ارتاحي حتى كام ساعة وتعالى تاني.. ترقرقت عينا أروة بالدمع.. زفرت في ألم :

- والله العظيم يا نعمة انا شوفتها بعنيا دووول وهي ببتبسم.. والله ما بيتهيألي.. أنا متأكدة.. أنا حاسة بها.. نعمة تعالي ندخل نكلمها.. انا متأكدة إنها حاسة بينا وهتسمعنا.. زهرة مش مريضة يا نعمة.. اللي هيا فيه ده كله ألم نفسي بسبب «هشام».. نعمة انتي طالبة في خامسة طب ودارسة الكلام ده وفهماه.. زهرة مش مريضة.. مش مريضة.. كل الحكاية إنها حساسة أوي احتضنتها نعمة.. وانهمرت دموعها هي الأخرى للحظات.. أفاقنا على وقع أقدام يقترب منهما.. فانتبهتا.. إنها سلمي وبجوارها أسر.. يقطعان الممر بخطوات سريعة.. دنت منهما سلمي وقد اكفهرّ وجهها.. عاجلتها أروة فهي التي تعرفها :

- مالها زهرة يا أروة؟

قالتها سلمي في هلع شديد.. ربّنت أروة عليها وهي تقول :

- هتبقى كويسة إن شاء الله.. تعالي ندخلها.. هي أكيد حاسة بينا.. حتى لو مش قادرة ترد.. بس هي هتسمعنا..

مساء ذلك اليوم..

انتهي د. يحيى من فحصها.. وبجواره ممرضة مساعدة.. بينما أروة تقف
بزاوية قريبة لزهرة.. بمحازاتها.. وهي تتطلع للطبيب والممرضة في قلق.. لملت
الممرضة أدوات د. يحيى الذي أدار رأسه لأروة وهو يقول عن زهرة في أسف..

- خسارة أوي الجمال ده في المرض والحزن ده كله

لم تنطق أروة.. وانما انتقلت بناظرها نحو زهرة في حسرة.. تنهدت.. وظلت
صامتة بينما عقبت الممرضة وهي تمصص شفيتها..

- أه والله يا دكتور.. أنا كل ما أدخل وأبص ف ملامحها البريئة اللي ف عالم
تاني.. أتحسّر من كل قلبي.. شابة زي القمر تنام النومة دي.. ربنا يقوّمها
بالسلامة يارب.. ويحميها لشبابها..

قال د. يحيى :

- آمين

وجّه حديثه ثانية لأروة :

- أنا متفائل المرّة دي.. ريبورت الطبيب النفسي بيقول إن في مؤشرات
واستجابات إيجابية.. كمان أنا فحصت النبض.. وشايف أن في تحسن.. على
فكرة ده يرجع برضو ليكي انتي

وصحباتها.. كلامكو ليها وقريكم منها ده بيدعمها ويساعدها كتير

نطقت أروة أخيرا بصوت مبحوح :

- د. يحيى.. صحبتي هتفوق امتي؟

- مقدرش اتنبأ بحاجة زي كده.. في أي لحظة ممكن تفوق.. حسب استجابتها
النفسية.. حسب رغبتها هي في الحياة.. زهرة في غيبوبة نفسية.. (ذهول

اكتنابي).. كان ممكن نعملها صدمات كهربية عشان تفوق بس هيبقي في
مخاطرة عشان هي كمان عندها مشاكل في التنفس.. نتيجة نقص في الدم
الوارد لعضلة القلب*.. احنا نعمل اللي نقدر عليه.. والباقي على ربنا..
- يارب..

خرج د. يحيى.. تاركا أروة وقد ازداد شحوب وجهها..

* تم التنويه أنه تلك المرحلة من الرواية حدثت في عام 2012 وفي عام 2014
وجد العلم تفسيراً لتلك الحالة.. وهو ما اكتشفته طبيبة القلب الفرنسية
«كلير مونييه»، أنّ هذه الأعراض تأتي بسبب نقص في الدم الوارد إلى القلب،
وأن ذلك ينجم عن بروتينات تفرز في الدم تسبب تقلصاً في الشرايين ولكنه
سرعان ما يزول كما جاء فجأة.

وأصبحت تلك الحالة يعرفها الأطباء بمرض متلازمة القلب المنكسر أو
اعتلال «تاكو تسيبو»، وهي حالة مرضية تحدث نتيجة آلام عاطفية شديدة
أو معاناة يشعر بها المرء بعد فقدان أحد الأحباء.

وهي إحدى الظواهر العلمية التي رصدها العلم بدقة دون أن يعرف لها سبباً
واضحاً أو يجد لها تفسيراً قاطعاً، وتجلت الحيرة في تسمية تلك الظاهرة
بأسماء متعددة تبدأ باعتلال «تاكو تسيبو» أو تضخم البطين الأيسر أو
القلب المكسور.

اقتربت أروة منها.. لثمتها.. وظلّت تحدّثها بصوت هامس حنون في أذنها.. بينما
تتخلّل بيدها خصلات شعرها.. تساقطت دمعاتها على وجه زهرة.. في نفس
اللحظة التي همّت بأن تمسحها بباطن يدها.. فتحت زهرة عينها!!

حملت أروة في وجه زهرة غير مصدّقة.. ابتسمت لها زهرة في وهن شديد..
انفجرت دمعات أروة فرحاً.. أمسكت أروة كف يدها وقبلته وهي تصيح..
الحمد لله.. الحمد لله.. سألتها بخليط من الانفعالات :

- حاسة بايه يا وزه ؟

نطقت زهرة بصوت خفيض :

- أنا كويسة يا أروة.. ايه اللي جابني هنا..

خَفَّت أروة عنها قائلة :

- أبدا يا حبيبتي.. انتي تعبتي شوية ونقلناكي هنا..

- مكنتش تعبانة يا أروة.. أنا كنت في حلم جميل.. كنت معاه

احتوت أروة كفها بين يديها وهي تسألها في دهشة :

- مع مين؟

اتّسعت ابتسامة زهرة وهي تقول بلهجة تحمل حُب العالم :

- «هشام»

!!!..-

- أروة أنا عاوزه ارجع البيت.. خرجيني من هنا.. عاوزه أرجع أوضتي

قالت أروة في حنان :

- حاضر يا حبيبتي.. هنرجع سوا.. مش هسيبك ترجعي أوضتك لوحك

عادت زهرة إلى بيتها.. إلى غرفتها كما أرادت.. وافق الطبيب النفسي المشرف
على حالتها وكذلك د. يحيي الذي هاتفته أروة وأخبرته بما حدث.. كلا منهما
أخبرها أنه ما من داعي لاستمرار وجودها طالما أفاقت من غيبوبتها.. خاصة
أنها ترغب في العودة لحياتها الطبيعية وبيتها.. سيتم مباشرة علاجها بشكل
منتظم متقطع لفترة معينة.. وستعود إلى بيتها كما أرادت.. هي ليست مريضة
جسدياً.. تستطيع الوقوف على قدميها وممارسة حياتها.. لكنّها نفسياً تعاني

صدمة شديدة لم تتحملها لذا سقطت في غيبوبة لأيام.. والآن هي فاقت
وتريد أن تعيش في جو طبيعي.. وعلى كل من حولها مساعدتها في توفير هذا
الجو لها كما شاءت..

خرجت من الحمام بعد أن اغتسلت.. ارتدت روب قصير ووضعت فوطة على
شعرها المبلول.. لتجد شقيقها وأبها وأروة جالسين في الصلاة.. استقبلوها
ثانية بحفاوة.. بعد الزفة التي استقبلها بها أسر وصالح عندما رأوها تدلف
مع أروة من باب الشقة! لم يصدقا أعينهما وهي تقف أمامهما.. احتضنها
أسر وهو يبكي فرحاً.. ثم تركها لصالح.. الذي قبّل رأسها وهو يقول (حمدلله
على سلامتك.. نورتي البيت من ثاني)

تنحج أبوها مشيراً بيده لصالح وأسر :

- سيبوا اختكو وصاحبتهما ترتاح وابقوا اقعدا معاها براحتكو بعدين..

انفضاً على الفور كل منهما إلى غرفته.. وخرج الحاج..

اتكأت زهرة على الأريكة وهي تبتسم لأروة التي اتكأت بدروها وهي تقول في
سعادة :

- حمد لله على سلامتك يا وزه.. نورتي حياتي!

- ايه اللي حصل يا أروة بالظبط؟

اقتربت منها أروة وهي تربّت عليها قائلة :

- دلوقتي اقدر أقولك اللي حصل يا ستي.. انتي كنتي ف غيبوبة وفوقتي منها
على خير الحمد لله..

لم تندهش زهرة.. ابتسمت في مرارة :

- متأكدة اني فوقت من الغيبوبة؟

فهمت أروة ما ترمي إليه زهرة.. أنها لم تبرأ من غيبوبة عشقها لهشام.. لم تبرأ
بعد من صدمة اجتنت منها الكثير! كلّفها ثمنا فادحاً.. كلّفها جرحاً غائراً في

قلبها الذي ينزف بلا هوادة..قالت أروة مُغيّرة مجري الحديث :

- يلا قومي ندخل أوضتك..

استجابت زهرة لأروة فقد كانت مشتاقة حقًا لغرفتها.. ما إن دلفت زهرة حتى وقعت عينها على هاتفها المحمول والذي مازال فوق الكومود.. التقطته في تلقائية وهي تستلقي على سريرها وتقول لأروة :

- ياااااه.. زمان وسن رنّت كثير عليا

ابتسمت أروة ولم تعقب.. انهمكت في خلع حجابها.. والاستعداد للنوم بجوار زهرة.. فقد كانت في غاية الانهاك.. بالكاد يخطفها النوم بضع ساعات وهي جالسة في المركز الطبي.. بجوار زهرة..

- ايه ده؟! وسن و«هشام» وسلي اتصلوا بيا؟ طب وسن وسلي ماشي..
«هشام» ميعرفش الرقم ده.. انا مش فاهمة حاجة
استلقت أروة بجوار زهرة وهي تقول :

- انا هفهمك يا ستي.. بصي.. سلي جاتلك المركز الطبي وانتي ف الغيبوبة على فكرة.. وحكيتلي أنها مكانتش تعرف حاجة عن تعبك.. قالتلي أن في واحدة زميلة اختها في الكلية وتعرفها من كورس التدريب برضو اتصلت وطلبت رقم بيتك بس سلي مديتهاش غير رقم اتصالات..

شردت زهرة بذهنها لحظات وهي تغمغم :

- مش معقولة! برضو مش فاهمة حاجة! وزميلة ف كورس التدريب هتسأل عليا ليه وتطلب رقم بيتي ليه.. «هشام» كمان اتصل.. يعني معني كده أنها اللي اديتله الرقم.. معقولة؟! طب ليه؟
قالت أروة :

- مالهاش معني غير كده.. طب كلمها طيب ولا هتعملي ايه

- هكلم وسن الأول.. دي بعثالي مسدج اكلمها ضروري..

هاتفنت وسن التي ردّت منذ الجرس الأول بصوت منفعل :

- زهوورره!! كنتي فين كل ده؟ كده يا زهرة برضو.. دماغي اتفرتكت من القلق
عليكي ومش عارفة اوصلك ولا اعرف عنوان بيتك ولا أي حاجة.. حرام
عليكي يا شيخة والله سيّبتني مفاصلي

لم تملك زهرة أمام كل هذه المشاعر الجميلة التي تفيض حبا وقلقا إلا أن
تبتمس قائلة :

- طب اديني فرصة اتكلم طيب

- اتكلي يا ستي سمعاكي

- وسن انا كنت في العناية المركزة الأيام اللي فاتت.. كنت في غيبوبة وربنا
كتبلي النجاة

شهقت وسن عن آخرها.. قالت في جزع :

- حبيبتي.. حبيبتي.. انتي فين دلوقتي يا قلبي.. اديني العنوان.. اجيلك من
النجمة يا زهرة لازم اجيلك

- اهدي يا وسن.. والله انا كويسة.. اومال بكلمك ازاي.. انا في البيت دلوقت..
يا حبيبتي تشرفي ف أي وقت.. هقولك العنوان.. بس طمنيني الأول في ايه
خلاكي تبعيتلي المسدج.. يا وسن في حاجات حصلت انا مش فاهماها..

- حاجات إيه؟

- رقمي اللي بكلمك منه دلوقت.. المفروض «هشام» ميعرفهوش.. لقيته اتصل
عليه..

- ازاي بس؟! انا ما اديتهوش الرقم لما سألتني على رقم بيتك حتى..

قاطعها زهرة :

- «هشام» سألك على رقم بيتي؟

- ايوا يا زهرة ما هي دي الحاجة اللي كنت عاوزه أقولك عليها لما بعثلك
المسدج من كام يوم.. «هشام» اللي عمره ما كلمني.. ولا حتى ضايفين بعض
على الفيسبوك.. يدوب بس ضايفاه على اميل الياهو من آخر دورة تدريب

وطلبت منها رقم بيتي بس صحبتي اتصرفت صح واديتها رقم الموبايل ده ومديتهاش رقم البيت الحمد لله.. تخيلي لو «هشام» كان اتصل على البيت ورد عليه أي حد من اخواتي ولا بابا.. كارثة بكل المقاييس.. الحمد لله ربنا ستر..

- ياااااااه يا زهرة.. مش بقولك.. والله انتي تهيميه اووي.. بس الواد ده تقيل ومش بيبيّنلك ده.. زهرة كلميه عشان خاطري.. انا اللي بطلب منك ده.. مش انا اللي حدّرتك منو قبل كده.. بس انا بقولك كلميه يا زهرة.. اسمعي كلامي..
- هكلمه يا وسن من غير ما تقولي.. هكلمه
أضافت :

- وهكلم زميلتنا كمان أشكرها..
أنهت مكالمتها مع وسن.. والتفتت لأروة التي قالت لها وهي تبتسم في فرحة حقيقية :

- سمعت كل حاجة من سماعة الموبايل.. صوت وسن عالي وواضح.. بدمتِك ده لو مرتبط وبيحب واحدة زي ما بيقول كان فكّر فيكي ودور عليك وعمل اللي عملو ده؟ يلا كلميه بقي.. طب والله العظيم وشك رد.. مجرد بس انك عرفتني اهتمامه بيكي قد ايه مش مصدّقاني؟ قومي اقفي قدام المرايا.. وشوفي خدودك احمرورا ازاى.. ووشك اللي نور ده!

أطرقت زهرة بوجهها خجلا.. لكزتها أروة في خفة وهي تغمز بعينها..
- يلا مستنية ايه.. مش هبص عليك وانتي بتكلميه يا ستي.. هقوم اقفي في الشباك.. خدي راحتك..

اقتربت دقات الساعة من الثانية عشر.. منتصف الليل.. وهي تمسك الهاتف وتطلبه بأصابع مرتجفة.. ودقات قلبها تملو حتى سمعت صوت الجرس فزاد خفقان قلبها واعترتها عواطف مختلطة من حُب وخوف وألم.. لم يرد.. حاولت مرّة ثانية وثالثة.. أجفلت قليلا..

- ها ما ردّش؟ سألتها أروة وهي لا تزال واقفة عند النافذة.. تهنّدت زهرة قائلة :
- لأ..

لم يكتب لها القدر تلك الليلة أن تسمع صوته.. إلا أنها لم تنم عارية تمامًا منه! فتحت الفيسبوك من هاتفها.. وجدت أمة لا إله إلا الله سألت عليها! رسائل كثيرة وكمية هائلة من التعليقات على آخر كلمات كتبتها قبل أن تغرب شمسها عن الفيسبوك.. وعاد القمر! عادت لتطل كل مساء من نافذة الكلمات.. ردّت على الرسائل والتعليقات وشكرت الجميع وطمأنتهم من خلال منشور جديد.. هجم عليها الكل ثانية بفرحة العودة.. متمنين لها الشفاء وتجاوز محتها.. ارتفعت معنوياتها.. وبعد أن فرغت منهم.. انتظرت النجم حتى يبرز نوره في عتمة الليل.. وبرز نوره في تمام الواحدة بعد منتصف الليل.. عاجلته قائلة :

- كلمتك أنا

- انتي كنتي فين الأيام اللي فاتت؟ أنا كلمتك كتير وسألت عليك ناس كتير على فكرة

- أنا كلمتك من ساعة كده عشان أقول كنت فين وانت مش ردّيت

- مكنش ينفع أرد عشان كنت مع صحابي ولسه جاي دلوقت وفتحت فيس

Ok -

So? -

hey -

hey -

سألها ثانية :

- كنتي فين؟

شعرت باختناق شديد.. ودّت لو يهاتفها.. لو تسمع صوته.. أبعد كل هذا يحدثها كتابة؟ بعد كل ما فعل لكي يحظى برقم هاتف منزلها.. يكتفي بالاطمئنان عليها كتابة؟ أم أنه اطمأن عليها ولا يريد أن يُعزّيه صوته أمامها ففضّل الحديث إليها كتابة؟ ردّت بألم واضح في حروفها :

- أنا كنت تعبانة جدًّا وربنا يعلم مكنّتش قادرة حتى أتكلّم مع حد

- ألف سلامة عليكى.. كان عندك إيه؟

لم تخبره أنها خارجة لتوّها من غيبوبة ربما لأنها مازالت في غيبوبته! كما أن نفسها صعبت عليها لتخبره بما حلّ بها خاصة أنه يعي جيدًا أنه السبب عندما أخبرها بقسوة أنه مرتبط.. لم ترد أن تؤكد له أنه أصابها في مقتل.. لذا كتبت :

- أول ما اتحسّنت اهو بقيت اتكلّم

ولكنّته مصمم أن يعرف ماذا حدث لها.. فكان ردّه :

- كويس جدًّا.. كان عندك إيه؟

أدركت أنه لا مفر.. لا بد من إجابة منطقية وفي الوقت نفسه لا تثير شفقتة بها فكتبت :

- مشاكل.. بس أغلّما رد فعل لحاجات نفسية.. مش مرض يعني.. ده كلام الدكتور وفي تحاليل معينة طلبها وإن شاء الله ريبورت التحاليل تجهز بكرا وأشوف الدكتور هيقول ايه

كلامها عائم.. ليس واضحاً.. هي تخفي شيئاً ما.. هو يدرك ذلك.. فسألها بطريقة مختلفة عساه أن يتوصّل لشيء :

- وانتي بقي حاسة بايه؟

اهتز قلبها لسؤاله.. (وانتي بقي حاسة بايه؟) يا له من سؤال صعب.. خاصة إذا كنت أنت الذي تسأله.. ردّت :

- يعني بجد أصعب حاجة عليا.. ربنا ما يكتبها على حد.. أنا بتخنق كثير جداً
لدرجة إني بصحى من عزّ نومي على الخنقة دي.. بحس اني روي رايحة مني..
والدكتور ما اذاكيش حاجة عشان ده؟

أي طبيب ذلك يا «هشام» يستطيع أن يصف لي دواء يشفيني منك؟ فرّت
دمعة منها قهرا وهي ترد عليه :

- باخد أدوية غيبية.. بتتعبني اكثر.. بتدوخني.. وببقي تايهة كده.. الحمد لله أنا
برتاح بس لما بنام.. بحس اني بترحم شوية

- الحمد لله وألف سلامة عليكى

- الله يسلمك.. ميرسي!

- 😊

- انت عامل إيه؟

- الحمد لله تمام.. وانتي؟

- الحمد لله

ساد صمت ثقيل.. لم تجد شيئاً آخر لتقوله.. كما أنها كانت مختنقة حانقة
من تواصل الحديث كتابة بينهما.. بعد غيابها عنه تلك الأيام وجنونه لكي ترد
عليه قبل أن تغلق الرقم وتسقط في غيبوبة.. ولم يتوقف عن المحاولة بل
سأل عنها وعافر كي يصل إليها والآن بعد أن جاءت طواعية وتقديرا لما فعل
من أجلها يكتب هكذا بكل برود وتحفظ؟ كانت تنتظر لقاء هاتفيا حاراً! أن
يستقبلها بحفاوة.. ما من شيء آخر يقال.. لقد اقتلع منها لهفة غرسها هو
بمحاولاته المستميتة أثناء غيابها.. لذا أنهت المحادثة في انطفاء..

- تصبح على خير.. كان هيبقي أفضل لو كنا اتكلمنا فون.. أنا فعلا تعبانة
ومش قادرة أكتب كثير.. وميرسي انك سألت عليا.. أحلام سعيدة.

شعرت بإحباط يسيطر عليها.. حاولت ألا تستسلم له.. نظرت لأروة التي سقطت إرهابا وإنهاكا في نوم عميق.. ابتسمت في حنو وأحكمت عليهما الغطاء.. وراحت تغطّ هي الأخرى في سبات عميق..

- لا والله! كتر خير..

قالتها نعمة بسخرية وغيظ.. تطلّعت إليها أروة بنظرة تأنيب.. في حين أطرقت زهرة بوجهها في صمت حزين..

تنحنحت أروة ثم قامت وهي تقول :

- طب هقوم أجيب حاجة نشرها

زفرت نعمة في توتر وضيق.. تعلم أنها ألمت زهرة الآن.. تركت ذلك المقعد الوثير الجالسة عليه والمقابل لسرير زهرة.. اقتربت.. جلست على حافة السرير.. كل ذلك وما زالت زهرة مطرقة وتنسال دمعاتها على وجنتها في صمت :

- زهرة.. مقصدتش أجرحك.. بس أنا بجد بقيت مش طايقة «هشام» ده من ساعة ما تعبتي بسببه.. ايه يعني سأل عليكي ف تعبك.. ودور عليكي عشان يوصلك.. ده ينطبق عليه المثل اللي بيقول (يقتل القتل ويمشي ف جنازته).. لو فعلا بيخاف على جرحك ووجعك مكانش قالك أنه ارتبط.. مكانش عمل اللي عمله لما حاولتي ترجّعيه.. كغبُو على يا زهرة.. زهرة فاهمة يعني ايه شاب يعلي كعبو على بنت بتحبه؟

انهمرت دمعات زهرة أكثر.. وضعت كلتا يديها على وجهها وانخرطت في النشيج.. اقتربت نعمة أكثر وضمتها.. استرسلت نعمة وهي ترتب على ظهر زهرة..

- الحاجة الغربية اللي هتجنني بقي.. لما كان في معسكر باجوش واتصل بيكي..
انا طبعا بما اني ياما طلعت معسكر باجوش وعارفة الجو هناك بيبيقي عامل
ازاي.. بيبيقي رومانسي.. ليل
وحفلات سمر بقي وبنات.. لكن كلمك انتي.. كلمك انتي.. يعني انتي اللي في
دماغه.. طب ازاي يقول מבحبش البنات وازاي يقول مرتبط! كان بيكلمك
ويسهر معاكي طول الليل وهو مش شايف قدامه وعنده شغل الصبح بدري
ويفضل مكبوب على الشات.. ويعصر فيكي أسئلة.. وانتي كانت فاتحتك
مقربة.. كان عاوز ايه ده؟؟!

استيقظت من نومها مشرقة.. طالعتها وجه أروة وهي تجلس أمام الحاسوب
وبجوارها فنجان قهوتها.. اعتدلت جالسة.. انتهت لها أروة.. تركت الحاسوب
وجاءت مبتسمة لتجلس على السرير بالقرب منها..
- صباح النور.. أول مرة تصحي قبل الظهر.. الظاهر إن برشام Prozac بدأ
يجيب نتيجة..
- اصلي بحلم أحلام جميلية.. عشان كده بنام كثير لأن الواقع مش قادرة
اقبله..

رَبَّتْ أروة على كتفها في حنان وهي تسألها :

- بتحليني بايه؟ احكي لي

شردت ببصرها.. وابتسامة أمل تطفو على ثغرها :

- يحلم بهشام.. بحسه معايا زي ما هو كأنه مش حلم.. صوته. نفسه..
ملاحظه.. بنتكلم زي ما كنا قبل كده.. تعرفي؟ أنا الأيام دي حاسة إن
«هشام» معايا أوي.. أكثر من الأول كمان.. مع اننا مش بنتكلم شات.. ولا
فون.. انا مكلمتوش حتى من آخر مرة بس حساه معايا.. روحه معايا..

بيندهني.. عشان كده ببقى مش عاوزه أصحي من النوم.. عشان يفضل معايا في أحلامي.. لما بصحي وافوق بتخنق.. بحس إن روحي بتتسحب مني.. والدنيا ضيقة عليا.. واللييلة دي حلمت بيه.. وكلمني كتير.. «هشام» حنين أوي يا أروة..

دمعت عينا أروة.. والتزمت الصمت.. لم تجد ما تقوله.. أما زهرة فعادت ثانية إلى التّوم.. لتلتقي «هشام» في الأحلام! فهذا هو السبيل الوحيد للقائه.. تضنّ عليها الحياة به.. ولا تتيح لها أكثر من ذلك..

بسم الله الرحمن الرحيم
أولا بقول الحمد لله وبتوفيق من ربنا أننا قد حصلنا على المركز الثاني على مستوى الجمهورية في مسابقة أوائل الرواد على مستوى الجامعات المصرية.
ثانيا بشكر كل أعضاء فريق The Challengers وطبعاً شكر خاص لكل من وقف بجانبنا وبالأخص د. جُمعة.
تحياتي /«هشام» سليمان

ابتسمت في حُب وهي تقرأ تلك الكلمات التي نشرها في صفحة التدريب ليعلمهم بما حققه مشروعه.. تطلّعت إلى الصورة التي أرفقها مع الكلمات.. صورة تجمعته هو وأعضاء فريقه وأعضاء لجنة التحكيم أثناء تسلّم الجائزة.. هنأته كما فعل كل زملائهم.. كانت سعيدة لأجله.. فخورة به.. ورغم ذلك وجدت الحزن يتسرّب إليها لسببين.. أولهما أنه لم يحقق المركز الأول كما كان يطمح.. فحزنت لأجله وتمنّت ألا يكون حزيناً لذلك.. والسبب الثاني في حزنها.. أنه في تلك الصورة كانت (...) تقف بجواره.. فهي في فريقه.. وجدت

زهرة ألم الغيرة يطعن صدرها.. وهذا السؤال الذي يلح عليها ويسحق
ضلوعها.. هل تكون هي (....)؟

- أنا حلمت انك مش هتروح الجيش.. انت عملت إيه؟
- اترشحت ضابط (😊)

- Are you happy ? Hesham, tell me more please -

انتظرت دقائق.. لم يأتيها منه رد.. أدركت أنه لم يعد موجودا وسيعود لاحقا..
وجدت أصابعها تكتب تلقائيا ما يجول في صدرها :

- تعرف يا «هشام».. الأيام اللي فاتت كنت بسمعك بتدعيلي.. والله يا
«هشام» انت كنت بتتكلم معايا وأنا في الغيبوبة.. أنا كنت بسمعك.. مكنش
في أي حاجة غيرك.. وكنت بقولك قد ايه أنا حاسة بألم.. وانت كنت
بتهديني.. أنا مكنتش لوحدي.. أنا عمري ما حسيت إني بعيدة عنك.. انت
هتروح الجيش أكيد؟ عارف؟ أنا لو مت هبقي مبسوفة أوي.. عارف ليه؟
عشان لازم حياتك يكون فيها حاجة مستعد تموت عشانها.. وأنا لقيت
الحاجة دي.. عارف الفترة دي احنا بنتكلم بس في صمت.. لو هتروح الجيش
لازم تقولي امتي بليز.. عشان في حاجة عاوزه أعملها لو ربنا اداني العمر.. آه
صحيح خلي بالك من روحك.. ربنا يحميك

Send

شعرت أنها أزاحت حملا ثقيلًا عن صدرها.. مجرد أنها باحت له بما في
داخلها غمرها بالراحة.. تناولت طعاما خفيفا حسب تعليمات د. يحيى أعدته
لها أروة تجنبا لألام المعدة المجهفة.. استحممت.. توضأت.. ارتدت ثياب
الصلاة.. مارست طقوسها اليومية.. ثم استلقت ثانيا على سريرها.. بينما

جلست أروة على المقعد المواجه للسرير تتصّفح الفيسبوك وهي ترتشف القهوة.. فتحت زهرة هي الأخرى الفيسبوك ولكن من خلال هاتفها كما تفعل في الغالب..

لم تجد ردا على رسالتها له.. فقط ظهرت لها كلمة seen أسفل الرسالة.. أي أنه قرأها.. وجدته.. لم تحدثه.. تركته حتى يرد.. ولكن دقائق قلبها كانت تملو وتتسارع.. حاولت تخفيف ذلك التوتر والترقب.. قالت لأروة :

- شغليتنا أغنية حلوة نسمعها.. هتلاقي عندك اللاب فيه كذا فولدر مليونين أغاني

- أوك.. عايزة تسمعي إيه؟

- ماجدة الرومي.. كلمات

مضت دقيقة وأروة تبحث حتى وجدت الأغنية.. انطلقت الموسيقى.. تبث سحرها في الروح.. استسلمت للموسيقى تمامًا.. تخدّرت أعصابها.. أغمضت عينها وهي مسترخية على سريرها.. لتستحضر تلك الرقصة!

يُسمعي.. حين يراقصني.. كلمات ليست كالللمات
يأخذني من تحت ذراعي.. يزرعني في إحدى الغيمات
والمطرُ الأسودُ في عيني.. يتساقطُ زخاتٍ.. زخات
يحملني معه.. يحملني.. لمساءٍ وردي الشرفات
وأنا.. كالطفلة في يده.. كالريشة تحملها النسيمات
يهديني شمسًا.. يهديني صيفا.. وقطيع سنونوات
يخبزني.. أني تحفته وأساوي آلاف النجمات
وبأني كثر.. وبأني أجمل ما شاهدت من لوحات
يروى أشياء تدوخي تنسيني المرقص والخطوات
كلماتٍ تقلبُ تاريخي تجعلني امرأة في لحظات

زهرة اختارت تلك الأغنية لأنها رقصت عليها أمام «هشام» في الحلم.. في حلمها كانت ترتدي فستانا شيفون أبيض.. الفستان ضيق حتى الخصر.. ثم يتسع تدريجيا ليصنع دائرة مروحية وهي ترقص وتدور مع إيقاع الموسيقى.. تتمايل يمينا ويسارا.. تخطو وهي تهز خصرها انفعالا.. ينسدل شعرها الحريري حتى نهاية ظهرها تميل بجذعها العلوي.. فيتطاير شعرها بعنفوان.. تفرد ذراعها عن آخرها وهي تميل بجذعها للأسفل حتى يلامس شعرها الأرض.. لتستقيم ثانية بجذعها العلوي.. فيثور شعرها في الهواء ويغطي وجهها.. وتظل تهز خصرها.. تقف على أطراف أصابعها.. ثم تدور بجسمها فجأة دورات سريعة متصلة.. تظل تدور في دوائر كراقصي الباليه.. حتى تصل إليه هناك.. جالسا أمام طاولة يتطلع إليها.. بابتسامته الخلابه.. تمد له يدها.. يأخذها.. ويسير معها.. لا تتوقف هي عن الرقص.. لا يتوقف هو عن منحها تلك النظرة الآسرة.. هما وحدهما.. لا أحد غيرهما والأغنية تشطرهما نصفين.. تضع إحدى يديها على جانب رأسها.. بينما يتحرك جذعها السفلي في ليونة ومرونة.. تهتز.. يتطاير شعرها.. ويطيّر عقله.. تهز كتفها.. فهتز نهذاها.. يتزلزل قلبه.. تتمايل بعنفوان ناحيته.. تجذبه بالعنفوان نفسه.. تسحبه من رابطة عنقه.. يخاصرها بكلتا يديه.. تتقابل أعينهما.. يراقصها.. يطيرها.. يدوّخها.. تدفعه عنها في دلال.. وتكمل الرقص في جنون.. بيتسم لها عن آخره.. فتضيع هي فيه.. تعود إليه ثانية.. تقترب منه.. ترفع ذراعها فيحنى لتحوط رقبتة بهما.. وتحكمهما طوقا عليه.. تجذبه من قميصه وتحضنه ويخاصرها من جديد..

أنا مش بدعي لحد إلا لحببتي ولا بفكّر في حد ولا عايز حد يفكر فيا إلا هي بس.. دي الحاجة الوحيدة إلي من حقها هي وبس.. ومش من حق أي حد

سيكبتها.. سيقمعهها.. ولكنه فتح على نفسه بابا لا يستطيع أن يوصده الآن..
ها هي تلقت أهانته ولم تبتلعها.. لم تمض دقائق ووجدتها تنازله بشراسة!
على عكسه تمامًا.. فهو قبل أن يطعنها برسالته ردًا على ما قالت.. فكّر كثيرًا..
لزم الأمر ساعة وأكثر حتى يوجعها في مقتل وها هي تكيل له الضربة! عشر
دقائق مضت بعد رسالته.. وها هي تشهر كلماتها في وجهه.. ماذا يقول؟

- ماشي يا عم الدماغ الكبيرة أصل أنا دماغي على قدها..

أضاف مكابرا :

- ويا ريت بلاش بتنجان دي تاني

أدركت من رده أنه مُرتبك.. وأنها حاصرته وثأرت لكرامتها.. كتبت في سخرية
موجعة :

- مش هيبقي فيه بتنجاااااان تاني صدقي.. ده كان زمان.. بعد كده إن شاء
الله في جاتوه وبس

ابتلع سخريتها.. سألتها مغيرا الموضوع :

- انتي فاتحة فيس من الموبايل ولا اللاب؟

أدركت هروبه.. فكتبت في وجع :

- «هشام».. أنا بجد بجد ربنا عالم أنا بتنفس ازاي الفترة دي.. بليز بالراحة
مش كده.. الضرب في الميت حرام.. أوك؟

- طيب والقسمة؟

هزّت رأسها.. لن تتغير يا «هشام».. عندما تصر على الهروب والمزاح
والسخرية فهذا معناه أنك في موقف ضعيف.. لن أثقل عليك أكثر من ذلك
رغم ما تسببه لي من ألم.. كتبت :

- هتروح الجيش امتي؟ الجيش ده تهذيب وإصلاح على فكرة

- لسه شوية كده.. انتي صحتك عاملة إيه؟

- بعد ايه بقي صحتك عاملة ايه

واصل السؤال وكان لم يحدث شيئاً :

- التشخيص النهائي اسمه ايه أو عندك ايه بالظبط؟

- الدكتور مش عارف يعمل ايه.. في مشاكل.. نتايج التحاليل مش متوافقة مع الأعراض خالص.. بيقولي إن في أسئلة كتيرة مش لاقى اجابات لها..

فهنعيد التحاليل تاني.. ولو طلعت negative ساعتها يحولني psycho.. وقفت معظم الأدوية اللي باخدتها الفترة دي لحد ما نشوف نتيجة التحاليل عشان كده فايقة شوية.. بس طبعاً بتنفس بألم صعب أوي

- ده دكتور تخصصه ايه بالظبط؟

- باطنة وقلب.. ومعاه ماجستير من جامعة عين شمس ودراسات من برا.. دكتور شاطر جداً.. هو يبقي صديق لأخويا الكبير.. وبيعالج أمي من زمان برضو

- إن شاء الله خير.. وربنا يشفيكي باذن الله

- ايه ده انت بتدعيلي على فكرة!! لا لا ما يصحش

- أه تصدّقي صح

- خد بالك بقي بعد كده

ومضت في ذهنها أسئلة تود معرفة إجاباتها.. وجدت الفرصة سانحة كي تتخلص من ذلك الأرق النفسي الذي يأكلها يوماً بعد يوم.. سألته بالتدرج :

- «هشام».. ليه صورة البروفایل دي؟ بألك كتير كده

- ايه رأيك؟ انتي عارفة ايه دي أساساً؟

كانت الصورة عبارة عن رجل عجوز يعني رأسه وكأنه يبكي.. تظهر على ملامح وجهه الأسى والتأثر الشديد.. تأملت الصورة ثانية رغم أنها باتت تحفظها عن ظهر قلب حد الألم.. كتبت له..

- انت حزين؟

- لا لا قوليلي بس ايه وصف الصورة على حسب ما فهمتي

كتبت في ضجر ساخر..

- أنا اكتشفت اني مش بفهم.. يلا المايك معاك

- يا حول الله يا رب.. أنا بسأل انتي فهمتي ايه.. وبعدين أنا هقولك حكاية الصورة دي

هي لا يهمها تلك الصورة.. ما يهمها هو صورة الغلاف.. التاريخ المكتوب عليه بخط كبير 27-5-2012.. يؤرقها كثيرًا هذا التاريخ المكتوب في صورة الغلاف.. خاصة أنه وضع الصورة يوم عيد ميلاده.. ولم يقم بتغييرها حتى الآن.. وراء ذلك التاريخ سر أو قصة ما.. لذا لن تصبر أن يشرح لها معني الصورة الأخرى .. قفزت مباشرة إلى السؤال المبتغى :

- بلاش صورة البروفایل.. خلينا ف صورة الcover.. تاريخ الفالنتين بتاعك ده؟

- لا استني أقولك على صورة البروفایل

أرسل لها الصورة الأصلية قبل أن يقص منها وجه الرجل العجوز.. وفي الصورة الأصلية كلمات تحكي قصة الرجل.. قرأتها..

امتنع رجل عجوز عن ارتداء نظارته الطبية بعد وفاة زوجته فسألوه عن السبب.. فقال: لا شيء يستحق أن أراه من بعدها

اهتز قلبها.. كتبت له..

- يا قلبي ياني.. استطردت في قلق..

- قصة الراجل ده لها علاقة بيبك؟

- لأ

- وليه وجع القلب ده طيب؟

- ده مش وجع قلب على فكرة.. ده راحة قلب

- أممممم طيب.. وخطوبتك امتي بقى؟

فجأة انطفأت العلامة الخضراء.. اختفي.. انتظرته عشر دقائق لم يظهر ثانية.. تطلعت إلى الساعة.. كانت تشير إلى الثانية والنصف بعد منتصف الليل.. تركت له كلمات ساخرة قبل أن تغلق الفيسبوك وتخلد إلى النوم. أحسن برضو.. روح نام ومنتشاش تتغطي كويس وتشرب اللبن.. أوك؟

استلقت على سريرها.. أغرقت دموعها الوسادة.. بكت في صمت حتى لا تشعر بها أروة وتستيقظ على صوت بكائها.. بكت في قهر.. لم القسوة يا هشام؟ هل حقًا تغيرت؟ لم أصبحت هكذا؟ وكيف أصبح وجعي هين عليك لهذا الحد؟ هل مرضي بك وضعفي أمامك وحيي لك زادوك قسوة على قسوة؟ من أين لك هذا الجبروت يا هشام؟ راحت تسترجع رسالته القاسية ((أنا مش بدعي لحد إلا لحبيبتي ولا بفكر في حد ولا عايز حد يفكر فيا إلا هي بس.. دي الحاجة الوحيدة إللي من حقها هي وبس.. ومش من حق أي حد ثاني..))

من هي يا هشام؟ ومتي؟ وكيف؟! كيف حدث هذا يا هشام؟ كيف؟ مطرقة تدك رأسها.. ودمعاتها تسيل بلا توقف.. وتباطأ دقات قلبها حد الاختناق.. تعاودها نوبة الاختناق من جديد.. تتحامل على ألمها وتذرف دمعاتها في صمت.. شعرت بأزيز الهاتف تحت وسادتها.. رفعت رأسها عن الوسادة والتقطته في خفة.. وجدت رسالة نصية منه.. فتحتها بسرعة.. لتجد كلمة واحدة فقط كتبها لها.. (disconnect).. أي أنه لن يتمكن الليلة من إكمال حديثه معها على الفيسبوك لأن الشبكة بها عطل.. وضعت الهاتف تحت الوسادة.. وتدفقت دمعاتها أضعافا مضاعفة.. حتى سقطت في النوم..

أقسمتُ أن تتجنّب بعد تلك الإهانة.. ستجاهله.. لن تحدّثه.. بل ستعمد أن تتفاعل على الفيسبوك في الوقت الذي يكون فيه متواجداً وتظهر

منشوراتها أمامه.. وتبادل التعليقات مع كل أصدقائها.. وكأنه خيال.. عقدت
النّية والعزم أن تفعل ذلك.

ليكن أيها القدر.. مكتوب أن يكون «هشام» هو وجعي وأنا لا حيلة لي ولا
طاقة لي بفراقه.. سأتحمل وسأرضي أن أكون في معيته وقلبه يدق لغيري في
حين قلبي يخفق حد الاحتضار له.. سأصبر علي هذا الابتلاء حتى ينظر الله في
أمري.. سأرضي بكل ما ألقاه

وأعانيه من عذاب حتى يرزقني ربي كما وعد وأقسم بعزته وجلاله في
حديثه القدسي " من رضي بقدري أرضيته علي قدري

و عزتي و جلالي لأرزقن من لا حيلة له حتي يتحير أصحاب الحيل...«
يا الله! لقد مضت أيام على عيد ميلاد أمها ولم تعابدها! خجلت من نفسها..
كيف نست ذلك.. وبم ستكون حجتها أمام أمها.. لا بد أن صمت أمها هذا
حزنا.. صدفة القدر الغريبة أن «هشام» وأمها من مواليد نوفمبر.. «هشام»
مولده في الثالث من نوفمبر أما أمها في التاسع عشر من نوفمبر.. عليها الآن
أن تهاتف أمها.. وتهنئها بتنصيب قداسة البابا تواضروس وتعتذر لها عن
نسيانها عيد ميلادها.. حتّمًا لن تخبرها أنها مريضة وفي دوامة جرح غائر حتى
لا تقلقها عليها.. ستكتتم عنها أمها.. ولن تخبرها حتى إنها الأيام الماضية
سقطت في غيبوبة.. ستكتتم عنها ذلك.. استجمعت نفسها.. وهاتفت أمها..
أتاها صوت أمها يحمل لهفة وعتب وقلق أمومة جارفة..

- لا أنا زعلانة.. كل الفترة دي ما تسألش عني.. وأكلمك ألاقي موبايلك
مقفول.. وأسأل اخواتك يقولولي نائمة.. ايه نسييتي أمك؟ بحلم بيكي وحاسة
انك مش كويسة وفيكي حاجة.. قلبي مخضوض عليكي يا ضنايا.. فيكي إيه؟
انهمرت دموعها.. شعرت بمدى حاجتها للبكاء على صدر أمها.. لكنّها خبأت
وجعها عنها.. خرج صوتها مبتسما يحمل شوقا :

- يا ست الكل.. هو أنا أقدر أنسي كارما حبيبتي؟ والله غصب عني انشغالي
عنك.. ومتقلقيش أنا زي الفل هيكون فيا ايه يعني ça va bien.. انتي بس اللي
قلوقة.. سامحيني اني مكلمتكيش في عيد ميلادك يا قمر.. Désolé maman
قالت كارما في خجل وحُب :

- عيد ميلاد ايه يا لوتس.. كبرت على الكلام ده.. أنا بس زعلي انك تقعي
الأيام دي كلها من غير ما تكلميني.. وحشتيني
- حقك عليا يا حبيبتي.. أوعدك مش هتكرر تاني..
قالت أمها في لهجة مرحة :

- خلاص يا لوتس أنا أول ما سمعت صوتك مبقتش زعلانة..
أردفت في حنان وتأثر :
- المهم انك بخير يا ضنايا..

اختلج صدرها.. كتمت انفعالاتها.. قالت :
- maman.. بهنيكي بمناسبة تنصيب قداسة البابا تواضروس
فاضت دمعة من عيني كارما تأثرا.. تهدج صوتها وهي تقول :
- Merci beaucoup ma chère.. ربنا يحافظ عليك ويحميكي..

مضي يومان فقط على تجنبها المتعمد له.. يومان فقط.. وفي اليوم الثالث
هاتفها! حدقت غير مصدقة وشاشة المحمول تومض معلنة عن استقبال
مكالمة جديدة من «هشام».. والأكثر غرابة أن كلا منهما الآن يظهر للآخر
متواجدا على الفيسبوك.. ولكنه لم يحدثها كتابة.. بل التقط هاتفه وطلبها..
هل تشعر بشيء غريب يلوح في الأفق يا هشام؟ هل تلوم نفسك على
قسوتك معها في المحادثة الأخيرة؟ هل تشعر بتجنبها لك؟ هي لا تتجاهلك بل
تتجنبك.. وأنت تعلم جيداً الفارق بين أن تتجنبك زهرة وبين أن تتجاهلك..

ما الذي دفعك للاتصال بها هكذا؟ ما هو السبب الحقيقي وراء مكالمتك لها؟ هل هو شوق؟ تأنيب ضمير؟ فراغ بدأ يغزوك؟ أم كل هذا؟ وماذا عن حبيبتك المزعومة الآن؟ أليست هي الأجدر باتصالك هذا بدلا من زهره؟ غامض أنت يا «هشام»..

أما زهرة.. فرحت أكيد.. شعرت بالإنصاف.. تلك المكالمات استعادت بها عافيتها وثقتها بأن «هشام» لا يستطيع تحمّل اجتنابه.. وهذا يعني لها الكثير.. ارتعشت يدها وهي تضع الهاتف على أذنها.. تلاحقت دقات قلبها.. وجاء صوتها يعج بفرحة خجولة..

- ازيك يا «هشام»

انفجرت أساريره عن آخرها.. هو يعلم أنها الآن سعيدة بتلك المكالمات.. سعيدة بسماع صوته.. هو يعلم ذلك.. يعي جيدا مدى تأثيره عليها.. وهذا يزيد به سحرا ويضفي عليه جاذبية لا تقاوم.. قال بلهجة مُرَحَبَة.. لهجة احتفاء :

- الحمد لله يا زهرة.. انتي عاملة ايه وصحتك عاملة إيه؟

- الحمد لله.. بخير

- يا رب دائما.. أنا قلت أسأل عليكي عشان مش باينة بألك كام يوم.. مش موجودة على الفيسبوك

تدفقت الغبطة إلى شرايينها.. وضخّ البهجة قلبها.. تماسكت حتى لا تفلت منها ضحكة عالية.. وعقلها يتحدث في صمت.. (قال مش باينة قال.. أو مال مين أون لاین قدامك).. قالت في لهجة ودودة :

- ربنا يخليك يا «هشام».. سألت عليك العافية

لم يجد ما يقوله.. صمت هنيئة.. وسرت بينهما ذبذبات الصمت اللذيذة المتواطئة.. تهدج صوته ارتباكاً وهو يقول في حرارة أذابتها :

- طب يا زهوره تؤمري بأي حاجة

اتّسعت ابتسامتها عن آخرها كطفلة حنا عليها أبوها بعد قسوة ومنحها شيكولاتة مرتّتا عليها.. قالت :

- ميرسي كثير يا «هشام»

انتقلت إليه عدوى ابتسامتها عبر صوتها الطفولي الناعم.. أدرك أنه صالحها.. وأنها الآن تذوب كقطعة سكر.. تلح عليه رغبته في تذوقها.. ولكن استعاد رباطة جأشه وهو ينهي معها تلك الجولة :

- طب يلا باي باي

- باي باي

التقطت أنفاسها مأخوذة غير مصدقة ما حدث.. ما زالت لها مكانة.. زهره لم تفقد بريقها في قلب «هشام».. ولكن لم القسوة؟ هناك حلقة مفقودة.. ستبحث عنها.. ولن تيأس..

- سبحان مغير الأحوال!!!ال!

قالتها أروة في دهشة وهي تخبط كفا على كف.. فضحكت زهرة.. وتورد
خدنها.. لمعت عينيها في جذل.. تركت أروة الحاسوب واستلقت بجوارها وهي
تقول :

- لا لا الموضوع شكله كبير.. انتي اتحولتي 180 درجة ما شاء الله.. حبيب
القلب عملك إيه؟

أغمضت زهرة عينيها.. وهي تقول بصوت أقرب للممس :
- اللي موجود ف صيدلية حبيب القلب لا يمكن يكون موجود ف أي
صيدلية

- سيدي يا سيدي.. ده احنا بنقول شعر
- شعر؟ تصدقي يا أروة أنا فعلا محتاجة أكتب شعر.. أنا ف حالة إلهام..
نهضت من سريرها.. خطت حتى مكتبها الرابض في زاوية الحجر.. تناولت
قلما وكراسا.. وراحت تفرغ إلهامها الجديد..

Kiss

Yes this is a kiss

For the only one whom I heavily miss

But where shall I put this kiss?

I wanna put it on lips

And let me explain how I live in emptiness

How my soul is tortured and lives in loneliness

How my heart is burnt by sadness

Still dreaming to wear for you one day a wedding dress

And the whole people witness

How I live an immortal happiness
Give me this honor to be your princess
For me , to be your wife, it is an incomparable blessedness
By God only one kiss
Let us taste its sweetness
Give me this kiss
To feel no pain , to feel no stress
Just one kiss
Even more but not less
Can't you feel my love??
Can't you feel my thoughtfulness? ?
One kiss
To feel this calmness
To find this inner peacefulness
Cannot explain to you how your eyes impress
Cannot find words.. cannot express
Your eyes always let me speechless

My eternal soulmate,,love is to be selfless
How I love you respecting my weakness
How I love you appreciating my madness

But when you ll show me again your gentelness??
When you ll get rid of your coldness??

When you ll understand that you are
the reason of my sickness??

When you ll believe that because am loving you,
am losing my mind and my awareness????

Loving you, loving you and waiting one day for this kiss

وجهها يضطرم ويظل يبرد ويغيب.. يشرق ويغرب.. يزداد احمرار وجنتيها..
تلثث انفعالا.. تتلاحق أنفاسها.. وكأنها في ذروة نكاح أو ولادة.. هكذا هي زهرة
عندما تكتب.. تصبح كالمحمومة.. تستغرق ولا تشعر بالعالم حولها.. هذا
لأنها تكون في عالم آخر.. عالم «هشام».. تتسابق الكلمات في ذهنها مع القلم
في مراثون حتى تفرغ شحنتها العاطفية.. وتنتهي منهكة من فرط اللذة.. لذة
الكتابة!

تطلعت إليها أروة مأخوذة وهي غارقة في كتابتها.. كانت تدرك أن زهرة الآن
أشبه ما تكون في غيبوبة.. منومة مغناطيسيا.. وعندما انتهت زهرة.. ارتخت
ملامحها.. لاننت.. انتعشت.. شيء ما تغير في وجهها للأفضل.. ابتسمت أروة في
دهشة.. وتمتمت في أعماقها.. سبحان الله.. هي تفهم جيدا أن الإنسان
الموهوب يختلف عن غيره في طبيعته.. الموهبة منحة وهبة من الله الوهاب
يهبها من يشاء من عباده..

زهرة فنانة.. شاعرة وكاتبة.. تتحكم فيها موهبتها.. تجعلها متقلبة المشاعر..
مزاجية.. كما أنها جوزائية.. أحيانا تبتمس وتبدو في أوج سعادتها وتشعر أن
العالم جنة وأن «هشام» معها ولا يوجد في قلبه غيرها ويكن لها حبا خاصا..
ويوما ما ستصبح زوجته.. ستمنحه طفلته.. يغمرها التفاؤل وتحوطها

العواطف المتأججة.. ستصبر حتى تنوله.. إنه يخفي حبا خلف تلك القسوة المستجدة..

و ما هي فيه مجرد أزمة.. محنة عارضة ستنتهي وتزول.. تستبشر خيرا.. ففي كل محنة منحة كما تقول الأسطورة.. «هشام» يرتاح معها.. يسكن إليها.. هي تعي ذلك.. بل تؤمن به.. «هشام» يدرك مدى حياها له.. لن يجد في هذا العالم امرأة تحبه مثلها.. تفهمه.. تشعر به.. امرأة تهيم به.. مريضة به.. رجل مثل «هشام» وعلي هذا القدر من الذكاء.. لن يضيعها من يده.. هو يعرف من تلك المرأة.. امرأة احتلته من دون أن يرى ملامح وجهها.. امرأة كتلك لا تتكرر مرتين.. تأتي مرة واحدة في العمر.. كالموت والولادة.. وهو يدرك جيدا أنها ستظل متشبثة به مهما كانت قسوته.. مهما تدرع لها بمحاولات حتى يقصمها عنه.. ستشبث به أكثر.. هو قال لها أنه مرتبط بغيرها.. هناك أنثى غيرها في حياته.. ولكنها حتى الآن لم تشم رائحة أي أنثى غيرها.. لم تلمس دليل مادي واحد يؤكد لها ما قاله حتى الآن.. لم يبعدها عنه؟ هذا ما تحاول فهمه.. تلك الحلقة المفقودة ستجدها يوما ما.. هو يبعدها عنه خارجيا ولكنها تشعر بروحه تجذبها بشدة..

أحيانا أخرى يسيطر عليها الصمت والوجوم.. تنعزل.. تنام لساعات طويلة.. تشعر أن «هشام» ضاع منها.. لقد فقدته.. ولن تستعيده ثانية.. «هشام» فضّل عليها أخرى.. «هشام» أصبح قاسيا.. واستمرارها معه إهانة لها.. تصعب عليها نفسها.. تبكي في قهر.. هي تعي أنها لن تتحمل الابتعاد عنه.. لقد جرّبت ذلك وفشلت.. تلتهمها الظنون.. ماذا يشير ذلك التاريخ على صورة غلاف صفحته الشخصية فيسبوك.. هل هذا هو اليوم الذي صرّح لها بحبه.. هل الفترة التي تعرفت فيها عليه وانجذب لي كان في قطيعة معها.. وبعد أن فارقتة أنا عادت إليه هي؟ متى حدث ذلك؟ صورة الغلاف ذات التاريخ.. قد قام بوضعها يوم عيد ميلاده.. هل معني ذلك أنها عادت إليه

وعايدته في عيد ميلاده؟ تسرح بخيالها وترجع بالذاكرة لصورة الغلاف التي وضعتها بعد أن حذفته بأربعة أيام.. تلك الصورة المكتوب عليها No girls allowed.. هل كان يعني وقتها أنه ارتبط؟ لا أفهم شيئاً.. تمسك رأسها بيدها من ألم التفكير والصداع وتهمر دموعها وجعاً.. وإن كان فعلاً يحب غيري فلم بحث عني في مرضي؟ لم يظل يكلمني؟ هل هو يعطف عليّ؟ هل يشعر بالذنب تجاهي؟ هل يشفق على حالي؟ تقتلها الأسئلة بالتقسيط.. تتعذب.. تعاني عذاباً فوق طاقتها.. تتمني الموت.. لن تتحمل فقدانه طويلاً.. تسحقها الحسرة.. وتظل تئن.. لا أتحمل هذا الجحيم.. سعير قلبي يحرقني.. أريد أن أموت.

بعد هذه المكالمات وتلك القصيدة لم تستطع أن تنام.. وجدته في ساعة متأخرة من الليل.. كتبت له وهي تبتسم :

- أنا موجودة على فكرة

- welcome 😊

- لا أنا أقصد اليومين دول.. يمكن عشان وقفت العلاج الفترة دي فبقيت فريقة شوية

- gooooood.. ده كويس جداً.. ربنا معاكي إن شاء الله..

سألها :

- انتي ليه حصلك كل ده؟

شعرت بوخزة مؤلمة في قلبها.. اختلجت.. ملأت الدمعات عينها.. يا له من سؤال سهل صعب! هل تريد أن تقنعني بأنك لا تدري اجابته.. أم أنك تود أن تسمعها مني.. تود أن أقول لك نعم يا «هشام».. إنه أنت السبب.. ما

أعانيه هو أنت.. أنا مريضة بك.. بكت.. عزّ عليها قلبها.. صعبت على نفسها..
كتبت له :

- انت أخبار الجيش إيه؟

أدرك هروبها.. كزّر عليها السؤال في إصرار.. حد أنها كانت تشعر بحروف
كلماته تخترقها :

- ليه حصلك كل ده؟

لم ترد.. انتظرها طويلا.. مضت عشرون دقيقة ولم ترد.. سألتها للمرة الثالثة..
هو متأكد أنها موجودة... التزمت الصمت..جاءه الرد بعد دقائق أخرى..
ولكن الرد كان مختلفا.. قامت بنشر رابط أغنية على صفحتها الشخصية..
فتح رابط الأغنية وراح صوت Evanescence الرقيق الحزين يتردد في
السكون وبدا عليه التأثر..

I'm so tired of being here

Suppressed by all my childish fears

And if you have to leave

I wish that you would just leave

'Cause your presence still lingers here

And it won't leave me alone

كانت زهرة هي الأخرى تستمع إلى الأغنية.. بكت بشدة عندما وصلت

..Evanescence إلى ذلك المقطع..

These wounds won't seem to heal

This pain is just too real

There's just too much that time cannot erase

نعم يا «هشام».. هذه الجروح لا يبدو أنها ستندمل.. هذا الألم يوجعني

بشدة.. ولن يستطيع الوقت أن يمحو هذا كله يا «هشام»..

اهتز قلبه.. عندما صدحت Evanescence قائلة..

You used to captivate me by your resonating light

Now I'm bound by the life you left behind

Your face—it haunts my once pleasant dreams

Your voice—it chased away all the sanity in me

كانت زهرة تبكي وجعا.. فهي تشعر بكل كلمة في هذه الأغنية.. تعبر عنها
تماماً.. نعم تعبر عني يا «هشام» فأنت اعتدت أن تأسرنى بعقليتك المستنيرة
كما تقول Evanescence..

وأنا الآن محاصرة بالحياة التي تركتها أنت خلفك.. وجهك يا «هشام» يطاردني
في أحلامي الجميلة.. صوتك أطاح بعقلي.. انفجرت منتحبة في بؤس عندما
صرخت Evanescence..

I've tried so hard to tell myself that you're gone

But though you're still with me

I've been alone all along

نعم لقد حاولت باستماتة أن أقنع نفسي أنك تركتني.. ولكن رغم أنك لا زلت
معي.. فقد أصبحت وحيدة يا «هشام».. وما زلت لك فأنت تملك كل ما في..
وصدّقت على كلامها Evanescence.. وأخبرته أنه لا يزال يملك كل ما في
زهرة..

You still have all of me

في اليوم التالي.. تصفحت الفيسبوك وكما العادة تفقدته خلسة.. وجدته ..
طوال النهار.. وفي المساء متواجد.. غريب أمرك يا «هشام».. تستطيع هي أن

تراه وهي غير مرئية.. خاصة يتمتع بها هاتفها المحمول.. ولهذا تفضله عن حاسوبها.. قبل منتصف الليل بقليل.. حادثه..

- بتبقي أونلاين كثير الأيام دي

- اها.. تغيير

..سألته..

how is life ? -

good.. And you? -

- الحمد لله..

باغتها بسؤاله..

- انتي ليه ما ردّتيش امبارح؟

حسنت أمرها تلك المرة.. لن تهرب.. ستبارزه :

- و انت ليه عاوز تعرف؟

أسقط في يده.. كتب في لا مبالة كاذبة :

- لو مش عايزة تقولي قوليلي مش عايزة أجاب وعادي قشطة

كتبت في انفعال :

- لا مش كده.. أعتقد انك عارف الإجابة.. وعموما أنا ردّيت وحاولت اني

أوصل ده على قد ما أقدر

كانت تقصد أنها أجابت سؤاله من خلال أغنية Evanescence.. صحيح أنها

لم تصرّح بذلك.. لم توجّه له الأغنية بشكل مباشر.. نشرتها على صفحتها..

ولكن ضمنيا هو يعي أن ذلك هو الرد.. وها هي الآن أكدت له.. فكان ردّه :

- أممم.. اولك تمام

كتبت في غيظ :

- كالعادة ترنقني ف أسئلة انت عارف اجاباتها.. معرفش مزاجك ايه ف كده

- يا زيكو قلتلك خلاص ما تجاوبيش

- that's you .. لو معملتش كده تبقي مش هشام

- ودي حاجة كويسة ولا وحشة؟

ابتسمت في حُب وهي تكتب :

- I don't know, but I love this way

أضافت :

- رغم إنها بتتعبني جدا

ابتسم عن آخره.. وكيف لا يبتسم وهو في حضرة امرأة استطاعت

بإحساسها أن تفك طلاسمه.. تفهمه.. امرأة مرآة لروحه.. ها هو جالس

يحادثها كتابة.. ليكتشف أنه جالس أمام المرآة يطالع روحه.. طباعه.. من

خلالها.. يا الله! تعجبه طريقتهما.. يحب مشاكستها.. اكتفي بإرسال وجهه

مبتسم:

- 😊

- قولي بقي انت ليه بتعمل كده معايا؟

- اللي هو ايه

كتبت في نفاذ صبر :

- اللي سألتني عليها ودي حاجة كويسة ولا وحشة وجاوبتك

واصل استفزازها :

- ايه هي؟

- لا اله إلا الله.. اللي بتعملها دلوقت

- بصي يا زهرة أنا عايز أفهمك حاجة.. أنا دلوقت 12 أونلاين بكلمهم.. ف

مش ببقي مركّز مع حد أوي.. ف عادي لو نسيت لأن ده بيحصل كثير

فارت الدماء بوجهها.. شعرت بحرق.. إلا أنها كالعادة أشهرت كلماتها في وجهه

:

- أولك.. بس انت كنت مرگز من امبارح اني مجاوبتش سؤال.. ومش نسيت
برضو على فكرة

- عشان مش بنسى الناس اللي بتقفل معايا من غير ما تقول سلام
- ما تشوف سؤالك كان عامل ازاي.. ما عرفتش انطق.. سؤالى بقي دلوقت
ليه بتسأل أسئلة عارف اجابتها وليه بتسأل أسئلة صعبة؟
- فضول

- مانت عارف الإجابة.. فين الفضول ف كده؟
- وأنا لو أعرف كنت سألت؟ بس اللي بتقوليه أو اللي كان بيحصلك ده مش
منطقي شوية.. تأثير صدمة مبيعلمش كده ف أصعب حالاته.. ده يبقي
نفسيا أو عند اشتداد الحالة النفسية بتظهر حاجات أو ضعف في حاجة
كانت موجودة أساسا وما بتبانش إلا في الأوقات دي.. ده اللي أنا فهمته.. ف
قلت أسأل أشوف ده صح ولا ايه اللي حصل بالظبط يعني.. فهمتي؟
اختنقت.. كتبت :

- عاوز تقول إيه؟
- لا أنا مش فاهم إن أساسا ممكن صدمة لحاجة زي دي يكون دي الأعراض
بتاعتها كلها ولا ده بيكون موجود وبيحصل.. الأعراض دي بتكون لضعف أو
تعب قديم ولما بتشتد الحالة النفسية بيحصل ده..

بلغ اختناقها مداه.. كم تأملت من كلامه.. كتبت وهي تغالب دموعها قهرا :
- ولا هتفهم يا «هشام»

غضب.. شعر بمهانة.. ولكنّه كان لزاما أن يتذوّق ما هي تجرّعه منه.. ردّ :
- ده من ذوقك

تدفقت دموعها كالنافورة.. أهكذا يا هشام؟ صرنا نتراشق الإهانات؟ كتبت :
- وليه يعني كده؟ إذا كان على ذوقى والله عندي ذوق.. انت نفسك قلتهالي
قبل كده.. فاكر زمان لما قولتلي انتي ذوق جدا؟ المهم انت فعلا مش فاهم

وأنا أما أقول كده مش قصدي حاجة فعلا.. انت مش فاهم.. مش مستوعب.. دي كل الحكاية

أوجعه الكلام هو الآخر.. اختنق هو الآخر.. كتب :

- انتي تعرفي الأيام دي كل ما بتكلم معاكي واللّه بخلص كلام معاكي وأنا متدايق

اشتد بكاؤها وهي تسألّه :

- ليه أنا بعمل ايه يا هشام؟

أدرك أنه أوجعها لأقصى حد.. حاول أن يهدأ ويسيطر على انفعالاته.. كتب في حنق..

- ولا حاجة يا زهره انفجرت فيه :

- لا بليز قول.. واللّه أنا عاوزة أعرف أنا بدايق في ايه.. انت مش قلت اني بقيت أدايق؟ كمل كلامك بقى

- ليه عشان أتدايق أكثر يعني؟ أنا بتكلم معاكي عادي وبتسألني وبجاوبك وانتي بتجاوبي وعادي بقولك على حاجة شايفها بوجهة نظر معينة تروحي انتي ترددي رد زي ده؟ مع اني أساسا مباحدش وأدي مع حد في الكلام كده.. ولما الأقي رد كده عايزاني ايه طيب؟

أنهت معه المحادثة في انهيار تام :

- أسفة.. أنا نفسيا تعبانة.. بس أنا برضو قبل كده كنت بشكرك في مسدج و إنني ممتنة إنك سألت عليا وكنت بتكلم بعفوية وبقولك إن سؤالك ودعاءك وصلني لقيتك قلت كلام صعب أوي.. حتى مش راعيت إنني تعبانة وردديت رد قاسي جدًّا.. ومتعرفش ده أثر فيا ازاي.. حتى لو كده.. أنا قلت كلمتين سيبيني أقولهم من نفسي وخلص.. مكانش في داعي إنك ترد كده.. حتى كنت تراعي تعبي..

اختلج قلبه.. خجل من نفسه.. رقّ لها.. لكنه أثار الصمت.. لم يرد.. أما هي فأهتت المحادثة وقلها يعتصر ألمانا.. خرجت من حجرتها حتى لا تسمعها أروة وهي تبكي وتستيقظ من نومها.. هرعت إلى حجرة شقيقها الراحل عبدالله.. دفنت نفسها في سريرها.. وظلت تبكي حتى سقطت في النوم بصدر ضيق مخنق مقهور.

سيدي جابر.. المنطقة الشمالية

الشارع يعج بالمتظاهرين.. حشد من الناس وكأنه يوم الحشر.. يحدث تصعيد للموقف.. تدخل بلطجية.. «هشام» يقف هناك وسط مجموعة من المتظاهرين.. يعلو هتافه.. في حين تبحث عنه زهرة.. حتى سمعت صوته.. جاهدت حتى تصل إليه.. تدفعها موجات بشرية يمينا ويسارا.. وهي تجدّف بساعديها بكل ما أوتيت من قوة.. تتعجّب من نفسها.. من مظهرها.. أين نقابي؟ أنا الآن أرتدي فستانا أبيضاً.. وشعري نائر.. يتطاير.. يا إلهي كيف نزلت هكذا للشارع من دون غطاء شعري و وجهي؟ تقترب منه وتصحح بأعلي صوتها (هشام!!!!!!).. لا يسمعها.. كيف يسمعها بين هذا الهتاف الغاضب الذي يزلزل المكان.. تهتف الحناجر وتعلو وتعلو.. يختفي صياحها بين الزحام والهتاف.. ولكنها لا تياس.. تظل تصرخ (هشام!!)..

اقتربت منه.. أصبحت على مسافة ذراعين.. (هشام!!).. لا يسمعها.. تلمح ملثم فوق سطح قريب يصوب مسدسه نحو «هشام».. تصرخ.. هشام!!.. تصل إليه.. ترمي نفسها عليه.. حتى تفديه.. تتلقي الرصاصة في ظهرها وهي متشبّثة ب«هشام» الذي لا يفهم شيئاً وهو يراها هكذا تهبط عليه فجأة وتسقط أمامه.. يحتضنها والذهول لم يفارقه بعد.. تتقابل أعينهما.. تترقق الدمعات في عينيها.. يتحلّق حولهما الناس.. يحاولون إخراجها بأقصى سرعة

من المكان وإسعافها.. فجأة تظهر وسن وهي تصرخ.. زهرررره.. تهرول ناحيتها هي و«هشام» الذي يحملها بين يديه.. تتلأخ ثيابه ويديه بدمائها.. أخيرا ينطق بصوت متهدج من بين دموعه..

- ليه.. ليه يا زهرة.. ليه؟

بصعوبة شديدة وهي تلفظ روحها..

- عشان بحبك

- وانا كمان بحبك يا زهرة.. فوق ما تتخيلي

يرتسم على وجهها شبح ابتسامة.. وهي تتمتم في راحة..

- أنا عارفة

ثم تسلم الروح لبارئها.. ويعلو صراخ وسن.. زهرررره.. أما هو يضم زهرته وينتحب..

أفاقت على أروة وهي تهزها وتسكب بيدها قطرات المياه على جبينها.. فتحت عينها.. لتجد وجه أروة يطالعهما بقلق عارم وهي تقول..

- مالك يا زهرة

انتهت أنها تنهج.. اعتدلت جالسة وساعدتها أروة بوضع وسادة خلف جذعها العلوي.. أخيرا بدأت تستوعب ما حدث.. وضعت يدها على صدرها وهي تقول :

- في ايه يا أروة

- مالك يا بنتي.. بتصرخي وانتي نائمة من بدري.. عمالة تصرخي وتقولي (هشام!!!!!!).. قلت أفوقك قبل ما حد في اخواتك ولا أبوكي يسمعك.. مالك يا

زهرة.. خضتيني عليكي

فجأة تذكرت الحلم.. تكلمت :

- مفيش ده كان حلم صعب شوية.. أنا قلقانة على «هشام» أوي يا أروه

- ليه بس

- معرفش.. بقي لي يومين مش بكلمه.. هقوم أغسل وشي و أفوق كده و أكلمه

- طب أولك.. و أنا هروح أحضر سندوتشات لينا وحاجة نشرها.. انتي ما

أكلتيش النهارده خالص.. فالحة بس تهري وتنكتي ف نفسك عشان سي

«هشام»..

ذهبت أروة للمطبخ.. ونهضت زهرة من سريرها.. تطلعت إلى الساعة وجدتها

تشير إلى العاشرة مساء.. دلفت إلى الحمام واغتسلت سريعاً.. عادت إلى

حجرتها.. فتحت الفيسبوك.. وجدته.. تنفست الصعداء.. كتبت له :

- لو بتنزل مظاهرات بليز خلي بالك من نفسك

- إن شاء الله.. ربنا يستر.. عاملة إيه؟

- أنا الحمد لله.. بس بليز.. بالله عليك خلي بالك من نفسك

- إن شاء الله.. ربنا يستر ويسهل

- يا رب يحميك.. و بليز تهدي شوية أنا شايفاك اليومين دول aggressive

خالص

aggressive? -

- أيوا عشان اللي بيحصل في البلد ده

- لا مش aggressive

- خلاص حقت عليا.. ماما هي اللي aggressive

- لا ملكيش دعوة بطنط.. انتي صحتك عاملة إيه؟

- أنا كويسة.. ايه أخبار الجيش

- لسة الأرجا متعملتش

- اشرحلي أكثر

- لسه في حاجة اسمها أرجا.. دي بتحدد إذا كنت هدخل ولا لأ

- ودي امتي؟

- في أول ديسمبر

- إن شاء الله ربنا يكتبلك الخير كله

- إن شاء الله.. باذن الله

- لما تنزل مظاهرات.. قول الآية دي يا هشام:

(إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَيْ مَعَادٍ) قولها دلوقت مع نفسك كده

واحفظها.. أوك؟

- انتي شايفة كده؟

في زمن الحُب الأول بينهما.. كثيرًا كان يستفزه بتلك الجملة (انتى شايفة كده؟)

وكانت تغضب.. بينما هو يقهقه عن آخره.. جرفها الحنين عندما ذكرها ثانية.. تضحّ وجهها باحمرار العذراى.. ابتسمت.. كتبت :

- وحشتنى الجملة دي (انتى شايفة كده؟)..

في زمن الحُب الأول بينهما لم تكن تجبه وكانت تقول له (ما تشوف انت) أما الآن استطردت..

- اه شايفة كده.. وما تنساش بليز تقول الآية دايمًا.. وإن شاء الله ربنا يحميك..

اختلج قلبه هو الآخر.. وردّ :

- طب ايه بقى

هنا سقط قلبها بين قدميها.. ودمعت عيناها.. فهذه الجملة أيضًا تفتقدها.. تلك التفاصيل الصغيرة في الحُب تؤلم كثيرًا.. لم تملك حنينها وهي تخبره..

- الجملة دي كمان وحشتنى

- برضو؟ ده الموضوع كبير بقى

كبتت حنينها.. تماسكت.. غيّرت دفة الحديث وسألته :

- حفظت الآية؟ قولها كده

- لا محفظتهاش لسه

- لازم تحفظها بالله عليك.. قول ورايا (إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ)

- انتي شايفة كده؟

انقطع التواصل.. حدث به عطل لكن هذه المرة عند زهرة.. انتظرها دقائق لم ترد.. كتب :

- ألووو

دلفت أروة إلى الحجره وهي تحمل صينية في يدها.. وقد رصت عليها الأظعمة.. وكوبين من عصير الجوافه الذي تحبه زهرة كثيراً.. أدركتها زهرة قائلة :

- هاتي الصينية على السرير.. هناكل هنا

ضحكت أروة وهي تضع الصينية على السرير :

- ايه غيرتي رأيك.. مش كنتي بتحبي نقعد في الأرض وناكل.. انتي بتكتبي إيه؟

- بكتب مسدج ل«هشام» على الموبايل عشان النت فصل واحنا بنتكلم والشبكة معلقة على الموبايل كمان..

ناولتها أروة ساندوتشا.. وهي تقول :

- انجزي.. عشان ناكل بقي..

- اوك.. خلاص ببعثها أهو..

بينما هو ينتظر ظهورها من جديد.. أصدر هاتفه المحمول نغمة محددة..

تناول الهاتف وقرأ الرسالة وهو يبتسم :

أه شايفة كده..

(إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَيْهِ مَعَادٍ).. قولها على طول.. ربنا يحملك ويحفظك يا رب.. مش هينفع نكمل كلامنا عشان النت فصل عندي.. نكمل بكرة..

تصبح على خير ☺

كلما تستحضر ذلك الحلم.. الذي أفدته فيه وأخذت الرصاصة بدلا عنه تبتسم.. إلهي كم تعشقه هذا الهشام.. والعجيب أنها بعد أن تناولت عشاءها مع أروة.. خلدت إلى النوم.. ونامت بعمق.. تظللها فرحة متواطئة.. لأنها أخذت عنه رصاصة.. وسمعتها منه (وأنا كمان بحبك يا زهرة فوق ما تتخيلي).. إنها على أتم الاستعداد لأن تدفع عمرها ثمنا في سبيل سماعها منه.. صحيح أنها سمعتها في المنام.. إلا أنها بشارة لمستها واستبشرت بها..

في الليلة التالية حادثته.. كانت الساعة تشير إلى الثانية والنصف بعد منتصف الليل.. ولم تكن تعلم أنها ستكون ليلة عامرة! وسوف يقول فيها الكثير..

- حفظتها؟

- ايه ده زيكو.. لأ ما هي معايا.. قبل المظاهرة هبقي أشوفها من المسدج

- المهم ما تنساش تقولها

- إن شاء الله.. بس انتي ليه مأكدة عليا أوي كده اني أقولها

- عشان خايفة عليك وبيقي قلقانة جدا

- ااا.. ربنا يستر إن شاء الله.. انتي هتعملي ايه بكرة

دهشت من سؤاله.. لقد مضى دهر على هذا السؤال.. عصر الحُب الأول..

سألته :

- ليه؟

- بلاش أسأل يعني؟
 - لأ أسأل طبعاً.. بس أول مرة تسألني كده
 - so?
 - عادي أنا هصحي الصبح إن شاء الله.. هروح المعمل جمبي هنا.. هيسحبوا
 مني عينة دم وبس.. هرجع البيت
 - كويس ربنا معاكي إن شاء الله
 - انت بقي هتعمل ايه بكرًا؟
 - مظاهرات وبعدين جيم
 - أممم اوك
 - اوك حاف كده؟
 ابتسمت في دهشة :
 - طب عاوزني أقول ايه وانا أقول
 ضحك..
 - ههه لا أنا بهزر
 I know -
 - أنا جعان
 - وأنا كمان والله
 - طيب ما تعمليلنا حاجة كده في السريع
 - تحب تاكل ايه بقي
 - بتعرفي عملي إيه؟
 - كل حاجة وأي حاجة تخطر على بالك
 - أوباللا ده الموضوع كبير بقي
 ابتسمت وهي تكتب :
 - آه والله.. جدتي الله يرحمها.. أنا كنت عايشة معاها واطلعت منها كثير جداً..

- أوك حاف كده

ولكن الداھية كتب في مكر :

- عايزة kiss يعني؟

احمرت وجنتاها.. بعد شيء من الصمت ردت..

no comment -

- طالما مش قد الكلام ما تقوليهوش.. قالك حاف كده.. أيوووه على الناس

هههه ماشي ماشي

برق في ذهنها شيء ما.. هناك سبب جعل «هشام» يستدرجها إلى تلك المنطقة

الوعدة.. فسألته..

- «هشام».. هسألك سؤال ماشي؟ بس جاوبني آه أو لأ وبعد كده نغير

الموضوع أوك؟

- أوك

- انت قرئت القصيدة بتاعتي؟

- أنهيين فيهم؟

kiss -

yup -

خفق قلبها في قوة.. سألها :

- بتسألني ليه قريتها ولا لأ؟

- احنا قولنا هنغير الموضوع صح؟

- تاخدي غرضك مني وتخلي انتي.. ماشي ماشي

- أنا برضو؟

- انتي شايفة ايه دلوقت يا تبيت؟

- عارف

- ايه

- أنا نفسي مرّة أشوف وشك بيبقي عامل ازاي وانت بتقرا قصيدة ليا

- تدفعي كام؟

- my whole life

- Kiss .. لأ.

تدفعت الدماء في عروقها.. شعرت بسخونة تجتاحها.. تسارعت نبضات

قلها.. كتبت في ارتباك :

- Are you talking seriously ?

أجاب :

- yup.. From your lips

تلاحقت أنفاسها.. دقات قلبها تعلو وتعلو حتى كاد قلبها يقفز من صدرها..

اكتنفها مشاعر مختلطة.. فرح وارتباك.. فرح لأن معني ذلك أن «هشام» لا

توجد في قلبه أنثى غيرها.. وارتباك لأن لأول مرة في حياتها تتعرض لهذا

الموقف.. لقد كتبت قصيدة kiss ونشرتها على صفحتها وقرأها وها هو يلبي

رغبتها! هكذا؟! وكأنها في حلم جميل لا تود الاستيقاظ منه..

كتبت :

- wow! do you know what does it mean ??

هل تعرف ماذا يعني ذلك؟ وأجاب النجم :

- sure

- I feel that am dreaming, am I dreaming ?

تلك الحالة من النشوة التي غمرتها.. لا يمكن أن توصف.. هل أنا في حلم؟

هل أحلم؟ صدمها ردّه :

- hot kiss and still just friends

- انت مش مُرتبط على فكرة..

- لا والله مُرتبط

كادت تُجَن..

how come ? -

- عادي

- لا.. بس مش دي kiss اللي أنا أتمناها ولا دي اللي قصيدتي تقصدها

- عارف.. بس هنعلمو ايه بقي

- والله!

- بصي هو انتي مش مقتنعة ولا مصدقة إن أنا مرتبط؟

- اها

- لا فعلاً أنا مرتبط وعازب أرضيكي بس واحنا صحاب.. فأعمل ايه قوليلي

انتي وانا أعملهولك.. ده أنا قلتك kiss اللي مليونون واحدة تتمناها من

نجم زيي

عقدت حاجبها في دهشة غاضبة.. يا لغرورك الوقح! إلا أنها لم تشأ أن

تناقشه في معتقداته بأنه نجم ومليون واحدة تتمني kiss منه.. ليس هذا ما

يشغلها الآن.. سألته في صبر :

- احكي لي مرتبط من امتي وازاي؟

- من فترة كده.. وازاي.. عادي زي الناس

- امتي بالظبط؟ هي مين؟

- لا متعرفهاش.. وامت بالظبط مبعدش انتي عارفة

أتريد أن تقنعني بأنك تحب غيري وتسهر معي الآن وتطلب kiss؟ ليكن يا

«هشام» سأجارك..

- وده كان قبل ال removed ولا بعده؟

- مش هتفرق صدقيني طالما النتيجة واحدة صح ولا لأ؟

- لا تفرق معايا كتير جداً.. قولي امتي ده حصل؟

حاول تغيير الموضوع :

- ها طب ايه الkiss؟
- زجرته في كبرياء غاضب :
- لا انسي موضوع الkiss ده نهائي
- اوباللا لا لا استني.. انسي ده بجد؟
- كتبت في حسم :
- آه بجد يا «هشام».. وجاوب سؤالي
- ثواني بس نخلصو من حاجة حاجة عشان منفضلوش كده تايهين..
- نخلصو موضوع الkiss وبعدين سؤالك أولك؟
- موضوع الkiss خلص.. جاوب سؤالي
- لبييه بس خلص؟ طيب افرضي انا عايزها.. خلاص مفيش؟
- انت عايزها يا «هشام».. عايزها ليه؟ عشان القصيدة؟
- لا والله بغض النظر عن القصيدة
- عايزها ليه؟
- انتي مش عايزة؟
- انت عارف أنا عايزة ايه
- طيب أنا عايز أرضيكي دلوقت.. وأنا زي ما قلتك.. أعمل ايه يا زهوره
- هو أنا طلبت حاجة؟ ترضيني ليه؟ هو انت بتعطف عليا؟
- أرضيكي عشان احنا صحاب.. ولازم كل واحد يشوف إن هو يرضي الثاني
- ازاي.. واحنا محدش شغال عند حد ولا لحد ولا أي كلام من ده عشان حد
- يعطف على الثاني
- بكت.. سألته في قهر :
- هو انت ليه محبتنيش؟
- تصدقيني لو قلتك معرفش؟
- ولا حسيت بأي حاجة لما بتقرا كلامي؟

- وهو أنا أساساً قلتك إن أنا محسّتكيش عشان تقولي أنا ف شِعْرِك
محسّتش بحاجة

- لو حسّتي كنت هتحبّتي.. لكن انت محسّتنيش

- وليه متقوليش إني في الوقت ده كنت ف شغل وما اهميتش بحاجة
حسّيتها.. وليه متقوليش إني في الوقت ده كنت مستني النتيجة ومخلتنيش
أهتم بحاجة زي كده.. ليه متقوليش إن ده بحفلك بالله أنا معرفش ليه ما
حبّتكيش حُب اللي هوا love story بس أنا حاسك حد قريب وفريند جامد
جدًا..

تفشل الكلمات في وصف الوجد الذي ألمّ بها بعد تلك الفجيرة التي صارحها
بها.. الحُب يا «هشام» يولد في الأزمان.. الحُب لا يولد في الرفاهية.. لا تتدبّر
بالظروف والوقت.. وأكبر دليل أنني أحببتك وأنا شبه مخطوبة! أنا تحمّلت
من أبي فوق طاقتي لكي أفسخ قراءة الفاتحة.. أنا تكبّدت وعانيت وتعدّبت
في سبيل أن أحظي بك.. بينما تطلق أنت الآن رصاص كلماتك بلا رحمة..
لتخبرني أنك كنت في وقت وظروف لم تهيأ لك الاهتمام بإحساس لمستته.. هل
أنا كنت أعيش في الوهم؟ لا أنا لست مجنونة.. تصرفاتك معي يا «هشام»..
تقربك مني.. اهتمامك الغير عادي.. كانت هناك مؤشرات كثيرة تبين لي أنك
تبادلني نفس إحساسي..

- ومفيش kiss on lips بين الفريندس يا «هشام».. بتبقي بين a man & his
woman.. ده اللي انا اقصده في القصيدة بتاعي

- مانا قلتك أنا مش كده عشان القصيدة

يا لغرابتك! انفجرت فيه في ألم مرير :

- ولييبيييه انا اهميتت وسببت كل حاجة واخترتك انت؟ وفركشت قراية
الفاتحة وهديت الدنيا وحصلتلي حاجات كتيرة جدًا واخترتك.. انا كنت ف
وقت صعب جدًا بس اخترتك

- عشان انتي كنتي عايزة ده.. وأنا قلتلك قبل كده إن أنا مكنتش بفكر في ده أساسا.. لأنني فعلا مبحبش البنات.. هتقوليلي مانت دلوقت مرتبط..ممكن أقولك عشان بألي فترة مش بعمل حاجة يا لمنطقك الغريب..

- يعني ارتبطت بعد الremove

- قلتلك قبل كده مش هتفرق.. لأن النتيجة واحدة

- لا تفرق.. بعد الremove يعني كان ممكن تختار.. زي ما أنا اخترت

- لا فعلا مش فاكرا لأنني مش عارف الremove كان امتي ده فعلا.. ممكن لو فكرتيني شوية أفكر معاكي.. بس أنا بقولك فعلا مش هتفرق كثير والله كتبت في حسرة..

- لا تفرق يا «هشام».. معناها إنك مدوّرتش عليا.. وجودي كان زي عدمه.. يعني انت أساسا اخترت

- يا زهوره افهمي.. والله وربنا عالم بالحلفان ده.. لو كان الوقت غير الوقت أو الظروف غير الظروف.. كان ممكن اللي أكون مرتبط بها دي هي انتي.. بس والله ارادة ربنا.. وهي مش أحسن منك ولا انتي أحسن منها.. بس ربنا سبب الأسباب.. وكمان لو كان الوضع العكس..ومرتبط بيكي انتي وهي بتتكلم معايا دلوقت زي مانتي بتتكلمي كنت هقولها برضو أنا بحترم اللي أنا مرتبط بيها

حقا؟ هل أنت تحترمها؟ ولماذا إذن تتحدّث معي وإن تجنّبك تهاتفني وتساءل عني..وتسهر معي نتحدّث علي الفيسبوك؟ لماذا نتحدّث حتى الآن والساعة تشير إلى الخامسة صباحا.. أين هي حبيبة القلب من كل هذا؟

كتبت في مرارة :

- إنت فاهم إني بطلب حاجة؟ مجرد بتكلم معاك كلام كان لازم نتكلمه من زمان

- وأنا مقولتكليش لأ.. وبتكلم معاكي بقولك كل حاجة عايزة تعرفها

- أنا عرفت خلاص
- طب بالنسبة للكيس؟
- قلتك مفيش كيس بين فريندس
- ولا صغنتتة؟
- في مليون واحدة يتمنوها صح؟ هما أولي.. ولا أقولك اللي انت مرتبط بيها اسمها إيه؟
- ههه ماشي يا زيكو.. طيب وبالنسبة لموضوع المكرونة باشميل برضو نفس الكلام ولا هتعملها لي؟
- هعملها لك
- امتي؟
- مش عارفة لسة.. مدام قلت هعملها يبقي هعملها
- تمام ووز.. عايزة تسألني حاجة تانية؟ ولا تأذني لي إني أنام يا فندم؟
- هي كانت معانا في كورس التدريب؟
- هههه أنا هقوم أنام.. مش عايزة حاجة يا مُتعبة؟
- كنت بتنزّل أغاني ف الجروب ليه وانت عارف حالي؟
- بنزل في الجروب عادي لما بتبقي حاجة عجباني جداً..
- بس المفروض كنت تحس بمسئولية.. إن في واحدة زي.. المفروض تراعي
- كل واحد بيشوف المفروض من وجهة نظره
- تصبح على خير
- وانتي من أهل الخير.. بس حاف برضو؟
- أنهت المحادثة وهي في حالة نفسية مختلطة متفاقمة.. قرف وحنق وسخط وإحساس بالعجز وحزن وضياع وألم وانكسار وخيبة أمل وحسرة بلا حدود..

جلست في معمل التحاليل الطبية صامتة شاردة.. استسلمت تمامًا لحالة من الوجوم خيَّمت عليها.. حد أنها لم تشعر بوخزة الإبرة التي دَبَّتْها الطبية في يدها لتسحب منها عينة دم.. تكفَّلت أروة بتسجيل بياناتها وعمل الإجراءات اللازمة.. وبعد أن انتهى كل شيء سارت مع أروة صامتة..

خرجتا من المعمل إلى الشارع.. أمسكت أروة بيدها وهي تقول :

- ساكتة ليه

قالت بلهجة حزينة تملؤها الحنين :

- أروة.. أنا عاوزة أقف على كورنيش المحمودية شوية

- بلاش يا زهرة..

أروة تعي جيدًا أن زهرة تنتابها تلك الرغبة عندما تشتاق شقيقها عبدالله.. هي لا تريد أن تلبّي رغبتها لأن ذلك سيَجتر عليها ذكري مؤلمة.. عندما غرق عبدالله في ترعة المحمودية.. ذلك المشهد المروع.. حشد من البشر يقف على ضفتي ترعة المحمودية في انتظار انتشال جثة الغريق.. ومضي يوم كامل حتى طفت جثته على سطح المياه.. يوم كامل وزهره وعائلتها يكابدون رعب لا مثيل له.. رعب ألا تطفو جثته.. أن يجرفها تيار المياه بعيدا وتختفي إلى الأبد.. هكذا تصبح فجيرة الموت مضاعفة..

عندما ينتزع الموت أحد أحبائنا فإننا نقيم له مأتما يليق بمكانته في قلوبنا.. بعد أن ندفن جثته.. نتفرغ للحزن.. لحظة أن نواري رفاة أحبائنا التراب.. تكمن فجيرة الموت.. وندركها.. لحظتناك نصدّق أن عزيزا قد مات.. لأن هناك شاهد.. هذا الشاهد قبره! لكن الطامة الكبرى عندما تختفي الجثة.. فكيف ستصدق أن شقيقك قد توفي ؟ أين ذهبت جثته؟ المأساة الحقيقية أن تلهيك صدمة اختفاء الجثة عن صدمة الموت! المأساة هنا تكمن في أن وجعك مضاعف..

يوم كامل يا عبدالله وقلوبنا منتزعة من صدورنا.. حتى مَنْ الله علينا وطفقت جنتك على سطح المياه في اليوم التالي.. تمامًا بعد مرور أربع وعشرين ساعة من غرقك.. يا الله! حشود هائلة تدفقت على جانبي ترعة المحمودية لتشهد على فضيحة وطن! نعم فضيحة وطن.. لم تتحرك الحكومة إلا بعد ساعات أرسلت شخصا ذا كرش كبير المفترض أنه غواص! يغطس لمتر أو مترين ثم يعاود الظهور من جديد ليلتقط أنفاسه.. آه يا عبدالله..

لن أقول إن الحكومة قتلت شقيقي.. لأن ذلك قضاء وقدر.. وتلك إرادة الله.. وأنا مؤمنة بقضاء الله وقدره.. ولكني أحملها المسؤولية.. لم لا تقوم الحكومة ببناء سور حول ضفتي الترعة؟ لم لا تقوم الحكومة بوضع سفارة إنذار وتوفير جهة إنقاذ للغرقى كل عدة كيلومترات على جانبي الترعة بدلا من جهة الإنقاذ الوطني التي لا تفعل شيئا سوى الثرثرة؟ لم لا تقوم الحكومة بمراقبة ترعة المحمودية وتأمينها كما تفعل في نيل القاهرة؟ أليست مياه الترعة تلك من مياه نهر النيل؟ وألسنا نحن أيضا مواطنين مصريين محسوبين على الدولة كمواطني القاهرة والإسكندرية؟ أم أن الحكومة تتكفل فقط بالمدن الكبرى.. بينما يحدث تعميم تام على المدن الأخرى..

في كل عام تشهد مدينة كفر الدوار فواجع غرق كثيرة.. تبلغ الترعة خيرة شبابنا.. وخيرة أطفالنا.. وتبتلع قلوبنا حسرة.. في كل عام تشهد مدينتي نفس المشهد المأساوي.. في كل شهر.. وقريبا سيصبح في كل يوم.. آه يا مدينتي.. وآه يا شقيقي.. أنا المواطنة زهرة أبو الفتوح أطالب الحكومة المصرية بالتدخل العاجل لإيقاف سيل الفواجع هذا الذي لا ينتهي..

ينزلق طفل.. ينزلق شاب وتبتلعه المياه بلا رحمة.. يجلدده كبراج المياه.. حتى تزهق روحه وتعرج لخالقها.. والحكومة لا تفعل شيئا.. فمتي ستفعل؟

سأكون عادلة.. ولن ألقى اللوم على الرئيس الحالي بل الرئيس الأسبق.. فهذا الفساد تعود جذوره للنظام السابق.. كما أن شقيقي رحل قبل قيام الثورة

بعامين.. ولذا قدمه في رقبة النظام السابق الفاسد.. جريمة الإهمال تلك تعود لنظام سابق.. تفضي جُرمه وعُهره وفساده في ربوع الوطن.. ولكن الآن أنا أطالب الحكومة الحالية والقادمة بعدم المشاركة في تلك الجريمة.. أنا لا أطلب المستحيل.. أنا لا أطلب بالقصاص لأخي.. الله سيقصص لنا.. ولكني أطلب بتوقف جريمة الإهمال عند هذا الحد..

دلفت إلى المصعد هي وأروة.. عادت إلى البيت وهي تجر أذيال الخيبة والحنين.. عادت وهي تلعق مرارة الفقد.. خلعت نقابها.. جلست على الأريكة.. مفعمة بمشاعر مختلطة تجاه شقيقها عبدالله وحبيبها «هشام».. كلاهما فقدته قسرا.. الأول سرقه منها الموت والثاني سرقته منها الحياة! وكلتا الفجيعتين مجحفتين..

شعرت أنها شاخت فجأة.. هزمت.. هكذا فقدان الأحباء يجعلنا نشعر.. قُصِمَ ظهرها مبكرا.. بدءًا من رحيل جدتها.. وانهيار الأسرة بانفصال أبها وأمها.. وفاة شقيقها.. وحتى صدمتها في «هشام».. كل تلك الخيبات كفيلة بأن تجعل فتاة في الثانية والعشرين من العمر تهرم.. تشعر في داخلها أنها عجوز.. ذبلت الزهره.. ذبلت وفي انتظار الموت.

عندما تصمت هكذا وتغرق في صمتها كالمجنوبة.. يعتري أروة قلقا عارما.. إلا أنها لا تنتهك حُرمة صمتها.. تعطىها مساحتها.. خلعت ملابسها وارتدت منامتها.. ودست نفسها في سريرها وما أن وضعت رأسها على الوسادة حتى راحت في غيبوبة نوم.. أحكمت أروة الغطاء عليها.. ثم ذهبت للمطبخ وصنعت لنفسها قدحا من القهوة وعادت لتجلس على ذلك المقعد الوثير المقابل لسرير زهرة كي تقرأ كتابا بينما ترتشف القهوة وبين الحين والآخر تختلس النظر لزهرة في قلق صامت..

استيقظت في الساعة مساءً.. فتحت عينها بصعوبة شديدة.. قرع يدك
جمجمتها.. صداع رهيب.. قبيلة من النمل تنخر في مؤخرة رأسها.. تلملت في
سريرها.. تقلبت على سريرها في محاولة بائسة لاستجداء الألم.. شعرت بها
أروة ورفعت أروة رأسها عن حاسوبها المحمول وهي تبتسم قائلة :

- صح النوووم.. أنا مرضتس أصحكي بس متاخدش على كده.. بعد كده
هصحكي بالعافية.. وهرجعي تاني تاخدي Prozac ما دمتي رجعتي تنامي
بالمنظر ده..

اعتدلت زهرة جالسة وهي تغمغم في سخرية مريرة :

- ولا Prozac ولا غيرو.. مستعجلة على ايه.. معادنا بكرأ عند ديجي في
العيادة وتكون نتيجة التحاليل طلعت وهو يقرر بقي.. أخذ ايه..
ابتسمت أروة في اشفاق.. ثم قالت :

- نتيجة التحاليل نقدر نستلمها من المعمل النهاردة الساعة 10 مساءً.. هبقي
أنزل أجيها.. أو صالح أو أسر.. لو موجودين.. ونروح بكرأ لدكتور يحيي إن
شاء الله..

لم تعقب زهرة فواصلت أروة :

- على فكرة وسن اتصلت عليك كتر وانتي نايمه..

ابتسمت زهرة :

- وحشتني كتر والله.. أوك هقوم أروح الحمام وأتوضأ وأصلي وبعدين أكلمها
- أوك.. هكون أنا حضرتك وجبة معتبرة.. أنا جعاناااانة وقلت أستناكي لما
تصحي..

آه يا «هشام».. إن محاولة استعادتك منهكة روحيا.. لا أستطيع أن أطردك
من بالي.. لا أستطيع.. لا أستطيع أن أطردك من تفكيرتي.. ولا يتوقف طيفك

عن مطاردتي حتى في أحلامي.. متعبة أنا يا هشامي.. أنا مستنزفة.. وأعافر في
بؤس ظنا أنني سأستعيدك.. هل عَلىَّ الآن أن أتقبَّل هذه الحقيقة المفجعة؟
أَنَّ الأمر سيان.. سواء أكنت معي أم فارقتي.. أنا فقدتك يا «هشام»
وقد كان ما كان.. ولن أستطيع أن أستعيدك طالما أنت تقاومني بكل هذا
العنفوان.. طالما هذه ليست رغبتك. ولكن كيف السبيل إلى قلبي حتى
يتوقف عن ملاحقتك.. متى سأتوقف عن اللهاث خلفك.. وأترقب ظهورك..
وتعصف بي الظنون متى قرأت لك منشور رومانسي.. تتلقفني الهواجس..
وأظل أنقب عمًا وراء تلك الكلمات ومن تقصد بها يا «هشام».. أنت غامض
يا «هشام» حد الإزعاج.. وقد حوّلني هذا الغموض إلى امرأة مُتحرّية.. وكم
يضنني التحري.. كم يضحيني.. ذات يوم وأنا أمارس عادة التحري معك..
وأنتصّح الفيسبوك الخاص بك.. ومنشوراتك القديمة.. ظللت أبحث ماذا
كنت تكتب وتنشر أثناء قطيعتنا.. وصدمني منشور بعينه يا «هشام».. هذا
المنشور كان ثاني أيام العيد الكبير.. بتاريخ 27 أكتوبر.. وقرأته..

(27- 10 - 2012.. كل شهر وانتي طيبة).. إنك لم تكتب كل عيد وأنتِ طيبة
بل كتبت كل شهر.. ربطت بين ذلك المنشور والتاريخ المكتوب على صورة
غلافك (27- 5- 2012).. إذأ يوم السابع والعشرين من كل شهر يمثل لك
ذكرى معينة.. شممت رائحة أنثى.. شممتها يا «هشام».. رائحة أزكمت أنفي..

- بآلك ساعة بتضفري شعرك.. اللي واخذ عقلك

انتشلتها أروة من أفكارها المؤلمة.. تهنّدت وقالت :

- عارفة يا أروة الضفيرة اللي بعملها دي..

- طبعا.. تسريحتك المفضلة.. ضفيرة على الجنب.. زي ما طنط كانت

بتعملها لك وانتي صغيرة

- تعرفي اني اكتشفت حاجة كمان في الضفيرة دي؟

تطلعت إليها أروة بنظرة متسائلة فواصلت :

- دي روجي أنا وهشام.. كانوا جوا بعض.. متضفرين سوا.. تمام زي الضفيرة
اللي بعملها دي.. ومش فاهمة ايه اللي حصل.. مش فاهمة الضفيرة دي
اتفكت ازاي!!

قلق جارف في داخلها.. قلق من القادم.. وقلق على «هشام».. في ظل تلك
الأحداث التي تشهدها البلاد.. ظلّت تصارع نفسها حتى لا تحدثه ولكن
خوفها عليه هزّمها.. في الواحدة والثلاث بعد منتصف الليل وجدته .. سألته :
- روجت مظاهرات امبارح؟

yup -

- خلي بالك من نفسك

- الحمد لله ربنا ستر

- يا رب دايمًا يستر

والآن دوره في السؤال :

- عمليتي ايه امبارح؟

- روجت حللت ورجعت نمت لحد الساعة 7 مساء

ارتفع حاجبيه في دهشة شديدة وهو يكتب :

- لحد 7 مساء!!!!

فرت دمعة حارقة رغمًا عنها وهي تسأله :

Are you happy ? -

yup ... and you ? -

انهمرت الدمعات بغزارة.. كتبت في مرارة :

don't know -

why ? -

كيف لها أن تخبره.. اختنقت.. وجدت نفسها تكرر الإجابة :

don't know -

شعر باختناقها بين حروف الكلمات.. اشم رائحة ألمها.. رق قلبه.. فسألها في حنو :

- حاسة بايه طيب؟

جرعة حنانه تلك أبكتها أكثر.. كم هي ضعيفة في وجوده.. وكم هي ضعيفة في بعاذه!! يا الله.. رحمتك.. تفاقم اختناقها.. كتبت :

so hard to express -

؟؟-

- عارف.. ساعات بحس اني مبسوطه لما بكتب شعر وكلامي بيلمس قلوب الناس.. دلوقتي الحاجة الوحيدة اللي بتفرحني هي كتاباتي

إنه لن يدرك فجيعه كتلك لأنه ليس شاعرا أو كاتباً.. هو فنان يستطيع أن يفهم تلك الحالة التي تعانها.. لكنه أبداً لن يشعر بما وراء ما قالت له.. أن يصبح الكاتب مفلس من الحُب والدفء في أسرته.. ومفلس من احتياجه العاطفي.. ولا يملك سوى كلماته.. لن تدري يا «هشام» ماذا يعني ذلك للشاعر أو الكاتب.. أو لأي موهوب يفلس من كل شيء في حياته عدا موهبته.. لحظتذاك تصبح الموهبة سلاحا ذو حدّين.. يفرغ ألمه في موهبته فيبدع.. ولكنّه في الوقت ذاته يعاني شقاء لا يضاهاه.. حد أنه لو ساوموه على موهبته أم سعادته.. سيختار السعادة حتما.. إنني أكاد أجزم أن كل مبدع هو شقي وتعييس.. ولو سألوه أيهما تختار أن تعيش سعيدا ومغمورا أم تعيش شقيّاً تعيسا مشهورا.. سيختار أن يكون سعيدا وينال قسطه من الحُب والدفء ويموت هانئا مرتاح البال..

وهنا لزم التنويه عن شيء آخر.. أن يكون الشاعر رومانسيّاً ويكتب عن الحُب.. وأن تكون عاطفته متأججة ليس معناه أنه بالفعل يعيش قصة حب سعيدة.. فكما تقول الأسطورة معظم كتابات السجين تكون عن الحرّيّة.. ولأن الشاعر بفطرته فنان.. ومرهف الحس فهو قادر على أن يغدق مشاعره

الرقيقة على كل من حوله حتى وإن كان يعاني الحرمان العاطفي.. ومن هنا
أستمد انتقادي لتلك المقولة (فاقد الشيء لا يعطيه).. هذا كلام خاطيء..
(ففاقد الشيء هو الأكثر قدرة على إعطائه).

وها هو لم يفهم مقصدها ولم يرَ معاناتها خلف كلماتها..

- ليه مفيش حاجة بتسعدك طيب.. انتي بتعملي ايه عشان تبقي مبسوفة..
حتلاقي نفسك مبتعمليش حاجة.. الدنيا مبتجيش لحد الانبساط لحد عنده
على فكرة

- مش ده قصدي من اللي قلتهولك.. أردفت قائلة..

happiness is a feeling comes from you, inside you, regardless the -
outer world

Your opinion -

أضافت في إصرار:

am right -

I don't think -

؟-

- دائما الإنسان بيقول الكلام أو بياخد المقولات اللي يحس إن هي شبيهة ليه
أو لو قدر يعملها هيكون مبسوط.. بس مش كل الناس بتفكر كده على
فكرة.. ده الفرق

- No , you are wrong again , people do whatever they do because
they believe in what they do .. It's a matter of faith

- they believe in what they do .. لا طبعاً الجملة دي غلط لأن بيكون
believe من غير تفكير

- you are wrong for the third time because believing in something -
means that it comes after a deep thinking.. it's a faith

- في حلقة مفقودة عندك.. اللي عايز أوصلهولك إن مش كل الناس بتعمل أي حاجة نتيجة للbelieve أو خارجة عن تفكير عميق.. ده غلط خالص.. معظم الناس مش كده بس هو الظروف الحياتية أو بيكون reaction منه حاجة يشوفها.. وهنروح بعيد ليه.. لما انتي مسحتيني من الفيسبوك ده كانت نتيجة تفكير أو believing؟ لأ كان reaction لحاجة بمعنى إن أي حاجة بتشوفها قدامك.. اعرفي إن حاجة هي اللي وصلت اللي قدامك لكده.. يا إما الظروف أجبرته على ده.. يا إما reaction لحاجة.. يا إما بيكون زي ما بتقولي وده بيكون قليل.. أي حد بيكتب مقولة أو شعر بيكون واقع تحت تأثير الموقف اللي قدامه.. عشان كده بيكتب ده.. وهنروح بعيد ليه.. المفروض انتي شاعرة وعارفة.

- أنا اقصد believe في الثوابت

- ما الثوابت والمفروض والكلام ده كله عند الناس مش كلها زي بعضها.. يعني أنا مثلا كلمة المفروض دي مبحبش حد يقوله قدامي.. لأن فعلا مش عارف مين اللي فرضو.. الفرض ده زمان أو اللي عمل الثوابت دي زمان كانت خاصة بيه.. حتى لو كانت صح وناس ياما مشت عليها وأثبتت إن هي صح.. مش مبرر إنني أمشي بيها.. الناس كلها مش زي بعضها ولا عمرها هتكون زي بعضها..

- you don't believe in poetry ?

- I believe in my mind

- And what about your heart?

ابتسم في خبث ورد :

- ماله my heart

- بتصدّق عقلك ولا قلبك؟

- عقلي

- طب ليه امبارح قلتلي انك عايز kiss؟
- عشان أعملك اللي انتي عايزاه.. مش انتي كنتي كاتبه شعر وعايزة ده؟
- لا.. انت قلت ده مش عشان القصيدة
- راجعي كويس ايه أساسا جاب سيرتها من الأول هتلاقي لما انتي قلتلي حاف كده.. قلتك عايزة kiss؟ روحتي مجاوبتيش حاجة محددة.. صح كدة ولا بيتهياي؟
- «هشام».. انت قلت عايز ده
- طيب استني كده أراجع المحادثة
- أوك
- تركته يراجع المحادثة التي تحفظها هي عن ظهر قلب.. أما هو فقد كان يبحث عن مخرج من هذا المطب! ماذا فعل يا تري؟ انتقي أجزاء معينة من نهاية المحادثة بينهما وأرسلها لها :
- انت عايزها يا «هشام».. عايزها ليه؟ عشان القصيدة؟
- لا والله بغض النظر عن القصيدة
- عايزها ليه؟
- انتي مش عايزة؟
- انت عارف أنا عايزة ايه
- طيب أنا عايز أرضيكي دلوقت.. وأنا زي ما قلتك.. أعمل ايه يا زهوووره
- ثم أردف :
- متاخديش اللي انتي عايزاه بس من الكلام يا زهرة.. شوفي أنا في الآخر قلتك لبيبيه
- يا لقدرتك يا «هشام» على قلب الحقائق! يا لقدرتك على تأويل الكلام والانكار! ولكن لا.. لست أنا من تنطلي عليها أساليبك.. تفجّرت براكين الغيظ والقهر والدهشة بداخلها.. كتبت :

- أنا برضو اللي باخد اللي أنا عايزاه من الكلام! لاتعليق
امتقع وجهه ولكن هي لا تراه.. فهما يتحادثان من وراء الشاشات.. كتب في
بجاجة :

- طيب هو مش ده اللي كتبناه امبارح ولا جايب حاجة من عندي
- والله؟! وفين لما قلت افرضي أنا عايز ده؟ ولما قلت تدفعي كام قلتك my
whole life.. قلتلي: لأ.. kiss.. وبعدين تعالالي هنا.. اشمعني دي بالذات اللي
عايز تعملها لي؟ مانا ياما كتبت.. يا حول الله!!!!
شرع في إلقاء مرافعته :

- زهرة هو أنا ممكن أسألك سؤال وتجاوبي إجابة موضحة عشان الظاهر إن
اختلاف وجهات النظر دي هتفضل مستمرة على طول.. هو حضرتك لو
مكنتيش اتكلمتي كان زماني أنا ولا سيرة الموضوع ده جات؟ ثانيا يا جهبز
اتكلمي مع حد على الفيسبوك وقوليله كلمة حاف هيبعتك kiss اللي هي
emotion.. روحتي إنتي سكتي وأخذتها إن هي بجد.. وبعدين يعني يا أستاذة
ياللي بتفكري.. ازاي أنا هطلب حاجة زي دي بجد وأنا حالفك إنني مرتبط..
أقولك بصراحة أنا مش عارف انتي بتفكري ازاي.. انتي مجنونة يا بنتي.. والله
والله ربنا يهديكي

عَضَّتْ شفتهما في غيظ وقهر.. الآن شعرت بمعني قول الرسول صلي الله عليه
وسلّم (اللهم إنني أعوذ بك من قهر الرجال).. ما أبشع قهر الرجال! ما
أبشعه.. شعرت بمرارة شديدة.. لم الانكار يا هشام؟ أنا وأنت في قرارة
أنفسنا نعلم جيدا أنك كنت تتكلم في جدية.. بل إن الأمر لم يتوقف عند
ذلك.. أنت تلقى لي المهمة.. وتهمني بالجنون ثم تدعو الله لي بالهداية!! وماذا
عساي أن أقول.. لن تجدي معك المناقشة.. لقد سئمت الجدال.. الكلام
معك أصبح عقيما.. لا معني له.. ثم إنني ماذا أنتظر بعد ذلك.. سأتركك
تمارس أساليبك كما شئت.. كتبت في اقتضاب :

- آمين يا رب يهديني

أكمل مراقبته ظنا منه أنه قد نجح في تشكيكها بنفسها :

- يا بت افهبي وفكري بالله عليكى.. وبصي على الحاجة من فوق.. أنا لو مش عايز نبقي أصحاب وباقي عليكى.. مكنتش اتكلمت معاكي امبارح ساعات.. وأخذنا وادينا في الكلام..

وهزرننا واتكلمنا بجد.. انتي فاهماني ولا مش فاهماني

- أنا مش بفهم.. أنا مجنونة و ربنا يهديني

- وهو حد يقدر يقول كده.. أنا مش قصدي كده.. أنا بقولك افهميني أنا.. أو افهبي عايز أوصلك ايه

- هو فيه kiss on lips على الفيسبوك؟ كله بيقول كده؟

- أه.. انتي تعرفي أنا بكلمك دلوقت وبضحك والله العظيم.. أنا مش فاهم ولا عارف انتي عايزة توصلي لايه ولا عايزة تعرفي ايه.. ولا في ايه بالظبط.. وكل لما تيجي تتكلمي برد وبتكلم معاكي عادي.. مع إن ده كان عكس اللي كنت ناويه ساعة لما قبلت طلب الصداقة.. عشان أساعدك على الcontrol.. طيب أعملك ايه تاني يا زهوره؟

كتبت في مكابرة :

- مانا خلاص عدت المرحلة دي.. دلوقتي مبقتش أحبك.. انت بس بتلهمني اني اكتب.. مش أكثر

- طيب أنا ممكن أطلب منك طلب؟

- إيه؟

- اسمها نعم.. ممكن أطلب منك شعر تكتبيه عن حاجة معينة عشان عايز أهديه لحد؟

سألته في حذر :

- ملين؟ وعن إيه؟

- للحياة

- يعني أكتب إيه؟

- اکتبي عن التفاؤل.. أضاف..

بغض النظر عن اللي أنا طلبته.. عايزة تسألني في حاجة أو على أي حاجة؟

- يعني ايه

- انتي عايزة تسأليني عن حاجة قبل كده زي ما بتسألني عشان متقوليش

غيرت الموضوع والنوايا الوحشة دي فيقولك لو عايزة تسألني ف حاجة أنا

معاً!!!!!!!!!!!!!! اكي.. انتي مُتعبة جدًّا والله

- هتهدي الشّعر لمين؟

- لواحد صاحبي لسة والده متوفي

- ماشي

- هتكتبي ازاى

- زي الناس

- طيب انتي بتردى كده ليه.. انتي عايزة تضربيني؟

- عادي مانت امبارح لما سألتك ارتبطت ازاى قولتلي زي الناس..

- طيب.. بس أنا حاسس بعداوة والله.. حاسس إن انتي عايزة تضربي

كتبت ساخرة :

- لا.. مش عايزة أضربك.. عايزة kiss

- هههههه تدفعي كام؟

- 75 قرش

- كتبيير عليا

- خلاص 25 قرش

- حانهزروا بقي.. هه

- خلاص.. الله الغني

- طيب أنا جعان دلوقت والله.. استني كده هعمل زيارة للتلاجة
- أوك

عاد بعد دقيقة :

- جبت شوية جبنات أفزقز فيها وأنا قاعد

- طيب فزقز

- هقوم أنام بقي.. قشطات

- ما شاء الله.. خلص الأكل في التلاجة ورايح ينام..

- أسميه حسد ولا حقد ولا اقتناع بقدرات الآخرين

- سمّيه بالهنا والشفاء

- ماشي.. تصبجي على خير.. سلاموز

- سليلوز

- يا أروة والله أنا بقيت كويسة.. لازم ترجعي شغلك.. خليكي قاعدة معايا بس

لازم ترجعي شغلك.. قولي حاجة يا نعمة

قالتها زهرة وهي تغلق أزرار منامتها.. ثم ألقى بجسدها على السرير..

ارتشفت نعمة القهوة.. ثم تبادلت نظرة مع أروة التي قالت :

- واسيبك لوحديك يعني يا وزه

- ده أنا اللي بسيبك لوحديك يا أروة.. أنا معظم الوقت نائمة.. عشان خاطري

أنا مش هرتاح غير لما ترجعي شغلك.. احنا خلاص بكرة أول ديسمبر.. وكفاية

الشهر اللي سبتي فيه شغلك بسببي

- أوك يا وزه.. ربنا يسهل

ابتسمت زهرة.. ثم تطلعت لنعمة وأروة في تردد.. بادرتها نعمة :

- عينيك فيها كلام كثير

ضحكت زهرة ضحكة قصيرة ثم قالت:

- عاوزه أحكيلكو حاجة كده..

و بعد عيادة الطبيب.. أثناء انتظارها المصعد..أسندت رأسها الجميل على يدها الصغيرة و هي واقفة وتركت لدموعها العنان في صمت ، إلا أنها شعرت بسعادة! فكل هذا الألم ثمن تدفعه لكونها إنسانة!! فابتسمت وما زالت دموعها تسيل في غزارة.. فكم هي إنسانة!! وكم هي فنانة.. وما زالت كلمات الطبيب تتردد في أذنها «هذا الجمال و هذا الجس لا يستحقان الألم و هذا القلب الصغير يستحق الحياة».. ثم أفافت من شرودها ودموعها على صوت صديقتها يقول في حنان بالغ «الأسانسير يا وزة»..

ابتسم «هشام» وهو يقرأ تلك الكلمات التي نشرتها زهرة لتوها على الفيسبوك..وكعادته لا يعلق.. بل يصمت حتى يصيدها في الخاص.. إنه يتابعها.. يقرأها.. يستشعر تقلب مزاجها.. ويقرأ وابل التعليقات التي تنهال عليها من قبل أصدقائها في كل منشور تكتبه.. بعد قليل كتبت (و رجعت تاني أعيش).. قرأ المنشور والفضول يلتمهه..

- لا طبعا كان بيتكلم جد بس لحق نفسه في الآخر.. بس بعد ايه!! نطقها أروة في ضيق شديد.. وزفرت في قوة وعلامات التفكير العميق والاستياء تكسو وجهها. أما نعمة قالت في غضب شديد :

- يا بجاحتها! ومقولتيهوش ليه خد بعضك واطلع على البحر اتمشي هتلاقي مليون واحدة يدوك بوسة ببلاش.. هو فاكر نفسه ايه.. قال نجم قال ومليون واحدة تتمني منه بوسة...!!

تهدت زهرة.. وقالت في مرارة :

- شككني في نفسي وطلعتني بيتهياي ومجنونة.. أنا خليتكو تقرو المحادثات بنفسكم وتحكمو..

قالت أروة في استياء :

- وكاتمة في نفسك اللي بيعملوا فيكي.. انتي ازاي قادرة تتكلمي معاه وهو بيتكلم بالعنجهية والغرور ده.. ده فعلا لو في واحدة بيحبها زي مايقول مش هيقعد يتكلم معاكي بالساعات ويسهر كل ليلة معاكي على النت.. وزى ما بتقولي كل ما بتفتحي النت تلاقيه أونلاين.. ده واحد فاضي وقاعد من غيرشغل وعایش حياته ومقضبها.. ولا بيحب ولا غيرو.. دي مش تصرفات ولا كلام واحد بيحب بجد.. ده إنسان مش مسؤل.. استحالة يعمل كده لو فعلا في بنت بيحبها.. بيتصرف بهبل وكلامه مش محسوب وهو عارف حالتك ولسة يدوب فايقة من غيبوبة وصدمة بسببه.. وكان داخ عليك عشان يوصلك وسأل عليك طوب الأرض.. يبقي المفروض يخلي عنده دم ويحافظ على مشاعر بنت الناس اللي كانت هتروح بسببه.. ده إنسان غير مسؤل بالمره..

زفرت نعمة وقالت في غيظ وهي تخلع حجابها ضيقا :

- الواد ده مبقيتش أظيقه.. وانتي يا زهرة لسة بتحببه بعد الكلام الأهبل والتصرفات اللي بيعملها دي؟ تعرفي الحاجة الوحيدة اللي عجبتني لما قولتيله انك مبقيتيش تحببه وانه مجرد بيلهمك انك تكتبي.. خليه بقي يحس انك بتستخدميه زي ما بيستخدمك.. على فكرة الواد ده لو مش بيحب يتكلم معاكي كان استحالة هيقعد يكتب بالساعات على الفيسبوك في

الشات.. هو مبسوط أنه في واحدة بتحبه وكانت هتموت عشانه وبتكتبله
شعر وحلوة وزى القمر..

قالت زهرة مكابرة :

- أنا فعلا مبيقيتش أحبه.. بس عاوزاه في حياتي.. مع الوقت هتعود وهيبقي
شيء عادي..

رمقتها نعمة في تمعن وكأنها تعلم أنها تكذب وتضغط على نفسها.. ثم قالت :
- زهرة.. انتي لازم تعملي حاجة جديدة.. قعدتك في الأوضة والسيرير مش
هيفخلوكي تنسي بالعكس.. الجو اللي انتي فيه ده هيرجعك ورا.. اخرجي يا
زهرة.. اشتغلي.. جدي حياتك.. غَيِّري.. اطلعي من القمقم اللي حاطة نفسك
فيه ده..

أيديتها أروة قائلة :

- كلام مضبوط.. اخرجي للدنيا يا زهرة.. الدنيا واسعة.. وفيها مليون حاجة
أحسن من «هشام».. اشتغلي يا زهرة.. اعرفي ناس جديدة.. اثبتي ذاتك..
إحساسك بالنجاح هيقويكي وهتسترتدي ثقتك في نفسك.. والله يا زهرة انتي
كتير عليه وما يستاهلكيش.. ده عايز واحدة باردة زيه كده تعرفه أن الله
حق..

- ماشي.. بس تفتكرو أبويا هيوافق اني اشتغل.. معتقدش.. أنا حافظة أبويا
وعارفة أنه هيرفض

قالت أروة :

- اخواتك يكلموه يا زهرة.. خلي عبد الرحيم واسراء يقنعوه.. خلاص «إسراء»
هترجع كمان كام يوم..

قالت زهرة بنبرة أمل :

- إن شاء الله

Tearful and bleeding

Sleeping

And dreaming

Then smile

Have this feeling

Hope of human being"

Even for a while!

تفاءلوا بالخير تجدوه 😊.. أضافت :

- ده الشّعر اللي طلبته مني عشان تهديه لصاحبك

كان ينتظرها بفضول نهم.. فسألها :

- و ايه اللي رجّعتك تعيشي بقي

شعرت بالزّهو.. فهذا معناه أنه يتابعها باستمرار.. وأنه قرأ آخر حالة

نشرتها(ورجعت تاني أعيش).. كتبت :

- مش هقولك

تظاهر باللامبالاة و رد :

as you like -

هي تعلم أن الفضول يأكله ولكنها لديها نية مسبقة في عدم الخوض معه

مجددا في الحديث.. فقط سترسل له الشّعر الذي طلبه منها وكفي.. لذا

كتبت في دلال :

- طبعاً

وانتهت المحادثة.. لم يضيف أي منهما شيئاً.. إلا أنه كان يعلم أنّ هناك شيء

ما استجد.. تلك الثقة وذلك التفاؤل اللذان نضحاً عليها فجأة ألقاه! أما هي

فراحت تبث تلك الطاقة الإيجابية في كتاباتها.. وتنشرها على الفيسبوك..
فيقرأها ويندهش في إعجاب! ويشعر بالزهو لأنه المقصود وتنتفخ أوداجه
عندما يقرأ التعليقات وإشارات الإعجاب من متابعيها على الفيسبوك..
فيشعر كم هو محظوظ! لكنه أبدًا لم يشعر كم هي تعيسة!

His woman I will be

His woman and he will see

And he will fall in love to the death with me

And he will realize how wrong was he

And he will know well who is she

And he will have faith in she

Only because she is me

My soul won't set him free

Our souls will meet together and he won't be able to flee

That's something spiritual and he will agree

And he will hug me saying ,I apologize to thee

توقف كثيرًا أمام تلك الكلمات وهو يقرأها.. هل أصبحت زهرة غامضة؟ أم
أنها تخفي شيئًا ما؟ هل تستجدي الأمل؟

New life

Incomparable husband and wife

..No more strife

عادت شقيقتها «إسراء» من الولايات المتحدة الأمريكية.. استقبلتها هي
واختها في المطار بحفاوة.. كان لعودة «إسراء» أثر إيجابي في نفس زهرة.. بتَّ

الدفء في حنايا قلبها.. كما أن الفرحة طرقت الباب.. فكلها أيام وتنال
«إسراء» درجة الدكتوراه رسمياً.. بعد أن يتم مناقشة رسالتها في كلية العلوم
بمحرم بك..

وعادت أروة كذلك إلى عملها وإلي بيتها بعد عودة «إسراء» وبعد أن لمست
تحسناً ملحوظاً في صحة زهرة وتمائلها للشفاء.. كما أنّها أيضاً أردت أن تعود
الأُمور إلى طبيعتها حتى تساعد زهرة في ذلك وحتى لا تلحظ «إسراء» شيئاً
مريباً وتعرف ما حدث لزهرة أثناء غيابها..

انشغلت زهرة بعودة «إسراء» وصغيرها الذي يبث الفرحة في البيت
وبالتحضير والاستعداد ليوم مناقشة رسالة الدكتوراه وماذا سترتدي وكيف
ستبدو في هذا اليوم.. كما أنّها أخبرت «إسراء» وعبد الرحيم أن يقنعا أبيها
برغبتها في العمل.. و وعدها عبد الرحيم بأنه سيتولي هذا الأمر وألا تحمل
هما.. أما «إسراء» فكانت لا تؤيد ذلك.. كان لها رأى آخر.. أن تكمل دراستها..
أن تدرس دبلومة ترجمة مثلاً أو ماجستير.. أفضل من العمل..

ورغم هذا لم يكن «هشام» يفارق تفكيرها.. لم يمر يوم دون أن تتفقّد
صفحته الشخصية وماذا نشر وماذا كتب.. لم تكن تحادثه.. ولكن اكتفت
بمتابعته في صمت وهدوء.. ولاحظ هو عزوفها عنه.. وكالعادة بحث عن
طريقة يجذبها بها إليه.. في الحقيقة هو الآخر كان يتابعها.. هو الآخر يتفقّد
صفحتها في صمت وهدوء..

ذات مساء كتبت حالة ونشرتها على الفيسبوك..
أشتاق إليه كطفلة لا كامرأة.. أشتاق إليه حد البكاء تماماً.. مجرد وجوده
هنا يجعلني أشعر بالحياة.. ولو لم أحادثه حتي، يجعلني أشعر كأني طفلة
تلعب في الحديقة بأمان وسعادة (فقط لأن) والدها يشاهدها من الشرفة في
صمت فتتظر إليه فتشعر بالأمان وتكمل اللعب.. هكذا وجوده في حياتي وهو
يرانني! هكذا هو (الأمان) بعينه.. تغمرني الراحة وتحقّني السكينة وتغلّفني

الطمأنينة في معيته.. وأصبحت طفلة.. لا أدري كيف جعلني طفلة أتصرف تصرفات عفوية طفولية... إنه نجم لامع في سمائي.. فيا ربي أسعده دوما واحميه واحفظه دائماً أبدا.. ولا تحرمي روحه.. ما أجملها روح..
قرأ الكلمات و ابتسم.. هو أيضاً يفتقدها.. وسيناديه.. لكن كيف؟ إنه لم يضغط على إشارة إعجاب أو يترك تعليقا.. ولكن فعل ما هو أكبر.. تفقد ألبوم صورها الشخصية على الفيسبوك.. و ضغط على إشارة الإعجاب لصورة قديمة جداً.. صورة لفتاة جالسة في حالة شرود واضحة رأسها على بيانو.. تلقت زهرة اشعارا مفاده أن «هشام» أعجب بتلك الصورة.. ابتسمت في سعادة.. على الفور قامت بتغيير صورتها الحالية إلى تلك الصورة.. الفتاة والبيانو!

ذلك النداء الصامت بينهما.. تلك اللغة الخاصة بينهما.. لم تصمد طويلا.. لم تستطع النوم دون أن تحادثه.. قاومت وخارت قواها في الثالثة صباحا بعد منتصف الليل.. ووجدته لا يزال مستيقظا.. في انتظارها.. تفكر كيف ستبدأ الحديث.. احتارت قليلاً ثم وجدت بداية مناسبة تفتتح بها المحادثة..

- مفيش أخبار عن الجيش لسة؟

ابتسم في ظفر ونشوة.. كتب :

- لسه

- خير إن شاء الله

- إن شاء الله

ساد صمت مشحون لدقائق.. فكّرت في موضوع آخر تناقشه فيه.. أما هو

صامت في ثقة و رصانة.. حتى سألته :

وانت عامل إيه؟

- الحمد لله تمام.. انتي عاملة إيه؟ ولسة فاكرة يا زيكو؟

- كتر خيرى.. غيري ما بيقوليش

- ما غيرك ما بيشوفكش أونلاين.. مش زيك موبايله جامد وبيشوف الناس أونلاين وهو أفلاين

تهللت أساريرها.. فهي لم تخبره بتلك الخاصة في هاتفها.. ولكنها تذكرت أنها كتبت ذلك على صفحتها ربما في حالة أو في تعليق ردا على أحد الأصدقاء.. ما أسعدها هو أنه يخبرها بطرق مختلفة أنه يتابع كل كلمة تكتبها على الفيسبوك.. محط اهتمامه.. وهذا يعني لها الكثير.. تماكنت نفسها وردت عليه :

- وغيري ده لازم يشوفني أونلاين عشان يسأل؟

- أومال هيسأل عليك فين؟

لاحظت أنه كتب (هيسأل عليك) ولم يكتب (هيسأل عليكي).. ذلك الأسلوب تحبه هي.. فهي تعلم أنه عندما يخاطبها بتلك الصيغة فهو يداعبها ويدللها.. كتبت معاتبية :

- يسأل عليا بأي طريقة.. هو هيغلب يعني؟ لو عاوز يسأل هيسأل

- طيب ولو مش عايز؟

- ما هو مش عايز أساسا

- وعرفتي منين.. قوليلي باين بقي.. بس سيبك البيانو جامد

مرّة أخري بيدي لها بملاحظة ما أنه يتابعها ويهتم بها.. فهمت اشارته عن الصورة التي أعجبتته وقامت هي بجعلها صورتها الحالية.. لم تجد شيئاً تقوله لفرط فرحتها.. هكذا هي زهرة تفرح بأقل كلمة يقولها لها.. تنتشي وتتفتح ويفوح عبقها في الأرجاء وتتوهج كتاباتها.. وبكلمة أخري منه تحزن وتذبل وتنكفأ على نفسها.. وتكتئب وتنطفأ كتاباتها..

- 😊.. حلوة صورة بروفايلك الجديدة.. فين المكان ده يا هشام؟

- مش هقولك

- ليه

- غلاسة

تذكرت عندما كان يخبرها في زمن الحُب الأول أنه (ببقي مبسوط وأنا بغلّس عليكى).. ابتسمت..

- تعالالى هنا بقى.. مش عاوزة أعرف أساسا

- آجى فىن؟ لا لا عيب عيب يا زهرة

- هههه انت تطول أساسا

- ركزي معايا هنا.. بتقولى لميين كده.. تقريبا دي جات غلط ولا مش عارف الشات بيهيس عندك ولا ايه

- ههههه مش قاادرة

- مش قادرة ايه بالظبط.. لا لا لا.. كده الموضوع شكلو كبير.. عيب يا زهوره تجاهلت مقصده البذى.. تصتعت الغباء.. وأوضحت له..

- هههه.. مش قادرة أبطل ضحك

- لا إذا كان كده ماشي

- تعال هنا.. انت كل ما أقول حاجة تقولى عيب! فى ايه انت كمان؟

- انت كمان ولا انت جيتار

- انت.....

- لا نجم.. دي عارفها أكيد

- انت تيببت ههههه

- نعم!

- ههههه.. أوي بقى

- لا إذا كان كده ماشي

بعد نوبة الضحك تلك.. هدأت.. الفرصة سانحة لتخبره شيء أخفته عنه منذ وقت طويل..

- عارف أنا مسمياك اسم تحب تعرفه؟

- عادي يعني.. قولي

- شام

ابتسم.. سألها في دهشة :

- ده من امتي؟

- من زمان والله..

- أنا بيقولولي في البيت.. شامي

- والله بجد؟

- آه.. ده من وأنا صغير

- يااااه

- بس أنا مبحبش أدلع أساسا أساسا

مازحته :

- ده مش دلع.. أنا بخفف على نفسي الاسم.. بنجز نفسي يعني

صمت ولم يرد.. وجدت نفسها في حاجة لأن تنطق اسمه الذي أخفته طويلا

في قلبها..

- شام

رد :

- «هشام»

تضايقت.. كتبت :

- أوك.. بلاش تقولي زهوره وزيكو ماشي؟

- لا أنا أقول اللي أنا عايزو على فكرة

اختنقت :

- أنا هروح أنام بقي.. يلا سلام

حاول أن يستبقها :

- أول امبارح الدكتور قالك ايه

هي لم تخبره أنها ذهبت للطبيب.. ولكنه عرف من الحالة التي نشرتها على الفيسبوك.. طريقة أخرى يسترضيها بها ويُعلمها أنه يهيمه أمرها.. ويتابع كل أخبارها.. إلا أنها لم تفرح تلك المرة وازداد حنقها وهي تكتب لتنهي المحادثة :

- وما سألتش أول امبارح ليه؟ تصبح على خير.. سلام

no comment -

زجرته :

-Ok.. سلام بقي

أدرك أنها حسمت أمرها.. ولن تجدي محاولاته.. فكتب في عناد وضيق :

- سلامااااا

وقفت أمام أبيها ترتعد فرائصها.. بينما هو يفحصها بتمعن.. يثقبها بنظراته.. تدور الأفكار السوداء في رأسها.. ترى أي موضوع يريد أن يحدثني فيه ويوقظني بسببه هكذا من نومي.. هل عريس آخر تقدّم لي؟ لا لا.. راحت تطرد تلك الفكرة القميئة من مخيلتها قبل أن تجتر عليها ذكريات سيئة وأيام الله لا يعودها.. هل سيطلق أمي؟ أه صحيح لقد طلقها منذ سنين.. إذاً هل نشبت الحرب العالمية الثالثة؟ لا ليس بعد.. ملامح أبيها جامدة ثابتة.. لا توحى بأي بوادر أو علامات.. أخيراً تجشأ الحاج أبو الفتوح.. فتسارعت دقات قلبها.. حتى قال بلهجة وكأنها تريد أن ترتكب خطيئة :

- زهرة.. انتي عاوزه تشتغلي؟

تلعثمت.. لقد ناقشه عبد الرحيم اذن.. مادت بها الأرض.. هوت على أقرب مقعد.. وقالت بصوت خرج مبحوحاً: أه

رمقها بثبات للحظة ثم أصدر فرماناً غير متوقع وهو يبتسم ابتسامة عريضة

:

- خلاص.. هتشتغلي معايا في مكتب السياحة

كانت قد هيأت نفسها وأذنها لسماع موشحات توبيخ وتعنيف شديد.. ثم رفض قاطع.. لكن رد فعل الحاج فاق سقف توقعاتها.. إنه وافق أن تعمل وستعمل معه! مع أبيها.. تلاحقت أنفاسها لفرط المفاجأة.. فلتت منها ابتسامة باهتة خائفة.. وقبل أن تنطق بأي شيء.. قال الحاج أبو الفتوح :

- يلا غيري هدومك.. عشان هتنزلي معايا المكتب دلوقت وأفهمك الشغل

x Tours

قرأت الاسم على مدخل مكتب السياحة وهي تخطو بجوار أبيها مبهورة.. حروف كبيرة و بارزة.. رغم أنها وطئت هذا المكان كثيراً.. إلا أنها تلك المرة اجتاحتها شعور مختلط.. ما بين فرحة ورهبة وحماس.. تلك المرة وهي تدلف المكتب كانت تشعر بأنها مقبلة على عالم جديد.. ومع من؟ مع أبيها.. بدا الأمر لها مغامرة صعبة.. عليها أن تثبت جدارتها أمام أبيها..

أجلسها أبوها على مكتبه الكبير.. فشعرت بالفخامة والهيبة فانكلمت.. ثم جذب مقعدا وجلس بجوارها.. وراح يشرح لها أمام شاشة الحاسب أساسيات حجز تذاكر الطيران.. بدأ معها بالأسهل.. شرح عمليا وهي تنظر بانهار وخوف..

- هنبداً بسيستم اير كايرو. بسيط وسهل.. مثلاً هيجيلك عميل عاوز تذكرة من مطار برج العرب لجدة.. ساعتها تفتحي السيستم زي مانتي شايفة.. هيقولك عاوزها مثلاً ذهاب يوم 5 يناير وعودة أول فبراير.. هتفتحي القائمة دي وتحدد التاريخ.. تحت هنا دي كده الأسعار.. على درجات مختلفة.. الخطوة اللي بعدها.. هنا هتكتبي بيانات العميل.. الاسم زي ما هو موجود على الباسبور.. لكن اير كايرو بتطلب أول وآخر اسم بس، وبعد ما تخلصي البيانات تكتبي اميل الشركة لأن هيتبعث عليه التذكرة وبعدين هتطبعمها..

اندمجت مع أبيها.. انتقل بها إلى شركة طيران أخرى.. العربية.. وهكذا راح يتجول بها في عالم الطيران.. كانت مبهورة بهذا العالم.. وجدته ممتع ولذيذ.. ثم علمها كيف تستخدم جهاز الفاكس.. كيف ترسل وتستقبل.. وكانت تلميذة نجيبة.. لاحظ الحاج ذلك فاطمن.. وفي نهاية اليوم قال الحاج بهدوء شديد :

- احنا بدأنا بالطيران الخاص عشان سهل.. أما الطيران الوطني زي شركة مصر للطيران.. ده محتاجة فيه كورس.. هبعثك في مكتب في إسكندرية أو مصر تبع ناس معرفة.. تاخدي الكورس.. هتاخدي كورس جاليليو والأماديوس.. بس مش دلوقت.. لما تتقني الطيران الخاص الأول..

أومأت برأسها إيجابا.. فأكمل الحاج :

- خليكي قاعدة.. هروح مشوار وجاي

- بس أنا لوحدي ومفيش حد من الموظفين هنا

ضحك الحاج وقال بسخرية :

- موظفين! المكتب فاضي.. مش هجيب حد.. انتي هتمسكيه لوحديك.. هبقي أتابعك

حملقت عن آخرها وارتجفت من رهبة المسؤولية.. تركها الحاج عمدا بمفردها.. حتى يرى مدى صلابتها.. اجتاحتها شعور أول يوم في المدرسة.. عندما ذهب بها أبوها للمدرسة وتركها وحدها تواجه مغامرة جديدة.. وها هو الآن يتركها تواجه مغامرة أصعب!

راحت تنتقل ببصرها في المكان.. تركز في تصميم المكتب.. المصابيح.. ألوان الطلاب.. الواجبات الزجاجية التي تملأ المكان.. أعجبها الزجاج كثيرًا.. إذ إنه داكن يسمح لها برؤية المازة ولا يسمح لهم أن يروا ما وراء هذا الزجاج كما النقاب الذي يغطي وجهها!.. يخيل للواقف أنه أمام مرآة.. يستوقفه الزجاج

الجميل و يعدل هندامه ويصلح هيئته معتقدا أن أحدا لا يراه.. في حين أن زهرة ترى كل شيء وتبتسم خلف الزجاج..

قامت من مجلسها لتأخذ جولة وتتفقد المكان.. دلفت من الباب الزجاجي المجاور لمكتبها.. فإذا به يفضي إلى بهو جميل.. يزينه أرائك جميلة الألوان.. مريحة للنظر تغريك بالجلوس عليها.. وأقصى اليمين مكتب استقبال عريض لثلاثة موظفين أماكنهم شاغرة الآن.. يبرز منه باب زجاجي آخر يفضي إلى مطبخ وحمام ..

بينما يسار البهو يوجد سلم خشبي.. يقود إلى الطابق الثاني.. صعدت السلم.. فتحت الباب الزجاجي.. أعجبها تصميم المكتب.. إلا أنه كانت عليه أكوام من التراب مما يدل على أن أحدا لا يدخله.. سعلت سعلة خفيفة وعادت أدراجها إلى الأسفل.. دخلت المطبخ الصغير وصنعت لنفسها قدحا من القهوة.. ثم راحت تحتسيه على مهل وهي جالسة على مكتب أبيها..

فوجئت به يقف أمامها.. بعد أن دلف من الباب الزجاجي بخطوات واسعة.. اعتدلت في جلستها.. بينما جلس هو على المقعد الواجه لها في اعتداد وسألها:
- عايز تذكرة من برج العرب للكويت

تسارعت دقات قلبها.. تحشرج صوتها.. لم تستطع أن تنطق.. فأومأت له برأسها.. فتحت الحاسوب.. ثم سألته بصوت خفيض سمعه بالكاد :

- ذهاب وعوده؟

- ذهاب بس

- يوم ايه

- 30 ديسمبر

- اسم حضرتك؟

ناولها جواز السفر.. و راحت تنقذ الخطوات كما ذكرها أبوها.. يكاد قلبها يقفز من صدرها لهول الموقف.. خائفة جداً.. فالخطأ هنا ثمنه فادح..

وسيكلف أביها الكثير.. راحت تتأنى وهي تراجع الخطوات قبل أن تضغط على زر تأكيد الحجز.. بسملت وحوقلت.. ثم أغمضت عينها وهي تؤكد الحجز.. مضت ثوان حتى تم إرسال التذكرة على بريد الشركة الإلكتروني.. استقبلته وطبعت التذكرة.. وهي غير مصدقة أنها فعلتها! أمسكتها بين يديها وقد غمرها إحساس عجيب.. طوتها في عناية.. ثم طبعت غلاف التذكرة وعليه شعار الشركة.. وناولته للعميل وهي لا تصدق ما تقوله الآن..

- رحلة سعيدة يا فندم.. معاد الاقلاع سيكون الساعة.. والوصول الساعة.. وياريت التواجد في صالة المطار قبل معاد الطائرة ب3 ساعات.. والوزن المسموح بيه 30 كيلو جرام.. و الهاند باج 7 كيلو جرام .

ناولها العميل ثمن التذكرة كما قالت له وأخذ منها جواز سفره وتذكرته ومضي في هدوء.. تاركا إياها في ضجيج.. ضجيج فرحة عارمة.. أول تذكرة تحجزها في حياتها.. أمسكت النقود في يدها بحرص.. مبلغ كبير.. لقد أصبحت سيدة أعمال! هههههههه.. وضعت النقود في حقيبتها.. وهي تنتظر عودة أביها بشغف حتى تزف له أولى خطوات نجاحها!

وعندما عاد الحاج.. كافأها بعمولة سخية تشجيعا لها.. وقال وهو يناولها مفتاحا :

- رُوحي البيت دلوقت.. كفاية كده عليكي النهاردة.. وخلي المفتاح ده معاكي.. من بكره هتفتحي المكتب الساعة 10 الصبح..

قالت في سعادة طفولية :

- حاضر يا بابا.. وأوعدك هكون عند حسن ظنك

لفرط تأثرها.. لم تتناول دواءها.. نست موعده.. وكأن آلامها اختفت.. قبل أن تزف حالتها على الفيسبوك لأصدقائها ومتابعيها عن تجربتها الجديدة المثيرة..

انتظرتة.. هذا الحدث الهام هو أول من ستخبره به.. لا تتوقف زهرة عن

الدوران في فلكه!

- شام

- زيكو

- هشتغل مع بابا

انتبهت حواسه :

- هشتغلي إيه؟

- همسك فرع السياحة اللي هنا في كفر الدوار.. مكتب سياحة.. حجز تذاكر

طيران.. وبرامج حج وعمرة.. بس لسة طبعاً هاخذ فترة تدريب.. وبابا هيبعتني

القاهرة أو إسكندرية عشان آخذ كورسات في حجز التيكيت.. وأعرف ازاي

أحجز تيكيت وكده.. وأطبعها وأستقبل فاكس.. كده يعني

- ربنا معاكي إن شاء الله يا رب ويوفقك

- إن شاء الله.. بس كده مش هعرف أروح في حته.. يعني لو كده مش هعرف

مثلاً أقدم في كورس التدريب اللي جاي

- بصي في الشغل بالذات.. أو بعد الكلية لازم تحددى انتي عايزة ايه

بالظبط.. وأنا من وجهة نظري متاخدش من كل حته شوية.. فكّري

واتخصصي في شغل معين.. وابقى أحسن حد بيعمل ده.. ده اللي هيخليكي

حاجة كبيرة إن شاء الله

- إن شاء الله.. بس أنا محتارة لأن لما أشتغل مع بابا هيعتمد عليا.. ومش

هينفع أسيب الشغل كام يوم مثلاً.. عشان آخذ كورس أو أخرج أو كده..

هيبقى شغل قتل ومسؤولية.. أنا محتارة

- ههه.. ربنا معاكي

- بتضحك ليه

- عشان انتي محتارة

- طيب انت شايف إيه؟

- اوعي تسألني السؤال ده لحد عشان لو حصل وحش أو حلو.. أو وصلتي
لحاجة أو طلعتي غلطانة تكوني انتي المسؤلة عن ده.. لأن هيكون ناتج عن
تفكير منك انتي بس..

- شام 😊

- أنا هقوم أنام

- بقيت تنام بدري.. مش عوايدك

- أها أصل النهاردة قومت متأخر.. فراح عليا كورس باخدو فدايقتي شوية

- كورس إيه؟

- ألماني

- أوك.. ربنا يوفقك.. وأضافت في حُب.. إنها حتى لا تدري ما سر تلك الراحة

التي تنبعث من قلبها.. ما سر ذلك الدفاء الذي يغمرها منذ أصبحت تناديه

به..

- شام

-؟

- هقتلك قريب 😊

- متعرفيش

- ليه؟

- عشان لسة صغنتنة

- أكيد هكبر في يوم

- يلا سلام دلوقت

- أوك.. سلام

أنهت المحادثة وهي لا تدري أن القدر يخبأ لها أشياء.. لم تكن تعرف أنها

المحادثة الأخيرة.. وأنه بعد أيام ستفقده! وكأن موسم الحزن ينذر بوقوعه..

بعد يومين.. تحديدا في السابع من ديسمبر توفي الموسيقار عمار الشريعي..
وما ألمها أكثر هو حزن «هشام» خاصة أنه موسيقي هو الآخر.. نشرت حالة
على الفيسبوك تراثيه (فقد البصر.. ولكن لم يفقد البصيرة.. اليوم رحل عن
عالمنا.. عمار الشريعي.. أشعر أن أوتار قلبي تعزف مقطوعة حزينة.. وأمطار
عيني تشاركها سيمفونية شجن.. في رثاء رجل من رجالات مصر.. في رثاء أحد
رموز هذا العصر..)

كفر الدوار.. يا مدينتي.. يشهد الله أنني أحبك.. يا أحب المُدُن وأقربهم لقلبي..
كم من مُدُن زرت، ولكني أعود إليكي يا مدينتي يا حبيبتني.. يا أمي.. كفر
الدوار أنتِ أمي.. ومنك تعلمت الأمومة.. وشعرت تحوِك أيضًا بأومتي.. يا
مدينة تسكنني..

لا أدري من أين أبدأ، فحقا أنتِ في قلبي ملحمة، وأنتِ أيضًا في التاريخ
ملحمة، على أرضك حارب أحمد عرابي وانتصر في معركة كفر الدوار
الشهيرة.. واكراما له أعطيتيه شارعا من شوارعك وأسميتيه باسمه، لم
تبخلي عليه يا حبيبتني، أنتِ كريمة معطاءة، أويتي عرابي في نضاله ضد
الاحتلال البريطاني، وشهد التاريخ على ذلك، وظللت أنتِ شاهدة أيضًا من
شواهد التاريخ، ظللتِ شاهدة.. شامخة.. شاهقة..

ها أنا أظن في شارع أحمد عرابي، ها هو بيتي، في أحد الأبراج الشاهقة
المطلّة مباشرة على ترعة المحمودية، لطالما أسمع صوت القطار في أذني، إنني
أستطيع أيضًا رؤية محطة القطار من نافذة غرفتي، وموقف دمنهور
وسموحة، لطالما كنت أحب أن أنظر من نافذة غرفتي وأستمع بهذا المنظر
الجميل، زرقة السماء الصافية، مياه الترعة العذبة، كوبري كفر الدوار
العريق و(المفارق) التي تربط شرق المدينة بغيرها.. سبحان الله، وكأنها لوحة

خلابة، أحب تضاريسك يا كفر الدوار، ولكني الآن لا أتحمل أن أنظر إليكي من نافذة غرفتي، لا أتحمل، فقد ابتلعت مياه المحمودية شقيقي عبدالله، أقرب أشقائي لقلبي، ابتلعت مياه ترعتك يا كفر الدوار، بلا رحمة، كم كان يحبك عبدالله، وما هو مات غريقا في حبك!!

مات عبدالله شقيقي ونديم طفولتي.. مات غريقا وغرق معه قلبي من يومها.. ورغم ذلك لا زلت أحبك، فأنتِ أمي، صحيح أنني لم أعد أمارس عاداتي وهي الاستيقاظ مبكرا لأحييكي من نافذتي في الصباح، وأطل عليكي وعلي ترعتك وتضاريسك والكوبري العريق، إلا أنني لا زلت أحبك، وكيف أنظر إليكي وأري ترعتك التي ابتلعت أحب أشقائي وأقربهم لي، انني لا زلت أذكر كلمات شقيقي الأكبر عبد الرحيم، بعد وفاة عبدالله بأيام، كنت في غرفة عبدالله أتحسس رائحته ووقفت في الشرفة المطلة على ترعتك لأعاديها، وأقول لها كيف ابتلعتي شقيقي، كيف هان عليكي، وهو من أنجب وأخلص أبنائك، وبينما أنا أنظر إليها في حسرة، وجدت عبد الرحيم بجواري واقفاً ينظر إليها بنفس الحسرة التي في عيني، ثم التفت لي وقال:

- (حاسس إن الترة بتطلع لسانها لينا وتقول خدته منكم.. قهرتكم عليه.. متعرفوش تعملوا معايا حاجة)

في هذه اللحظة اغرورقت عيناى بالدموع..وفي هذه اللحظة فقط أدركت ما هو الإحساس بالعجز.. وما هو الإحساس بالقهر.. والحسرة.. والفقد.. ومرارة الفقد.. ونظرت في عيني عبد الرحيم، وقد اغرورقتا بالدموع بدورها.. وتدفقت دموعي ودموعه شلالات تضاهي تدفق مياه ترعتك يا كفر الدوار.. ومن لحظتها وأنا لم أعد أطل عليكي لا من نافذتي ولا من شرفة عبدالله ولا من أي نافذة.. أغلقت جميع النوافذ ولكني لم أغلق نافذة قلبي..

لا أدري لماذا يحسدوني على مسكني؟ وأنني أعيش في هذا البرج الشاهق، هم يعلمون أن في هذا المكان ترتفع أسعار الشقق السكنية؛ حيث إن هذا المكان

هو روح المدينة، تسكن فيه العائلات الثرية، ولأن من شرفات ونوافذ تلك الأبراج الشاهقة تستطيع أن ترى كفر الدوار عن بكرة أبيها، وتستمتع بجمال منظرها، وأهم المناطق الهامة والحيوية فيها، وفي هذا البرج وقر لنا أبي دورا بأكمله، لم يخفقنا في شقة واحدة، فلديه من الأبناء أربعة ومن البنات اثنتين، وقد خصص أبي لكل منا غرفته، كل صديقاتي عندما يقمن بزيارتي يطلبن مني الوقوف في شرفتنا أو النظر من نافذتي وكلهن قالوهن لي.. - يا بختك يا زهره، المنظر من شباكك تحفة، ده الواحد لو مخنوق ويشوف المنظر ده هيرتاح..

أنظر إليهن وأتألم في صمت، علام يحسدني، أنا لا أتحمل النظر من نافذتي، حتى لا تصدمني مياهك يا كفر الدوار، وتجلدني، علام يحسدن صديقاتي؟ على فجيعتي في أخي؟!!

سأظل أحبك يا كفر الدوار.. كما كان عبدالله يحبك.. وسأظل أفتقدك أينما ذهبت وأينما حللت على مُدُن، كما كان يفعل عبدالله، وستظلي تسكنيني وأعود إليكي مهما ابتعدت عنك كما كان يفعل، لا تغيب صورته من خيالي أبدًا وهو واقف ذات يوم في شرفته، بعد عودته من الإسكندرية وكانت قد طال غيبته لأيام طويلة ينجز بعض أعماله وأعمال أبي، وقف في شرفته ينظر إليكي بوحشة، لا زلت أذكر نظرته الجميلة إليكي المُفعمة بالحُب، وابتسامته الرقيقة لي وهو يقول..

- البلد وحشتي أوي..

وهكذا أنا أيضًا يا كفر الدوار، يا بلدي، إذا ما غبت عنكي أشعر بوحشة في قلبي، أجد نفسي في أعماقي أشعر بالانتماء إليكي.. أنتي إليكي أنت.. فقط. أنتِ وطني.. وطني الصغير.. وُلدت فيكي ونشأت وترعرعت.. وتعلمت في مدراسك.. وأحبت شوارعك.. وفيكي أحبتي.. وفيكي أيضًا فقدت أحبتي.. وفي ترابك دُفِنوا أعز أحبتي.. عبدالله، ومن قبله جدتي.. أه يا كفر الدوار، انني

تألمت ممن أحببتهم، إما بفقدهم كمشيقي وجدتي، وإما بوجعهم وجرحهم
كأبي وأمي وهشام.. وأنت.. أنتِ أيضاً تألمت منكي كثيراً ولا زلت
وسأظل.. ولكني سأظل أحبك وأحبهم وسأظل أتألم منهم أيضاً..

ما أغربها من علاقات حُب! سواء كانت علاقتي بكِ أو بأبي أو بهشام، لا
يوجد هناك ذرة شك في أنني أحبكم حتى النخاع، كما أنه لا يوجد أيضاً ذرة
شك في أنكم أكثر من وجعتوني وجرحتوني بل وطعنني كل منكم بخنجر
خيانتته في مقتل.. كل منكم قتل جزءاً بداخلي، حتى صرت أشلاء، ألم
يكفيكم ألمي من فراق أخي وجدتي؟! ألم يكف العيش محرومة من حضن
أمي؟ ألم يكن حبي لكم شفيحاً كي تخجلوا من ايدائي؟ ألم يكن؟

كل منكم وجعني على طريقته، فأنتِ ابتلعت ترعتك عبدالله، ابتلعتته
وابتلعت قلبي معه.. وأبي تزوج من (أفعي رقطاء) وأنجب منها، لم يراع
مشاعري لا أنا ولا إخوتي، لم يراع وضعه الاجتماعي، فهو كبير قومه، وعلم
من أعلامك يا كفر الدوار، بل إنه يمتد صيته إلى المدن المجاورة لكي
كالإسكندرية، أبو حمص، دمنهور، وحتى العاصمة.. القاهرة..

واني لأعجب وينفطر ما بقي من قلبي على حاله، كيف فعل هذا، وكيف
تغير على أو بالأحرى كيف انقلب علي؟ كيف أصبح قاسياً إلى هذا الحد؟!
وكيف خانني أبي يا كفر الدوار؟! هل تعلمين متى خانني؟ عندما أنجب طفلة
من بعدي.. عندما لم أعد ابنته الصغرى.

كل إخوتي صبية عدا شقيقتي الكبرى، كنت أنا الابنة الصغرى، وزهرة أهبها،
دائماً ما كان يلقبني أبي بهذا اللقب (زهرة أهبها)، لم يكن هذا مجرد لقب
وحسب، بل كان يمثل مكانة أيضاً في قلب أبي، كنت أحتل قلب أبي، كان
يحنو على أكثر من كل إخوتي، طوال طفولتي لم يعاقبني على شيء، لطالما
دللي أبي في طفولتي أضعاف إخوتي، لطالما أنفق على بسطاء، ولطالما أغدق
على من ماله، وحبه، وحنانه، ولم يذقني أبداً طعم الحرمان.. لطالما كنت

أمثل النوم في طفولتي في أي مكان في البيت، حتى يحملني أبي بين ذراعيه ويضعني في فراشي، كنت أحب ذلك الشعور بين ذراعيه، كنت أحب أن أطيّر بين ذراعيه.

ولطالما كنت من المتفوقين في دراستي، ولا شيء يستطيع أن يصف سعادتي بفرحة أبي بتفوقي.. كنت أصرّ على التفوق من أجل تلك النظرة التي أراها في عينيه وهو يرى درجاتي في الامتحانات.. كانت فرحته بي.. كفرحة مزارع بحصاده أمام عينيه، كم كان أبي فخورا بي، لذلك كان يفرط في تدليلي، فهو يرى أنني أستحق، هو يرى أنني أشرفه، و(رافعة راسه)، دائمًا كانت هذه كلمته، كم كانت تهلل أساريري عندما يأتيني أبي في المدرسة، وأنا أعلم أن أبي صيته يفوق الحد بين الناس، كان يأتيني في فصلي وحوله قافلة من المعلمين وحتى ناظر المدرسة ومديرها، وكان فخورا بي وهو يستمع إلى اشادتهم بتفوقي واشادتهم أيضًا بموهبتي في إلقاء الشعر في الإذاعة المدرسية، وكان أبي يبتسم ابتسامة لم ولن أرى في جمالها ما حييت.. وكانت تنتفخ أوداجي بين زملائي وأقراني لأن هذا هو أبي.. (الحاج أبوالفتح).

أنشأني أبي نشأة دينية محافظة، فهو رجل صعيدي عصامي بحت، أصوله من سوهاج، ولكنه وُلد فيكي يا كفرالدوار كما وُلدت أنا.. أبي رباني أنا واخوتي على معني الحرام والحلال، وغرس فينا الخوف من الله، ولكنه دون أن يدري غرس فينا الخوف منه.. أبي له رهبة وهيبة جبارة، فعندما يدخل البيت، يدخل كل اخوتي إلى غرفهم كما الفئران تدخل إلى جحورها، لدرجة أن شقيقي الأصغر صالح كان عندما يرى أبي في الشارع في طفولته، يجري وكأنه رأى شبحا، الحق يقال، أبي كان شديد القسوة على اخوتي الصبية عبد الرحيم وعبدالله وصالح، وحتى إنه كان قاسي إلى حد كبير على «إسراء» شقيقي الكبرى، لم يعاملها بلطف إلا عندما تخرجت من كلية العلوم

بتفوق وُعِينت معيدة.. أنا وأسْر أصغراخوتي الصبية (آخر العنقود)
الوحيدان اللذان كان يدللهما ويلاعهما..

كان أبي يعطف على ويتعاطف معي في الوقت نفسه؛ إذ إنه يرى أنني ظُلمت منه هو وأمي عندما كنت رضية، فقد حُرِمْتُ من الرضاعة وأنا في شهري الثالث، عندما نشبت بينه وبين أمي (خناقة) كما العادة وعلي أثرها تترك البيت كما العادة أيضًا بالشهور وتتركنا نضيع، ويضيع إخوتي بينها وبين أبي، لم أذكر في طفولتي بل في حياتي أن أمي كانت تمكث معنا أكثر من ثلاثة شهور متكاملة لتنشب من جديد معارك ضارية بينها وبين أبي وتتركنا من جديد لشهور، وكانا هما الاثنین ينتقيا أوقات امتحاناتنا أنا وإخوتي لتقام الحرب بينهما، وكانت تتحمل مسؤوليتنا جدتي لأبي رحمها الله وأسكتها فسيح جناته، وكانت تساعدها في ذلك شقيقتي الكبرى «إسراء»، ورغم ما كنا نعاني من تفكك أسري وضغوط نفسية نتيجة معارك أمي وأبي إلا أننا كنا متفوقين دراسيا، كنا دائما من الأوائل أنا وإخوتي.

أبي وأمي من أغرب العلاقات التي كتبها القدر، لا أدري ما حكمتهما، ولكننا تعذبنا كثيرا أنا وإخوتي، كم شقينا وكم تشبنا نفسيا وذهنيا وعصبيا، بكل تأكيد هما دمرا بداخلنا أشياء، فهما قد قتلا بداخلنا الإحساس بالأمان والاستقرار، الإحساس بالعائلة، كم هو مؤلم حين تفقد عائلتك وهم أحياء. أمي امرأة يقال عليها من الجميلات، فهي تعود لأصول فرنسية لوالديها، ولكن والديها ولدا في المنصورة، كان جدها (خواجة) ويملك ما كان يُسمي وقتها (لوكاندا) أي فندق.. وكل أحوالها وأعمالها مناصب، وحصلوا على شهادات جامعية، منهم الطبيب، مدير بنك، مستشار، قاضي، إلا أن أمي لم تكمل تعليمها، فقد أصيبت بِحُمِّي في طفولتها، على أثرها سكنت المستشفى ثلاثة أعوام، ضاعت وفقدت دراستها ونفسيا لم تحتمل أن تكمل دراستها، لا شك أن أمي عانت كثيرا.

أمي هي امرأة طيبة، ولكن قلة تعليمها وثقافتها وحياتها وصحتها كان لهم أثرا سلبيا عليها طوال حياتها، ظلت طوال حياتها تعاني ونحن نعاني معها، ظلت في صراع مع أبي طوال حياتها، ولم تضع الحرب أوزارها بينهما، إلا عندما توفي شقيقي عبدالله، عندها أعلننا هما الاثنان السلام الوطني، وقد فقدنا فلذة كبدهما، وذاقنا نار فراقه، كانا يظنان أنه هو من سيدوق نارهما، ولكن الآية انقلبت، وعاقبهما الله ليدركا نعمة (الضَّنَا).. ليفيق كل منهما..
ويدركا ما اقترفاه في حق فلذات كبدهما..

12 ديسمبر 2012

بعد أن انتهى يومها في العمل.. أعطائها أبوها مبلغ من النقود لشراء ملابس جديدة تليق بحضور مناسبة سعيدة ستحدث في اليوم التالي.. كانت هناك هالة من السعادة تحيط بها وبأبيها وكل اخوتها.. الكل يستعد ليظهر في اليوم التالي في أبهى حالاته.. مناسبة كتلك لم تكن لتفوتها أروة صديقتها والتي أصبحت من العائلة.. جاءت أروة كما اتفقتا وذهبتا لشراء ثوب جديد لزهرة وحذاء وحقيبة.. كانتا في أوج السعادة.. ولم لا؟ غدا ستحصل «إسراء» على الدكتوراه.. غدا ستعقد المناقشة أخيرا في كلية العلوم.. غدا حدث سعيد.. وعادت أخيرا للبيت مرهقة سعيدة.. وضعت أشياءها الجديدة في الدولاب.. فتحت الفيسبوك وهي تبتسم في غاية السعادة.. ستكتب ل«هشام» تدعوه غدا في قاعة ما بكلية العلوم لحضور مناقشة الدكتوراه.. تبحث عن اسمه ولا تجده! رفعت حاجبيها في دهشة.. ذهنها مشغول.. تتذكر ابتسامة «إسراء» وهي تخبرها أنها تستطيع أن تدعو ما تشاء من أصدقائها وعندما أعلمتها زهرة أنها ستدعو «هشام» غمزت لها «إسراء» وربتت على كتفها.. أوصتها «إسراء» بأن تشرف على البوفيه في الغد.. وأن يشرف صالح على التصوير..

وأسر سيتكفل بالصغير.. أما أبيها وعبد الرحيم وحسام زوج «إسراء»
سيستقبلوا الحضور.. تتلاحق الأفكار في رأسها.. أين هشام؟؟ ماذا؟
حظر!!!!!!

- يا زهرة اهدي بس.. أنا مش فاهمة حاجة.. لسة سيباكي من شوية.. وكنتي
كويسة جدًّا.. مالك؟ قالتها أروة في جزع شديد :
ارتفعت شهقات زهرة وهي تقول أخيرا عبر الهاتف :
- «هشام» عملي بلوك..

- ليه؟!!!!

- ما ده اللي يحاول أفهمه.. اتصلت بيه قبل ما أكلمك مش بيرد عليا.. بعته
مسدج.. استني هقراهاالك، (ليه كده؟ ليه؟ أنا عملتلك إيه؟ ليه الغدر؟ أنا
ما صدقت إن روعي رجعتلي وانت معايا.. أنا عندي القلب ومستحملش اللي
بتعملوا فيا ده..)

- يا زهرة انتي معندكيش القلب.. انتي مش مريضة قلب يا حبيبتي دي حالة
نفسية.. ليه بس قولتي كده
قالت زهرة في انهيار:

- معرفش بقي.. أنا مش حاسة بنفسي.. مخنوقة ومش عارفة أتنفس.. عاوزه
أموت

- بعد الشر عليكى.. عشان خاطري اهدي.. من النجمة هكون عندك..
متفكريش في أي حاجة دلوقت غير في بكرة.. ورانا يوم مهم ولازم تكوني
جميلة ومبسوطة عشان «إسراء».. هي مستنية اليوم ده من سنين.. بلاش
تخلي أي حاجة تأثر عليكى وتعكر صفو اليوم ده..

رغم أنها كانت متألقة في ذلك الثوب الأخضر الداكن.. إلا أن الألم في عينها
لم يفلح النقاب السُّكّري الهاديء في اخفائه.. الكل كان سعيدا متوهجا..

كانت «إسراء» الأبهى بلا شك.. كانت عروس.. توهجت في فستان أوف وايت.. ولون نقابها كان بنفسجي فاتح.. فراشة أمهرت الجميع في عرض رسالتها وأولهم لجنة التحكيم.. مُنحت «إسراء» درجة الدكتوراه بامتياز.. صَفَّق الحضور.. ودمعت عينا أبيها.. رغم السعادة التي تشع منه.. انطلق الجميع إلى البوفيه.. وهنئوها..

طلبت من أروة أن تبيت معها.. كانت تشعر في قرارها بأن شيئاً سيحدث لها.. آلام المعدة اللعينة تعود.. تحاملت على نفسها بكل ما أوتيت من قوة حتى ينقضي اليوم على خير.. وفي المساء.. دَوَّت صرخة رهيبة في أرجاء البيت..

مضت الأيام ثقيلة.. وزهره تثبت ذاتها في العمل وتحرز تقدماً سريعاً.. كل يوم تكتسب شيئاً جديداً.. تتعلم أشياء جديدة.. تختلط بعملاء مختلفين.. تتعامل مع كل الطبقات والفئات..

يفيض أبوها عليها من خبرته وحنكته في هذا المجال.. فقد التمس فيها نبوغاً واستعداداً فذاً لم يكن يتوقعه مما جعله يسكب عليها خلاصة ما يعرفه في هذا العالم.. عالم السياحة..

اكتسبت زهرة معلومات جديدة وحياة جديدة.. تفتّحت أمامها أبواب شتى.. عرفت الكثير عن بلدان العالم.. وكيفية حجز التذاكر.. عرفت الفرق بين وزارة السياحة ووزارة الطيران.. وصارت تتابع الجديد بنهم شديد.. ترك لها أبوها مسؤولية كبيرة وكانت تثبت له يوماً بعد يوم كم هي جديرة بتلك المسؤولية..

حاولت أن تنغمس بكل طاقتها في العمل الذي كان بمثابة باب الرحمة.. خاصة بعد أن عاودتها منذ أيام تلك النوبة في معدتها.. واجتاحتها آلام رهيبة.. على اثرها تم حقنها سبعة أمبولات زانتاك حتى يخمد الألم! منذ تلك

الليلة العصبية اتخذت قرارها.. لن تسمح مرة أخرى للحزن بأن يطغى عليها لهذه الدرجة.. هي لم تعد تتحمل الألم.. لم تعد.. ستحزن ولكن بمقدار.. لن تبحث ثانية عن «هشام».. ولن تحاول استرداده..

عندما يخنقها الألم.. تهرع إلى أي من صديقاتها.. قالت لها نعمة :

- لعلمك هو زمان دمه محروق لأنك مدورتيش عليه

- بس انا اتصلت بيه يومها وبعته رسالة ندمانة عليها

- مش مهم.. ده كان رد فعل متوقع وكنتي منهارة واكيد باين من أسلوب

كتابتك في الرسالة.. لكن المهم اللي حصل بعد كده.. انك محاولتيش تاني..

وده والله اكيد وجعه.. لأنه مغرور..

فتفويض الدمعات من زهرة وتتهند في قهر :

- نفسي أفهم هو عمل كده ليه

- لقاكي مبسوفة واتحسنيتي.. وبقيتي بتشتغلي ولقيتي حاجة تسهيك عنك أما

هو ما عندهوش بابا يشغله ولا حاجة.. قاعد فاضي مقضها شات مع دي

ودي.. قال أما ينكد عليك بقى.. في ناس كده على فكرة.. يحبوا دايمًا

يشوفوكي محتاجة لهم..

- ازاي بس.. ده كان زعلان عليا لما تعبت ودور عليا.. وسأل عني ناس كثير

- عادي جدًّا.. ولو في مشكلة يساعدك.. بس انك تبقي مبسوفة وقوية ده

شيء تاني.. هو أه يسأل عليك ويحسسك انك مهمة عنده.. بس يغير لو

لاقاكي مبسوفة.. في نوعية كده

- أنا تعبانة أوي.. ده حتى مش مسحني وخلص لا عملي بلوك كمان..

بيقطعها خالص عشان مرتبط يعني؟ طب مانا كنت بكلمه على الأساس ده

وراضية بقليلي.. المهم انه معايا..

- مش مهم هو عمل كده ليه.. المهم انتي هتبقي كويسة.. انتي المرة دي اقوي

على فكرة.. كمان الشغل هيساعدك كتير.. حطيه يا زهرة ورا ضهرك..

والحقي اعمليلك حاجة.. أثبتني نفسك.. انجحي.. يا عالم يمكن تتقابلوا في يوم وتبقي حاجة ويبقي هو ولا حاجة..

أما وسن فكانت في غاية الدهشة.. تضرب كفا على كف.. غير مصدقة.. كان تعليقها..

- ولا يهملك يا زهرة.. انتي لازم تحسسيه انك مش فارق معاكي وانك عايشة حياتك.. ومش هتتعبي تاني وتنهاري.. بالعكس انتي بقيتي أقوى لن تعرف أبدًا كم أنت قوي إلا عندما لا يكون هناك اختيارا أمامك سوى أن تكون قويا.. ولم يكن أمامها سوى أن تكون ذلك.. هذه المرة عزمت على عدم البحث عنه ثانية.. هذه المرة لن تضعف.. لن تمرغ كرامتها.. لن تمرغها.. هكذا أصرت زهرتنا.. رغم أن اليوم كان يمضي ثقيلًا.. رغم الخوف الذي حَقَّها من كل ناحية.. ذلك الخوف الذي يعترينا عند الانفصال عمن نحبهم.. إلا أنها اتكأت على نفسها.. استجارت بالإيمان.. ولا يرد الإيمان مستجيرًا.. تقربت إلى الله بكل ما أوتيت من ضعف! وبكل ما تبقي فيها من قوة.. وأنزل الله سكينته عليها وأيدها بجنود لم ترها.. كانت تلك الفترة في حياة زهرة من أعجب ما يكون.. مسح الله على قلبها.. ربّنت العناية الالهية عليها بحنوّ.. حتى ساقه الله إليها ثانية..!

كانت تقضي نهارها في العمل.. وعند عودتها إلى البيت.. توزع وقتها ما بين مشاهدة حلقات برنامج سحر الدنيا للداعية مصطفى حسني.. أراحت قلبها كثيرًا أغنية البرنامج لحمزة نمرة (بتحب حاجة)..

بتحب حاجة.. بتموت عليها.. بتحس انك مش هتنتهي إلا بيها.. تفضل وراها.. تدخل متاهة.. وبتنسي نفسك تلقى نفسك عبد لهما..

وبين هذا وذاك.. كانت تتصفح الفيسبوك بشيء من الرتابة.. والحزن العميق في ثنايا قلبها.. حتى جاء ذلك اليوم.. التاسع والعشرين من ديسمبر.. الذي اكتشفت فيه أن «هشام» قد أزال الحظر.. ظهرت أمامها صفحته

الشخصية.. تسارعت دقات قلبها.. لم تكن تتوقع أن يلغي الحظر بتلك السرعة.. لم يمر سوى أسبوعين.. منذ أن حازرها.. لم تفكر كثيراً لم فعل ذلك.. لم يشغلها سوى شيء واحد أن تثار لكرامتها.. في تلك اللحظة تلبّستها نزعها الصعيدية.. ووجدت أصابعها تكتب له تلك الرسالة :

وبتشيل البلوك ليه؟ واضح انك بترجع في كلامك كتييبير.. أنا بقي تمام وزى الفل الحمد لله.. وخذ أحلي بلوك مني اهي..قال وأنا اللي كنت بتصل بيك يومها عشان أعزمك على مناقشة الدكتوراه بتاعة أختي.. أخذتها من أمريكا بامتياز.. وكنت هعملك المكرونة اللي كنت طالها.. الاقايك عاملي بلوك.. شوف أنا نيّتي كانت ايه وانت نيّتك ايه! يلا بألف سلامة.

أرسلت الرسالة.. ثم حازرتها.. كانت منفعة جداً.. تتعالي دقات قلبها.. تنهج.. إلا أنها ولأول مرة شعرت بقوتها أمامه.. قدرتها على الاستغناء عنه.. غضبها وكبرياؤها هزما حيا له وحاجتها إليه.. باتت تكره ضعفها.. رغم ذلك الألم الذي يطعنها في قلبها مليون مرة في اليوم بخنجر حاد.. إلا أنه اشتد عودها.. سبحان الله! زهرة التي كانت تموت منذ شهر.. وسقطت في غيبوبة.. وكانت أضعف ما يمكن أمامه! أدركت أخيراً ذلك السر اللعين.. في الحب كلما صرنا ضعافاً أمام من نحب.. استمدوا هم من ضعفنا هذا قوة جسورة يتجبرون بها علينا! وهي زهرة نارية.. في النهاية جذورها صعيدية حرة.. دماؤها حارة.. حميتها تلح عليها في أعماقها.. ولذا لن تسمح له باستبدالها ثانية! لن تسمح.. فليذهب حيثما يشاء.. اذهب يا «هشام» كما تريد.. ولكني لن أبحث عنك ولن أستعيدك رغم أني أريد! هكذا هي الكرامة.. وهكذا هو الكبرياء..

زقت ذلك النبأ لصديقاتها أروة ونعمة و وسن التي ترجرت ضحكا.. تباينت الآراء.. ولكن كلهن اتفقن في نقطة واحدة.. أنه (شاطرة.. زمانه دمه محرووق دلوقت)..

وبالفعل كان هذا شعور صاحبنا.. كان (دمه محروق).. احترق كبرياؤه.. ردت زهرة ماء وجهها وأندت جبينه بما فعلت!

وتبادلا الأدوار.. أصبحت الآن هي المنتصرة.. اكتنفتها راحة.. غمرتها سكينه من نوع خاص.. وأصبحت تباشر عملها في حزن صامت.. غصة مرة في حلقها ولكنها تلك المرة ابتلعتها.. غدت زهرة منسجمة مع نفسها.. متأقلمة مع وضعها الجديد.. تقبلته.. رضت بقضاء الله.. وحمدت الله أنها استطاعت أن ترد اعتبارها.. رغم مسحة الحزن التي تسيطر عليها في أعماقها.. إلا أنها أغشتها بالرضا والاستسلام لما حدث.. أحياناً وهي تمارس عملها.. يراودها هاجس بأنه قد يفاجئها بحضوره.. قد يأتي إليها في محل عملها.. إلا أنها كانت سرعان ما تطرد ذلك الهاجس.. وكأنه أضغاث أحلام.. بل وتلوم نفسها وتوبخها.. كيف تفكر هكذا؟ أما زالت تنتظره بعد ما فعل؟ عليها ألا تفكر هكذا أبداً..

وكانه بالفعل هناك كهارب وتوارد خواطر بينهما.. توارد أفكار.. تلك الفكرة كانت تدور بمخيلته فأرسلها لها عبر إشارات المخ.. هو قد أصبح الآن مهزوماً.. يؤرقه الفكر.. صورته أصبحت سيئة أمام نفسه.. يشعر بالخجل من نفسه.. يجلده ضميره.. يريد أن يعتذر لها.. يريد أن يسترضيها بعد ما فعل.. بدأ يفكر جدياً بالذهاب إليها في كفر الدوار!! عجباً لك أيها الرجل! تجرح المرأة التي تحبك لأقصى حد وتقصمها عنك ولا تبالي لحالها.. ثم عندما يتضح لك أنها لن تموت من دونك وتكتشف أن رحيلك بدلاً من أن يحطمها قد فعل العكس.. عندما تجعلك المرأة ترى صورتك القبيحة في المرأة.. تحاول استرضاءها.. واستعادتها من جديد.. لحظتها تشعر بخسارتها.. عجباً لك أيها الرجل! هل كان لزاماً أن تخسرهما لتشعر بمدى حاجتك إليها؟

مضى أسبوعان آخران.. قبل أن يفاجئها باتصال لم تكن تتوقعه على الإطلاق!! لم تتوقع أبداً منه خطوة إيجابية كتلك.. بل أي خطوة.. في أعماقها كانت قد آمنت أنه رحل بلا عودة..

كان يوماً مجهداً كما العادة في العمل.. وكان الجو شتاء.. عادت في غاية الإرهاق في حوالي السابعة مساءً.. لم تلبث أن خلعت ملابسها وارتدت ملابس البيت وارتمت على السرير وسرعان ما سقطت في النوم.. لتستيقظ في العاشرة والنصف مساءً على رنين الهاتف.. فركت عينها بصعوبة وهي تنظر في شاشة الهاتف لتعرف من المتصل.. ورغم أنها كانت قد مسحت اسمه ورقمه من هاتفها وكل رسائلها النصية أيضاً.. لكنها عرفتة.. رغمًا عنها كانت تحفظ رقمه عن ظهر قلب.. من دون تركيز.. ضغطت على زر الرد.. كانت بين الوعي واللاوعي.. لم تكن استيقظت بعد.. لم تستعد كامل وعيها بعد.. بصوت ناعس..

- ألو

كان يشعر بحرج شديد.. ظهر جليًا في صوته قائلاً بلهجة خفيفة خجولة :
- ألو.. ثم لم يلبث أن أدرك أنها نائمة.. تنحنح ثم استعاد شيئاً من شجاعته قائلاً :

- انتي نائمة؟ أسف جداً والله..

جاء صوتها ناعساً مرهقاً.. وقالت :

- أيوا.. محاولة استعادة وعيها.. إلا أنه لم يمهلهما.. كما أنها فرصة سانحة ليستعيد عافيته.. فقال :

- خلاص فوقي كده.. اغسلي وشك وأنا هكلمك تاني..

قالت في استسلام تام :

- أوك..

نفضت النوم عنها.. شحذت كل حواسها لتستوعب ماذا يحدث.. ماذا يدور الآن؟ توضأت وأدت صلاة العشاء.. لم تكن قد صلّت العشاء بعد.. لأنها

سقطت صريعة في النوم دون أن تدري بنفسها.. جلست على السرير في انتظار اتصاله الذي أتاها بعد منتصف الليل :

- ألو

بصوت خجول خفيض :

- ازيك يا زهرة عاملة إيه؟

بنبرة ثابتة جامدة لا تحمل أي مشاعر أو انفعالات :

- الحمد لله

تنحنح.. بصوت ناعم يحمل نبرة شبه حانية :

- عاملة ايه ف الشغل؟

بنفس النبرة دون أن تهتز :

- الحمد لله.. خير؟

تلعثم.. استجمع نفسه.. قال :

- مش كنتي قايلالي قبل كده إن بيتك جمب مبني المحافظة؟

بدهشة :

- لأ.. ليه؟

- أصلي سألت واحد صاحبي عن مبني المحافظة ف كفر الدوار ومعرفتش

هو فين بالضبط!

بتلقائية :

-!! أنا قولتلك إن بيتي جمب مجلس المدينة مش مبني المحافظة.. مبني

المحافظة ده ف دمنهور! بتسأل ليه؟!!

- أنا عاوز أجيلك كفر الدوار لحد عندك يا زهرة..

وضعت يدها على صدرها في تلقائية.. كبحت انفعالاتها.. قالت بلهجة جامدة

:

- ليه؟

تلعثم أكثر.. انخفض صوته أكثر.. قال :

- عاوز أسلم عليكي

- لو عاوز تسلم عليا أو تكلمني.. أنا نازلة الكلية قريب عشان هقدم ف
الدبلومة.. ممكن نتكلم هناك

- بس أنا مش عاوز كده :

- أو مال عاوز إيه؟

- أنا عاوز آجي لحد عندك.. لازم آجي لحد عندك
- ليه؟

أطلق زفرة حارة طويلة.. ثم قال بنبرة معذرة نادمة صادقة :

- حاسس اني زعلتك كثير..

لانت هي.. قالت بلهجة مهذبة :

- خلاص يا «هشام» أكنك جيت.. وصلت خلاص

- لا عاوز آجي لحد عندك :

- خلاص والله يا «هشام».. اعتبر نفسك جيت :

- بس أنا عاوز أجيلك لو ده يدايقك خلاص

- لا مش يدايقي بس مش هينفع أقابلك..

- ليه؟

ترددت قليلاً بحثاً عن إجابة مناسبة ثم لم تلبث أن أجابت :

- عشان بكون ف الشغل وظروفي متسمحش

قال متفهماً :

- أوك.. انتي أخبارك إيه؟

- الحمد لله تمام.. وانت عامل إيه؟

- أنا كويس.. ساد صمت جميل ثم لم يجد شيئاً يقوله فاستطرد في خجل

لينهي المكالمة :

- عاوزة حاجة؟

قالت في حنان :

- خلي بالك من نفسك

اخترقت قلبه.. فقال :

- وانتي كمان خلي بالك من نفسك

- اوك.. باي باي

- باي باي

وانتهت تلك المكالمة.. لكن الجولة لم تنته بعد :

توقفت زهرة عن الكتابة.. أخذت نفسا عميقا.. ومسحت دموعها التي حجبت عنها الرؤية.. ما أنعسها من زهره! الآن هي تكتب روايتها بيدها.. بعد أن انتهى كل شيء بينهما.. تكتب عليها تشفي.. عليها تنجو من براثن الذكريات.. ذكريات عامي 2012 و2013.. الآن هي في نهاية أكتوبر.. لعام 2014.. الآن بداية الشتاء.. ها هي تستقبل نوفمبر.. ثلاثة أيام قبل ذكري مولده! ويعلم الله وحده ماذا تفجر كلمة (نوفمبر في كيان هذه الزهره من ذكريات مؤلمة!) يكفي فقط أن عيد ميلاده في نوفمبر.. ها هو المطر يغسل الأرض كما الدمع يغسل القلب.. زهرة تعشق الشتاء.. هو فصل ملتحم بالذكريات.. كما هو موسمها وموسم الحنين والألم.. وموسم الإبداع.. فهي بدأت كتابة الرواية في ديسمبر 2013.. نهاية عام الحزن.. عام الحزن؟! نعم عام الحزن يا «هشام» رغم أنك عدت لي في أول هذا العام.. في يناير أتذكر؟ إلا أن عام 2013 بالنسبة لي هو عام الحزن.. قبل أن أسرد هنا ذكريات عام الحزن.. وقبل أن أقص كيف عدت لي.. أريد أن أفشي سرا هنا.. أنا أيضا عازفة يا «هشام».. لست عازفة اكسليفون فقط.. بل عازفة كمان.. هل تدري يا «هشام» أن كل

عازف يشبه الآلة الموسيقية التي يعزف عليها.. أو ربما هي تشبهه!! لا أدري.. ولكن هكذا لاحظت.. فأنا كعازفة كمان أشبه ألتى.. كما قالت لي معلمتي.. لا زلت أذكرها.. وأذكر خطواتي الأولى في العزف.. كنت مازلت أحبو في عالم الموسيقى.. ضحكت لي معلمتي وقالت في دفاء.. (زهرتي.. إن كمنجة صغيرة مثلك لا يليق بها سوى كمنجة صغيرة مثلها.. حنونة مثلك.. ساحرة مثلك.. ناعمة مثلك.. حزينة مثلك.. رقيقة مثلك.. رغم صغرها إلا أنها قوية.. وعلي قدر صلابتها هي مرنة.. كما أنها تحدث دويا في القلوب.. تشملها.. تسحرها.. وأحيانا تذبجها بكاء.. يدك الصغيرة تلك طفلي.. ستبدع يوماً ما.. ستصبحين عازفة لا يشق لها غبار.. وانني أتنبأ لتلك اليد الصغيرة بالنوع الموسيقي.. وكتابة الألحان العذبة الرقيقة الراقية الشجية.. إحساسك طفلي يكبرك.. إحساسك ليس عاديا.. إحساسك موهبة.. وهكذا هي الكمنجة لفرط إحساسها تشفط الحس!)

وعندما ماتت معلمتي يا «هشام» حدث لي خلل موسيقي.. تشحمت كمنجتي وتضخمت.. عزفت لها وأنا أبكي.. وكان رثائي الموسيقي هذا هو آخر ما عزفت.. وتوالت مصائب الفقد يا «هشام».. فبعدها رحلت جدتي.. ومن بعد معلمتي وجدتي رحل أخي ليتركوني جميعهم مختلة.. تركت الموسيقي مبكرا.. وارتحلت إلى عالم الوجد.. عالم الكتابة.. ثمة فارق بين كتابة الموسيقي وكتابة الأدب؟ لا أعتقد.. فكلها نوتات.. ثمة فارق بين نظم اللحن ونظم الشُّعْر؟ لا أعتقد.. فكلها أصوات وكلها صرخات!! ثمة فارق بين القصيدة والسوناتا؟ علم العروض في الشعر.. في رأيي هو علم موسيقي بحث ولكن بشكل مختلف!! كتابة الرواية ككتابة السمفونية.. هذا لأنه في رأيي الموسيقي في النهاية لغة! ولكن الفارق الوحيد أن الموسيقي هي اللغة الوحيدة التي لا تحتاج إلى ترجمة.. فهي لغة التعبير العالمي والتي يفهما أي كائن حي أيا كانت اللغة التي ينطق بها! فإن كتبها أنا بحروف موسيقية أو بحروف عربية

أو إنجليزية أو حتى فرنسية كما أفعل.. في النهاية كلها لغات تنبع من القلب.. مصدرها القلب.. قلبي أنا.. وما يخرج من القلب يصل لأي قلب مهما اختلفت اللغة! وتؤيدني في رأيي هذا الأسطورة العالمية لارا فابيان وهي المعروفة أنها تغني بعدة لغات حية وكاتبة أغاني وعازفة بيانو وقيثارة ومؤلفة موسيقية وممثلة.. لارا تغني بالإنجليزية والفرنسية والإيطالية والبرتغالية والإسبانية والروسية.. وعندما تسمعها بأي لغة وتشاهد أداءها على المسرح.. لن يتغير إحساسك وانهارك بها.. لارا تستطيع أن تبكيك بالفرنسية والإنجليزية وأي لغة تنطقها لأنها كتلة إحساس.. فقد قالت ذات حديث تليفزيوني لها بالإنجليزية.. (أنها لا تعتقد أن اللغة يمكن أن تحد من الإحساس.. ولا توجد لغة معينة لنقول شيئاً من قلبنا.. طالما أن تلك اللغة صادقة.. فالمشاعر الحقيقية ليس لها حدود ولا حواجز طالما أنها صادقة..)

نعد إلى موضوعنا.. أن كل عازف يشبه آله.. أنت يا عازف البيانو تشبهه!! طويل مثله.. كما البيانو المغلق على موسيقاه.. منغلق أنت على سرّ.. سرّك.. كما البيانو له لونان.. أبيض وأسود.. كذلك أنت متلون! لا تثبت على شاكلة واحدة.. تغير وتيرتك.. وكأنك تعيش صراع في داخلك بين شيئين أو بين امرأتين أو لأكون أكثر دقة بين امرأة وأنثى! لأنني على يقين أن كل رجل يهديه القدر امرأة واحدة.. يقابل في حياته امرأة واحدة والباقي انا.. والرجل ذو البصيرة المتوقدة هو من يتلقف ضي تلك المرأة.. أما المغرور تعيس الحظ.. يعميه غروره عن ضي تلك المرأة.. فيبحث عن الإناث ذوات المهرجة المزيفة.. ويكثر منهن حوله.. ويعيش قصص وعلاقات متعددة ظنا منه أنه نجم تلتف حوله النجمات.. ثم فجأة تباغته الحياة.. وتنظفيء كل تلك الأنوار الصناعية من حوله.. يتساقطن من حوله بالتدرج على حين غفلة منه.. ليفيق وقد خسر القمر.. ولا يرى منه سوى ضيه في السماء ينير له عتمته متحسرا على ضياعه.. ورغم كل هذا أخشى عليك.. أخشى عليك من صدمة مستقبلية

ستلقاها.. عاجلا أم آجلا.. والله العظيم أخشى عليك.. ستقع في أنثى تقتص
لي منك! لن ترحمك.. ولن تملك سوى أن تتفرج عليها وهي تفرغ جيوب قلبك
وتترك مفلسا.. بها فقط يا «هشام» ستكتشف كم كنت غنيا بي.. لا أريدك
أن تتألم.. ولكن الألم هو السبيل الوحيد إليك لتنضج.. لتنقش عنك
الغمامة.. لتفيق.. لترى الحقيقة كاملة.. لتعرف ما هو الحب الكبير.. ولتعرف
أن الحب الكبير يأتي مرة واحدة.. من امرأة واحدة.. وأن القدر يعطيك ذاك
الحب من امرأة واحدة فقط.. لاحقا ستعي ما معنى أن تحبك امرأة مثلي.. أن
تهبك ما وهبتك.. عساك تتعلم حينها قيمة الأشياء وتمضي ما بقي لك من
عمرك في ضي عيني.. اللهم نور قلبه.. اللهم دل على الطريق.. يا الله دل على
الطريق.. اللهم استودعتك اياه.. عليك العوض يا ربي.. اللهم في كل وقت
وحين.. أنت تعلم أني أرددها.. اللهم «هشام».. اللهم «هشام».. اللهم «هشام»..
ولحظة سقوط المطر أرددها من كل قلبي.. اللهم «هشام»..

أنت (وطن) وإن كنت وطناً مُحتلاً حتى يا هشامي.. فاعلم أنك ستشهد جلاء
الاحتلال على يدي! لن أسمح لأي أنثى أن تستوطن وطني.. سأحارب حتى آخر
نفس.. سأدمر أي مستعمرة أقامتها تلك الأنثى.. يوماً ما سيرفرف قلعي على
قلب هذا الوطن معلناً تحرره وإعادته لي.. سيحدث هذا يا «هشام» حتى وإن
كنت أنا في عداد الأموات.. يكفيني شرفاً وفخراً أن رفاتي ستدفن في أعماق
قلبك.. يكفيني فخراً أنني بعد غربة طويلة عن هذا الوطن سأرتاح أخيراً في
ثراه.. طَيَّبَ اللهُ ثرى هذا الوطن.. طَيَّبَ اللهُ ثراه حبيبي! ستظل بصماتي
عالقة في قلبك ولن يقدر أعتى الأعتياء على محوها.. أنا امرأة حرة تمردت
عليك وثارَت عليك وصبَّت جام غضبها عليك لأنها تعشقك حد الجنون..
ف هكذا يفعل الثوار قهراً عندما يُسلب منهم وطنهم قسراً أو عندما يقسو
عليهم الوطن.. وأنا أعاني الحاليتين.. من قسوتك وسلبك مني قسراً.. لكنهم

من المحال أن يكرهوا وطنهم أو يخونوه.. هكذا هم الثوار يا حبيبي.. ولذا يسطرهم التاريخ.. ولا يموتوا.. لا يموتوا يا «هشام»..

«هشام» يا فضيحتي الجميلة! يا من علمتني الكتابة.. فأنا قبلك لم أكتب شيئاً يستحق الذِّكر.. معك تعلمت الكتابة وبدأتها بل واحترفتها.. أنت دون أن تدري علمتني كيف أكتب نصّاً يحتويك.. ولذا كان لزاماً عليّ أن يزخر الأدب العربي برواية عنك.. رغم أنني أغار عندما يقرؤك غيري! لا بأس سأدفع غيرتي فاتورة لأمنحك الخلود.. سأكتبك لأنني لا أريدك أن تموت.. وأريدك أن تظل حيا أبد الدهر كما أنت في قلبي.. من أجلك أتحمّل مَشَقَّة الكتابة.. من أجل إيماني بك أتحمّل كل شيء وأي شيء..

أكتب الآن يا «هشام» وعيني مُخَضَّبَة بالدموع.. حتى أكاد لا أري ما أكتب.. تحجب عني دموعي الرؤية.. أنا مقهورة منك يا هشامي.. أيها التاريخ أنا امرأة مقهورة من وطنها.. وما أبشع قهر الوطن!

هشام.. أريدك أن تعي جيداً أنني في حياتي ما رفعت رأسي عن آخرها لأحد قط وأنا أحدثه إلا لك.. ولم أحنِ رأسي للكتابة لأحد قط إلا لك.. ولست نادمة على ما فعلت بل ذلك بالنسبة لي تاج على رأسي أحتفي به وأفخر به أمام العالمين! وبالنسبة لك فذلك وسام استحقاق على صدرك وهبته لك ملكة اسمها زهرة..

وأريدك أيضاً أن تعرف أنني فقط أحببت اسمي مذ نطقته أنت أول مرّة.. كلما تناديني (زهرة) أفتّح.. أحب طريقة نطقك لحرف الرّاء وأنت تناديني (زهرة).. من يومها وأنا أشعر كم أنا محظوظة.. بل كم أنا زهرة محظوظة! أثنيت على أمي كثيراً لأنها هي من اختارت لي هذا الاسم عندما ولدتني..

أراوغ حنيني إليك يا هشامي بالكتابة.. فأنا مصابة بوعكة حنين لك مزمنة.. ولا أستطيع التصدي لها إلا بالكتابة لك.. أستحضرك.. أستعيدك.. أبث لك في كلماتي حبي وغضبي وجزعي وحزني وخوفي وشوقي وألمي وعذابي.. ثم أنتهي

من الكتابة وأجد نفسي أنهج.. تتلاحق أنفاسي لاهثة.. ووجنتاي قد احمرتا عن آخرهما وجبيني يتصبب عرقا كما لو كنت لتَوَيّ قد انتهيت من مراثون طويل جدًا.. ولكني معك يا «هشام» لا أصل لنقطة نهاية أبدا.. أنت مراثون لا نهاية له إلا الموت!

وها هو صوت محمد محسن يصدح بجواري.. يشاركني مشاعري.. إلهي! بينكما أشياء كثيرة مشتركة.. أبسطها أنّ كلا منكما فنان.. أتدري يا هشام؟ أتمني من الله أن يعينني على إكمال روايتي.. ويحقق لي حلمي بأن أراها تتجسّد أمامي على الشاشة.. كم أتمني أن يجسّد دورك محمد محسن.. أتمني أن يطيل الله في عمري حتى أشهد هذا اليوم.. يا الله!

أنا خائفة يا «هشام».. كلما يَجِنّ على الليل أختنق وأشعر بوحدة قاتلة.. وخوف شديد.. تحاصرني الهواجس ويتفاقم ألمي.. فأهرع إليك.. أستحضرك.. وأكتب إليك حتى يهدأ قلبي.. وأشعر أنّي في معيّنك.. فيعتريني الشعور بالأمان.. أشعر بروحك تغمرني.. طيفك حولي.. فتحقني السكينة.. وتغلّفني الطمأنينة.. كل ليلة أكتب إليك هشامي.. وتذرف عيناى دموع القهر والحسرة.. أنا أعلم أنّي سأموت بحسرتي.. أعلم ذلك جيدًا ولذا أصارع الزمن حتى أنتهي من روايتي وأترك شيئًا يحمل اسمي في هذه الحياة بعد مماتي.. إن لم يمنحني القدر طفلة منك.. سأتحداه وأنا أمنحك طفلتنا البكر.. التي هي روايتي.. روايتنا يا هشامي..

لا أدري لماذا يسيطر على دائمًا الإحساس بالموت.. أشم رائحته تقترب مني.. بداخلي هاجس يخبرني بأنني سأموت قريبًا.. سأموت وأنا في ريعان شبابي كما مات أخي عبدالله.. هو أيضًا كان يسيطر عليه هذا الإحساس بشدّة.. وقد تحقق.. دعا الله بأن يرزقه الشهادة واستجاب الله دعوته ومات غريقًا.. أسأل الله أن يتقبله شهيدًا.. فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((من مات غريقًا.. مات شهيدًا)).. وأنا أيضًا أسأل الله أن تعرج روحي للسماء وأنا في

حضنك يا «هشام».. يا رب حقق لي أمنيّتي واستجب لي دعوتي.. وألحقني أنا وأخي بالشهداء.. اللهم ألحقني بالشهداء.. حتى يتسني لي الشفاعة في سبعين من أهلي.. أولهم «هشام».

الحُب لعنة.. والسياسة لعنة.. هناك منا من يصاب بلعنة الحُب وهناك من يصاب بلعنة السياسة.. وكلتا اللعنتين عواقبهما وخيمة.. والتاريخ خير شاهد على ضحايا الحُب والسياسة.. ننهز بالحُب.. أو بالسياسة.. نسعي للتسلق في معارجهما ثم لا نفيق إلا عندما نتلقى ضربة قاضية.. ضربة تقصم ظهرنا.. نفهم لحظتنا أن الحُب قضية.. وكذلك السياسة قضية.. يمكن أن تكون قضية رابحة أو خاسرة.. إن كسبناها فسنجني ثمارها.. وإن خسرتها فسنترجّع العلقم ونظل نلوكه في فمنا لسنوات وربما لنهاية العمر.. منا من يعتنق قضيته بإيمان راسخ.. ومنا من يتخلى عن قضيته ويبيعها عند أول مطب.. وأنا يا هشامي لن أبيع قضيتي.. لن أبيعها.. أتدري؟ هناك فرق جوهري بين الحُب والسياسة.. هذا الفرق يكمن في أن الحُب ليس له دين ولا وطن.. الحُب لا تتعدد فيه مذاهب دينية.. أو تيارات وأحزاب سياسية.. الحُب الحقيقي واحد وثابت وراسخ الجذور عبر الزمن ولا يتغير تحت أي ظروف.. هو الشيء الوحيد الذي يُطهرنا.. لا يدنسنا الحُب يا «هشام».. لا يلوّثنا.. ولكن السياسة تفعل.. وهذا هو الفرق يا هشامي.. وكل حسب لعنته.. ولكن النهايات تتشابه إلى حد كبير.. أما أنا يا «هشام» فقد أصيب قلبي بلعنة حبك.. إلا أن علاقتي بك الآن أشبه بالسياسة! تشبه كثيرًا حرب الاستنزاف.. أتدري تلك الحرب لم تُقدّر كما ينبغي.. حرب استمرت على مدار ثلاث سنوات ونصف.. مليئة ببطولات وملاحم.. إلا أنها لم تتوجّ بالنصر أو الهزيمة.. هي حرب جاءت رد فعل لنكسة شعب حُر رفض أن يتجرّع مرارة الهزيمة.. هي حرب بدأت تمهيدا لرد اعتبار هذا الشعب أمام العالم.. حرب من أعتي الحروب التي خضناها على مر التاريخ ولم يسَلط عليها الضوء

إعلاميا كحرب أكتوبر المجيدة.. رغم أنها كانت لبنة أساسية لنصر أكتوبر..

هكذا أنا

وأنت.. هكذا أنا وأنت الآن يا هشامي.. أنا الآن أخوض معك حرب استنزاف كرد فعل لنكسة قلبي فأنا امرأة حُرّة أرفض الهزيمة! استراحة محاربة أستعد فيها لخوض حرب العبور إليك.. سأنتصر وسأعبر إلى قلبك رسميا أمام العالم.. سأستردك لي.. فأنت وطني أنا.. لي أنا باذن الله.. سأعبر (إلي) قلبك ولن أعبر (علي) قلبك كما فعلت أنت بي من قبل.. فهناك فرق شاسع بين العبور(علي) قلب إنسان والعبور (إلي) قلبه.. فالأولي موت والثانية حياة.. حياة يا «هشام»..

أنا امرأة ترفض الاستسلام للهزيمة يا «هشام».. أرفض الخسارة بتاتا.. لذا عندما أخسر فإنني ألملم خسائري لأصنع منها مكاسب مُجحفة.. أنا امرأة قويّة.. صلبة.. حمولة.. عنيدة.. طويلة النّفس.. مهما انكسرت داخليا.. مهما تحطم قلبي وبكيت وضعفت فإنني أنهض من جديد..

وأنهض لأكتسح.. هكذا أنا يا «هشام».. لا أتقبل أبداً خسارتك.. لا أتقبل فقدانك.. لأني مؤمنة بأني منك ولك وسأعود إليك.. إلى موطني.. ولن أنسلخ منك أبداً ولو بالموت!

صدقني لن أشعر بفرحة أي نصر أو إنجاز أحققه في حياتي من دونك يا «هشام».. أنت في حد ذاتك أعظم إنجازاتي.. لن يكون هناك مذاق لتحقيق أحلامي من دونك.. هذا لأنه بكل بساطة أنت أحلامي.. كلها يا «هشام»..

هل تعلم أن سيمفونية صمتك دليل على لحظة تفكير طويلة تدور في رأسك.. تجاهلك المتعمّد لي في حد ذاته أكبر اهتمام بي.. ولا مبالاة لك لم تنجح في إخفاء ذلك اللهب الذي يلفحني.. على الأقل سأقول لهيب فضولك.. ملاحقتك لي والتلصص علي أموري ومتابعتي عن بُعد.. دليل قاطع على أنني أسكنتك! أليس كذلك؟ لا بأس.. أعد حساباتك يا سيادة الباش محاسب.

أعد حساباتك قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا حُلة ولا شفاعة.. يوم تدرك فيه كم هو مخجل أن يخطيء سيادة باش محاسب مثلك في حساباته.. ومع من! مع امرأة دلفت قلبه قبل أن يرى ملامحها! قبل أن يعرف كيف تبدو.. كانت بالفعل قد سكنت قلبه.. ألا تستحق امرأة كهذه أن تعيد حساباتك بشأنها؟

في أعماقك تدري جيداً ما اقترفته بحقي.. بيننا رب العالمين.. وبيننا يوم معلوم.. ميقات سيأتي لا محالة.. يفصل فيه بيننا بالحق.. هذا اليوم تحدث عنه ربنا عز وجل في كتابه قائلاً (إن يوم الفصل كان ميقاتنا).. كما قلت لي ذات حفل أنت على يقين أنني لن أكرهك.. ولن أدعو عليك.. ولكنني أعالج نفسي منك بالكتابة.. لأنني مريضة بك.. وأنا أعترف.. أنا مريضة بك.. تلك الجملة التي شددت بها الأسطورة لارا فاييان je suis malade.. والاعتراف بالحقيقة هو بداية العلاج.. أما أنت تلعب على وتر النوايا المغلوطة.. التي هي في الحقيقة مقصودة.. أنا لست بهذا الغباء العاطفي كي لا أفرق بين النوايا المغلوطة والنوايا المقصودة.. كي أفرق بين النوات المتساقطة والسمفونيات والصولفيج والكونشيرتو والسيرتو والصلو والكادينزا.. فمن فضلك لا تهن إحساسي بك ثانية! لا تهن ذكائي العاطفي.. إياك أن ترتكب مثل تلك الحماقة مجددا.. أيها العازف المكابر اعترف حتى لنفسك.. إنك لا تعترف حتى لنفسك.. ولذلك لن تتخلص مني ولن تتصالح مع نفسك حتى وأنت مع غيري! لن تتخلص مني ولن تنسجم أو بالأحرى لن تجد دوزنتي ثانية.. فأنا لا أنسى ولا أتكرر بل أظل شاخصة في الوجدان.. سيؤرقك وجعي كثيراً.. سيؤرقك لنهاية العمر.. أيها العازف سيطغي سحر الكمان على صخب البيانو.. لا لأنه الأكثر رقة بل لأنه الأصدق.. ولأنه الأعمق.. ولأنه صوت الألم! يتغلغل في القلوب ويدبحها بكاء.. سامحك الله..

إلى اللقاء في الجزء الثاني إن شاء الله.

1854 / 2016 ط1

الترقيم الدولي / 1 - 08 - 3511 - 977 - 978



ليبئى للنشر
والنوربع